تقى الدين الجعفرى

تَخْجِيل مَنْ حَرَّف التوراة والإنجيل

إذ قد حرفتُم كلام الإله الحيّ رب الجنود إلهَنا

إرمياء ٢٣ : ٣٦

أما وحى الرب فلا تذكروه بَعدُ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيهُ

دراسة وتقديم

خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

تقي الدين الجعفري (٥٨١هـ - ٦٨٨)

ارتبط اسم تقي الدين الجعفري بثلاثة مؤلفات في علم الأديان المقارن، هي:

١ - تخجيلُ من حَرَّف الإنجيلَ.

٢ - البيانُ الواضحُ المشهود من فضائح النصارى واليهود.

٣ - الردُّ على النصارى.

ومثَّلت هذه المؤلفات مجموع ما خطَّه الجعفري في شتى فروع العلم، فلم تذكر كتب الطبقات والتراجم شيئًا له في فروع العلم الأخرى، فمن هو الجعفري؟!

- هو[١] صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي.

- تكنَّى بـ (أبي البقاء)، واشتهر، بلقبين، هما: تقي الدين[٢] - قاضي قوص.

- سكن (منطقة الجعافرة) بمصر، وتقع هذه المنطقة في إسنا إحدى المدن الكبرى بمحافظة قنا بالصعيد الأعلى[٣].

- ولد المؤلف في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة هجرية[٤].

- سَمِعَ من الشيخ المسند أبي الحسن علي بن البنَّاء ت سنة ٦٢٢هـ[٥].

---

(١) راجع بخصوص ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي (خ)، رقم (٤٢) تاريخ دار الكتب المصرية ورقة ٢٣ ب جزء ٣١، ذيل مرآة الزمان لليونيني ص ٤٣٨ ط حيدر آباد الدكن بالهند، الوافي بالوفيات للصفدي جزء ١٦ ترجمة رقم (٢٨٣) ط ١٤٢هـ.

(٢) حسب الذهبي واليونيني والصفدي.

(٣) راجع ما ورد عن الجعافرة في معجم البلدان، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (١ / ١٩١).

(٤) حسب الذهبي واليونيني.

(٥) راجع ترجمته في: سير الأعلام (٢٢ / ٢٧)، النجوم الزاهرة (٦ / ٦٣)، شذرات الذهب (٥ / ١٠١).

- حدَّث عنه أبو محمد الدمياطي أحد نقَّاد الحديث ت سنة ٧٠٥هـ[(١)].

- هذا أقصى ما وصل إلينا من معلومات تخص تعريف هذا العلَم، ولا غضاضة في ذلك، فقد كان حظه - كغيره من الشخصيات البارزة التي ألفت في علم الأديان المقارن، أمثال علي بن ربن الطبري، ومحمد بن هارون الوراق، وغيرهم، وقد يظهر هذا عدم احتفاء المسلمين بمثل هذه الشخصيات التي تكتب في فنون غيرمشهورة، وقد ألف البوصيري المادح الأعظم للنبي ﷺ منظومة في الرد على اليهود والنصارى، لكنها لم تنل ذيوعًا مثلما نالت البُردة، على أن البوصيري كان معاصرًا للجعفري، هو وقطب الصوفية سيدي أحمد البدوي، وكذلك لم يشتهر شخصًا كالقرافي بكتابيه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، و«أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية» بقدر ما اشتهر كفقيه أصولي.

على أن هذا لا يعد تقليلاً لجهد الإسلاميين في هذا الحقل، اهتمامًا وتأليفًا، ربما كان ذلك راجعًا إلى أن المؤلفات وجّهت إلى غير المسلمين، ويكفي أن الحكّام قد تبنوا فكرة الحوار أو الجدال أو الدفاع عن الإسلام، فقد أهدى الجعفري كتابه (البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود) إلى الملك الكامل، وحسبما ذكر هو بنفسه أن السلطان كلَّفه تكليفًا رسميًا بالرد على النصارى فقال:

« . . .كان طاغية الروم الإمبراطور قد أرسل إلى السلطان الملك الكامل رحمه الله في سنة ثمان عشرة وستمائة عدة مسائل يطلب من المسلمين الجواب عنها. . . فأشار من أمره واجب وطاعته ضرب لازب، أن أصنع مسائل تتعلق بدينهم الباطل، ومذاهبهم. . . وكشف أسرارهم. . . وأوضح اضطراب مذهبهم. . وما اشتملت عليه صلاتهم. . .»[(٢)].

---

(١) راجع ترجمته في : سير الأعلام (١ / ٥٠٢)، والنجوم الزاهرة (٨ / ٢١٨).

(٢) راجع : ورقة (٥) من المخطوط، نقلاً عن ص ٣٦ من النص المحقق، نسخة غير مطبوعة، رسالة دكتوراة أعدها الباحث خليل شوكت سنة ١٩٩٦، كلية أصول الدين بالقاهرة.

– مرة أخرى أشير إلى أن صـورة المؤلف تبدو غامضة، ويرجع ذلك إلى ندرة المعلومات[١] الواردة بشأنه في تُراثنا، إلاَّ أن نصوصًا أوردها المؤلف في مصنفاته، قد تبرز لنا إلى حد ما – بعضًا من جوانب شخصيته، ومدى تفاعله مع عصره.

يقول الجعفري، في بداية كتابه «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»:

حضرت محفلاً تحفَّل بالمعارف أخـلافه، وتكفَّل بالعوارف ألأَّفه، فأذاعوا مزائد الفوائد، وأعادوا ودائع الـعوائد، وأفاضوا في العلوم الدينيـة، وأضافوا إلى ذلك ذكر الأمة النصرانية،.

فتعجب من حضر: كيف زلت بهم القـدم؟! حتى اعتقدوا اتحاد العَدَمِ بالقِدم، ومن أين قادهم الخبـيث إلى القول بالتثليث، وروَّج عليهم المحال، فـدانوا بعبادة الرجال؟! واستبـعدوا أن يعتقد لبيب أن الإله يصلب على صلـيب، أو يستقر في الأحلام أن تشتمل على القديم الأرحام.

فقلت: . . . . . . ربماخلف من بعده (المسيح) خُلُوف كـالخلوف، واستعوص عليهم كـلامه فتـناولوا بأيدي التحريف الحـروف، وأتاهم العدو من قـبل الألفاظ وعدم الحفاظ، فـيتعين على من له دُربة بهذا الشأن حَل إشكالهم وفـك الشبهات التي أعانت على ضلالهم، فزعم الجماعة:

أني عارف بكتـبهم خبيـر بمخاريقهم وكـذبهم دَرِيٌّ بمرادهم بالجوهر والأقنوم، دَربٌ بالفرق بين فرق النسطور واليعاقـبة والروم، وقالوا: لو أنرت لمعًا تكون على الحق علمًا؟ فرُبَّ كلمة تهـدي أممًا، فأجبتهم لوجوب حقـهم، ورجوت الحيا عند ومـيض برقهم، واسـتخـرت الله تعالى، وشـجعـت جنانًا جبـانًا، وأطلقت من ضعـيف العناية عنانًا، ودأبت في تحصـيل ما لم أقف عليه من كـتب القوم، ولم أجتز بما كان في يدي منهما، حتى استكملت التوراة و. . .».

---

(١) اظن أن هذه الصعوبة واجـهت كلاً من الباحثين: خليل شـوكت، ومحمود قـدح، فكلاهما قد حصل على درجة العـالمية (الدكتوراة) لتحقـيق الأول البيان الواضح ، في مصر، وتحـقيق الثاني كتاب التخجيل في السعودية؛ كذلك واجهت هذه الصعوبة د. محمد حسانين حين تحقيقه لكتاب الرد على النصارى للجعفري.

ويقفنا هذا النص عند تحليله على عدة أمور، هي:

أولاً: انشغال العامة بما عليه حال النصارى من معتقدات يدينون بها، فهل أتى هذا الانشغال من قبيل التَّرف الفكري؟! أم أنه نابع من زوابع الحروب الصليبية؟! أم كانت هناك حملات تشكيكية، قام بها النصارى الأفرنج والعرب، ضد الإسلام ونبيه، مما جعل المسلمين هم أيضًا يقومون بردة فعلٍ لهذه الحملات؟!

- لعل هذه التفسيرات كلها يمكن قبولها؛ فالتاريخ وقتها لم يكن في صالح المسلمين على الإطلاق، فلم يكن للخليفة العباسي إلا السلطة الاسمية على بغداد وما جاورها، وكانت هناك دول كثيرة تتقاسم السلطة الفعلية للبلاد الإسلامية (دولة السلاجقة - دولة الغزنويين - دولة الموحدين - دولة الصليحيين) وفي مصر كان الحكم للفاطميين، مما أضعف الدولة بشكل عام وأدى إلى اضطرابها في مواجهة الصليبيين والتتار.

- وقد عاش الجعفري في ظل الدولة الأيوبية ودولة المماليك، وقد تولى أمر القضاء والولاية على مدينة قوص، والتي كانت تُعدُّ وقتها أولى مدن الصعيد، وثانية المدن المصرية، فأهلها أرباب ثروة واسعة وهي محط التجار القادمين من عدن، وقد كانت من إحدى المدن الكبرى لتجمّع عدد كبير من النصارى واليهود فقد كان بقوص وحدها ثلاثمائة يهودي[1]، كما كان بقوص - أيضًا - وأسوان وحدهما إحدى عشرة كنيسة للنصارى[2]، مما يجعل مولدات الجعفري في الجدل الديني، مولدات طبيعية اقتضتها بيئته الاجتماعية، وحالته الدينية، والسياسية.

ثانيًا: من الأمور التي يمكن استخلاصها من كلام الجعفري، علو العاطفة الإيمانية لدى المسلمين حين اشتداد الأزمات، فإذا كانت هناك شبهات أثيرت من قِبل أهل الذمة الموجودين بين أظهرهم، ومن قبل الأفرنج وملوكهم؛ فإن المسلمين وإن ضعفوا على المستوى السياسي، فقد علت وتأججت عاطفتهم الدينية، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، ولما رأى المسلمون ذلك استنجدوا بمن ارتأوه كفيلاً

(١) حسب بنيامين التطيلي في رحلته ص ١٧٣ ط بغداد سنة ١٩٤٥ م.

(٢) حسب المقريزي.

للقيام بأعباء ذلك الدور في الدفاع عن الإسلام، وبالفعل استجاب تقي الدين الجعفري لدعوة إخوانه، ولأمر السلطان الكامل فقد قام بعملية جمع للمصادر الخاصة بالديانة اليهودية والنصرانية، وبالمدونات التي صدرت من قبل عصره في علم الأديان المقارن.

- ومن ميزات الجعفري أنه قد ذكر لنا مصادره ومراجعه في الكتابة، وعلى العكس من غيره، وتمثلت مصادره في التالي:

(التوراة «الخمسة الأسفار» - نبوة داود - نبوة أشعيا - نبوة ميخا - نبوة حبقوق - نبوة صفنيا - نبوة زكريا - نبوة أرميا - نبوة حزقيال - نبوة دانيال).

(الأناجيل الأربعة - رسائل التلاميذ المعروف بفراكسيس - رسائل فولس الرسول)

(صلوات النصارى، وشريعة الإيمان الملقبة بالأمانة).

(سير الحواريين).

كانت هذه مصادر المؤلف الخاصة بالديانتين اليهودية والنصرانية، أما بالنسبة لمراجعه التي قرأها يقول الجعفري:

«وقد وقفت على كثير من مصنفاتهم وتواليفهم في نصرة دينهم، واحتجاجهم لأغاليطهم، وما ردّت به كل فرقة من الفرق الثلاث الملكية والنسطورية واليعقوبية على الأخرى وما نصرت به مذهبها، وقرأت عدة ردود لأصحابنا عليهم، مثل:

كتاب الرهاوي، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ، وكتاب عبد الجبار المعتزلي، ومقالة أبي بكر، وكلام الجويني، وكتاب لبعض المغاربة، وكتاب لابن الطيب، وكتاب للطرطوشي، وكتاب لابن عوف، وكتاب الدمياطي، وكتاب لبعض معاصرينا، ثم نظرت جزءاً من كتاب لابن ربن من المتقدمين».

فها نحن أولاء نرى أن المؤلف قد جمع من المصادر ما كان يمكن أن يتيسر لمثله[1]، مما يجعله عالماً بمعظم وجهة نظر كل من

---

(١) فقد توافرت خزائن الكتب آنذاك في المساجد والمدارس، ولدى الخاصة من العلماء، فوجدت

الفريقين[١]، ومواطن الضعف عند الخصم، والمناهج المختلفة في الرد عليهم، بغية جعل مؤلفه جامعًا لكل ما يمكن أن يتجه إلى النصارى من نقد، وما عسى أن يكونوا قد استندوا إليه في نصرة دينهم مما يستوجب التفنيد والرد[٢].

موقف الجعفري من الكتب المقدسة:

بَدا موقف الجعفري مضطربًا تجاه الكتب المقدسة، فعلى حين ذكره أن مشكلة النصارى أتت من قِبل الألفاظ، بمعنى أنهم قاموا بعملية تأويلية لظواهر النصوص المقدسة على غير المعنى الذي نزلت عليه، ومن ثم فيقوم هو بإعادة صياغة لكثير من المعاني، ويستدل من خلالها على صحة آرائه الخاصة بنقد اليهودية والنصرانية.

ربما أدى مثل هذا إلى القول بأن الجعفري قام بتثبيت النصوص الكتابية، ولم يقدح في صحتها الوثائقية، فاعتبر التوراة والإنجيل غير محرفين، ولعل مما يدعم ذلك نقله لتواريخ كتابة الأناجيل الأربعة كما وردت عند أصحابها، ودون تعليق كعادته. لكنه مما يفسد هذا المؤدّى، أنه يخصص فقرات كبيرة في كتابه للحديث عن تناقضات الأناجيل وتكاذبها ووهائها وتحريفها، ومع ذلك تجده يقول عبارات بعد هذا من أمثال:

«وأما المزامير والنبوات فكلها توحيد، وليس فيها من كفر النصارى شيء ألبتة» كما يذكر ذلك عن كلام السيد المسيح.

هل هذا يؤول تحت باب الإلزام؟!!

=المدارس، التي نظن أن الجعفري قد استعار منها تلك المصادر، أمثال: المدرسة الناصرية، المدرسة الصلاحية، المدرسة الفاضلية، المدرسة الشريفية التي وكل أمرها إلى أحد الجعافرة، المدرسة الكاملية، المدرسة الصالحية، المدرسة الظاهرية.

(١) اطلع المؤلف على ما كتبه النصارى آنذاك، فقد كانت هناك طائفة نشطة في الكتابة عن المسيحية، من أمثال: جبرائيل بن تريك، ومرقس الضرير بن موهب ابن القنبر، وميخائيل مطران دمياط، وسمْان بن كليل، وممن كان للجعفري صلة بهم أو بمؤلفاتهم: الرشيد أبو الخير الطيب، كيرلس بن لَقلَق، يوحنا بن مينا، الوجيه يوحنا القليوبي، وأولاد العسال الثلاثة.

(٢) انظر محمد حسانين في مقدمته للرد على النصارى ص ١٧ ط مكتبة وهبة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المسألة، أن الجعفري قام ببحث فقهي، ألا وهو:

هل يجوز الاطلاع على التوراة والإنجيل وقراءتهما[1]؟!

ويبدو هذا السؤال بالنسبة لي غريب سواء إذا ما كان من العامة، الذين وصفهم الجعفري بالحرص على الدفاع عن الإسلام وذب الشبه عنه أو كان من الفقهاء، وسبب غرابتي مقصورة هنا بحسب، بمعنى أن بحث المسألة فقهيًا يدل على تحري العلماء مسألة الحلال والحرام وهو أمر محمود لا غضاضة فيه، وإنما المشكلة أن يثار مثل هذا التساؤل في وقت كانت ترسل فيه الإشكالات والشُّبه للمسلمين من خارج أراضيهم، وتثار في داخلها، فينشغل جمعٌ من الفقهاء بالقضية الفرعية، ويتركون فرض العين.

بل وجهت كتابات للفقهاء رأسًا في هذه الفترة، فكتب ميخائيل مطران دمياط رسالة إلى أحد علماء المسلمين، ووجه أبو ياسر بن أبي سعد بن القسطال ردًا على المسلمين ودفاعًا عن المسيحية، وهذا طرفٌ منها:

«أيجب لفقيه شريعة من الشرائع الثلاث الموجودة الآن أن يذكر شريعة ويفضلها على غيرها من غير أن يعلم ما ذكرته الشريعتان اللتان ليستا له؟» فيجيب طبعًا لا. فإذا ادّعى فقيه الملة المالكة لهذه الديار أنه يعرف الشرائع الأخرى فيسأل: من أي استقى معرفته؟ هل من علماء هذه الشرائع؟ هذا غير ممكن لأنهم مشتتون في العالم ويتكلمون لغات شتى. فإذًا لا يستقي معرفته إلاَّ مما هو مكتوب في شريعته.

كما كتب الرشيد أبو الخير بن الطيب في هذه الفترة كتابه: معتقد الملة المسيحية والرد على طائفتي الإسلام واليهودية من موضوعاتهم وأصل مذاهبهم.

لعل هذه الكتب وغيرها التي خطَّها النصارى توضح دورهم البارز في الأدب الدفاعي والجدل، كما أنها تبرز اهتمامهم بالقضية الرئيسية لا الفرعية، فلا ينبغي

(١) لاستبيان آراء الفقهاء والمحدثين في هذه القضية راجع ما كتبه البقاعي ت ٨٨٥هـ في كتابه «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة» مخطوط دار الكتب المصرية.

الانشغال بالفرعيات، وقد تنبه بعض الفقهاء لهذه الدقيقة فقاموا يناظرون النصارى في إشكالاتهم، لكن هل قاموا بخطة معينة للدفاع عن الإسلام؟!

هل ألَمُّوا بمصادر النصارى واليهود وما كتب في هذا الباب؟!

هل كانوا مستعدين بالفعل؟ أم دفعتهم العاطفة الدينية إلى المخالفة فحسب؟!

أظن أن دور الفقهاء في الجدال يحتاج لبحث خاص يستجلى فيه الأمر، لأن نصوصًا وردت تجعل موقفهم حرجًا للغاية.

فحوار الفقهاء مع علماء النصارى ثابت تاريخيًا، فقد كتب كيرلس بن لَقْلَق مجادلته مع جماعة من المسلمين بمجلس الملك الكامل بن العادل بن أيوب حضر فيها القس بولس البوشي، أو بطرس البوشي، وهذا البوشي - كما يذكر الأب جورج قنواتي في كتابه المسيحية والحضارة العربية ص ٢٧٥ - اشتهر في أواسط القرن الثالث عشر على عهد البطريرك كيرلس السابق ذكره، وحضر مجادلته عند الملك الكامل ابن العادل، فقد ورد في نسخة دير السريان، ما يلي:

«وعقدوا له (كيرلس) مجلس مع القس بولس البوشي بحضور أنبا نيقولا البطريرك للملكية بين يدي الملك الكامل بالقلعة، بحضور جماعة كبيرة من فقهاء المسلمين وعلمائهم. ورجّحه السلطان في العلم، وشكر تعليله المسائل التي أوردها السلطان والفقهاء وغيرهم عليه».

هل هذا يجعل موقف الفقهاء موقفًا خاليًا من القوة، بحيث لم يجد الملك الكامل بن العادل بُدًا من أن يَكِلَ مهمة الدفاع إلى غيره، فيكل الأمر إلى تقي الدين الجعفري.

لكن هنا سؤال هام: لماذا لم يتصدَّ الجعفري مباشرة لمناقشة علماء النصارى دون دعوة من الملك أوالإخوان؟!

هل كان يجد حرجًا في ذلك؟ أم لم يكن بعد مؤهلاً لهذا الدور؟!

لقد ورد في كلام الجعفري ما يدل على أنه لم يكن قد هيأ نفسه لهذا الدور بعد، وعندما وكلت إليه هذه المهمة قام بجمع المصادر والمراجع اللازمة وأعدَّ نفسه، وقام بالرد على جميع الشبه، وأثار تساؤلات واستشكالات كثيرة

ضد النصارى.

لكن ألا يقدح هذا في فطنة الملك الكامل، لأنه أوكل الأمر إلى رجل غير قادر وقتها على الدفاع؟!

أثر الجعفري في علم الأديان المقارن

غاية الأمر أن الجعفري بثالوثه الكتابي «الرد على النصارى - تخجيل من حرّف الإنجيل - البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» قد وضع نفسه في دائرة من الأدب الدفاعي، جمَع فيها الجعفري ما ورد في المؤلفات السابقة عليه، وكانت هذه الميزة الكبرى التي اتسمت بها كتابته فحسب، حتى أن فقيه المالكية أحمد بن إدريس القرافي حينما أراد الكتابة في نفس الموضوع لم يجد أمامه سوى كتب الجعفري فاختصر منها ونقل وألف كتابين: (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة - أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية).

وقام بإهداء الكتاب الثاني إلى السلطان الكامل أيضًا.

بل تعدى الأمر إلى ما بعد عصر المؤلف، يقول الدكتور محمد حسانين بصدد هذه المسألة:

«والحق أن المؤلف لم يترك عقيدة من عقائد النصارى الأساسية إلا وجّه إليها من النقد ما يدل على خبرته، وعلى مدى استفادته من كل ما ذكره من مراجع، إلى الحدِّ الذي يمكن معه القول، دون خوف الوقوع في محذور المبالغة، بأن الذين تناولوا هذا الموضوع ممن جاء بعده من المجادلين المسلمين لم يضيفوا جديدًا إلى ما جمعه في مؤلفه.

والذي يقرأ كتابه (الذي بين أيدينا)[1]، ويقارن بينه وبين كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» الذي كتبه ابن تيمية في أربعة أجزاء، يجد أنه لا

(١) يشير الدكتور محمد حسانين إلى كتاب الجعفري في الرد على النصارى، لأنه عبارة عن مختصر لكتاب التخجيل، فإذا طُبع على الأصل فينبغي الرجوع إليه.

يعدو أن يكون تكرارًا لما ذكره مؤلفنا قبله بحوالي قرن من الزمان»[١].

وأعود إلى السؤال الخاص بحكم الاطلاع على التوراة والإنجيل:

فإن قيل: كيف أجزت النظر إلى هذه الكتب، وصحبتها محظورة، والأمة بالنظر فيها غير مأمورة، وقد نُهي الصحابي عنها[٢]، وبحر منقوله عجاج، وبينة معقوله مركبة من أعدل مزاج؟

قلنا: المحظور هو: النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم، وإجراؤها على ظواهرها الموهمة[٣]، لا سيما للعامي الغر والحدث الغمر، فأما من نظر فيها على المقصد الذي قصدته، والنحو الذي أردته وأوردته، فهو إن شاء الله من أمهات القربات... وبالجملة الأعمال بالنيات[٤].

فوائد الكتاب:

لن أذكر هنا قيمة الكتاب العلمية؛ فذاك بحث مستقل يحتاج إلى ربط بين عصر الجعفري وسابقيه، ومن أتوا بعده من علماء المسلمين، وعلى المقابل علماء المسيحية. لكني أشير هنا إلى الفوائد التي ارتأها الجعفري لمؤلفه وهي:

١ - رسوخ الإيمان للمسلم بموافقة ما في أيديهم للقرآن، ويقصد الجعفري بذلك قضية التبشير بالنبي محمد ﷺ في كتبهم، فإذا اطلع المسلم على

---

(١) مرجع سابق ص ١٧ ، ١٨ . ولعل مما يؤكد كلام الدكتور حسانين أن من ترجموا لابن تيمية ذكروا ضمن مؤلفاته كتاب تخجيل من حرف الإنجيل، أفلا يدل ذلك على شيء!!

(٢) يقصد بالصحابي الذي نهي عن الاطلاع عليها: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

(٣) هل يعني هذا أن النصوص تمثيلية، قصد بها معان أخرى تحتاج إلى تفسير، والمشكلة وحدها هي التفاسير؟!

(٤) النظر في الكتاب المقدس قربة كبيرة إلى الله ما دام المقصود الدفاع عن الإسلام؛ بل إن بعض الفقهاء اعتبرها من أعظم القُرب حتى قيل:

«كلام الله واحد: إن عُبر عنه بالعبرانية فتوراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية فإنجيل، وإن عُبِّر عنه بالعربية فقرآن»، راجع كتاب البقاعي السابق ذكره.

النصوص المستخرجة من التوراة والإنجيل والتي تتوافق مع صفات النبي ﷺ وزمانه ومكانه ورسالته وأصحابه، ويجري تأويلها حسب آيات القرآن التي تنص على وجود اسمه الشريف بالتوراة والإنجيل ومعرفة الكتابيين به أكثر من أبنائهم؛ يطمأن المسلم لقرآنه، ويثلج صدره.

٢ - تَعَلُّم الحجة عليهم من كتبهم، وإلزامهم على مقتضى أصولهم، وذلك أفحم لهم.

٣ - الدعوة إلى طريق الهداية، وهو الإسلام ، وذلك عن طريق إرشادهم؛ بإيقافهم على احتمالية تفسير ألفاظ الكتاب المقدس بأمور غير التي فهموها مما أوقعهم في الغلط.

٤ - إظهار جانب العظمة والنقاء والصفاء في الشريعة الإسلامية، والتأكد من صدق مقولة النبي ﷺ : «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**»، وذلك من خلال إظهار ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل، وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية، والجعفري هنا يُثبِّت النصوص الكتابية الموجودة، وخاصة الترجمة العربية في تبيين أصول المسيحية، على حين أنه في مواضع كثيرة يقول بتحريف النص النصيّ لا التأويلي، ويعتمد على حديث ضعَّفه بعض المحدثين، وهو نفسه قد أوّل معناه ليتوافق مع رؤيته حين الحديث عن حكم النظر في التوراة والإنجيل، ومن المفترض إسلاميًا، بل من المؤكد أن شريعة الأنبياء واحدة، توصف كلها بالنقاء والصفاء، لأنها نابعة من مصدر إلهي واحد، لا من عندياتهم، ربما قصد الجعفري ما أقوله، لكن ظاهر نصه يدل على غير ذلك.

وهنا نقول : هل نجح الجعفري في إيصال هذه الفوائد إلى جمهور المسلمين؟!

والإجابة طبعًا بنعم، مما أثلج صدر الجعفري لتحقيقه بغيته، ورؤيته لحصاده أمام عينيه، مما جعله يقول عن كتابه «تخجيل من حرَّف الإنجيل»:

«هو كتاب وضعته في أيام الشباب والنشاط، وجودة القريحة والانبساط، فأكب على نقله علماء أهل الفسطاط، واغتبطوا به غاية الاغتباط، . . . ، فجاء الكتاب

ندرة في فنه، غاية في بابه لا يسمع به أمير أو مأمور إلاَّ حصَّله واقتناه، وبلغ من مناظرة أهل الكتاب مُناه»[١].

يبرز النص السابق ذيوع الكتاب وانتشاره في مصر، وفي منطقة قوص مدينة نفوذ الجعفري، فهل سكت النصارى وأفحموا بهذا الكتاب؟! فمن المفروض أن الكتاب موجّه إليهم لا إلى المسلمين لكي يفرحوا ويغتبطوا، فتلك فائدة واحدة من الفوائد التي ذكرها الجعفري، وأين غرض الدعوة إلى الإسلام الموجه من قِبل الجعفري إلى النصارى؟!!

الجعفري وكتابه ونصارى عصره:

ذكرت من قبل أن علماء النصرانية المعاصرين لتقي الدين الجعفري كانوا نشطاء للغاية، فكانوا من المقيمين لفنون الجدال في الشفاهية والكتابية، وكثيرًا ما جادل الجعفري النصارى وحاورهم واستشارهم في تفسيرات لبعض الألفاظ والأفكار الواردة في التوراة والإنجيل وقصص الحواريين، وقد ذكر ذلك في كتبه:

(سألت حبرًا من أحبار اليهود عن هذا المزمور - سألت حبرًا من أحبار اليهود عن قول داود - لقد فاوضني أحد الرهبان يُدعى بنانا في البيان، فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة - قال مؤرخهم - قال المنبجي أسقف منبج - صرَّح لي بهذا بعض النصارى، وكان معنا في المجلس رجل من عقلائهم).

لكن هل خلَّفت كتابات تقي الدين الجعفري ردودًا نصرانية؟ أم أفحم بها النصارى وسكتوا؟! الحق أنها تركت وراءها ردودًا من قِبل النصارى، وتمخضت الردود على الجعفري بطريق مباشر وغير مباشر، فمثال الأول:

ما قام به (الصفي أبو الفضائل ابن العسال)[٢] فقد كان عمله الأساسي - كما

---

(١) راجع : «البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» للجعفري، مرجع سابق ورقة (٥) من المخطوط.

(٢) ابتدأ الصفي ابن العسال عمله العلمي سنة ١٢٣٥م، وتوفي سنة ١٢٦٠م، اهتم بجمع=

يقول الأب جورج قنواتي في كتابه المسيحية والحضارة العربية ص ٢٧٧ - الدفاع عن العقيدة المسيحية وتوضيحها، وقد خصص ابن العسال (الصفي) كتابًا للرد على تقي الدين الجعفري وأسماه:

(نهج السبيل في تخجيل مُحَرِّف الإنجيل، ردًا على أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري)

ومثال الثاني: ما كتبه المؤتمن أبو إسحاق إبراهيم بن العسال في كتابه :

(مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين) خاصة الجزء الثالث من الكتاب حيث يورد الرجل الاعتراضات والشبهات والشكوك والردود، ويجيب عنها بحلها ودفعها وإبطالها.

وأخيرا:

فقد طال الحديث في مقدمتي هذه، لكن أجد من واجبي لفت نظر الباحثين والدارسين في هذه المقدمة إلى أمور جديرة بالدرس:

١ - دور الفقهاء في القرن السادس والسابع من الأدب الدفاعي.

٢ - دور النصارى ومدى تفاعلهم وبروزهم على مسرح الأحداث بقوة.

=وشرح قوانين الكنيسة القبطية، وبجانب هذا كان يعظ عظات، وقد ساعده أخاه المؤتمن بترجمة عدد كثير من المؤلفات اليونانية، خصص جزءًا من مؤلفاته مناهضة للجانبي الإسلامي منها:

-كتاب الصحائح في الرد على النصائح، ويروي (الصحاح في جواب النصاح)، وهو رد على أحد المسلمين.

- كتاب يرد فيه على «اللمع المضيئة لمنصور بن فهمي الدمياطي، وهو على شكل حوار بين فقيه يثير الاعتراضات ومجيب يجيب عليها.

- الكتاب الأوسط، وهو دفاع عن ألوهية المسيح ردًا على الأنباري الناشئ ت ٩٠٦م في كتابه المقالات (راجع قنواتي، المرجع أعلاه ص ٢٧٥ - ٢٨٨، وللوقوف على دور أولاد العسال الثلاثة).

٣ - المقارنة الجادة بين أعمال النصارى وأعمال المسلمين في الأدب الدفاعي.

٤ - دراسة الجعفري وجهوده كحلقة وصل بين من سبقوه ومن أتوا بعده كابن تيمية، مع المقارنة (الجادة) بين مؤلفات الجعفري ومؤلفات الصفي العسال والمؤتمن العسال.

كتبه

خالد محمد عبده

٢٢ / ١١ / ٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الواحد الذى لا يتكثّر بالأعداد، الماجد الذى لا تُضارعه الأشكال والأنداد، المقدّس عن الشريك والصاحبة والأولاد، المنزّه الذات والصفات عما يقول أهل الإلحاد، الصّمد المتعالى عن الأكل والشرب كما اعتقد من حاد، القديم لا بكرور العصور ومرور الدهور والآباد، العظيم لا بِكَبر أجسام وأجساد، القيوم الذى لو نام؛ فشا فى الكون الفساد ، خالق الآباء والأبناء. الأزواج والأحفاد، سامك السماء بالملائكة الكرام وماسك الأرض بالأطواد، مُظلم الليل ومضيء النهار ومفجر الأنهار من الصلد الجماد، مُقدر الأقوات ومدبر الأوقات. الانتقاص والازدياد، مالك السماوات والأرض وواهب الرفع والخفض والبسط والقبض. الملك الجواد، مرسل أنبيائه بلطائف أنبائه؛ لإرشاد العباد.

مُهلك كِسرى وقَيصر وتُبّع وحِمير وعاد وشداد ،واهب موسى النصر والعون وخاذل فرعون ذى الأوتاد.

وجاعل ابن مريم وأمّه آية للعالم. وما هما بأعجب من حواء وآدم. فتعسا لعباد الأنداد، ضلّوا بالمشى على الماء، وصعود السماء وإحياء الموتى وتكثير الأزواد، هذا موسى قد فلق وإدريس قد صعد وإلياس قد أحيا من أنتن وداد، ولم يكونوا أرباباً بذلك، فكيف يغلط فيما هنالك. لولا الشقاء والعناد؟

أحمده على ما أسدى وأفاد، وأمدحه على ما أبدى وأعاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضمن للصدر الثَّلَج، وكلمة تعصم المُهَج بأوفى الدَّرَج وأقوى الحُجج.

وأشهد أن محمداً عبده الذى نصّ عليه موسي، ونبيه الذى طَرّق بين يديه عيسي، وصفيه الذى أخدمه جبريل، ونجيّه الذى رسمه فى التوراة والإنجيل.

صلى الله عليه وآله وصحبه. صلاة تزيدهم تبجيلا إلى تبجيل، وتخلُد جيلا بعد جيل.

قال عفا الله له عن ذنبه وحباه بحبه: حضرتُ محفلا تَحفلُ بالمعارف أخلاقه وتكفل بالعوارف الافه فأذاعوا مزائد الفوائد، وأعادوا ودائع العوائد. وأفاضوا فى

العلوم الدينية، وأضافوا إلى ذلك ذِكْر الأمة النّصرانية [١]، فتعجب من حضر. كيف زلت بهم القَدَم، حتى اعتقدوا اتحاد العَدَم بالقِدَم؟ومن أين قادهم الخبيث، إلى القول بالتثليث. وروج عليهم المحال، فدانوا بعبادة الرجال؟واستبعدوا أن يعتقد لبيب، أن الإله يُصلب على صليب. أو يستقر فى الأحلام، أن تشتمل على القديم الأرحام. فقلت: إن من المستحيل أن يضلّ السالك مع وجود الدليل، وعيسى عليه السلام فهو خِرِّيت عارف بالطريق، وله من ربه تعالى أَوْفى رفيق. وقد شهد له المصطفى. ــ وهو المُزكِّي المعدل ــ بأنه بلغ عن الله، ولم يبدل. قال ربنا جل اسمُه حكايةً عنه:﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ** ...﴾ لكن ربما خلف من بعده خُلُوف كالخَلُوف واستعوص عليهم كلامه فتناولوا بأيدى التحريف الحُروف. وأتاهم العدوّ من قِبل الألفاظ فغلطهم، وجرّاهم على الكفر بإجرائها على الظاهر فورطهم. ومعلوم: أن كل تنزيل لا يخلو عن جملة من الظواهر لغرض التأويل، يضلّ بها الجاهلون ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون**﴾.

وهذا كما هفا قوم فى لفظ الاستواء، والنزول إلى سماء الدنيا. ولفظ الوجه والعين واليد والقَدَم. وغير ذلك. فحملوا الأمر فى هذه التسميات على ما يبتدر إلى أفهام العَوَام فزلوا. وإذا كان النصارى إنما أوتوا من قِبَل الألفاظ، وعدم الحفَّاظ. فيتعين على من له دِرْية بهذا الشأن؛ حلّ إشكالهم، وفك الشبهات التى أعانت على ضلالهم.

فزعم الجماعة: أنى عارف بكتبهم، خبير بمخاريقهم وكذبهم، دَريّ بمرادهم. بالجوهر والأقنوم، دَرِب بالفَرق بين فِرَق النسطورية واليعاقبة

---

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول: ذكر الأمة المسيحية. وذلك لأن أتباع عيسى عليه السلام من زمان إلى زمن التحريف فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م يعرفون بالنصاري. وهم كانوا صالحين ويبشرون بمحمد ﷺ ومن ألقابه فى التوراة والإنجيل لقب «المسيح» بالألف واللام وقد بشر به عيسى عليه السلام بهذا اللقب كما روى متى فى آخر لقاء بينه وبين علماء اليهود وجموع من آمن به [متى ٢٢: ٤١ إلخ] وفيه يقول: «ماذا تظنون فى المسيح؟»«لأن معلمكم واحد؛المسيح» وفى هذا المجمع أقر الضالون بأن عيسى هو «المسيح» المنتظر، لا «مسيح» كسائر المسحاء. فلذلك أطلق عليهم زورا المسيحيون. ثم إنهم يقولون إنا نصارى تمويها على الناس وخداعا، حتى لا يفطنوا إلى الانفصال التام بين الذين كانوا قبل نيقية وبين الذين حرفوا فى نيقية.

والروم. قالوا: لو أنرتَ لُمعًا، تكونُ على الحق علمًا، فرب كلمة واحدة تهدى أمماً. فأجبتهم لوجوب حقّهم، ورجوت الحَيَا عند وميض برقهم. واستخرتُ الله تعالى وشجّعت جنانا جبانا، وأطلقت من ضعيف العناية عنانا. ودأبتُ فى تحصيل ما لم أقف عليه من كتب القوم، ولم أجترئ بما كان في يديّ منها، حتى استكملتُ التوراة ـ الخمسة الأسفار ـ ونُبُوّة داود ونبوة إشَعْياء ونبوة مِخيا ونبوة حَبَقُّوق ونبوة صَفَنْيا ونبوة زكريا ونبوة إرمِيَاء ونبوة حِزقِيال ونبوة دانيال.

والأناجيل الأربعة ورسائل التلاميذ، المعروف بفراكسيس ورسائل فُولُس ـ الرسول ـ وصلوات النصارى، وشريعة إيمانهم الملقبة بالأمانة، وسِيَر الحواريين؛ فقلبتُها ظهرا لبطن دفعات. فإذا ظواهرها مُؤَوّلة، وكلماتها على غير النحو الذى صار إليه أربابها مُنزّلة.

فأجدتُ فى تأويل ما أجراه النصارى على الظاهر، وبينت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكفر. بعد أن قدرتُ صحة كتبهم وإن كانت سقيمة، وسلمت وجودها وإن كانت فى حكم العديمة. وأظهرتُ من كتبهم فساد معتقدهم، وكشفت ما أخفوه من بشارة الأنبياء عليهم السلام ـ بمحمد ﷺ وأكذبتهم. فيما نسبوه إلى المسيح عليه السلام ـ من نقائض ورذائل يجلّ قدره عنها، وأوضحت أن ما جاء به من الخوارق والمعجزات قد سبقه بها من تقدمه من إخوانه الأنبياء، ونبهتُ على إنكاره قول من غَلا فيه ونسبه إلى ما لا يليق من الربوبية، وأكذبتُ اليهود فى تخرصهم عليه وعلى والدته العذراء البتول بما حققت من معجزاته. وأبديت تناقض الأناجيل الأربعة التى بأيدى النصارى وتكَاذُبها، وفضائح القسيسين ومخاريق الرهبان وما أحدثه النصارى بعد المسيح ـ عليه السلام ـ فى صلواتهم ومتعبداتهم وردّ جوابهم من المدكّات والمخاريق على ضعفائهم؛ ليقوّوا به واهى أباطيلهم، وبينت بالأدلة الواضحة تناقض شريعة إيمانهم التى يزعمون أنه لا يتم لهم حرب ولا سلم ولا عيد ولا قُربان إلا بها. ومجانبتها لما كان عليه المسيح وتلاميذه، وأفسدت عليهم ما أجمعوا عليه القول بالثالوث بما أبديته من التوحيد المحفوظ عن المسيح وأصحابه، وأبديت عوار صلواتهم الثمانية، وما اشتملت عليه من الكفر والضلال وعبادة غير الله تعالى، وأوضحت زَلَلهم فيما صاروا إليه من قتل المسيح، وبينت من الإنجيل أن المفعول به ذلك غير

المسيح. تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فاشتمل الكتاب على فوائد.

منها: رسوخ الإيمان للمُسلم بموافقة ما فى أيديهم للكتاب العزيز، كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿وإنه لفى زبر الأولين﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ﴾ وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾، وكثرة الأدلة توجب الطمأنينة وتثلج الصدور.

ومنها: تعلّم الحجة عليهم من كتبهم، وإلزامهم على مقتضى أصولهم. وذلك أفحم لهم.

ومنها: قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التى اقتضت غلطهم، فعسى الله أن يقدّر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: الوقوف على سرّ قول نبينا ـ عليه السلام ـ وقد رأى فى يد بعض أصحابه صحيفة من كتبهم، فغضب عليه السلام «**وقال له: ألقها. فوالله لقد جئتكم بها بيضاء نقية**» (١).

وأنت ـ رحمك الله ـ إذا شاهدتَ ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل، واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل. وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية؛ عرفت سر قوله ـ عليه السلام ـ «لقد جئتكم بها بيضاء نقية» إلى غير ذلك كما يُوضحه الكشف.

فإن قيل: كيف استجزتَ النظر إلى هذه الكتب، وصُحْبتها محظورة، والأمة بالنظر فيها غير مأمورة. وقد نهى الصحابى عنها وبَحْرُ منقوله عُجاج، وبِنْية

(١) الحديث: فيه مجالد بن سعيد. وقد ضعفه الإمام أحمد بن حنبل وغيره. وأقرهم الحافظ بن حجر فى فتح البارى على تضعيفه. والنظر فى كتب أهل الكتاب لا بد للمسلم منه؛ لأنهم لن يفيدو المسلمين بشيء من كتبهم يقوى الإيمان، ولأنهم إذا قال الله فى القرآن: إن عندهم كذا وكذا، يقولون ليس عندنا. بغية تشكيك العالَم فى صدق محمد ﷺ. ولذلك يضطر المسلمون إلى دراسة كتبهم ليستخرجوا منها ما يدل على صدق محمد ﷺ فى كل ما أخبر به. وقد أخبر الله تعالى عنهم قولهم: ﴿وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ؟﴾ وأمر الله المسلمين بقراءة كتب أهل الكتاب بقوله ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ...﴾

معقوله مركبة من أعدل مزاج؟

قلنا: المحظور هو النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم وإجراؤها على ظواهرها الموهمة. لا سيما للعامى الغِرّ، والحدث الغمر. فأمّا من نظر فيها على المقصد الذى قصدتُه، والنحو الذى أردته وأوردته؛ فهو إن شاء الله من أمهات القُربات. فأما نهيه عليه السلام الصحابى عن ذلك: فلأن الأمر كان فى ابتدائه، والشرك بعد لم يمت بدائه. فلعل رسول الله ﷺ رأى أن غير ذلك أولى بالصحابة فى ذلك الوقت، ولأن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ هم أعيان الأمة فلو أكبّوا على تلك الكتب المبدلة، والصحف المحرفة. لأوشك أن يتابعهم الناس فى ذلك. وقد قال ــ عليه السلام ــ لأصحابه: «**إنكم أئمة يُقتدى بكم**» وقال: «**أصحابى كالنجوم**» فلهذا نهى الصحابي، وندبه إلى الاشتغال بالكتاب العزيز بقوله: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**».

قلتُ: وقد ذكر الفقهاء تردّدا فى جواز استصحاب هذه الكتب للوقوف عليها، وتوجيه وجوه الرد إليها.

وبالجملة فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها خطبها، ومطية تنهج سواء السبيل بمن ركبها. وربنا المسؤول أن يصحّح منا المقاصد، ويبعث رائد التوفيق فيقف لنا بالمراصد. وقد كنتُ وقفت لجماعة من العلماء على عدّة كتب فى هذا الباب. وأرجو ألا يكون هذا المختصر مقصّرا عن شأوهم. وقد سميته «تخجيل من حرف الإنجيل» ورتبته فى عشرة أبواب. والله الموفق للصواب.

الباب الأول: فى كون المسيح عبدا من عبيد الله، بقوله وفتواه. لقول ربنا ــ جل اسمه ــ حكاية عنه: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ...**﴾ ــ ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾ ــ ﴿**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ ...**﴾ ونظائرها.

الباب الثاني: فى إثبات نبوة المسيح ــ عليه السلام ــ وتحقيق رسالته. نذكر فيه من أقوال المسيح وأفعاله ما يشهد له بالنبوة والرسالة، ويخصّم اليهود فى افترائهم عليه وعلى والدته؛ لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ**

إِلَيْكُم ...﴾ وقوله﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ ونظائرها.

الباب الثالث: فى تأويل ظواهر الإنجيل. نبدأ فيه بعون الله تأويل لفظ الأب والابن والإله والرب والسجود والغفران. وغير ذلك. ومساواة المسيح غيره من أنبياء الله تعالى وأصفيائه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ـــ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ـ، ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ونظائرها.

الباب الرابع: فى تعريف مواضع التحريف. نحكى فيه: تكاذيب الأناجيل الأربعة التى بأيدى النصارى يومنا هذا. وتناقضها بحيث يقطع من وقف على ذلك أنه ليس الإنجيل المنزل من عند الله؛ ليتحقق قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (١) ـ ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ ونظائرها.

الباب الخامس: فى بيان أن المسيح وإن قُصد وطُلب. فما قتل وما صلب. ونذكر فيه حماية الله ـــ تعالى ـ لنبيه المسيح عيسى ابن مريم من أعدائه، واشتباه أمره على اليهود الذين أرادوا قتله، ووقوع شبهه (٢) على رجل سواه، شُغلوا به

(١) التحريف اللفظى ينقسم إلى قسمين: ١ ـ تحريف الكلم من بعد مواضعه. مثل كتابتهم عن النبى محمد ﷺ أنه سيكون من بين إخوتهم. والكلمة الأصلية من بنى إسماعيل . ٢ ـ ولبس الحق بالباطل. مثل وضعهم «إسحق» بعد لفظ الابن الوحيد البكر المأمور إبراهيم بذبحه. وهذا التحريف بقسميه قد تم حال إعادة كتابة التوراة فى «بابل» ثم إنهم من بعد انتشار التوراة فى العالم وصعوبة تحريفها لفظيا، يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة.

(٢) الحق: أنهم لم يصلبوا المسيح، ولم يصلبوا شبهه. وأنهم هم الذين اختلقوا رواية قتل المسيح وصلبه؛ لأغراض منها: ١ ـ وضع نبوءات من التوراة عليه. ٢ ـ وتقوية عقيدة غفران الخطايا. وبيان ذلك: أن من أوصاف محمد ﷺ فى التوراة: أنه يتألم من إعراض الناس عن دعوته وصدهم عن سبيل الله ومحاربته ظلما وزورا، ثم من بعد الحرب، ينتصر عليهم. ولأن المسيح لم يحارب ولم ينتصر، تحايلوا فى وضع الصفة عليه بقولهم هو تألم بالصلب، ثم انتصر على الموت، وقام من الأموات. وقد طبقوا عليه المزمور ٢٢ وغيره لهذا السبب. وأيضا: طبقوا على يهوذا مزمور ٦٩و١٠٩ لهذا الغرض، وهو إبعاد المزمورين عن =

عنه. فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه ورفع الله نبيه المسيح؛ ليتحقق قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الآية، ونظائرها.

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة، عن الأسئلة الملحدة. ونسطر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها ونشفعها بالجواب؛ لينتفع بذلك من أحبّ مُكالمتهم. عملا بقول ربنا جل اسمه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ــ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ ــ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ...﴾ ونظائرها.

الباب السابع: في إفساد دعوى الاتحاد. ونحكي فيه مقالات فِرقهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت وتناقض الروم والنسطورية واليعاقبة. ثم نكرّ على الجميع بالإبطال؛ ليتضح قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ــ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ ونظائرها.

الباب الثامن: في الإبانة عن تناقض الأمانة. ونبين فيه: فساد أمانتهم التي يلقبونها بشريعة إيمانهم، ويسمونها التسبيحة. وهي التي لا يتم لهم عيد ولا قربان بدونها، وكيف أكذب بعضها بعضا وناقضه وعارضه، وأنه لا أصل لها في شرع المسيح ألبتة، وإنما ألفّها قوم من بعده بدهر طويل. قال ربنا تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ونظائرها.

الباب التاسع: في الواضح المعهود من فضائح النصارى واليهود، ونذكر فيه حِيل القسيسين ومخاريق الرهبان ومدكّاتهم، وما يقرءونه في صلواتهم الثمانية من السخف والهذيان، وما افتراه اليهود على أنبياء الله الأبرار وصفوته الأطهار، مما ذلك مزبور مسطور في توراتهم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

= محمد ﷺ فقد كتبوا عليه: «لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن» [مز٦٩] «ليأخذ وظيفته آخر» [مز١٠٩] وقد بينا ذلك في كتابنا الاقتباسات. وبينا أن التشبيه معناه: أن اليهود شبهوا لأهل الروم أن أمر المسيح كأمر الديانات الوثنية القديمة المثلثة؛ ليسهل على أهل الروم عمل دين يوحد المملكة كلها تحت اسم الآب والابن والروح القدس، كما قال تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ ..

الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ... ﴾ ونظائرها.

الباب العاشر: فى البشائر الإلهية بالتسمية المحمدية. ونذكر فى هذا الباب ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل ونبوءات الأنبياء من البشرى بسيدنا محمد رسول الله ﷺ والتنصيص على اسمه وأرضه التى يُبعث منها وبلده ودينه وملّته. وأنه خاتم الأنبياء، وأن أمته أفضل ملة وأن شريعته تدوم إلى قيام القيامة؛ ليتحقق قول ربنا تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ونظائرها.

[فصل تمهيدي
في
التعريف بالأناجيل]

اعلم أن الكتاب الذى بأيدى النصارى اليوم ليس هو إنجيلا واحدا. بل هو أربعة أناجيل: إنجيل مَتَّى ـ وهو من الاثنى عشر حوارياً ـ وكتبه بالعبرانية بفلسطين، وكتبه بعد صعود المسيح إلى السماء بثمانى سنين. وإنجيل مرقس ـ وهو من السبعين ـ وكتبه بالرومية، بالروم بعد صعود المسيح إلى السماء باثنتى عشرة سنة. وإنجيل لوقا ـ وهو من السبعين ـ وكتبه باليونانية بالإسكندرية، وإنجيل يوحنا ـ وهو من الاثنى عشر حواريا ـ وكتبه باليونانية، بمدينة أفسُس بعد صعود المسيح بثلاثين سنة.

وعدة هذه الأناجيل تسعة آلاف واثنان وستون آية.

وعدة فركس أربعة آلاف ومائة وتسع وأربعون آية.

وعدة كتاب فُولُوس ستة آلاف وأربع مائة وإحدى وسبعين آية. وقد ذكر أن لهم إنجيلا خامسا ولم أقف عليه، وذكر لى بعض االنصارى أنه يسمى إنجيل الصبوة [1] ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح عليه السلام فى حال طفولته.

* * *

(١) إنجيل الصبوة يسمى إنجيل الطفولية. وهو مترجم إلى اللغة العربية من النصارى من أكثر من خمسمائة سنة ومطبوع فى فينسيا وله مقدمة بالألمانية. ومنه نسخ بمصر وهو غير إنجيل توما القبطى الذى يتكلم عن المسيح فى صباه. ولتوما إنجيل آخر وهما مطبوعان فى مصر باللغة العربية. وكل الأناجيل المرفوضة مجموعة فى كتاب باللغة الإنجليزية. منه نسخ فى مصر، وقد ترجم منه إنجيل يعقوب وغيره إلى العربية.

الباب الأول

فى كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه

[الدليل الأول]

قال متّى الحوارى فـى الفصل الثامن من إنجيله: قال الله فى نبوة إشـعياء ــ يعنى المسيح ــ: «هذا فـتاى الذى اصطفيـتهُ، وحبيـبى الذى ارتاحت له نفسي. أنا واضع روحى عليه، ويدعو الأمم إلى الحق»(١)

قلتُ: سماه الله عبدا مصطفى على لسان إشعياء وابتعثه مأموراً بدعوة الأُمم أسوة غيره من الأنبياء؛ أورد ذلك متّى فى معِرض الاستشهاد على أهلِ العناد حيث نسبه الفُجّار إلى يوسف النجار. فقـد تضافر الإنجيل، ومحكم التنزيل على عبودية

(١) المؤلف لا يرى: أن نبوة إشـعياء هذه خاصـة بمحمد ﷺ. وبيـانه أنها خاصـة به: هو أن علماء المسلمين طبقوها عليه. ومنهم الشيخ ابن قيم الجوزية والشيخ ابن تيمية والشيخ القرافى والشيخ أبى العباس القرطبى صاحب الإعـلام بما فى دين النصارى من الفسـاد والأوهام والشيخ الخزرجى ومؤلف تحـفة الأريب. ومن أعجب العجب: أن المؤلف نفسه قد طبقها على محـمد ﷺ فى البشرى الثانية والعشرين. وهذه البشارة مطابقة لحـديث عبـد الله بن عمرو بن الـعاص فى صفـة رسول الله ﷺ كمـا هو عند الإمام أحـمد والبخارى رضى الله عنهـما. وفيه: «أنت عبـدى ورسولي... إلخ» والنبوءة فى سفر إشـعياء ٤٢: ١ ــ ٩ ويبدؤها: «هو ذا عبدى الذى أعضـده، مختارى الذى سرت به نفسي. وضعتُ روحى عليـه؛ فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف... إلخ».

وكتاب الأناجيل الأربعة الذين حـرفوها فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م طبقوهـا على عيسى عليه السلام مع جميع نبوءات التوراة عن محمد ﷺ.

واعلم أن المؤلف يقول: إن هذه النبوءة فى الفصل الثامن من إنجيل متى. وفى عصرنا هذا تغيرت الفصول وأرقام الآيات ٥٠ والنص فى متى موجود فى الأصحاح الثانى عشر ١٧ ــ ٢١ وهو منقول من إشعياء من أول: «هو ذا فتاي» إلى قوله «رجاء الأمم».

وقد تطابقت هذه النبوءة مع القـرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾.

ورد فى التوراة لفظ الفتى على الابن من الصلب، خلافا للمؤلف. ومن ذلك:

١ ــ «فقال الملك ليوآب: «هأنذا قد فعلتُ هـذا الأمر؛ فاذهب ردّ الفتى بشالوم» [٢صم١٤: ٢١] وأبشالوم هو ابن من الصلب لداود الملك عليه السلام.

٢ ــ فى سفر التـثنية: أن أى رجل يتزوج امرأة بكرا، ويشـيع كذبا أنها ليست عذراء. «يأخـذ الفتاة أبوها وأمُّها، ويُخـرجان علامة عـذريتها إلى شيوخ المدينة إلـى الباب، ويقول أبو الفتاة للشـيوخ: أعطيت هذا الرجل ابنتى زوجة؛ فأبغضها... إلخ» [تث ٢٢: ١٣ +].

عيسى، وجعله داعياً للأمم كداود وموسى. والفتى هو العبد والخادم لا الولد، والدليل عليه من التوراة في السفر الأول منها: قول موسى«ولما بلغ إبراهيم أن الملوك أغاروا على سدوم وسبوا لوطا ابن أخى إبراهيم عبَّأ فتيانه وعدتهم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا، وسار فى طلب العدو واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ما له»[1].

ومعلوم أن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لم يكن له يومئذ هذه العدة من الأولاد. فمن ادعى ذلك أكذبه أهل الكتابين. فقد شهد موسى عليه السلام: أن الفتى هو العبد أو الخادم. وقال موسى فى السفر الرابع من التوراة؛ ما هو أجلى من ذلك فى قصة بَلعام بن بَعُور وهو «أن بالاق بن صفّورى الملك أرسل إلى بعام ليلعن له بنى إسرائيل ويدعو عليهم. فأجابه بعد مفاوضات وسار إليه راكبا أتانه ومعه فتيان من مماليكه[2] فقد شهدت التوراة أن الفتى هو العبد والمملوك، لا كما تخرصه متأخرو النصارى فى حمل هذه اللفظة على الولد.

والدليل على أن لفظ الفتى ليس موضوعا للولد: قول الإنجيل«إن المسيح بعد قيامه وقبل رفعه مرَّ على جماعة من تلاميذه وهم يصيدون السّمك فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟فأطعموه جزءا من حوت وشيئا من شهد العسل»[3] فقد وضح أن لفظة الفتى ليس فيها مستروح للنصارى فيما يرومونه من النبوة بل هى لا تستعمل إلا فيما قلناه، وقد قال ربنا جل اسمه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ يعنى خادمه يشوع. وقال سبحانه ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وقال نبينا ﷺ «**لا يقل أحدكم عبدى وأمتي، وليقل فتاى وفتاتي**»[4] فقوله تعالى فى نبوءة إشعياء«هذا فتاي» مكذب للنصارى فى دعواهم ربوبية المسيح وألوهيته، إذ أضافه ـ سبحانه ـ إلى نفسه إضافة المِلْك. فقال جل من قائل «هذا فتاى وحبيبي» أنا أفعل به كذا وكذا. وهذا تصريح من متّى الحوارى بأن المسيح ليس هو الله، وأن الله ليس هو

---

(١) {تك ١٤: ١٤ +} .

(٢) {عد ٢٢: ٥ +} .

(٣) { يو ٢١: ٤+ } .

(٤) البخارى ومسلم .

المسيح، وأن الله قائل، والمسيح مقول له، وأن الله مُعْطِى ومنعم، وأن المسيح مُعْطَى ومنعم عليه، وأنه فتى من فتيان بنى آدم، وأن الله مالكه، وأنه عبد، وأن الله سيده.

وقد روى النصارى فى الأصحاح السابع والأربعين من إنجيل مارقُس «أنه بينا بطرس فى الدار يستدفئ [1] إذ جاءت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فنمَّت عليه، ورأته أخرى فذكرت مثل ذلك». فهذا تصريح منهم: أن الفتى هو العبد والفتاة هى الجارية، فكيف يحملون ذلك على غير محمله. وهذه التوراة والإنجيل تكذبهم وتخطئهم، وتصرح بالرد عليهم؟

وقد حكى لوقا أيضا فى إنجيله «أن مريم ــ عليها السلام ــ لما رأت أم يوحنا قالت لها وهى تثنى على الله: إن الله أنزل الأقوياء عن الكراسى ورفع المتواضعين وأشبع الجياع من الخيرات، ورد الأغنياء صفرا وعضد إسرائيل فتاه » [2] يريد: عبده، وعبودية إسرائيل متفق عليها، وذلك يهدم ما تعلقوا به من حمل الفتى على الولد، وفى ذلك رد على النصارى، وتشويش لأماناتهم وإفساد لصلواتهم، وتكذيب لمشائخ دينهم. إذ يقرءون فى صلاة الساعة الأولى من صلواتهم: «المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعى الكل إلى الخلاص» ويقرءون فى صلاة السَّحر: «تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا» ويقرءون فى صلاة الساعة الثالثة: «يا والدة الإله مريم العذراء افتحى لنا أبواب الرحمة».

ويقرءون فى أمانتهم وتسبيحة دينهم: «المسيح الإله الحق الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء».

وينقلون عن مشائخ دينهم وعلماء أهل ملّتهم مثل أفرايم وغيره قوله: «إن اليد التى جبلت طينة آدم هي التى سُمِّرت على الصليب، وإن الشبر التى مسحت السماوات هى التى سُمرت على الخشبة، وإن من لا يقول إن مريم ولدت الله؛ فهو بعيد عن ولاية الله».

وذلك كله باطل وزور وإفك وبهتان بقول متى حوارى المسيح عن الله: «هذا فتاى الذى اصطفيت» أهُمْ ــ ويْلهُم ــ أعلم بالمسيح من تلميذه متى وسائر

(١) فى الأصل: «ينظر الغاية» أى حال المسيح والنص فى مرقس {١٤: ٦٦ + } .

(٢) لوقا ١: ٥٢ +.

أصحابه الذين عاصروه وشاهدوه، فليس فيهم من ينتحل هذا الهذيان الذى صار إليه المتأخرون من النصارى.

وإذا قال إشعياء النبى ـ عليه السلام ـ: إن المسيح مضاف إلى الله. فقد عُلِم وعُرف أن ما سوى الله تعالى فهو عَبْدُه وخلقٌ من خلقه، وكون المسيح حبيباً من أحبابه وفتى من فتيانه؛ لا يُخرجه ذلك عن العبودية. وقد دللنا من التوراة والإنجيل على أن الفتى هو العبد والخادم. فلا التفات بعد ذلك إلى جهلة النصارى.

[الدليل الثاني]

وقد صرح فولس ـ فصيح النصارى ومفسرهم ـ بأن المسيح عبد مخلوق. فقال فى الرسالة الثانية عشرة: «انظروا إلى هذا الرسول رئيس أحبارنا يسوع المؤتمن عند من خلقه مثل موسى فى جميع أحواله غير أنه أفضل من موسى» [(١)] فأى بيان وأى تصريح أوضح من شهادة فولس بأن المسيح مخلوق، وأنه مؤتمن عند خالقه تعالى.

[الدليل الثالث]

دليل آخر على عبودية المسيح من قوله وفعله: قال متى: [(٢)] جاء يسوع المسيح إلى يوحنا المعمدانى من الأردن إلى الجليل ليتعمّد على يده. فقال حين رآه: هذا الذى قلتُ إنه يجيء بعدي. وهو أقوى مني، وأنا لا أستحق أن أحل معقد خُفِّه. ثم قال للمسيح: إنى لمحتاج أن أتعمّد منك. فقال يسوع: دع الآن هذا. فإنه ينبغى لنا أن نكمل كل برّ فسمح له. فتعمّد المسيح» [(٣)].

قلت: هذا المسيح ـ عليه السلام ـ متقيّد بالعبادات، متطوّق عُهدة

---

(١) عب ٣: ١ + .

(٢) متى ٣: ١٣ + .

(٣) كان يحيى عليه السلام يقول عن محمد ﷺ: «يأتى بعدى من هو أقوى مني، الذى لست أهلا أن انحنى وأحل سيور حذائه» [مرا: ٧ـ ٨] ومحرف الإنجيل فى مجمع نيقية قال على لسان متي: إن يحيى لما رأى عيسى قال: إن عيسى هو الذى كنت أقصده بقولى يأتى بعدي. والدليل على كذب المحرف: أن يحيى وعيسى كانا معا فى زمن واحد، وأنهما دعوا معا إلى اقتراب ملكوت السموات. ففى متى: «فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدانى يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت=

التكاليف، مُلتزم وظائف الخدمة، قائم بما يجب ليوحنا من الحُرْمَة، مساوٍ فى تعمده وتعبده سائر الأمة. فكيف تُعتقد فيه الربوبية والألوهية وهو يتعمد من عبد من عبيده بِرّه؟ وهل يفتقر إلى التكميل إلا ناقص، ويُدعى إلى فعل الجميل إلا من هو عنه ناكص؟ والتكليف: عبارة عن التزام ما فيه كُلفة، ورُتْبَة المُوجِب فوق رتبة المُوجَب عليه. فالتزام المسيح وظائف العبادة؛ دليل على عبوديته.

وقد صرح يحيى المعمدانى بعبودية المسيح قولا وفعلا. وأما تصريحه قولا: فإذ يقول: إن المسيح أقوى منه. والتفضيل إنما يكون بين فاضلين رجّح أحدهما على الآخر. ولا يحسن التفضيل بين الإله والآدمي. وأما تصريحه فعلا: فتعميده للمسيح أسوة أمثاله من الناس، وكيف يحسن من نبى الله يحيى بن زكريا أن يجهل ربّه فلا يعرفه حق معرفته، فيعامله معاملة المخلوقين والعبيد المربوبين؟ وإن كان قد عرفه؛ فهلا نصح لعباده، وأرشدهم إلى معرفة بارئهم، وقام خطيبا فى الناس حين رأى المسيح وقال: اعلموا أن الله تعالى قد رحمكم، وتجشم لخلاصكم، وجاء إليكم؛ لينقذكم من الخطية، ويفديكم من أعدائكم. وها هو ذا الذى جاء ليتعمّد مني. كما يعتقده النصارى يومنا هذا. وحاشى ابن زكريا عن أمثال هذه الترهات.

فإن قيل: إنما تعمد وتعبد ليعلّم الناس العبادة، إذ ليس المتابعة فى الأقوال مثل المتابعة فى الأفعال.

فنقول: أو لم يكن الناس يعرفون العبادة قبل مجيء المسيح؟ فما زادهم على أن قال: تعلموا العبادة يا من هم بها عالمون. فصار ذلك كمن يقول لحاسب ماهر: اعلم أن خمسة وخمسة عشرة سواء. ثم هذا السؤال ينزل منزلة من يدعى أنه إنما جاء ليعلم الناس الأمور الناسوتية من الأكل والشرب والنوم وأمثاله. وذلك لا يقوله لبيب، فتعمده وتعبده ـ عليه السلام ـ دليل ظاهر على عبوديته. فمن

=السموات»[متى ٤ : ١٧]

والتعميد: هو صبغ اليهودى التائب القابل الإيمان بمحمد ﷺ فى حال ظهوره. وكلمة صبغ العبرانية تنطق بالعين المهملة لأنه ليس عندهم غين معجمة. والعين المهملة تنطق همزة فيقال صبأ. ومنه (والصابئون) أتباع نبى الله يحيى عليه السلام.

عذيرى من قوم دُفعنا معهم إلى أن يُستدل على أن القديم الأزلى ليس بآدمى يأكل ويشرب ويجيء ويذهب ويستريح ويتعب.

* * *

فإن [١] قيل: فقد قال متَّى فى تمام هذا الكلام: «إن يسوع لما تعمّد وخرج من الماء؛ انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت إليه فى شبه حمامة، وإذا صوت من السماء قائلا: هذا ابنى وحبيبى الذى به سُرَّت نفسي» وذلك دليل على ما ينتحله النصارى من نبوته وألوهيته.

قلنا أولا لا نُسلّم صحة هذا النقل؛ لضعفه. والدليل على ضعفه ووهاه: أن صدور مثل هذه الآية العظيمة الآتية عند التعميد، واجتماع الغَويّ والرشيد. سبيلها: أن تشتهر وتنتشر بحيث ينقلها الجم الغفير، والخلق الكثير. فلما لم ينقلها غير واحد تبينًا بطلان ذلك وكذب ناقله. على أنَّا لو سلمنا ذلك؛ فليس فيه مُستروح للنصارى فيما يرومونه؛ لأن بفتح السماء وسماع النداء ونزول الروح الذى هو المَلَك. كل ذلك من المعجزات الدالة على صحة النّبوات، ولا غرو أن يأتى المسيح بخارق قاطع لشغب اليهود نازل منزلة قوة الله: صدق عبدي. فأما

(١) هذا الاعتراض وجيه. وقد أورده المؤلف عن النصارى وهو غير فاهم لمعناه، ولذلك لم يحسن رده. وبيان ذلك: أن محرف الإنجيل أخذ من التوراة نبوأتين عن محمد ﷺ ووضعهما فى هذا النص. نص متى ٣: ١٦ ــ ١٧ على عيسى عليه السلام النبوءة الأولي: هى نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام والنبوءة الثانية هى نبوءة العبد المسالم فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر إشعياء التى ذكرها المؤلف من قبل وهي: « هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارِي الذى سُرَّت به نفسي. وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم» أما النبوءة الأولى ففيها يلقبون محمد ﷺ بلقب «الابن» هكذا: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني. . . إلخ» وقد طبقها الشيخ ابن تيمية والشيخ القرافى على محمد ﷺ وأما النبوءة الأخرى ففيها أن «الذى سُرت به نفسي» أى أن الله يسر بإرساله إلى الأمم. والمحرف نسب النبوءتين إلى عيسى عليه السلام. وكان يجب على المؤلف رفع النسبة عن عيسى عليه السلام بإبراز الصفات فى كل نبوءة وتوضيح انطباق الصفة على محمد ﷺ ومثال ذلك: أنه فى المزمور الثانى يقول عنه: «اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسّرهم» والمسيح لم يحارب أعداءه، ولم يكسّرهم. وأنه فى نبوءة العبد المسالم يقول: «لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته» والمسيح لم يحارب ولم يكن معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى عليه السلام.

الروح: [(١)] فتارة يكون جبريل وتارة يكون مَلَكا غيره يقوم يوم القيامة صفا وحده وسائر الملائكة صفــا آخر وتارة يكون عبارة عن العِلْم والحكمــة وتارة يكون عبارة عن روح الآدمي. وتــارة يكون كناية عــن ســرّ الـشيء ولبّــــه. وتارة يكون بمــعنى الوحي. فهذه عدة محامل.

---

(١) الصحيح فى (الروح): هو أن عيسى عليه السلام نطق باسم «أحمد» «بيراكليت» ووصفه بالروح القدس وبالروح الحق. فإذا قال إنســان «بيراكليت» فكأنه قال «الروح» وإذا قال الروح فكأنه قال بيــراكليت. فقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح﴾ يقصد بالروح محمدا ﷺ (والملائكة) يقصد الملائكةالأربعة (صفا) وذلك ليشــهد على الخلائق أنه بلغ رســالة الله. وفى سورة القدر يقــول: ﴿تنزل الملائكة﴾ على أهل الأرض. فى الوقت الذى بُعث فيه محــمد ﷺ المشار إليه (والروح فيــها) يؤكد أنه بعث حقــا. ثم قال: (سلام) أى شريعته شريعة سلام. ثم قال: (هى حتى مطلع الفــجر) أى سيظل الجهاد بهذه الشريعة إلى أن يمحى ظلام الكفر من العالم بواسطتها. وقال تعالي: (وأيدناه بروح القدس) يعني: أن الناس شكوا فى أمر المسيح. فأيد الله المسيح وصدق قــوله الذى قاله عن محمد ﷺ بإرسال مــحمد. فصار عيسى مــؤيدا بمحمد الملقب بروح القدس فى الإنجيل. وقال تعالى: (قل الروح من أمر ربي) يسألون عن الروح الذى هو لقب محمد فى إنجيل يوحنا. ثم قال للنصارى خاصة: (وما أوتيتم من) عيسى ابن مريم (من العلم إلا قليلا) ذلك لأنه قال لهم عن محمد ﷺ: إنه إذا جاء سيعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم. ويريد المؤلف أن يقول: إن روح الله ليست جسما وليست أقنوما. سواء أقلنا إن روح الله هى المسيح أو غيره. وإذا ثبت أنها ليست جسما، يثبــت أنها لم تنزل بهيئة حمامة على المسيح أثناء تعمــيده من يوحنا المعمدان. هذا هو مراد المؤلف. ثم ساق أدلة على أن الروح القدس تأتى بمعان مترادفة يجمعها كلها توفيق الله وإعانته لشخص مّا وإلهامه لفعل من الأفعال.

واعلم: أن مذهب الأرثوذكس هو أن الله نزل من الســماء ودخل بطن مريم بقوة الروح الـقدس ثم خرج طفلا هو فى نظر الناس طــفل، وهو فى الحقيقــة الله ــ عز وجل ــ ثم بعد ثلاثــين سنة بلغ الرسالة إلى اليهود، والناس يظنون أنه هو يســوع لا الله. ثم بعد قتله وصلبه؛ دخل القبر ومن القــبر هبط إلى جهنم لمدة ثلاثة أيام. ثم ارتفع إلى القبــر، وارتفع من القبر إلى الســماء، وجلس كما كــان أولا. فالله على هذا المذهب هو المسيح. والمسيح على هذا المذهــب هو الله. وعنهم يقول الله تعالي: ﴿لقد كفـر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وقبل نزوله يسمى بأقنوم الآب، وبعد نزوله يسمى بأقنوم الابن، وبعد ارتفاعه وجلوسه على العرش يسمى بأقنوم الروح القدس.

ومذهب الكاثوليك والبروتستــانت هو الانفصال والتميز بين الأقانيم. فــالله أقنوم مختص بالخلق. والمسيح أقنوم مختص بالرزق، والروح القدس أقنوم مختص بالإحياء والإماتة. وعنهم يقول الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قــالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ وجميع النصارى يقــولون بالآب والابن والروح القدس. وقد نهاهم الله عن هذا القــول بقوله: ﴿ولا تقولوا ثلاثةانــتهوا خــيراً لكم﴾ وفى بلاد الغرب طائفة تــثلث بأربعة أصابع والرابع يشير إلى مريم تعظيما لها

والدليل على الأول: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ وفى الإنجيل «روح القدس تحل عليك» [١] يقول لمريم. والدليل على الثاني: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ والدليل على الثالث: قول الإنجيل: «إن المسيح أبرأ الناس من الأرواح النجسة فخلصوا» [٢]. والدليل على الرابع: قول التوراة لموسى «يصنع لك قبة الزمان بصلئيل الذى ملأته روح الحكمة والعلم» [٣]. والدليل على الخامس: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ والدليل على السادس: قول القائل: هذا روح المسألة، أى سرها ولبها. والدليل على السابع: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

وقول المعمداني: «إن روح الله. نظرها جاءت إليه» يريد المَلَك الآتى فى صورة طائر واختصاصه بالحمام، لأنه ميمون غير متشائم به، ونسبتها إلى الله نسبة مِلْك كقولهم فى التوراة: «إن موسى رجل الله» [٤] و«العصا التى بيده قضيب الله» [٥]، «وقبة الأمد التى بنيت فى التيه، خباء الله» [٦] و«أورشليم التى هى البيت المقدس بيت الله» [٧] فكذلك قول متّى: «ونظر روح الله جاء إليه» يريد مَلَك الله.

والدليل على مساواة المسيح غيره فى هذه الروح والتأييد بها: قول لوقا فى إنجيله: «قال يسوع لتلاميذه: إن أباكم السماوى يعطى روح القدس للذين يسألونه» [٨] والدليل عليه من التوراة قول الله لموسى: «اختر سبعين من قومك حتى أُفيض عليهم من الروح التى عليك، فيحملوا عنك ثقل هذا الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبؤوا لساعتهم» [٩] وفى التوراة أيضا فى حق

(١) لوقا ١: ٣٥
(٢) من هذا كثير ومنه فى مرقس ٩ ولوقا ٤ ومتى ١٢ .
(٣) خر ٣١: ١ .
(٤) تث ٣٣: ١ .
(٥) خروج ٤: ٢٠ .
(٦) نح ١١: ١١ .
(٧) تك ٢٨: ١٧ .
(٨) لو ١١: ١٣ .
(٩) عدد ١١: ١٦ .

يوسف الصديق: «يقول الملك: هل رأيتم مثل هذا الفتى الذى روح الله حال فيه»[1] والدليل عليـه من نبوة دانيال: «أن روح الله حلـت على دانيال» [2] وفى التـــوراة أيضا: «أن مـوسى لما توفى امتلأ يوشع خـادمه من روح القدس؛ لأن مـوسى كان يضع يده على رأسه» [3] . فقد استوى الحال بين المسيح وبين من ذكرنا فى تشريفه بهذه الروح.

وقد قـال الله فى الكتاب العزيز فى حق إخـواننا من المسلمين: ﴿وَأَيَّـدَهُـم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فما أجاب النصارى به عن حلول الروح على هؤلاء؛ فهو جواب لنا عن حلوله على من يّدعونه. فـإن تجاهلوا وقالوا: الروح الآتى إلى من عـدا المسيح هى الملك والـعلم والحكمـة، والـروح الآتى إلى المسـيح هـى حـيـاة اللـه. قلنا لهم: الويل لكم. إن كان ما تقـولون؛ فقد صار البارى ذاتا ميتـة لاروح فيها، وإذا كان قد صـار ذاتا صار ذاتا خالية من الحـياة؛ فكيف يقولون إنه قـال: «هذا عبدى وهذا ابني؟» فقد آل ما تدعون إلى نفى ما تدعون.

ثم نقـول لهم: بم تـنكرون على من يزعم أن الروح الآتى والـنداء ليس هو لعيسى بل لأستـاذه الذى عَمَّده وهو يحيى بن زكريا؟لأنه بشـهادة الإنجيل أفضل منه، إذ هو الذى امـتلأ من روح القـدس وهو جنين فى بطن أمه ثم تـنشأ سـيدا وحصورا [4] . وقد قلتم فى إنجيلكم: إن يوحنا هذا لا يأكل ولا يشرب ولا يتناول خمرا ولا مسكرا [5] ولا يلبس سوى جلود الحيوان [6] وأنه انتهض قبل المسيح إلى الدعاء إلى الله وعمّـد الخلق حتى عمَّد المسيـح فيمن عمد . فأمـا المسيح فلم تأته الروح ــ فى قولكم ــ إلا بعد الثلاثين سنة من عمره. على يد يوحنا، ولم يتصف بما اتصف به يوحنا. شـيخُه وأسـتاذه بل أكل الخبـز واللحم وشرب الخـمر ــ فى زعمكم ــ وحـضر الدعوات [7] وتناول نفائس الطعام، وصـبت عليه امرأة دهنا

(١) تك ٤١: ٢٨ . (٢) دانيال ١: ٩ «وأعطى الله دانيال نعمة ورحمة» .

(٣) تث ٣٤: ٩ . (٤) السـيـد: مـعناها: المـعلم الديني. والحـصـور: المنذور لله مـن الصـغـر. يقـول المسـيح لتلاميذه: «وأما أنتم فلا تُدعوا سيدي» .

(٥) لو ٧: ٣٣ وعدم تناول الخمر. يدل على أنه كان منذورا [راجع سفر القضاة فى نذر صموئيل] .

(٦) مر ١: ٦ .

(٧) يو ٢ .

قيمته ثلاثمائة مثقال؛ فلم ينكر عليها [١] .

كل ذلك يشهد به إنجيلكم.

وإذا كان الأمر على ما وصفتم من حال الرجلين ـ سلام الله عليهما ـ فلا خفاء بكونه أفضل منه، وإذا ثبتت أفضلية يوحنا، فمن أين لكم أن الروح الآتى والنداء المسموع لم يكن ليوحنا؟فدلوا أنتم على أن ذلك كان للمسيح، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا.

ثم نقول لهم: أليس قد زعمتم أن الروح إنما جاءت فى شِبه حمامة، فعرف شكلها وكميتها وقدرها وفرَّغت حيزاً وشغلت آخر وتنقلت فى الجهات؟وذلك صفة المخلوق الحادث، ويتعالى عن ذلك القديم ـ جل جلاله ـ ثم لفظ البنوَّة مُعارض بلفظ العبودية، فقد سماه الله عبده، واختار له ما عنده، وسوَّاه فى العبودية بمن كان قبله ومن جاء بعده.

[الدليل الرابع]

دليل آخر على عبودية المسيح ـ عليه السلام ـ لله قال متى: «أخذ إبليسُ يسوعَ المسيح وأخرجه إلى البرية ليجربه وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا، فقال المسيح: إنه مكتوب: «أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من الله» فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل فى الأرض وأراه جميع ممالك العالم وقال: هذا كله لى وأنا أعطيكه إن سجدت لى سجدة واحدة. فقال: اغرب عنى يا شيطان فإنه مكتوب: «للرب إلهك تسجد وله وحده تعبد» فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من ههنا إلى أسفل، فإنه مكتوب: «أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رحلك بحجر» فقال المسيح: ومكتوب أيضا: «لا تجرب الرب إلهك، فمضى به إبليس وتركه، وجاءت ملائكة تحرسه. وصام المسيح عند ذلك ثلاثين يوما بلياليها وجاع أخيرا».

---

(١) قيمة الطيب ثلاثمائة دينار فى إنجيل يوحنا ١٢ «لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء؟» .

قلت: هذا متّى الحواري قد ذكر هذه القصة، وهى شاهدة على المسيح ـ بصريح العبودية ـ وافتقار البشرية، وسلوك سنّة المتعبدين، وطريق المتبتلين من المجتهدين. ودأبُ الأولياء ومقدمات أمور الأنبياء؛ ينقطعون إلى مولاهم فى قُنن الجبال، ويفرّغون البال بمواصلة الوصال. ألم يأتكم نبأ ابن عمران إذ طوى الأربعين لا يفطر، وفعل من الخوارق بمصر وغيرها ما لا يجحد ولا ينكر. ولقد أربت آياته فى النقل الصحيح، على آيات المسيح، وإذا انتهينا إلى ما يليق بذلك، أشبعنا القول فيها إن شاء الله. والعجب كيف يجرب إبليسُ يسوعَ ويمتحنه ويسحبه معه من مكان إلى مكان، ويسومه السجود له وهو فى زعم النصارى خالقه وخالق كل شيء؟فنحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، والمقهور فى يده والشيطان طامع فى استتباعه وصيرورته عبدا له؛ أهو إنسان مخلوق أو إله اتحد بإنسان أو سكن فى إهابه واتخذه محلاً له؟

فإن قالوا: إنه إنسان مخلوق. وافقوا شرعنا وخالفوا شريعتهم وأمانتهم. إذ يقولون فيها: «إن المسيح إله خالق غير مخلوق، وإنه الذى أتقن العالم بيده» وإن قالوا: إنه إله خالق أو إله اتحد بإنسان أو حلّ فيه وسكنه. فقد حكموا أن الإله الأزلى سحبه الشيطان، وردّده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له. وفيه امتهان الرب القديم، والإله العظيم فى يد الشيطان الرجيم. وقد شهد متي: أن المسيح قد جاع، والإنجيل يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد» وإذا ثبت بقول أصحاب المسيح: أن المسيح قد جاع، وتضافرت عليه الآلام والأوجاع. فقد ثبت بذلك أنه عبد لله. إذ ثبت أن ما سوى الله؛ فهو عبد له.

فإن قالوا: لا ننكر أن المسيح جاع وشبع، واطمأن وجزع. وناله النفع والضرر، واعتورت عليه أحوال البشر. غير أن هذه النقائض إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته.

قلنا لم يُدعَى الاتحاد الذى تدّعونه ناسوتا متميزا عن لاهوت، حتى يُخَصَّ بالعطش ولاالجوع والأرق والهجوع؟بل صار المسيح بالاتحاد الذى يدعيه أهل الإلحاد شيئا واحداً. والشيء الواحد لا يقال إنه جاع ولم يجع ومات ولم

يمت. على أن القول أيضا بذلك مفسد للاتحاد الذى يدّعونه؛ لأنه قد كان المسيح قبل الاتحاد تدركه عوارض الآدميين من الجوع والعطش والطمأنينة والدهشة وغير ذلك، فإن كان بعد الاتحاد، كَهُوَ قبل الاتحاد؛ فلا معنى للاتحاد. فقد صار الاتحاد الذى يُدَّعى له؛ مجرد تسمية ساذجة عن المعنى. وإذا ثبت أن المسيح قد تناول الطعام، وصلّى وصام، والتزم الأحكام؛ فقد أربى فى العبودية على سائر الأنام.

والعجب أن الشيطان لا يثبت مع وجود المَلَك، فكيف يطمع فيمن يعتقد ربوبيته حتى يسومه أن يجعله من الأتباع ويُوصّف عليه السجود الذى هو نهاية الاتضاع؟ ألا تنظر النصارى إلى قول المسيح: «ولله وحده نعبد» فإنه أثبتَ لربه الوحدة والانفراد، ونفى عن خالقه سائر الأنداد، من الشريك والصاحبة والأولاد. فالمسيح يقول: لا ينبغى السجود إلا لله الواحد، والنصارى تقول: لا يسجد إلا لثلاثة آلهة. لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح.

[الدليل الخامس]

دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام: قال متى: «سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمّد معه. وكان هيرودس هذا قد قتل يوحنا المعمدانى فى السجن وأعطى رأسه لابنة هيروديا وكانت قد تمنّت عليه ذلك، يوم رقصت فى مجلس مولود وُلد له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع بمصاب يوحنا، فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذى كان به منفردا».

قلت [1] : اشتبه أمر المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه، وإنما شبهه الناس بيوحنا لاشتراكهما فى أعلام النبوة، وأخبر التلاميذُ المسيح بالقصة قبل أن يعلم بها. والرب تعالى يجب أن يكون عالما بجميع المعلومات، محيطًا بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ**

(١) المؤلف علّق على حسب الترجمة التى بلغته. والترجمة التى هى الآن فى زماننا، تنقض تعليقه. فإنه هو الذى قال لغلمانه: «هذا هو يوحنا المعمدان. قد قام من الأموات، ولذلك تُعمل به القوات» وقصة قتل يوحنا ينفيها القرآن نفيا باتا. وذلك لقوله عن يحيى مثل قوله عن عيسى=

خلق﴾ . وخرج المسيح عقب هذه الأخبار مؤثرا للاستتار معملا مطايا الذار، من الأشرار. ومن دأب البشر، عند توقع الضرر، الأخذ بالحذر.

وقد اتفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء ولم يجدَّ بهم الهلع بزمامه ولا أنزلهم عن غارب التوكل سنامه. قال بعض السلف: «نفرٌ من قدر الله إلى قدر الله».

واعلم: أن يسوع هو عكس عيسى، وكأنه يَسُع أُشبعت الضمة قليلا فصارت واوا، وكذلك يشوع فى التوراة هو يوشع. فأما المعمدانى فهو يحيى بن زكريا ـ وهو نبى ابن نبى ـ وُلد بالبشرى من الله، وهو أكبر فى السن من المسيح بستة أشهر أو نحوها، وقد تولّى التعميد قبل المسيح وعمد المسيح فيمن عمده من الناس، والتعميد: هو غمس التائب فى الماء، يشيرون بذلك إلى الانغماس فى الطاعة والتجرد عن المخالفة كما ورد شرع الإسلام بتطهير الكافر حين يسلم. فأما هيرودس فهو أحد الأربعة الذين كان يدور عليهم أمر الشام من جهة قَيْصر، وكان قد رام نكاح ابنة أخيه [1] وقيل: ابنة زوجته فحال بينه يوحنا المعمدانى وبين ما أراد من ذلك، فاعتقله هيرودس ثم قتله بالتماس أم الصبية. إذ رأت أنه راغم مقصودها. فذكر أن دم يوحنا هذا لم يغض مذ وقع على الأرض حتى حرّك الله داعية بعض ملوك بابل، قال أصحابنا: يقال لهذا الملك حردوش البابلى فسار إلى اليهود يجر الشوك والشجر فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، وحرق قراهم وعضّد شجرهم، وأجلاهم عن البيت المقدس، وأعطى الله عهدا ألا يكف عنهم حتى يغيض ذلك الدم. فلم يغض حتى كاد يستأصل اليهود واستاق السبى معه إلى بابل. وفيهم أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ فكانت المرة الأولى على يد بختنصر بسبب قتلهم نبى الله إشعياء فى زمن إرمياء النبى ـ عليه السلام ـ ثم رد الله إليهم ملكهم، وكانت المرة

=﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أثبت لكل منهما موتا ونفى القتل.
والقصة فى متى ١٤ ومرقس ٦ ولوقا ٩ .

(١) القصة كلها مختلقة. لأن زوجة الأخ لا تحل. وقيل: إن كان يزنى بها إلى كلام طويل رده القرآن بإثبات أن المعمدان لم يقتل.

الثانية على يد طِيطُوس الرومانى بسبب قتلهم يحيى بن زكريا وذكر أن بين الوقعتين أربعمائة وإحدى وستون سنة [١] .

وينبغى أن يقال للنصارى: ما الذى دفعكم إلى عبادة مخلوق يفزع عند الضرار، إلى التقية والحذار، ويلجأ عند توقع المكروه إلى الفرار والاستتار فى الجدار؟أين قولكم إنه حين تعمّد جاءته روح الله؟ وأنتم رويتم لنا: أن موسى قد قاتل الجبابرة، وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالقة، وقتل عُوج مبارزة، ولم يفر من خصمه، وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون وإن اشتدت شوكته. وقد كان يدخل على فرعون فينغص عليه سلطانه، ويُرْغم مجاهرةً شيطانه، ويحقر عند أهل مملكته شانه، ثم جَرَّعه أليم اليَمِّ، وأباد جنوده فى اللجم الخِضم. أفكانت الروح التى مع موسى أقوى من الروح التى ادعيتموها للمسيح؟ فما نرى موسى إلا أحق من المسيح بالربوبية إذ كان لم يخف والمسيح قد خاف، وكذلك يشوع وداود قد قهر الصناديد، والمسيح قلتم إنه قتله اليهود.

[الدليل السادس]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال فُولُس الرسول فى الرسالة الأولى: «وأنا أحب يا إخوتى أن تعلموا أن رأس المرأة الرجل، وأن رأس كل رجل المسيح، وأن رأس المسيح الله» [٢] .

فهذا فولس قد نطق بأن المسيح مرءوس وأن الله رئيس عليه، وذلك منه رَدٌّ

(١) يسوع: فى الأصل العبري: يهو شوّع. ومعناها: الله مخلّص.

وكلمة عيسى من الكلمة اليونانية «إيسا» وتنطق فى حالة الرفع «إيسوس» والمعمدان: أى الذى يصبغ المؤمنين من اليهود بمحمد رسول الله هو يحيى بن زكريا عليهما السلام. وطائفته هى الصابئة المذكورون فى القرآن. وكان التعميد من أجل محمد فقط؛ لقوله: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ يقصد بالصبغة تغيير المعتقد إلى الأحسن كتغيير لون الثوب. وما ذكره المؤلف من إفساد اليهود فى الأرض مرتين ليس بصحيح. والصحيح أن المرة الأولى حدثت فى سنة ١٩٦٧م والثانية ستكون بعدها والنص على الأولى فى الأصحاح الثامن من سفر دانيال والنص على الآخرة فى الأصحاح الأخير من دانيال والمؤلف كتب خردوش اليوناني، وصححتها طيطوس الرومانى وكان فى سنة سبعين بعد الميلاد.

(٢) كورنثوس الأولى ١١: ٢ + .

على النصارى وإفساد لأمانتهم وشريعتهم.

[الدليل السابع]

دليل آخر: قال متى: «أصعد يسوع تلاميذه سفينة وصعد هو إلى الجبل يصلّي، فلما كان في الهجعة الرابعة من الليل جاء ماشيا على الماء طالبا السفينة فخاف التلاميذ وتصارحوا. فقال يسوع: لا بأس عليكم. فقال بطرس له: يا رب إن كنت أنت هو، فادعني آتيك على الماء. فقال تعال. فنزل بطرس له يمشي على الماء فاشتد الريح فكاد أن يغرق. فصاح: يا رب نجني. فمد يسوع يده وأخذه، وقال له: يا قليل الإيمان لم شككت؟ثم صعد يسوع فسجدوا له» [1] .

قلت: هذا الفصل معرب عن تعبد المسيح وتبتله وتهجده لمولاه وتذلله، وحركته في الجهات وتنقله وصعوده قنن الجبال وتوقله، وهذه كلها أفعال دالة على حدثه.

فأما مشيه على الماء فليس فيه مستروح في دعوى ربوبيته. فغايته: أن التحق في ذلك بموسى وإلياس واليسع - صلوات الله عليهم - والتوراة تنطق: أن موسى ضرب البحر فانفرق طرقا وفرقا، فكان كل فرق لفريق من بني إسرائيل، حتى عبره ستمائة ألف رجل من بني إسرائيل سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان[2]. وهذا أعجب من مشي عيسى وصاحبه على الماء إذ السفن تساويهما في ذلك، فلو كان عيسى ربا بذلك لكان موسى أولي، لما ظهر من عظيم فعله وجسيم نبله.

وقد جاء في سفر الملوك [3] من كتبهم: أن إلياس - عليه السلام - انتهى إلى الأردن، ومعه صاحبه اليسع؛ فنزع إلياس عمامته وضرب بها الأردن؛ فيبس له الماء وناول عمامته إليسع صاحبه. فلما رجع الآخر ضرب بها الماء؛ فيبس أيضا حتى مشي عليه راجعا.

فلم يكن واحد منهما رباً بذلك، وقد خاف بطرس صاحب المسيح الغرق،

---

(١) متى ١٤ : ٢٢ + بتصرف .

(٢) الخروج ١٤ +

(٣) الملوك الثاني ـ الأصحاح الثاني

ولم يخف منه اليسع، وقوة الضاحب تدل على قوة حال المصحوب.

مناقشة على قول بطرس«يا رب إن كنت أنت هو»: اعلم: أن هذا من الكلام الخُلف. وذلك أن بطرس إن عرف أنه المسيح، فكيف يقول: إن كنت أنت هو؟وإن لم يكن عرفه، فكيف يقول له يا رب؟ (١).

[الدليل الثامن]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «قال رجل للمسيح: يا معلم صالح؛ فقال له: لا تقل لى صالحاً، لا صالحَ إلا الله الواحد» (٢).

قلت: أضاف المسيح لربه الوحدة، واعترف له بالألوهية وحده، وفى ذلك رد على النصارى فى دعواهم التثليث وعبادة المسيح، إذ نفى الصلاحية عن نفسه وأثبتها لله وحده ،ولو كان الأمر فى ذلك على ما يعتقده النصارى لبيّنه للرجل ولقال له: لا صالح إلا الآب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة. وفى قول المسيح عليه السلام «لا صالح إلا الله الواحد» تكذيب للنصارى فيما يقرءونه فى بعض فرائضهم: «الإله الصالح الطويل الروح الداعى الكل إلى الخلاص» ويقرءون فيها: «يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيديك لا» ويقرءون فى شريعة إيمانهم التى لا يتم لهم قربان إلا بقراءتها: «نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذى بيده أُتقنت العوالم، وخلق كل شيء» وهذا كله مخالف لقول المسيح ـ عليه السلام ـ «لا صالح إلا الله وحده» وإذا كان هذا قول المسيح، فقد ثبت أنه ليس هو الله ولا صفة من صفاته، وإذا ثبت أنه غيره، ثبت أنه عبده، لأن ما سواه فهو عبده وخلقه، وتبين فساد الأمانة التى لهم، وجهل من ألفها بدين المسيح وشريعته.

[الدليل التاسع] ـ دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «قال يسوع: من أراد أن يكون منكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا، ومن أراد أن يكون أوّلاً فليكن آخرًا. إن

(١) يزول الخلف بتفسير الرب بمعنى السيد وهذا هو الحق والسيد هو المعلم الديني وعيسى ليس هو «المسيح الرئيس» وإنما هو مسيح.

(٢) النص : «أيها المعلم الصالح. . .» [متى ١٩ : ١١+].

ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم، بل ليخدِم ويبذل نفسه عن كثير[١]».

قلت: هذا دأب المتقين وعباد الله المشفقين، قام عليه السلام بوصفه الاتضاع، ولزم مناهج إخوانه من الأنبياء في رعاية الأتباع. وصرح بأنه إنما بعث خادمًا والرب يجب أن يكون مخدومًا، وأنه باذل نفسه ويتعالى القديم أن يكون عديمًا.

[الدليل العاشر]

الدليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «مر يسوع بشجرة تين وقد جاع فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق. فقال: لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد. فيبست الشجرة لوقتها فتعجب التلاميذ وقالوا كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم: إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل: تعالَ واسقط في البحر لفعل وكان كل ما سألتموه [٢] تنالوه».

قلت: أدركته - عليه السلام - عوارض البشر من الجوع والعطش. وما أكثر ما يصفه الإنجيل بذلك، ولما سبق في علم الله - تعالى - ما سُيدعى فيه من الربوبية والإلهية؛ حفظ هذه المواضع من الإنجيل، وحرسها عن التغيير والتبديل؛ لتكون وازعة ذوى الأحلام، عن عبادة رجل من الأنام، يفتقر إلى الشراب والطعام، فقل للنصارى: يا معشر من بخس حظَّه من المعقول، كيف خفي عن يسوع حال الشجرة وهو في زعمكم الذي غرسها؟ أم كيف افتقر إلى تناول الثمرة وهو الذي كوَّن بَلَسها؟ ولم دعا عليها؟ ومن الذي دعاه حتى ساق الثوى إليها؟ وأخبرونا من هو هذا الذي جاع؟ فإن زعمتم: أنه الإله أكذبكم الإنجيل إذ يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب» وأكذبكم داود في المزامير إذ يقول: «إن إله إسرائيل لا يأكل لحوم العجاجيل ولا يشرب دماء أولاد الغنم[٣]».

فإن قلتم: إن الناسوت هو الذي جاع، أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عندكم صيَّر الكثرة قِلة، وجعل الاثنين واحدًا، وأنتم زعمتم أن فائدة الاتحاد تشريف

(١) النص في متى. ٢ + وابن الإنسان لقب لمحمد ﷺ وراجع إشعياء ٥٢ في نبوءة العبد المتألم.

(٢) متى ٢١ : ١٨ +

(٣) مزمور ٥ ١٣

الطبيعة الناسوتية لا انحطاط الطبيعة اللاهوتية. وإذا قلتم: إن طبيعة الناسوت باقية على حكمها، لم يحصل التشريف الذى ذكرتم، فما نرى طبيعة اللاهوت أكسبت الناسوت خيرًا. وأخبرونا: أليس متى هذا يقول: إن المسيح هو الذى جاع، وهو الذى تردد مع الشيطان فى سخرته وواصل الصيام بسببه؟ والمسيح هو عبارة عن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية جميعًا، إذ طبيعة الإنسان على تجردها لا تسمى مسيحًا عندكم، وإذا كان هذا هكذا؛ فقد لزمكم القول بجوع الإله وعطشه ودخول الآفات عليه، وإذا كان ذلك غير سائغ، فالمسيح إذًا عبد مربوب ومخلوق مألوه يتأذى بأسباب الأذى ويفتقر إلى تناول الغذاء.

فأما جفاف الشجرة فليس فى ذلك معتصم فى دعوى ربوبيته. ولو جاز أن يدعى فى المسيح الربوبية بهذه القضية؛ لجاز ذلك لإبراهيم وموسى وإلياس ودانيال وخلق كثير من أصفياء الله؛ أُجيبت لهم دعوات، وأمدهم الله من الملائكة بربوات.

[الدليل الحادى عشر] دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «اجتمع الفَرِّيسيون والهِروديسيُّون ودسّوا على يسوع رجلاً ليصطادوه بكلمة. فقال له الرجل: يا معلّم، قد علمنا أنك محق، وأن طريق الله بالحق تعلم، وأنك لا تبالى بأحد ولا تعمل لوجه إنسان. فقل لنا: هل نعطى الجزية لقيصر أو لا؟ فعلم يسوع سِرّهم وخاف شرهم، قال: يا مراؤون إنما جئتم لتجربونى أدّوا ما لقيصر لقيصر وما لله ـ لله[1].

قلت: هذه من المسيح عليه السلام حيدة عن الجواب. وهى مؤذنة بالتّقية القاضية بضعف البشرية، والحيدة تُجد كثيرًا فى كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يستعملونها للضرورة الحاضرة. وأنا أستحسن قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد قال له العباس: يا رسول الله، إن أبا طالب، كان بك بارًا أترجو الله له؟ فقال عليه السلام: **«كل الخير أرجوه من ربي»**[2]. وقوله وقد سأله رجل: يا رسول

(١) متى ٢٢ :١٥ +.

(٢) أخرجه ابن سعد «١ ١٢٤»

الله، متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها؟»، قال: حب الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحـببت»[١]. ولما قال إبراهيـم للكافر ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قـال: ياإبرهيم أنشدك الله آأنت رأيته يفعل ذلك؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

واعتبـر هذا الفصل الذى نقله متى. تجده من كـلام الراوي. ليس للمسيح منه إلا القليل، وهذا حال أكثر الإنجيل، والإنجيل الحق هو المأخوذ عن المسيح عليه السلام لا عن غيره.

وما أضيق قول هذا الراوى «ليصطادوه بكلمة» هذا يعـتبر سلفهم فما ظنك بخلفهم؟ أما كان يستطيع أن يجعل مكان «ليصطادوه» «ليمتحنوه ويختبروا ما عنده ويقفوا علـى حقيقة مـذهبه؟ أين هذا من ألفاظ الكتاب الـعزيز إذ يقول: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ؛﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

[الدليل الثانى عشر]

الدلالة على أن التلاميذ لم يكونوا يعتقدون فى المسيح ما ابتلى به النصارى.

قال نقلة الإنجـيل: «لما كان فى أول يوم من عيـد الفطير جاء التلامـيذ إلى يسوع وقالوا له: أين تريد أن تأكل الفصح؟ فقـال: اذهبوا إلى فلان فقولوا: يقول لك المعلم: عندك آكل الفصح مع تلاميذي»[٢].

فَعَـرْضُهم عليـه الطعام والعمل بـسنة العيد المأخـوذة عن موسى، واتبـاعه أحكام التوراة؛ دلـيل ظاهر على أنهم لا يفرقـون بينه وبين البشـر فى شيء سوى النبوة، إذ هم يروون عنه فى الإنجيل: أن الأنبياء كلهم للناس، وهم الذين يروون عنه: أن الله لا يأكل ولا يشرب. وقد شهد فُولُس الرسول فى رسالته الأولى بأن المسيح عبـد لله وأن الله مالكه فقال وهو يُسـهب فى إفادة إخوانه: «إن كل شيء

(١) أخرجه البخارى و مسلم .

(٢) متى ٢٦ :١٧ + .

فهو لكم، وأنتم للمسيح والمسيح لله»[١]. فأضافه إلى الله بلام التمليك كإضافة الأشياء لملاكها، وقوله «وأنتم» يريد أنتم له أتباع، وهو يبلغكم عن الله أوامره بطريق السفارة.

فإن قال النصارى: إنما أكل وشرب بناسوته، قلنا: ذلك باطل على رأى اليعقوبية القائلين: إن الاتحاد قد أصار طبيعتى المسيح طبيعة واحدة، فإنه لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت حتى يضاف إليه الأكل والشرب. وهو باطل على قول من جعل المسيح درعًا للاهوت أو مسكنًا له. إذ لو تجرد اللاهوت عن ناسوته حال ملابسة هذه النقائص؛ لبطلت ألوهيته وخرج عن كونه مسيحا؛ فإنه لم تثبت له هذه التسمية إلا بعد الاتحاد - فى زعمهم - فقد أقام يسوع بينهم ثلاثين سنة لا يسمى مسيحاً. إنما يعرف بيسوع بن يوسف، فمن أضاف الأكل والشرب إلى ناسوته وحده؛ فقد جعله آكلا شاربًا ببعضه، ومن جوّز قبول آلهة للتضيف، فقد أبان عن عقل سخيف، وعقل ضعيف. ألم تسمعوا إلى قول المسيح: «يقول لك المعلم» سمى نفسه معلمًا لهم!! وقال لهم فى موضع آخر: «ليس لكم معلم سوى المسيح»[٢]. وقد قال فى الإنجيل غير مرة «إن الأنبياء كلهم معلمون لدواب الله»[٣]. فكيف صرتم تضربون صفحًا عما فى الإنجيل من دلائل نبوته، وتتعلقون بأدنى خيال فى محاولة ربوبيته؟.

فإن أشكل عليكم لفظ فى الإنجيل - وليس بمشكل - فارجعوا القهقرى إلى التوراة كتاب موسى والأنبياء من بعده، فهل تجدون فيها ما تنتحلونه من عبادة

---

(١) كورنثوس الأولى ٣ : ٢٢ + .

(٢) يقصد بالمسيح المعلم محمد ﷺ ولا يُقصد نفسه. إنه يقول: اسمعوا من كلام بنى إسرائيل إلى أن يأتى المسيح، ولا تدعوا معلمين باستقلال عن شريعة موسى أى لا تنشئوا ديانة حتى يأتى المسيح فإنه هو الذى سينشئ الديانة وينسخ شريعة موسى [متى ٢٣] .

(٣) يقصد قول المسيح : «لأن جميع الأنبياء والناموس تنبأوا، وإن أردتم أن تقبلوا؛ فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي» [متى ١١ : ١٣ +] والمعنى :إن أردتم أن تقبلوا نبيًا لتعلموا بشريعته؛ فها هو ذا إيليا سيأتى من بعدي. وإيليا هو اسم أحمد ﷺ .

رجل من بنى آدم؟ وإنا نجد غير ذلك فى التوراة وقد حذّرتْ من الشرك بالله، ومجانبة توحيد الله، حتى قالت: «متى سمعتم بذلك فى بلد أو قرية فأهلكوا جميع من فى تلك القرية والبلد بحدٍّ السلاح، ولا ترحموهم. الله ربكم هو إله واحدٌ غيور عظيم مرهوب؛ فاتقوه وخافوه، واحفظوا سنته وأحكامه وأزيلوا الشر من بينكم»[(١)]. وكرر ذلك فى أسفار التوراة مرة بعد أخرى.

فالاعتماد فى ذلك على التوراة المنقولة بلسان الإجماع عندكم، وذلك أوْلى من الاعتماد على كتاب، إنما نقله أربعة أنفس وفيهم اثنان ليسا من أصحاب المسيح، بل من التابعين لهم، فلا جَرَم لما نُقل هذا الكتاب بلفظ الآحاد وَقَع فيه من الغلط ما ستقفون عليه إن شاء الله فى الباب الرابع من هذا الكتاب، وحينئذ تتحققون أنه ليس هو الإنجيل المنزل من عند الله.

[الدليل الثالث عشر]

شهادة المسيح على أهل زمانه بالشك فى شأنه: قال متى: «بينما التلاميذ يأكلون طعامًا مع يسوع قال: كلكم تشكّون فيَّ هذه الليلة؛ لأنه مكتوب: «أنى أضرب الراعى فيفترق الغنم» فقال بطرس: لو شَكَّ جميعهم لم أشك أنا. فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك».

فقد شهد عليهم المسيح بالشك فيه، وأن خيارهم وهو «بطرس» خليفته عليهم من بعده: سينكره. وإذا وقع لهم الشك فى المسيح فى آخر أيامه ومنتهى مدته؛ فقد تخرمت الثقة بأقوالهم، وإذا أنكره مثل «بطرس» ولم يعرفه؛ بطل جزمهم بأنه قتل وصُلب، وصح قول ربنا تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ الآية.

فهذا المسيح ـ عليه السلام ـ قد وافق محمدًا عليهما السلام فى أن القوم شاكّون فيه، وذلك مبطل لدعوى القتل والصلب. وقد صرح المسيح فى هذا الفصل بحرف لو تأمله النصارى لما عدلوا عن اعتقاد نبوته إلى انتحال بنوته. وهو

(١) النصف فى سفر التثنية وهو «إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك ...» [تث ١٣ : ١٢ +]

قول المسيح: «إنه مكتوب أنى أضرب الراعي»سمى نفسه راعيًا وهاديًا داعيًا، وهذا حال الأنبياء عليهم السلام فإنهم يطوقون أعباء السياسة، ويرفقون الأنام بأخلاق الحراسة. فنحن نسأل النصارى، من هو الضارب؟ ومن هو المضروب؟ فإن زعموا: أن الضارب هو الله، والمضروب هو الإنسان؛ فقد وافقوا شريعتنا وخالفوا شريعتهم إذ تقول: إن المسيح إله لا إنسان. وإن قالوا: الضارب هو الإنسان والمضروب هو الله، كان هذا قولا لا يقوله أحد من الحَمْقاء فضلا عن العقلاء.

فإن عادوا وقالوا: المضروب هو المسيح. أعدنا عليهم القول المتقدم. وقلنا: المسيح عندكم ليس آدميًا محضًا ولا إنسانا صِرفا، بل هو مركب بالاتحاد من إله وإنسان؛ فقد لزمكم أن يكون الإله مضروبًا أيضا مع الإنسان. فإن راموا تخصيص الناسوت بالضرب؛ لم يتهيأ لهم بعد القول بالاتحاد، وإن راموا تصحيح الضرب وإضافته وسائر النقائص إلى الناسوت؛ فقد أبطلوا الاتحاد وهو المراد.

وإن قالوا: المراد بالمضروب الابن وبالضارب الأب. قلنا لهم: فالأب والابن عندكم قديمان، فما الذى أصار أحدهما ضارباً والآخر مضروباً بأوْلى من العكس؟وإذا كان الابن عندكم عبارة عن الحكمة الأزلية، فما معنى ضرب الله كلمته. وإنما تُضرب الأجسام؟فأما صفات الله القديمة فلا تفارق ذاته الكريمة ولا تقوم بغيره.

وما نرى لروح القدس فى أكثر هذه الفصول ذكْرا، فلا ضارب ولا مضروب ـ تعالى الله عن هذيانكم هذا علواً كبيراً ـ.

[الدليل الرابع عشر]

صلاة المسيح وتعبده، واجتهاده فى الطاعة وتهجده: قال متى: «جاء المسيح مع تلاميذه إلى قرية تدعى جسمانية فقال لهم: امكثوا ههنا حتى أصلّى هناك. ثم أخذ يحزن ويكتئب، وقال: إن نفسى حزينة حتى الموت. ثم قال لبطرس وابنى زيدي: اسهروا معى هذه الليلة. ثم خرَّ على وجهه يصلى ويقول: يا أبه. إن كان يُستطاع فلتعبر عنى هذا الكأس، وليس كإرادتى لكن كإرادتك. ثم جاء إلى

تلاميذه فوجدهم نياما، فقال لهم: ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة، ثم مضى وصلّى وقال: يا أبه. إن تستطع أن تعبر عنى هذا الكأس حتى أشربها فلتكن مسرتك، وجاء أيضا فوجدهم نياما فتركهم ومضى يُصلى وأعاد كلامه الأول»[١].

قلت: انظروا معاشر الضلال ودعاة الضلال، هل تليق هذه الخلال بصفات ذى الجلال؟ لو لم يكن فى إنجيلكم سوى هذا الفصل لكان قائدًا للعُميان، سائقًا إلى غير دين النصرانية من الأديان. إذ كان وما شاكله من أوضح الأدلة على ضعف البشرية وعجز العبودية. فسبحان من بخس النصارى عقولهم، وأظلم سبلهم، وأعمى دليلهم. أين هذا مما روى أن رسول الله ﷺ حين احتضر جعل يقول: «الرفيق الأعلى»[٢] فأنبياء الله بل صلحاء الناس مُحاشون عن هذا التردد حال الانتقال.

وهذه التوراة تشهد باحتضار طائفة من أولياء الله كإبراهيم وإسحق ويعقوب وهارون وموسى وغيرهم، وهم راضون بلقاء ربهم، فرحون بانقلابهم إلى سعيهم. فنحن نوركُ على من نقل هذا التردد القبيح عن السيد المسيح.

وفى هذا الفصل حرف يقطع بانحرافه وتحريفه وهو قوله «إن تستطع أن تَعبُر عنى هذا الكأس» ثكلت لافظه أمه، لقد عجَّز قادرًا وسلك طريقًا عن الجَدَد نادرًا، كيف يعجز القادر على الإطلاق، ويبخل من بيده مفاتيح أقفال الأرزاق؟ فنحن نسأل النصارى، ما سبب هذا الحزن والاكتئاب؟ هل يعدو أن يكون إما جزعًا من الموت أو أسفًا على بقاء الناس على الكفر؟ وأيٌّ ذلك كان؟ فقد تحقق عجزه. فلا يصلح من هذا حاله للربوبية.

ثم نقول لهم: ألم تنقلوا عنه أنه إنما جاء ليُخلِّص الخلق ويفديهم بدمه الكريم من الجحيم؟ وإذا كان الأمر على ما زعمتم، فلا معنى لحزنه ولا لاكتئابه. وفى الفصل أيضًا ما يفسد عليهم ما لفّقوه فى شريعة إيمانهم، وهو قوله: «وليس كإرادتى لكن كإرادتك» فصرَّح بأن إرادته مغايرة لإرادة الله تعالى، وإذا كانت

---

(١) متى: ٢٦: ٣٦ + .

(٢) البخارى ومسلم

إرادته غير إرادة الله؛ بطل قولهم فى الأمانة: «المسيح إله حق من حق إله حق من جوهر أبيه». فإن صححوا الأمانة أكذبوا الإنجيل، وإن صححوا الإنجيل أفسدوا الأمانة؛ إذ لو كان من جوهر الأب: لكانت إرادته من جوهر إرادته، وهم يطلقون على البارى لفظ الجوهر ـ تعالى الله عن كفرهم علوًا كبيرًا.

[الدليل الخامس عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال لوقا[1]: «ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم وهى حامل بالمسيح ليكتتبا مع الناس. فضربها الطَّلَق فولدته ولفته فى الخِرق وتركته فى مِذْود حيث نزلا، فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعًا ولما أكملوا أيام تطهيرهم أقاموه ليقربوا عنه زَوْجَيْ يمام أو فرخى حمام كَسُنَّة الناموس».

قلت: هذه أحوال البشرية فى تنقلها من الاختتان إلى الرضاع إلى الطفولية. ويتعالى رب الأرباب أن تحويه معالف الدواب، بل لا تحويه الأقطار ولا يحدّه المقدار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات.

قال لوقا: «ولما أكملوا سُنَّتهم على مقتضى ناموس الرب؛ رجعوا إلى الجليل إلى بلدهم الناصرة؛ فكان الصبى ينشأ ويصفو بالروح ويمتلئ بالحكمة، وكانت نعمة الله عليه وأبواه يمضيان به فى كل سنة إلى عيد الفِصْح، ولما تمت له اثنتا عشرة سنة؛ مضيا به إلى أورشليم كالعادة، فلما رجعوا تخلَّف عنهم يسوع فى أورشليم ولم يعلموا به، وسارا وهما يحسبانه مع الرفقة. فلما لم يجداه رجعا إلى أورشليم؛ فوجداه فى الهيكل بين العلماء والشيوخ يباحثهم ويسمع منهم فأخذاه وانصرفا وكان يطيعهما».

قلت: هذا الكلام والذى قبله يشير إلى تقيد المسيح بشريعة موسى ـ عليهما السلام ـ وأنه وغيره شرع فى الشرع. ورتبة التابع دون رتبة المتبوع. وفى ذلك دلالة على عبوديته. فأما اعتقاد الربوبية فى صبى يتعلم أحكام التوراة ويسأل اليهود عما أشكل عليه منها؛ فذلك عين الجنون. وهذا لوقا أحد مدونى الإنجيل

(١) الأصحاح الثانى من لوقا .

يشهد بأن المسيح عبد من عباد الله، وأنه صبى من صبيان بنى آدم، وأنه كان يتزيد مواقع النعمة من الله شيئًا فشيئًا ويتعلم العلم ويسأل عما جهل، ويستفيد ممن هو أعلم منه، ويخبركم أن الله معطيه ومنعم عليه، فكيف لم ترضوا له ما وصفه به لوقا من صفته؟ أأنتم أعلم بما يجب له من لوقا ألم تسمعوا إلى قوله: «وأبواه يمضيان به كل سنة إلى أورشليم»؟ ألا يعجبوا من جلوسه بين العلماء للاستفادة والتعليم؟ فالنجاء النجاء من وبال هذا المذهب الذميم، والوحا والوحا فى حلّ عقد هذا التصميم.

[الدليل السادس عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح وضعفه وافتقاره إلى خالقه وتبرئه ممّا يدعيه النصارى فيه: قال لوقا: «قال رجل ليسوع أتبعك إلى حيث تمضى يا سيد؛ فقال له يسوع: للثعالب أجحار ولطيور السماء أوكار، وابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه»[1].

قلت: الزهد شعار الأنبياء ودثار المتقين ونعت الموقنين، يفرغ القلب من الهموم ويقشع عن الفكر غيوم الغموم، ويعرب عن قوة الإيمان والوثوق بضمان الرحمن. اشتغل المسيح بالزهد والنّسك وتفرغ لخدمة ربه؛ فرفض الملك[2]، ورضى فقره، فسكن القفر، وحقق صبره، فتوسد الحجر وافترش العفر. فكيف تعبد النصارى من يحوى مسقط رأسه فقرًا؟ وتأمل من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. وإذا قد رووا عن الصادق المسيح أنه ليس له موضع يسند رأسه، ورووا عنه أنه لا صالح إلا الله وحده، وحكوا عنه أنه قال: إن الله الإله الحق وحده، وأخبروا عنه: أنه صام وصلّى، وانقطع لعبادة ربه وتخلّى؛ فقد أكذبوا الأمانة التى ألفها قدماؤهم إذ تقول: «إن المسيح إله حق، وإنه خالق كل شيء وإن بيديه أتقنت العوالم» وتعين عليهم العمل بمقتضى قول الميسح وفتواه تلاميذه الأبرار وشهادة الأنبياء الذين تقدموه مثل موسى وداود، فقد قال المسيح ورفع وجهه إلى

---

(١) لو ٩ :٥٧ + .

(٢) هو رفض الملك ليبين لهم أنه ليس هو النبى المنتظر .

السماء: «إلهى أنت الإله الحق الذى أرسلت يسوع المسيح» [١] .

وقال موسى فى التوراة: «لا إله إلا إلهنا» [٢] ـ «إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب» [٣] ـ «الرب الأزلى الذى لم يزل» [٤] .

وقال داود فى مزموره: «إن الله أقسم أن المسيح رجل كاهن يشبه فى عبادته وتقواه ملكى صادق» [٥] الكاهن الذى كان يخدم البيت المقدس على عهد إبراهيم.

[الدليل السابع عشر]

وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين: «إن المسيح رجل أظهره الله بالأيدى والقوة والمعجزات» [٦] ، وقال المسيح: «إنه لا يقدر على عمل شيء لا يتفكر فيه حتى يكون هو الذى يعمله» [٧] ، وسئل عن القيامة فقال: «لا يعرفها إلا الله وحده» .

فهذه أقوال دالة وروايات متضافرة على أن المسيح عبد مربوب وأن له ربا يضرع إليه، ويعول فى مصادره وموارده عليه. لا إله غيره ولا رب سواه. فهلموا معشر النصارى إلى عبادة ذى الجلال، وقدّسوا القديم عن تشبيهه بالرجال، واستحيوا من ذوى الحجى أن تعبدوا إنسانا قد حملت به أمه، كما تحمل النساء بالأجنة وترددت عليه أطوار الخلق وتنقلت به الحال إلى أن ناهز الثلاثين من السنين، ينسب إلى أبوّة يوسف مرة وداود أخرى، يتغذى بالطعام، ويتردد بين

---

(١) يو ١٧: ٣ .

(٢) خروج ٣: ١٣ .

(٣) خروج ٣: ٦ .

(٤) خروج ٣: ١٤ .

(٥) مزمور ١١٠ والمزمور خاص بمحمد ﷺ وقد طبق عيسى عليه طبقا لرواية متى ومرقس ولوقا [راجع متى ٢٢: ٤١ ـ ٤٦].

(٦) أع٢ : ٢٢ + .

(٧) يوحنا ٥: ١٩ .

الأنام، ثم تعتوره عوارض الحيوان فيعافى ويكرب، ويحزن ويطرب، ويعيا فيركب، ويستريح ويتعب، ويجوع ويعطش فيأكل ويشرب، ويستتر من عدوه ويطلب، ويقرن باللصوص ـ كما زعمتم ـ ويسحب، ويحمل صليبه فيقتل ـ بقولكم ـ ويُصلب، ويدفن فى المقابر فيبكى عليه ويندب، وقولوا جميعا كما قال المسيح فى الإنجيل«للرب إلهك تسجد وله وحده تعبد» قصم بذلك ظهر الخبيث، وفصم عرى أهل التثليث. وأثبت لربه الوحدة، وسجد لله وحده. ولم يعبد إلهين اثنين، ولا ثلاثة، ولا أرى ادِّراع، ولا أقسم بالذراع. ولا اعتقد اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولا أقسم بصليب الصلبوت. ولا عظَّم الصور والصلبان، ولا نطق بقولكم (كُرْياليصان) بل عبد الله ودعا إليه وعوّل فيما يأتيه ويذره عليه، قال الله تعالى فى الإنجيل: «هذا فتاي» سماه عبدا وسميتموه ربا، وقال: «هذا رسولي» سماه نبيا وجعلتموه أنتم إلهاً، وقال المسيح: «لا أعمل بمشيئتي» [1] وقلتم: إنه خالق كل شيء حتى كأنكم قد تتابعتم على خلافه بدليل، أو تبايعتم على رفضه برهن ثقيل. فاستدركوا الغلط، واهجروا الهُجر واللغط. وتعلقوا بذمام قول الإسلام ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ ولا تغلوا فى دينكم بغير دليل، واعتقدوا عبودية المسيح كما نطق به الإنجيل.

[الدليل الثامن عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح ومساواته للبشر: قال مَرقس فى إنجيله: «قال يسوع: إن نفسى حزينة حتى الموت، ثم خرّ على وجهه يصلى لله وقال: أيها الآب كل شيء بقدرتك، أخّر عنى هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا» [2]. فما هو سائل والله مسئول. وأى عبودية تزيد على هذا؟

---

(١) يقول المسيح: «لأنى قد نزلت من السماء. ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذى أرسلني» [يو٦: ٢٨].

(٢) مرقس ١٤ ٣٤ +

[الدليل التاسع عشر]

دليل آخر على عبوديته: قال يوحنا: «وقف يسوع على بئر من آبار السامرة فقالت له امرأة من نسل يعقوب: إن آباءنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم. فقال يسوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم» (١) .

قلت: هذا يوحنا التلميذ ـ حبيب المسيح ـ يشهد على المسيح؛ أنه معترف برب لا تجزئه العبادة لغيره، ولا تنبغى الربوبية لسواه ـ سبحانه ـ ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى لأرشدها وقال: اضربى عن معتقد أسلافك الغواة واسجدى لى ولأبى وروح القدس فإنى ثلث الإله، كلا. ولكنه أخبرها أنه عبد مذلل تحت رق العبودية وأنه يسجد لله مستحق الربوبية.

واعلم: أن المسيح قد كان يصلّى إلى «أورشليم» وهى بيت المقدس قبلة الأنبياء قبله، ولم يزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع. فكان مما أحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة الشّرق، وتركوا القبلة التى كان المسيح يتوجه إليها. فإذا عيب عليهم ذلك؛ اعتذروا بأن صاحبهم صُلب إلى تلك الجهة قالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صُلب.

فيقال لهم: أرأيتم لو صلب إلى جهة المغرب أو صلب منكساً إلى أسفل ماذا كنتم تصنعون؟وإذ تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسن عندكم خلافه فهلا توجهتم إلى «الناصرة» التى هى بلد ربكم، أو إلى «مصر» التى هرب إليها ـ بزعمكم ـ

---

(١) يوحنا ٤ : ١٩ +والقصة مع السامرية فى موضوع القبلة. وقد صرح المسيح بنزع القبلة من جهة السامرة ومن جهة العبرانيين. والمؤلف غير فاهم لمعنى القبلة. والصحيح: أن الله تعالى أمر بنى إسرائيل فى التوراة ١ ـ بالصلاة ٢ ـ إلى أى جهة من الجهات. سواء أكانت شمالا أم جنوبا أم شرقا أم غربا. وذلك لقوله: «مذبحا من تراب تصنع لي، وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك. غنمك وبقرك. فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا؛ آتى إليك أباركك» {خر ٢٠ : ٢٤} وكان اليهود والأمم والأنبياء من قبل سبى بابل سنة ٦٨٦ ق .م يستحسنون الاتجاه إلى جهة الكعبة فى مكة المكرمة؛ ١ ـ لأنها جهة ٢ ـ ولأنهم يحجون إليها كل سنة. وقد رأى اليهود من بعد رجوعهم من سبى بابل تحديد القبلة بجهة فلسطين واختلفوا فقال بعضهم جهة «أورشليم» وقال بعضهم: جهة «نابلس» وجعلوا الحج إلى جبل السامرة أو جبل صهيون. والمسيح عيسى عليه السلام تنبأ بنزع القبلة من جهة فلسطين من المكانين، فى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. ولما نزل القرآن ألزم الناس بجهة الكعبة فى الصلاة والحج. وجهة الشرق ـ على حسب التوراة ـ جهة. وبعد نزول القرآن لم تعد جهة صلاة وحج.

خوف القتل، وتعلقتم بـشبهتين من الإنجيل إحداهما قـوله: «إنه كتب: أن سيدعى المسيح ناصريا» (١) والأخرى قوله «من مصر دعوت ابني» (٢).

فكيف تركتم هاتين الجـهتين ولكم فيهـما مستـمسك، وتوجهتم إلـى جهة ارتضاها اليـهود الملاعين للتنكيل بإلهكم كمـا زعمتم؟ولو كنتم ذوى نظر وعـبر، لكانت هذه الجهة حرية عندكم بالمقت. فإنها الجهة التى هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربكم. وأخبرونا عن توجه هذا المصلوب إلى هذه الجهة. أكان فى ذلك طائعا أو كارها؟فإن كـان كارها لم يكن لكم أن تصلّوا إلى جهة لم يختـرها صاحبكم ولم يرضهـا، وإنما حُمِل عليهـا مجبراً، وإن كـان قد توجه إليـها طائعا راضـيا، فَلِم تلعنون اليـهود الذين صلبوه وتكفـرونهم. والذى فعلوه به إعـانة له ومسـاهمة فى حصول محبـوبه وقرة عينه، ولا سيما أنهم نهجوا لكم قبلة تـصلّون إليها؟فتحننوا الآن على اليـهـود وتبـركـوا إذاً، إذ كانوا قـد فـعلوا مـا هو قـرة عـينكم وعين صاحبكم. وكـذلك يهوذا الإسخريوطى الذى ارتشى عليه وألقـاه فى أيدى اليهود حتى قتلوه وصلبوه بزعـمكم فصلُّوا عليه وترحموا وتبركوا باسـمه وصَوِّبُوا فعله؛ فإنه صار وسيلة إلى خلاصكم.

وإذ قلتم: إن أسلافكم فى دركات النيران ولا خلاص لهم من ذلك إلا بقتل ربكم، وإنما قتل وصلب بدلالتـه وبركة سِفارته وليس فى النصـارى - يرحمك الله - من يُقِلُّ اللعن عن اليهود أو يقدر يسمع باسم الإسخريوطي.

وهذه المؤاخـذات واردة على الأصل الفاسـد الذى أَصَّلُوه فـإن أَبَوْا إلا لعن اليهود ومقت يهوذا؛ فليتطيَّروا بجهة المشرق لكونها عَمَّتْهم بالشر وسقتهم بالكأس المر، وإلا فكيف يذم اليهود وتمدح الجهة وكلاهما مشئوم؟وما أحسن لعن إله تقتله اليهود، ورب تغلبه إخوان القرود.

---

(١) مؤلف الإنجيل أخطأ فى قـوله إنه كتب أن سيدعى ناصريا. وذلك لأنه ليس فى التـوراة نبوءة بهذا المعنى [متى ٢ : ٢٣]

(٢) مؤلف الإنجيـل كتب أن رجوع المسـيح من مصـر لفلسطين هو تحقيق لنـبوءة فى التوراة هى « من مـصر دعوت ابني» [متى ٢ : ١٥] والنص فى التوراة «أبناءه» يريد أنا أخرجت بنى إسـرائيل جميعا من أرض مصر مع موسى عليه السلام فمؤلف الإنجيل أخطأ فى تطبيق النبوءة على المسيح. وهى فى سفر هوشع ١١ : ١

[الدليل العشرون]

دليل آخر على عبوديته وحدثه وأنه آدمى محض وإنسان صرف: اعلم أولاً: أن تعاقب الأحوال من التغير والزوال والتفريغ والإشغال، والسكون والحركات والاختصاص بالمقادير والهيآت، هى الأدلة على حَدث أجسام العالم. ولا خلاف بين النصارى أن المسيح عليه السلام ولدته أمه فى «بيت لحم» فى أرض يهوذا ولفته ووضعته فى الخرق فى معلف وأرضعته ثديها وأفرشته حجرها وتولت تأديبه ونشأ نشوء الآدميين، لم يتميز عنهم فى حال من الأحوال من صغره إلى حين ابتداء الدعوة، قد عُرف طوله وقدره ولونه وكميته واغتذى بالطعام، وانتقل من مكان إلى مكان. ونحن نعلم: أنه كان إذا نزل «أورشليم» فقد فارق «الناصرة» وإذا أقام بالناصرة فقد خلت منه أورشليم، وأنه ولد فى دولة هِيرودس ملك اليهودية، وأن مريم فَرّت به إلى مصر خوفا من هيرودس، ثم أعادته إلى الشام حين هلك أعداؤه، وأنه عاش نيفا وثلاثين سنة يتعلم العلم ويقرأ التوراة ونبوات الأنبياء ويركب الحمير ويزجى الأوقات من الأقوات باليسير الحقير، ويلجأ إلى الله فى حوائجه ومآربه. يدعوه إذا أعوزته وجوه مطالبه، ويفرح ويغتم ويلبس ويعتم، ويفر من السلطان ويناظر الشيطان. وإذا كان حال المسيح على ما وصفنا؛ فقد ثبت أنه مخلوق ومحدث عبد، وأن الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب هو خالقه ومحدثه. فإن تحامق النصارى فزعموا أنه هو الله أو صفة من صفاته، أو أن الله ساكن فيه وحالّ فى إهابه؛ فقد حكموا أن القديم الأزلى ولدته امرأة، وخرج من فرجها، ولفته فى الخرق، وألقته فى مذود ثور، وسقته ثديها وقومته بتأديبها، وهربت به من خوف من يقصده من الأعداء وعلمته وهذبته وأنه كان يتردد إلى اليهود، يتعلم منهم وأن الله الأزلى كان له إلهاً يدعوه ويرجوه. وهذا كله لازم للنصارى على الأصل الذى أصّلوه، وإذا كان ذلك محالا؛ فقد ثبت بما قدمناه: أن المسيح عبد من عباد الله بقوله وفتواه.

الباب الثاني

فى

إثبات نبوته وتحقيق رسالته

اعلم: أن فى إثبات نبوة المسيح ـ عليه السلام ـ إرغاماً لليهود ـ خذلهم الله ـ فإنهم يرمونه بالكذب والسحر والنيرنجات واستسخاره الشياطين فى أغراضه ومآربه، فقالوا: إنه إنما يُخرج الشياطين من الإنسان ببَعلَزَبُول رئيس الشياطين. وقالوا: إنه لم يحى ميتاً قط ولا أبرأ ذا علّة وعاهة، ولكنه واطأ صديقا له يقال له لَعَازر [١] فتماوت ثم إنه دخل عليه فى جماعة معه فوجد أمه تبكي. فقال لها: لا تبكي، ثم وضع يده عليه، فقام وادّعى فى البلدة: أن المسيح أحياه، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها بولدها[٢] . وقالوا: وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زَمِن فلما طال مقامه وعُرِف بالزمانة والاستعطاء؛ مَرَّ به فى أناس معه كأنه لا يريده فناداه: ارحمنى يا بن داود. فأجابه: ما الذى تريد؟ فقال: أريد أن أنهض. فأخذ بيده وأقامه. فقام وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس، فكانت أمه تشيع أن يسوع أقامه [٣] .

واستبشع آخرون منهم هذا واستبعدوه فقالوا: لا. ولكن لَطُفَت معرفته بالطب حتى أبرأ الأبرص والأكمه وأقام الزمنى والمخلّعين. وهم بأسرهم ينسبونه إلى بنوة الزنى كما شهد به الإنجيل إذ يقولون له فى محاوراتهم: «أما نحن فلسنا من أولاد الزنا» [٤] فإذا أثبتنا معجزاته وآياته بالطرق التى ثبتت بها معجزات موسى وغيره من الأنبياء لم يبق إلى القدح فى نبوته سبيل، وكان ما يعترضون به على المسيح

---

(١) اسمه «العازر» بدون ألف قبل اللام. وهو بفتح اللام. والمسيح أحيا ثلاثة أموات.

(٢) يكذب اليهود: أنه أحياه عند القبر أمام الناس وكان له فى القبر أربعة أيام والدود فى جسمه لأنه أنتن [راجع يوحنا ١١] .

(٣) يكذب اليهود: أن الرجل كان أكمه. أى أنه خرج من بطن أمه أعمى لا يبصر [راجع يوحنا ٩] .

(٤) «فقالوا له: إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد. وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى؛ لأننى خرجت من قبل الله وأتيت؛ لأنى لم آت نفسي، بل ذاك أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي، وأنتم من أب هو إبليس» [يو ٨ : ٤١ +] .

منعكسا عليهم فى معجزات أنبيائهم، وكل سؤال انعكس على سائله؛ فهو باطل من أصله.

وأما النصارى فإنهم مجمعون على ألوهية المسيح، واعتقاد ربوبيته، وأنه الإله الذى خلق العالم، وجبل بيديه طينة آدم. فإذا أثبتنا نبوّته، وأوضحنا رسالته، عُرِف أن الإله غيره والرب سواه. ونحن نثبت ذلك من كتب النصارى التى بأيديهم، ونوضحه من قول المسيح، وأقوال تلاميذه الذين صحبوه:

الدليل الأول:

قال يوحنا التلميذ: «قال المسيح لتلاميذه: من قَبِلكم وآواكم فقد قبلني وآواني، ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني. ما من عبد أفضل من سيده» [١]. فهذا يوحنا حبيب المسيح يشهد بأن المسيح لم يَدَّعِ سوى الرسالة، وأن من يقبل منه فإنما يقبل عن الله الذى أرسله، ويذكر أن الله غيره وأن الرب سواه، وأنه رسول من عند الله. وها هو ذا معترف بالعبودية فى قوله: «ما من عبد أفضل من سيده» وذلك موافق للكتاب العزيز إذ يحكى عنه ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

فإن زعم النصارى أنه سيد الحواريين وأنهم عبيده وأنه عناهم بقوله: «ما من عبد أفضل من سيده» أكذبهم الإنجيل. إذ يقول فيه: إن الحواريين إخوته «فقال له قائل: قابل إخوتك بالباب يطلبونك. فأشار إلى تلاميذه وقال: هؤلاء إخوتي» [٢] - «وقال له أحدهم: يا سيد. فقال: لست أدعوكم عبيدا، بل أنتم إخوتي» [٣]. وقال بعد قيامه: «قولا لإخوتى يسبقونى إلى الجليل» [٤]. فإن قالوا: نسلم أن الله أرسله. ولا غرو أن يرسل الله كلمته رحمة لخلقه ولطفا بهم، وذلك أنه لما أرسل

---

(١) «الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله. . . الحق الحق أقول لكم: الذى يقبل من أرسله؛ يقبلني. والذى يقبلني؛ يقبل الذى أرسلني» [يو ١٣ : ١٦ +]

(٢) [متى ١٢ : ٤٦ +] .

(٣) النص مكرر فى يوحنا ١٣ : ١٣ «أنتم تدعوننى معلما وسيدا. وحسنا تقولون؛ لأنى أنا كذلك فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم. . . إلخ» - وفى يوحنا ١٥ : ١٥ «لا أعود أسميكم عبيدا» - وفى يوحنا ٢٠ : ١٧ «اذهبى إلى إخوتي» .

(٤) متى ٢٨ : ١٠ .

الله أنبياءه، فكذبوهم وقتلوهم؛ بعث الله إليهم ابنه الذى هو كلمته؛ فتجسدت من مريم البتول؛ ليتهيأ للناس السماع منها والأخذ عنها. فنقول: هذا تعريج على ثَدنات الحمق، وترويج بِبُنيَّات الطرق. وذلك لأن الكلمة عندكم قديمة وهى علم الله - على رأى بعضكم - ونطقه - على رأى آخرين - وإذا كانت الكلمة قديمة؛ فكيف يصح إرسالها؟أفتقولون إن الأب بعد إرسالها بقى أخرساً جاهلا بغير علم ولا نطق؟ثم الكلمة هى صفة العلم فكيف تفارق الصفة ذات الباري، والصفة لا تفارق موصوفها؟أم تقولون إن الصفة تقوم بمحلين؟وأخبرونا كيف قَدِر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة وثبتوا عند مواجهتها؟والتوراة تشهد أن موسى بن عمران - عليه السلام - لم يثبت عند جلال التجلى بل خَرَّ صعقاً وصار يضطرم نارا. وكذلك السبعون شيخا ماتوا لوقتهم عند سماع كلام الله [١] .

أتقولون: إن موسى وصُلَحاء أصحابه لم يبلغوا من التمكين مبلغ الحواريين الذين زعمتم أنهم شاهدوا الكلمة وخدموها؟على أن اليهود الملاعين أيضا قد شاهدوا المسيح وقاوموه. أفتقولون: إن موسى ومن معه من الأشياخ لم يبلغوا من التمكين والقوة مبلغ اليهود؟هذا. وأنتم تروون فى التوراة«أن قوم لوط لما دنوا من الباب يريدون ضيفه؛ برقت من بعض الملائكة بارقه أعشت أبصارهم؛ فلم يقدروا على رؤية الملائكة» [٢] . فمن يستطع رؤية مخلوق مثله، كيف استطاع رؤية الرب العظيم والإله القديم؟

وأخبرونا: كيف تقوم الكلمة تتردد بين اليهود فى الأرض نيفا وثلاثين سنة، لا يسطع منها نور يُغشى الأبصار، ويذهل العقول ويزعزع القلوب؟وكيف لم تنتابها الملائكة ويترددون إلى خدمتها؟وهذه التوراة تنطق: أن ابنى هارون حين دنوا من قبة الزمان وبخَّرا بنار غريبة لم يؤذن فيها، نزلت من السماء نار فأحرقتهما بين يدى موسى وهارون وسائر بنى إسرائيل [٣] . وقد كلم الله موسى من صوب

---

(١) راجع: التثنية ١٨: ١٥ - ٢٢ وفيه أنهم طلبوا محمدا عليه السلام من أجل هذه المناظرة المرعبة .

(٢) القصة فى التكوين ١٩ وفيها: «وأما الرجال الذين على باب البيت؛ فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير؛ فعجزوا عن أن يجدوا الباب».

(٣) لاويين ١٠: ١ + .

العوسجة فأضاء له الوادى [١]. أخآب [٢]وأرسل الملك الكافر خمسين رجلا ليأخذوا إلياء النبي؛ فنزلت نار من السماء فأحرقتهم، ثم بعث آخرين فنزلت النار فأحرقتهم ثلاث مرات.

وألقى بختنصر ثلاثة من أقارب دانيال النبى فى نار عظيمة فلم تَعْدُ عليهم[٣]. وطرح بختنصر دانيال إلى السباع فلم تهجه. وهؤلاء عبيد لله - تعالى - فكيف نكص عنهم الشيطان، وتمكن من ربهم - على زعم النصارى - حتى أغرى به شرذمة من أخسِّ جنده، وهم اليهود فقتلوه وصلبوه؟ إذ كان المسيح عندهم هو الله أو متحدا به وساكنا فيه.

وأخبرونا كيف تتجسد الكلمة فتصير لحما ودما وعروقا وشعرا وظفرا؟ أذلك شيء شاهدتموه عيانا فساغ لكم أن تخبروا به الناس وتدعوهم إلى اعتقاده والقول به؟فادَّعوا ما بدا لكم. فمن الذى يمسخ الله عقله ويسلخ لبه فيجيبكم إلى دينِ اعتقادُ أهله أن الله ولد علمهُ، وأن علمه صار إنسانا، وصار ذلك الإنسان إلها خالقا، وأن ذلك الإله قتله خلقه وصلبوه ونكلوا به؟فمتى تُساعدون على هذه الخرافات التى يأنف منها النوكى والمغفلون والعجائز المثكلون؟ وأخبرونا أليس المسيح عندكم هو الكلمة، والكلمة هى المسيح؟فإذا قالوا: نعم. قلنا: فنحن وأنتم نعلم أن المسيح كان يكون منه ما يكون من الآدميين، أفتصفون الكلمة بأنها كانت بائلة غائطة؟

فإن قالوا: البائل الغائط هو الناسوت. أبطلوا الاتحاد وأزروا على يوحنا الإنجيلى الذى زعم أن الكلمة صارت جسدا وحلّت فى الناسوت. وكذَّبوا فُولُس الذى يسمونه رسولا فى قوله: «إن المسيح ابتاعنا من لعنة الخطيئة بصلبه وقتله. فصار لعنة بدلنا» [٤].

---

(١) خروج ٣: ٢ + .

(٢) أخآب كان معاصرا لإلياس عليه السلام وهو وزوجته إيزابل اضطهدا إلياس والقصة فى الملوك الأول ١٨ .

(٣) الأقارب الثلاثة هم: شدرخ ويشو وعبد نغو. والقصة فى الأصحاح الثالث من سفر دانيال كما قال المؤلف، وإلقاء دانيال فى جب الأسود موجود فى الأصحاح السادس والذى أمر بإلقائه هو دار يونس، وليس بختنصر كما قال المؤلف.

(٤) غل ٣: ١٣ .

وسفَّهوا أفرايم فى قوله: إن اليدين التى جَبَلت آدم هى التى سمّرت بالمسامير وإن الشِّبر التى مسحت السماوات هى التى علّقت بالصليب.

فإذا قالوا: إن الآكل الشارب البائل الغائط هو الناسوت. فقد كفروا بأفرايم وفولس الرسول وغيره من مشائخهم. وقد نقل عن أكابرهم أنهم قالوا: من لم يقل إن مريم ولدت الله؛ فهو محروم من ولاية الله. وهم يقرءون فى صلواتهم: «يا والدة الله افتحى لنا أبواب الرحمة، يا من سمرت يده على الصليب لا تضيع من خلقت بيدك» وإذا كان هذا اعتقادهم؛ فقد اعترفوا بأن الآكل الشارب المقتول المصلوب هو الله ـ تعالى عن كفرهم علوا كبيرا ـ.

فإن قالوا: هذا لازم لكم أيضا، فإنكم موافقون على أن المسيح كلمة الله وقد نطق به قرآنكم.

قلنا: لسنا سواء. فإنا نقول: إن الله تعالى شرفه بتسمية سماه بها، كما سمى إبراهيم خليلا، وسمى موسى كليما، وسمى إسرائيل ابنا بكرا ـ بزعمكم ـ وسمى موسى رجل الله، وسمى عصاه قضيب الرب، وسمى قبة الزمان خباء الله. كل ذلك قد نطقت به كتبكم، التسميات لا اختلاط لها بالذوات. ألا ترون الشخص الواحد والعين الواحدة تسمى باسمٍ عند قوم، وتسمى باسم آخر عند آخرين، وإذا كان المسيح عندنا قد سماه الله (كلمة) لم يلزمنا ما لزمكم، فأما أنتم أيها الضلال فتقولون: إن كلمة الله انقلبت لحما ودما، فأكلت الخبز وشربت الماء. وذلك هو الحيْرة والعماء. فإن رجعتم إلى الطريقة المثلى وأضربتم عن هذه المقالة الشوهاء، وقلتم: إن النقائض يستحيل دخولها على الله وعلى صفته، فقد تركتم القول بألوهية المسيح وأبطلتم الاتحاد. وذلك هو المراد. ووافقتم المسلمين والأنبياء المتقدمين. قال الله تعالى عن المسيح ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ وقال تعالى فى المزامير: «إن المسيح يشبه مَلْكى صادق» [1] ملك عادل الذى كان ببيت المقدس. وقال الحواريون: إن يسوع يشبه موسى [2]، وقال بعضهم: إن المسيح أفضل من

(١) المسيح يشبه ملكى صادق فى المزمور المائة وعشرة وهو مزمور قد طبقه عيسى نفسه على محمد فى متى ٢٢: ٤١ ـ ٤٦

(٢) وفى الأصحاح الثانى من الرسالة إلى العبرانيين: «من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل=

موسى[١]. وقال فى الإنجيل: «أنا أفضل من يونس»[٢].

وقال المسيح: «أتيتم من آفاق الأرض لتسمعوا من حكمة سليمان، وههنا أفضل من سليمان» [٣] يريد نفسه. وقال فى الإنجيل: «إلهى إلهى لم تركتني؟»[٤]. وقال فى خاتمة إنجيل يوحنا: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم» [٥]. فاعترف بأن له إلها وربا.

فقد ثبتت عبوديته ونبوته ورسالته.

الدليل الثاني:

دليل آخر على نبوته عليه السلام: قال يوحنا التلميذ: «قال يسوع: أنا هو الراعى الصالح. وأنا عارف برعيتى وهى تعرفني» [٦].

وجه الدلالة من ذلك: ما اشتلمت عليه التوراة والكتب من رعاية إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى عليهم السلام تقدمت لهم مقدمات فى رعاية النعم ثم أهِّلوا بعدُ لسياسة الأمم، فالنبى راع من الرعاة، وداع من الدعاة، يذودهم بالإنذار عن مراتع الهلاك ويريهم بأنوار الإيمان أشراك الإشراك، ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى من ربوبيته لم يقل فى مجلس محشود ومحفل مشهود أنا الراعى الصالح، بل كان يرفع الالتباس ويقطع عن الناس الوسواس ويقول: اعلموا أنى أنا الله خالق السماء والأرض وجامعكم ليوم العرض، أو أنا ابن الله أو ثالث ثلاثة أو أنا الكلمة القديمة اتحدت بجسم إنسان.

حوشى ـ عليه السلام ـ عن هذا الهذيان، بل الذى نصّ عليه ودعا تلاميذه

=شيء»{عب٢: ١٧} وقال محرفو النصارنية: إن من أوصاف النبى الأمى الآتى على مثال موسى ان تكون مثل موسى {تث١٨: ١٥ ـ ٢٢} وقالوا: إن عيسى هو المماثل لموسى وكتبوا ذلك فى سفر الأعمال فى خطبة بطرس واستفانوس {أع ٣: ٢٢ وأع ٧: ٣٧}.

(١) عبرانيين ٣: ٣.

(٢) متى ١٢: ٤١.

(٣) متى ١٢: ٤٢.

(٤) متى ٢٧: ٤٦ وقد اقتبس المحرف المزمور ٢٢ وهو لمحمد ﷺ ليطبقه على المسيح.

(٥) يوحنا ٢٠: ١٧.

(٦) يوحنا ١٠: ١٤.

إليه قوله فى الإنجيل: «لا صالح إلا الله الواحد» [١] وقوله: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد» [٢] وقوله: «إنى لا أعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلني» [٣] وسئل عن القيامة[٤] فقال: «لا يعرفها إلا الله وحده فأما أنا فلا أعرفها» [٥].

فقوله: «أنا الراعي» تكذيب للنصارى فى دعوى ربوبيته؛ لأن الراعى ليس إليه ملك الغنم بل ملكها لغيره وليس له سوى الرعاية. وقوله: «وأنا عارف برعيتى وهى تعرفني» فيه دليل على أن الخلائق ليسوا بمعمومين [٦] بدعوته، بل لم يبعث إلا إلى طائفة من بنى آدم لا غير. وقد كشف هذا وأوضحه فى موضع آخر وهو أن أصحابه سألوه أن يقضى حاجة امرأة من الكنعانيين فقال: «لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيُلقى للكلاب إنى لم أُرسل إلا إلى الذين ضلوا من آل إسرائيل» .

فهذه نصوص الإنجيل الناجية من التبديل. وكلها دالة على نبوته، ومفصحة برسالته ـ صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ـ .

الدليل الثالث:

معجزة دالة على نبوته: قال متى: «جاء رجل أبرص إلى يسوع وسجد له وقال: يا رب طهرني. فقال: طهرتك. فزال برصه لوقته، فقال له يسوع: اذهب وقرب قربانا كما أوصى موسى» [٧].

(١) لوقا ١٨: ١٨ .

(٢) يقول برنابا عن المسيح: «أن ليس لله حاجة؛ لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص» [برنابا ٩٢ +]

(٣) يو ٦: ٣٨ .

(٤) الصحيح: وسئل عن ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فى وقت دخول المسلمين للقدس. كما بينا من قبل .

(٥) مرقس ١٣ ولوقا ٢١ ومتى ٢٤ «وأما ذلك اليوم وتلك الساعةفلا يعلم بهما أحد. . .» .

(٦) المؤلف هنا نقض نفسه، فإنه فى الدليل الأول على أن عيسى عبد الله ورسوله قال: إن الله ابتعث المسيح بدعوة الأمم أسوة غيره من الأنبياء. وهو ههنا يقول: إن الخلائق ليسوا بمعمومين بدعوته. وهذا تناقض والصحيح: أنه أمر الحواريين بالانطلاق إلى الأمم للتبشير بمحمد ﷺ بعدما يفرغون من الدعوة فى بلاد اليهود [متى ١٠: ٦] ولم يامرهم بتأسيس ديانة مستقلة عن ديانة التوراة. وأما كلامه عن المرأة الكنعانية. فإنه وصف الكنعانيين بالكلاب لأنهم لم يكونوا من أهل الختان، أى كانوا عباد أوثان. والأولى برحمة الله هم عباده. ولذلك لما أسلمت معه، قال لها: يا امرأة عظيم إيمانك. وصارت بالإيمان متساوية مع المسلمين المؤمنين به من بنى إسرائيل. ولذلك شفى ابنتها بإذن الله [راجع متى ١٥ : ٢١ +] .

(٧) متى ٨ ٢ + وهذه المعجزة تدل على أنه مصدق للتوراة التى كانت فى زمانه، مع ما فيها من=

إنْ طعن اليهود فى هذه الآية وجحدوها ولم يؤمنوا بها. قلنا لهم: ما الدليل على أن هارون وبنيه كانوا يُزيلون البرص عن الأبرص (١) . وذلك شيء لم تشاهدوه؟ فإن قالوا: نقل إلينا بطريق التواتر التى تُوجب العلم ويقتضى القطع ولا يبقى معها شك. قلنا لهم: فكذلك تواتر واشتهر وانتشر: أن المسيح كان يفعل ذلك، فإن حالوا طعنا فى آية المسيح؛ انعكس عليهم فى آية هارون وسائر الرسل. وإذا كانت هذه الآية لا سبيل إلى ردها وجحدها؛ فقد لزم اليهود القول بنبوته وترك ما هم عليه من التهود. وإن حالوا إسناد ذلك إلى معرفته بالطب، ووقوفه على خواص تزيل البرص بسرعة. قيل لهم: فلعلّ موسى أيضا حين طهّر أخته مريم(٢) من برصها كان قد لطف فى علم الطب ووقف على خواص فعل بها ما فعل دون أن يكون ذلك معجزة له. وحيث بطل ذاك؛ بطل هذا. وكان ما صدر منهما معجز من عند الله ـ تعالى ـ .

وإن قال النصارى: بذلك نستدل. على ربوبيته إذ سجد له الأبرص وقال له: « يا رب» (٣) فلم ينكر عليه، ولو كان ذلك غير جائز لأرشده وقوَّم أوده، فإقراره على ذلك وإزالة برصه؛ دليل على ربوبيته. قلنا: ليس فى ذلك دلالة على ما انتحلتموه. أما السجود فهو كان سلام القوم وتحيتهم فيما بينهم. يُعرف ذلك من طالع كتبهم، وقرأ تواليف المتقدمين منهم. والدليل على ذلك: ما اشتملت عليه توراتهم من سجود إبراهيم ولوط (٤) للملائكة الذين مروا بهم لهلاك سدوم. وسجود إبراهيم لقوم ساومهم فى قطعة من الأرض لدفن زوجته سارة؛

=التحريف. لأنها محرفة فى بابل ٥٨٦ ق .م .

(١) إن هارون وبنيه لم يكونوا يزيلون البرص عن الأبرص. وإنما من شفاه الله من برصه؛ كانوا يعملون له مراسيم التطهير {راجع اللاويين ١٣: ٩ + } .

(٢) طهارة مريم مذكورة فى سفر العدد ١٢ وبرصها كان بسبب تذمرها على موسى أنه تزوج امرأة حبشية.

(٣) يا رب بمعنى يا سيد.

(٤) سجود إبراهيم {تك ١: ٢} وسجود لوط {تك ١٩: ١} وسجود إبراهيم لبنى حث {تك ٢٣: ٧} وقد سجد إخوة يوسف له. لما أتوه ببنيامين {تك ٤٣: ٢٨} وقد قال تعالى فى القرآن الكريم عن إخوته ﴿وخروا له سجدا﴾ وهذا القول فى التوراة. عندما أتى إخوة يوسف بعد موت يعقوب «ووقعوا أمامه، وقالوا: ها نحن عبيدك» {تك ٥٠: ١٨} وسجود أفرايم ومَنسَّى ليعقوب؛ لم يحدث. وإنما الذى حدث هو سجود يوسف لما أخرج ولديه من بين ركبتى يعقوب «وسجد أمام وجهه إلى الأرض» {تك٢٨: ١٢} .

فسجد لهم مرتين حين فاتحهم فيها. والتوراة تشهد أيضا: أن إسرائيل حين دخل على يوسف بمصر سجد له هو وأولاده. وكذلك التوراة تشهد: أن أفرام ومَنَشّا سجدا ليعقوب جدهما بحضرة أبيهما يوسف. فدعا لهما وبارك عليهما. ولم ينكر فعلهما. وأما قوله «يا رب» فسيأتي الكلام عليه ـ إن شاء الله ـ في باب تأويل ظواهر الإنجيل، ونبين أنه لفظ يُخاطب بها الأكابر والعظماء من الناس. وذلك مشهور في كل ملة.

فأما تطهير الأبرص: فليس دلالة على ربوبية عيسى ـ عليه السلام ـ وألوهيته، بل ينتهض ذلك دليلاً على تقربه من ربه ومزيته، ولو جاز أن يتخذ المسيح بذلك ربا، لجاز ذلك في حق اليسع ـ عليه السلام ـ إذ قد روى النصارى واليهود في كتاب سفر الملوك من كتبهم: أن نعمان الآرمي [1] برص فرحل إلى اليسع من بلده واستأذن عليه فلم يأذن له، بل قال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس في الأردن سبع مرات. ففعل الرجل فبرأ من برصته لوقته ورجع إلى بلده معافى. فاتّبعه غلام لليسع يقال له جِحزي وأوهمه: أن اليسع أرسله يطلب منه مالا. ففرح نُعمان بذلك وأعطاه مالا وجوهرا ثمينا. فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع، فقال له اليسع: تبعتَ نعمان وأوهمته عني كذا وكذا وأخذت منه كذا وخبأته في موضع كذا. إذ فعلت ذلك؛ فليصر برصه عليك وعلى نسلك. فبرص الغلام مكانه.

فهذا نبي الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح؛ لأنه أبرأ نعمان، وبرَّص الغلام، ونطق بالغيب. وقد أشار الإنجيل [2] إلى طرف من القصة. فأما التوراة فهي تنطق أن مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون تَغَرَّبت على موسى في أمر من الأمور. فلما صعدوا إلى قبة الزمان وكلمهم الله ـ

---

(١) في بعض تراجم التوراة نعمان الآرامي، وفي بعض تراجم الإنجيل نعمان السرياني. والمؤلف كتب الرومي بطريق الخطأ. وكتب حجزا والصحيح: جحزي. والقصة في الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني. وفي إنجيل لوقا يقول المسيح: «وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان اليشَع النبي، ولم يُطهَّر واحد منهم إلا نعمان السرياني» [لو ٤: ٢٧].

(٢) يقصد إنجيل لوقا ٤ ٢٧

سبحانه ـ تهدد مريم وغضب عليها. فلما خرجت من القبة نظر إليها هارون أخوها فإذا هى قد ضُربت بالبرص من قرنها إلى قدمها. فرقّ لها هارون وسأل موسى أن يدعو الله لها، فدعا لها فشفيت.

فهذه الأنبياء قد فعلت ما هو مثل فعل المسيح وأعجب منه.

فإن قال النصاري: إن موسى واليَسَع وغيره كانوا يفعلون ذلك، ولكن بعد ابتهال إلى الله ودعاء وطلب ورغبة، فأما المسيح فإنه كان يخترع ذلك اختراعا من نفسه من غير دعاء ونداء. قلنا لهم: من سلّم لكم أن المسيح كان يفعل ما يفعل غير مبتهل إلى الله، ولا طالب إليه، والدعاء لا يشترط لإجابته الإعلان؛ فإن الداعى يناجي بحوائجه من استوى عنده السر والجهر؟ومن أين لكم أن المسيح كان لا يدعو ربه سرا؟على أنا نريكم عدة مواضع من الإنجيل الذى بأيديكم يشهد أنه كان لا يفعل معجزا إلا بعد أن يسأل الله ويضرع إليه ويعوِّل فى نُجح مطالبه ومآربه عليه، قال فى الإنجيل: عندما أحيا حبيبه لَعَازر، ورفع بصره إلى جهة السماء وقال: «يا أبهْ[1] أشكرك لتستجيب لي، وأنا أعلم أنك تستجيب لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفِئام؛ ليعلموا أنك أرسلتني» فها هو قد أكذب النصارى فى دعواهم أنه كان يخترع من تلقاء نفسه من غير دعاء وابتهال. وقال فيما حكاه النصارى عنه «إلهى إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفها عنى كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا»[2]. وقال النصارى عنه إنه قال: «إلهى إلهى لم تركتني؟»[3]. وهذا شيء لم نسمعه إلا منهم. فقد وضح كذب مورد السؤال.

فأما موسى ـ عليه السلام ـ. فالتوراة[4] تشهد بأنه كان يُلقى عصاه فتصير ثعبانا، ثم يأخذها فتعود خشبة ثم يلقيها فتعود شجرة وتمد أغصانا وتثمر لوزا، ثم يتناولها فتعود عصا، ثم يضرب بها النيل فينقلب دما، ثم يضربه فيرجع ماء. كل

---

(١) يو ١١: ٤١ + .

(٢) متى ٢٦: ٣٩ + .

(٣) متى ٢٧: ٤٦ .

(٤) فى التوراة: أن موسى إذا أراد أن يضرب بالعصا كان يعطيها لهارون فيضرب بها هارون. وينسب الضرب إلى موسى. [خروج ٧: ١٠ عدد ١٧: ٨ ـ ١٠] وهكذا .

ذلك من غير سؤال ولا استغاثة. وقد أحيت تربة قبر اليسع ميتا [١]، وأبرأ يوسف عينى أبيه من غير سؤال ولا دعاء [٢] وأحرق إيلياء ثلاثة عساكر بنار نزلت من السماء [٣] ولم يتقدم منه دعاء ولا طلب. فَعَل ذلك عدة من الأنبياء. فأما المسيح فقد بينا أنه كان فى غالب أمره يدعو ويضرع ـ كما قدمناه ـ ولم ينقل أن واحدا ممن سمَّينا ضُرب ولا غُلب، فأما المسيح فالنصارى تزعم أنه قتل وصلب. والعجب منا ومنهم. فإنا نعتقد نبوته وسلامته، وهم يعتقدون ربوبيته وعطبه، لقد تباعد ما بيننا وبينهم.

الدليل الرابع:

معجز دال على نبوته: قال متى: «جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابنتى قد ماتت فلعل تأتى إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها، فعاشت ابنة الرجل» [٤].

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره، وأكذبوا التواتر؛ انعكس عليهم فى نبوة أنبيائهم. وإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلا. قيل لهم: ولعل قلب العصا حيوانا يسعى؛ كان أيضا تخييلا وشعبذة ودكّا. فقد لزمهم القول بنبوة المسيح بالطريق التى لزمهم به القول بنبوة موسى وغيره، ولو تطرق التشكيك إلى نبوة المسيح مع ظهورها؛ لم يثبت نبوة نبى ولا استقرت رسالة رسول. وإن قال النصاري: ذلك دليل على ربوبيته إذ لا قادر على إحياء الموتى سوى الله تعالى؛ قال الله ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ . قلنا: فيلزم على ذلك أن تعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتا وتتخذوه ربا، وقد قال عندكم فى كتاب سفر الملوك إن إلياس أحيا ابن الأرملة [٥]، وإن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية [٦] وأن حِزقيال أحيا بشرا كثيرا

---

(١) ٢ مل ١٣: ٢٠ +.

(٢) فى التوراة «ويضع يوسف يده على عينيك» للشفاء [تك ٤٦: ٤] .

(٣) الملوك الثانى ـ الأصحاح الأول. وكان كل عسكر خمسين رجلا.

(٤) متى ٩ :١٨ + .

(٥) الملوك الأول ١٧ :١٧ +

(٦) الملوك الثانى ٤ :١٨ +

يُقال: إنهم ستون ألفا. أحياهم فى ساعة واحدة [١] وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة. والتوراة تشهد أن موسى كان يقلب عصاه ثعبانا، فبينما هى خشبة إذ عادت حيوانا ذا عينين يأكل ما مَرّ عليه وقلب الخشب حيوانا، أبدع من إعادة الروح إلى الميت.

الدليل الخامس:

معجز دال على نبوة المسيح: قال متي: «حضر إلى يسوع أعميان. فقالا: ارحمنا يا بن داود. فقال: أتؤمنان؟ قالا: نعم. فلمس أعينهما. وقال: كإيمانكما يكون لكما. فانفتحت أعينهما، فقال: لا تقولا لأحد شيئا» [٢].

فإن أنكر اليهود هذه الآية، وطرّقوا إليها المطاعن. قيل لهم: بأى طريق ثبت لكم أن موسى ـ عليه السلام ـ شكا إليه بنو إسرائيل الحيات التى لدغتهم فى التيه فاتخذ لهم حيّة من نحاس ونصبها على خشبة، وقال: من لدغته أفعى فلينظر إلى تلك، ففعلوا وصحّوا؟ [٣]. فإذا قالوا: التواتر والنقل المستفيض يشهد به. قيل لهم: فاقنعوا منا بهذا الجواب.

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبية المسيح. قلنا لهم: لو جاز ادعاء ربوبيته بذلك، لجاز لآل يوسف أن يدَّعوا ربوبيته بمثله؛ إذ التوراة تشهد أنه أبرأ عينى والده يعقوب بعد ذهابهما [٤]، ولما لم يجز التمسك بذلك فى الربوبية لم يجز هذا، والمسيح أمر بستر ذلك، ويوسف لم يأمر به، فيدل على أنه أقوى حالا وأعظم تمكينا من غيره. ومعلوم عندكم: أن موسى قد ضرب بعصاه كثيب رمل؛

---

(١) حزقيال ٣٧ وفي القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ يعني به خروج اليهود من فلسطين ايام هزيمتهم على يد نبوخذ ناصر ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م. وقوله ﴿ مُوتُوا ﴾ مجاز عن الهزيمة وليس على حقيقته، وقوله ﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾: مجاز عن إرجاعهم من سبى بابل. ولا صلة له بنبوءة حزقيال هذه.

(٢) متى ٩: ٢٧ + .

(٣) العدد ٢١: ٦ + .

(٤) تك ٤٦: ٤ .

فانهال قملا لكل واحدة عينان تبصر بهما [١] .وهذا أعجب من فعل المسيح لأن فيه خلق الحيوان كله، وذلك رد الصحة إلى جارحة من جوارحه بعد ذهابها.

وقد شهد متّى صاحب المسيح: أن المسيح لا يعلم المغيبات. إذ يقول للرجلين: أتؤمنان؟ فقالا: نعم. وأنه لم يعلم بإيمانهما بعد قولهما حتى علّق الشفاء على إيمانيهما فقال: «مثل إيمانكما يكون لكما» فضاهَى ذلك قوله وقد سُئل عن يوم القيامة فقال: لا أعلمها، بل الله وحده هو الذى يعلم ساعتها ووقتها [٢] .

وبذلك نرد على من زعم أنه من جوهر الأب، حيث قالوا فى الأمانة: «المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه» وهذه الفصول من الإنجيل تكذب تلك الأمانة وتُخطِّئ من ألّفها. إذ لو كان من جوهر الأب، لكان علمه من جوهر علمه، ومشيئته من جوهر مشيئته، وسائر صفاته من صفاته، ولم يكن جسما ذا شعر وبشر، بل المسيح من جوهر أبيه داود [٣] وإبراهيم. فهو إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه. والعجب: أن المسيح عليه السلام رضى من الرجلين أن نسباه إلى داود [٤] وقضى حاجتهما ولم ترضَ النصارى له بما رضيه لنفسه حتى نسبوه نسبة، خالفوه فيها وأسخطوا الله وأضحكوا منهم سائر طوائف بنى آدم. على قول الرجلين له: «يا بن داود» لو كان خطأ منهما، لم يقرهما المسيح على الخطأ، ولا سيما خطأ هو كفر. وكيف يسمعهما ينطقان بالكفر. وهو إنما جاء ليخلّص الناس منه؟ بلى قد سمع ذلك منهما فأقرهما عليه وشفاهما، وذلك رضا

(١) خر ٨: ١٦ والنص فى البعوض .

(٢) المؤلف يكرر أن الساعة هى يوم القيامة. والحق: أنها هى ساعة انتهاء ملك بنى إسرائيل من فلسطين والأمم على يد المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ م وفى الإنجيل أن ساعة هذه المعركة تكون بغتة. وفى القرآن أيضا. ولكن بعض المسلمين يعتقدون أن الساعة هى يوم القيامة. ويغفُلون عن أنها ستكون بغتة، فيجعلون لها علامات.

(٣) المؤلف ينسب عيسى إلى داود من جهة يوسف النجار. وهو يعرف أن مريم ولدت ابنها البكر عيسى وهو لم يعرفها لا هو ولا غيره. فكيف تصح هذه النسبة؟ المؤلف أخطأ فيها. أمه مريم من نسل هارون أخى موسى كما جاء فى القرآن فى قوله: ﴿ يا أُختَ هارُونَ ﴾ وقد بينا ذلك فى اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة.

(٤) معنى أنهما نسباه إلى داود: أنه من اليهود العبرانيين سكان أورشليم لا من السامريين سكان نابلس .

منه بما نسباه إليه من بُنوة داود، وكيف لا يرضى بـذلك منهما وهى النسبة الجليلة التى نسبـه بها جبريـل الملك حين بشر به مريم بالناصـرة، كما شهـد به لوقا فى إنجيله. إذ يقول لها: «إنك تقبلين حبـلا بولد اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسى أبيـــه داود» فالويل للنصـارى، لم يرضوا له النسبـة التى نسبه بهـا الحواريون، وارتضاها المسيح من أهل زمانه، وجاء بها جبريل من عند الله.

فمن عـذيرى من قوم لبّسـوا. عقولهم مقـلوبة يتنكبون السبـيل، ويرتكبون خلاف ما فى الإنجيل؟

نكتة:

قال متى: «سمع يوحنا وهو فى السجن بأعمال المسيح. فأرسل إليه اثنين من تلاميذه وقال: قولوا له: أأنت الآتى أو يُرجّى آخر؟ فـقال يسوع: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتمـا وسمعتـما: العمى يبصـرون، والعرج يمشون، والبـرص يطهّرون، والصم يسـمعون، والموتـى يقومون. فـطوبى لمن لم يشكّ فيّ. فلما ذهب الـتلميـذان. قال يسوع: هـذا الذى كتب من أجله: «هو ذا أنا مـرسل ملاكى قـدام وجهك ليـسهل طريقك» الحق أقول لكم: إنه لم تلد النساء أفـضل من يوحنا. والصغير فى ملكوت الله أفضل منه. بماذا أُشـبه هذا الجيل الشرير؟ أشـبهه بصبـيان يصيحـون بإخوانهم قـائلين: زمّرنا لكم فلم تـرقصـوا، ونحنا لكم فلم تبكوا. جـاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فـقالوا: به شيطان، جـاء ابن الإنسان يأكل ويشـرب. فقالوا: إنسـان أكول شريب خمر، خليل العشارين والخطاة. فتبررت الحكمة فى بنيها».

قلت: كيف يعتقد فى المسـيح الربوبية، وهذا نبى الله يحيى بن زكريا يرسل إليه: «أأنت الآتى أو يُرجّى آخر؟» فإن كان هذا الشك من يوحنا لا يقدح فى إيمانه ونبوته؛ فـالمسيحُ ليس بإله؛ لأن الشك فى الإله كـفر. وإن كـان المسيح إلها كـما يهذى به النصارى فقد كفّـروا يوحنا هذا. أفتدعى النصارى ـ ويلهم ـ أن يحيى بن زكريا كان جاهلا بربه مع قول المسيح: «إن النساء لم تلد أفضل منه» فشهادة المسيح ليوحنا بأنه أفضل أهل زمانه دليل على غلط النصارى فى دعوى ربوبية المسيح، إذ لو كان كمـا قالوا؛ لكان الأوْلى باعتقاد ذلك يوحنا، وإنما يـوحنا يسأل عن النبوة

والرسالة، فلما أحاله على رؤية الخوارق التى هى أعلام النبوة؛ زال تردده فى نبوته.

وأما قول المسيح: «والصغير فى ملكوت الله أفضل منه» فيعنى بالصغير نفسه[1]؛ جريا على عادته فى سلوك التواضع، وفى ذلك دلالة على نبوته من قوله؛ لأن الأفضلية لا تثبت إلا بين فاضلين اشتركا فى أصل الفضل، ثم ترجّح أحدهما على الآخر بمزيد من الفضل، ولا يحسن أن يقال: إن البارى ـ جل وعلا ـ أفضل من زيد أو عمرو.

مناقشة:

قَلَبَ النصارى الحكمةَ، وأبدلوها وحرفوا كتب الله وبدّلوها ووصفوا يوحنا بصفة الأرباب فى استغنائه عن الطعام والشراب [2] ، فقالوا: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب » واعتقدوا فى المسيح الربوبية مع وصفهم له بنقص العبودية. فقالوا: «كان المسيح إنسانا أكول شريب خمر» فسخر منهم ذوو الألباب، وآضوا سُبَّةً على ممر الأحقاب.

مناقشة:

زعم النصارى أن المسيح كان يتردد إلى أورشليم للاستفادة والتعليم ويسائل الأحبار عن الأخبار [3] ثم اعتقدوا أنه الذى أنزل التوراة على الكليم، وفدى الذبيح من يد إبراهيم، فيقال لهم: يا ممسوحى الحُلُوم ومسلوخى الفهوم، كيف يتعلم كتابا هو الذى أنزله أو يتّلمذ لرسول هو الذى أرسله؟

الدليل السادس:

معجزة دالة على نبوته عليه السلام: قال متي: «حضر إلى يسوع رجل يابس اليد، وذلك بحضرة جماعة من اليهود، فسألوه: هل يحلّ أن تداوى فى السبت؟لكى يَنُمُّوا عليه، فقال يسوع: أى رجل منكم يسقط خروفه فى بئر فى يوم

---

(١) المسيح يعنى بالصغير محمد رسول الله .

(٢) النص مجاز عن الزهد .

(١) لوقا ٢: ٤١ + .

السبت فلا يقيمه؟فالإنسان أوْلى من الخروف. ثم قال للرجل: امدد يدك. فمدها فصحت وعادت كالأخرى، فخرج اليهود متآمرين فى إهلاكه، فعلم يسوع سرّهم، وانتقل من هناك، فتبعه مرضى فشفاهم [١].

قلت: هربه وتواريه غير قادح فى نبوته ولا غاض من رسالته، فذلك كثيرا ما اتفق لأنبياء الله وصفوته. غير أنه لا يليق بجلال الربوبية، وهو يقدح فى قول النصارى إن المسيح إنما نزل من السماء وتجسّد من روح القدس وولدته مريم وحلّ فى هذا العالم لخلاص آدم وذريته من الجحيم ببذل دمه حتى يكون مؤديا ما وجب على آدم بأكله من الشجرة، فلو كان الأمر على ما يهذون به، لما فرّ من ذلك وتوارى وتحوَّل من بلدة إلى بلدة أخرى، من أمر إنما جاء وتَعنَّى بسببه، إذ فى تأخير قتله استدامة آدم وذريته فى العذاب. فإن قال النصارى: إنما تحوَّل واختفى. لأن ساعة أجله لم تحضر بعد. قلنا: فكان الأوْلى أن لا يتحول إذاً، إذ كان لبثه لا يجر إليه مكروها ولا يسلط عليه سفيها. وما أحسن إلها له ساعة ترتقب، وأجل ينقرض وينقضب!!

الدليل السابع:

مضاهاة كلام المسيح لكلام الرسل ـ عليهم السلام ـ: قال متى [٢]: «أتى يسوع بأعمى به شيطان أخرس فأبرأه، فعظم الجمع ذلك، فقال الفريسيون: إنما يخرج الشياطين ببعل زبول رئيس الشياطين، فعلم يسوع سرّهم فقال: «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب متاعه إلا أن يربط القوى أوّلا ثم يأخذ متاعه، ومن ليس معى فهو علىّ، ومن لا يجمع معى فهو يفرق، إن كل تجديف يُترك للناس، والتجديف على روح القدس لا يُترك فى هذا الدهر ولا فى الدهر الآتي».

قوله: «كل تجديف يترك للناس والتجديف على روح القدس لا يترك» [٣]

---

(١) متى ١٢ . (٢) متى ١٢ والنص: «أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس. . .» .

(٣) يقول المسيح: «كل خطية وتجديف؛ يغفر للناس. وأما التجديف على روح القدس؛ فلن يغفر للناس. . . لا فى هذا العالم، ولا فى الآتي» لاحظ: ١ ـ المغفرة للناس ٢ ـ عدم المغفرة لمن يشتم الروح

مواطئ لقول سيدنا رسول الله: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» [١] غير أن بين الكلامين فى المقدار ما بين الدرهم والدينار.

الدليل الثامن:

دليل على نبوته من قوله: قال متى: «قال له قوم من الكتبة: يا معلم نريد أن ترينا آية. فقال: الجيل الشرير الفاسق يطلب آية؛ فلا يُعطى إلا آية يونان النبي؛ لأن يونان أقام فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وكذلك ابن الإنسان يكون فى قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى يقومون فى يوم الحُكْم ويُحاكِمون هذا الجيل؛ لأنهم تابوا بدعوة يونان وههنا أفضل من يونان» [٢].

قلت: هو ذا المسيح قد صرح بنبوته فى عدة مواضع من هذا الكلام: أحدها: تقرير الكتبة على قولهم له: يا معلم. ولم ينكر عليهم ويقول: كذبتم بل أنا ربكم أو ابن إلهكم، كما لفّق النصارى فى أمانتهم التى بأيديهم.

وكيف يجوز إقرارهم على الخطأ فى ذات الله، بل إنما أقرهم على الصواب، إذ قال لهم فى الإنجيل غير مرة «إن الأنبياء كلهم معلمون».

والثاني: تسويته بين نفسه وبين يونان النبى فى جريان المقدور. ويونان هو يونس بن متّى - عليه السلام - ومحاكمة أُمّة يونس لأمته يوم القيامة.

والثالث: تفضيله نفسه على يونان، وقد قلنا: إن التفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن بين الملك والأتونيَ، فكيف يحسن بين الله وعبد من عبيده؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ولاغرو

القدس. ولاحظ: ١ - هذا العالم ٢ - العالم الآتي. والمراد بالروح القدس ههنا: محمد ﷺ الذى قال عنه المسيح: «بيرقليط الروح القدس» والمراد بهذا العالم: دهر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل. والمراد بالعالم الآتي: دهر الملك والنبوة فى بنى إسماعيل[راجع الاقتباسات] .

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

(٢) متى ١٢: ٣٨ = ويونان بالعبري. وهو باليونانية يونس بن أمِتاى والنص موضوع للغو فى نبوة محمد ﷺ لأن لقبه المشتهر به فى سفر دانيال ٧ هو «ابن الإنسان» وهم يريدون صرف اللقب إلى المسيح.

أن يفضُل المسيح يونس كما فضُل محمد سائر الرسل ـ على ما نوضحه إن شاء الله فى الباب العاشر من هذا الكتاب ـ.

فأما قوله «إن ابن الإنسان يكون فى قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال» إن سلم عن الاختلاق. فذلك محمول على الشَّبيه الذى قتله اليهود وصلبوه؛ فإنه ابن الإنسان. فأما المسيح فهو عندكم معشر النصارى ابن الله، وإلا فما بالكم فى صلواتكم وبيعكم لا تدعون المسيح ابن الإنسان، فتقولون فى أدعيتكم وقراءتكم: «يا بن الإنسان اغفر لنا، يا بن الإنسان ارحمنا» هذا شيء لا تقولون به ولا تستجيزون إطلاقه، فكيف صرتم إذا لدغتكم حِجاج الحق تستروحون إلى مالا تقولون به؟هل ذلك إلا حيرة وضلال وغلو فى عبادة الرجال؟على أنا نريكم من الإنجيل ما يسيء ظنكم بهذا الفصل وينفركم من القول بصحته. وذلك أن الإنجيل الذى بأيديكم يشهد أن المصلوب لم يمكث فى بطن الأرض وقلبها سوى يوم واحد وليلتين لا غير، لأن الإنجيل يشهد أن يوسف الرامى استوهب الجسد من فِيلاطُس القائد عَشيّة الجمعة، ودفنه فى قبر كان قد اتخذه له ليلة السبت، وبقى يوم السبت مدفونا، وطُلب بكرة يوم الأحد غَلَسًا؛ فلم يوجد سوى الأكفان فى القبر موضوعه، بشهادة مريم المجدلانية خادمة المسيح وغيرها[(١)] فلم يلبث سوى يوم وليلتين. فقد اختلف قولكم إنه يقيم فى قلب الأرض وبطنها، ما أقام يونان فى بطن الحوت. وهو ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. فأى وثوق بقى يحصل لعاقل بكم؟وأى طمأنينة تتفق بنقلكم؟وأية حجة لكم على تصحيح مذهبكم فى القتل والصلب بعد صدور هذا الكذب الشنيع؟فإذا كان هذا تحريفكم فى أمر يتعلق بالعدد مما لا تعظم فيه المؤنة ولم تشتد الكلفة، فكيف يوثق بكم فيما وراءه؟ونحن إذا انتهينا معكم إلى ذكر القتل والصلب أريناكم غلطكم فى دعوى قتل المسيح وصلبه وأبدينا لكم من الأناجيل التى بأيديكم ما يدل على خلاف ما صرتم إليه، وأرشدناكم إلى وجه الاستنباط منه؛ رجاء الأجر فيكم، والمثوبة فى هداية بعضكم، وتبصرة وإيضاحا لإخواننا المسلمين، وتعريفا لهم مصداق قول ربنا جل اسمه: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ**

---

(١) آخر كل إنجيل.

وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾.

الدليل التاسع:

معجزة دالة على نبوة المسيح عليه السلام: قال متى: «حضر إلى يسوع جمع كثير وليس عنده إلا خمس خبزات وحوتان فرفع بصره إلى السماء ودعا وبارك على الطعام فأكل الجمع وشبعوا وفضلت كسر كثيرة»[1].

إنْ قَدَح اليهود فى هذه الآية وزعموا: أنها قُيِّدت فى الإنجيل هى وأخواتها من غير أن يكون لها صحة. فيقال لهم: فما يؤمنكم أن يكون أيضا قد قيل فى كتاب التوراة التى بأيديكم ما ليس له صحة ولا تحقيق؟ فإن زعموا: أن أسلافهم الذين نقلوا إليهم خوارق التوراة؛ انتهوا فى الثقة والديانة والصدق والأمانة إلى حد أمنوا معه هذه الغائلة، أجيبوا بمثل ذلك. وقيل لهم: الناقلون لمعجزات المسيح أيضا انتهوا من الدين والتقى والعفاف إلى غاية انتفت عنهم بها أسباب التهم.

وإن قال النصارى: هذه الآية تدل على ربوبية المسيح. قلنا: كيف ذلك وها هو ذا قد رفع وجهه إلى السماء وحرك أخلاف الإجابة بأنامل الدعاء، وهذا هو دأب الأنبياء وسنة الأولياء. إذا دُفعوا لبث الحق وإرشاد الخلق؛ رغبوا إلى معبودهم، وطلبوا إليه ما يحقق قصدهم، ويعرف أممهم صدقهم. والخلائق عيال الله والنبى نائب عنه فى إيصال رِزقه إلى خلقه، وبالجملة: فلو جاز أن يعتقد فى المسيح الربوبية بمثل هذه الدعوي؛ لجاز أن يعتقد فى موسى بإطعام قومه المنّ فكان يسقط على الأرض الليل كله كصفائح الجليد أبيض كحب الكزبرة وطعمه كشهدالعسل، وأما السلوى فطائر السمان كان يتراكم على الأرض فى عسكر بنى إسرائيل حتى ملأ الرحاب[2]. وهذا أعجب من فعل المسيح فى الحوتين والخمسة الأرغفة؛ إذ آية المسيح تكثير خبز موجود، وآية موسى إيصال خير مفقود، وقد اشتملت التوراة على عدة من الخوارق لم يأت المسيح بنظيرها فنسمح بشطرها.

---

(١) متى ١٤ ولها نظير فى يوحنا ٦ وهى المائدة التى نزلت من السماء.

(٢) العدد ١١ .

الدليل العاشر:

بُعدُ ذوى اليسار عن مقام الأبرار: قال متى: «قال رجل ليسوع يا معلم ما أعمل من الصلاح لأرث الحياة الدائمة؟ فقال: احفظ الوصايا. قال وما هي؟ قال: لا تقتل، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحبب قريبك مثلك، فقال الرجل: كل هذا قد عرفته منذ صباي، فما الذى بقى علي؟ فقال المسيح: إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك، وأعطه للمساكين؛ ليكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الرجل هذا الكلام مضى حزينا؛ لأن ماله كان كثيرا، فقال المسيح: الحق أقول لكم، إن دخول الجمل فى سَمّ الخياط أيسر من دخول الغنى ملكوت الله، فقال التلاميذ: من يقدر على هذا؟ فقال لهم: أما عند الناس فما يستطاع هذا، وأما عند الله فكل مستطاع» الأنبياء إنما بعثوا بالزهد فى الدنيا والتفرغ للمولى والتزود للعقبى .

وهذا الكلام من المسيح دال على نبوته ورسالته وفيه ما يهدم قاعدة من قواعد النصارى وهو جعله حفظ وصايا الله المذكورة فى هذا الفصل سبب الخلاص وإرث الحياة الدائمة من غير حاجة إلى قتل المسيح وصلبه. وعند النصارى أن الناس لا يخلصهم من الخطيئة إلا قتل المسيح وسفك دمه إذ يقولون فى الأمانة: «من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل المسيح من السماء وتجسد وولد وقتل وصُلب» . وهو ذا المسيح يكذب تلك الأمانة ويزرى على من ألَّفها إذ جعل الخلاص منوطا بحفظ وصايا الله واتباع أمره، ولم يوقف الخلاص على ما هذوا به فى الأمانة التى هى فى الحقيقة خيانة، والشريعة التى هى لإضاعة الشريعة ذريعة، فهلا قال المسيح للرجل: لا ترث الحياة الدائمة حتى تعتقد ربوبيتى وتدين بألوهيتى وتعتقد أنى إله حق من إله حق من جوهر الله، وتعترف بأنى أتقنت العوالم وخلقت كل شيء وأنى إله مسجون فى إنسان أو متحد به ـ كما لفقوه فى شريعة إيمانهم وتسبيحة دينهم؟ وحاشاه. حاشاه. أن يناط به هذا الوضَر ويغشاه؛ إذ هو القائل فى إنجيله وفى أدعية ربه تعالى: «أنت الإله الحق وحدك

الذى أرسلت يسوع المسيح» (١) .

وقال: «لا صالح إلا الله وحده» (٢) وقال لرجل وهو يوصيه: «أحبب الله من كل قلبك ومن كل قوتك. ففى هذه الوصية جميع وصايا الأنبياء» (٣). وقال: «أنا ذاهب إلى إلهى وإلهكم» (٤) يقول ذلك للحواريين. فهذه نصوصه فى التوحيد ونفى التثليث. فمن أين جاءت النصارى هذه الداهية؟ أسأل الله العصمة.

الدليل الحادى عشر:

اعتراف أهل زمانه بنبوته واستجابتهم لدعوته: اقسم الناس فى وقته أقساما، فمنهم من يرميه بالخنا وبنوة الزنى، ومنهم من اعترف بنبوته واستجاب لدعوته، ومنهم من أدركته النفاسة وخشى أن يستلب الرئاسة. وداءُ الحسد، متى استولى على الجسد فسد. وهو داء قديم من يوم ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ قال رجل من الصحابة: يا رسول الله أرفق بعبد الله بن أُبيّ، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم الخرز لنملكه علينا؛ فإنه ليرى أنك استلبته مُلكا فرفق به ـ عليه السلام ـ كما علم، ولم يعرض له حتى اخترم.

قال متى: «لما دنا يسوع وأصحابه من أورشليم أرسل من جاءه بأتان وجحش فركب وفرش الناس له ثيابهم؛ فارتجَّت المدينة لدخوله. وقال الجمع: هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل. فدخل إلى هيكل الله، وأخرج الباعة الذين فيه، وأمر برفع موائد الصيارف، وكراسى باعة الحمام. وقال: مكتوب أن بيت الله بيت الصلاة يُدعي، وأنتم صيرتّموه مغارة للصوص وكل مفسد» (٥) .

---

(١) يو ١٧: ٣ . (٢) متى ١٩: ١٦ .

(٣) متى ٢٢: ٣٩ . (٤) يوحنا ٢٠: ١٧ .

(٥) النص فى متى ٢١ وغرض المحرف: أن يُضيّع نبوءتين من نبوءات التوراة هما لمحمد ﷺ بوضعهما على عيسى عليه السلام النبوءة الأولى نبوءة النبى الأمى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ومن أوصاف محمد فيها أن يكون ملكا «له تسمعون». «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تُباد من الشعب» والنبوءة الأخرى: نبوءة الكعبة البيت الحرام الموجودة فى سفر إشعياء، ومن أوصاف محمد فيها أن يدخل مكة فاتحا وظافرا ومنتصرا. ففى سفر إشعياء ٥٦ : «إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نُصبا، واسما أفضل من البنين والبنات» إلى أن قال: «آتى بهم إلى جبل قدسي، وأخرجهم فى بيت صلاتي،

قلت هذا الفعل من المسيح قريب من قوله عليه السلام حين بال الأعرابى فى المسجد: «صبوا عليه ذنوبا من ماء، إن المساجد لم تبن لهذا، إنما بنيت للصلاة والذكر»(١) .

وفى الفصل: أن أحسن أقوال الناس فيه كان قول من يقول: هو نبى من الأنبياء. وفيه: أن المسيح احتاج أن يركب حِمارا من التعب والإعياء. وذلك يكذّب الأمانة إذ تقول: «إن المسيح من جوهر الله» وقد خلق الله الخلق فى ستة أيام وما مسَّه من لغوب، فكيف يفتقر من هو من جوهره إلى المركوب؟ وإنما هو على الحقيقة من جوهر أبيه يعقوب (٢) ، كما نطق به الإنجيل عن جبريل .

الدليل الثانى عشر:

ومن الدلالة على نبوته: إقراره من ينطق بنبوته على ذلك، وترك الإنكار عليه ومن ذلك: قال لوقا فى إنجيله «صحب يسوع بعد قيامه رجلين وهما يتحدثان فى أمره وأمر اليهود. فقال لهما: مَن تذكران؟ وكانت أعينهما ممسوكة عن معرفته. فقالا يسوع الناصرى كان رجلا نبيا قويا بالأعمال» (٣) .

فلم ينكر عليهما وسارمعهما فأضافاه وبات عندهما.

فكيف يُقرّهما على الكفر أنه إله ورب كما يقول النصارى؟ وهَلاَّ نبههما وعَرَّفهما خطأ ما قالا؟ فكيف يسكت على ما لا يجوز؟ فقد كان يقاوم اليهود فى المحافل ويخزيهم ويلعنهم فى المجالس ولا يغتفر لهم الزلل ولا يغطى منهم على الخطأ والخطل ويحاققهم فيما لا تعم به البلوى. فكيف يجوز أن يسامح فى أمر يتعلق بالربوبية؟ وكيف يداهن الرجلين ويسمح لهما فى أن يعتقدا نبوته وهو ربهم وخالقهم وإلههم ويؤخر البيان عن وقت حاجتهم إليه، وهو فى الساعة التى أزمع فيها على مفارقة أهل الأرض، وقد صار لهما عليه ـ مع حق العبودية ـ حق

وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي؛ لأن بيتى بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب» .

(١) الحديث فى البخارى ومسلم. واللفظ له .

(٢) المسيح لا أب له ينتسب إليه. وقد ولد بلا أب فى أرض العبرانيين .

(٣) لوقا ٢٤ : ١٣ + .

الرفاقة واسترسال الصحبة والمبايتة، وهو يسمعهما يشهدان أن المسيح كان نبيا قويا بالأعمال؟والمداهنة فى الدين لا تليق بمثل المسيح. مع أنه لا حاجة به فى تيك الساعة إليهما. فإقرارهما على ما قالا ومسايرته لهما ومبيته عندهما وتناوله طعامهما؛ رضا بقولهما فيه، وحكماً بصحة ما ذهبا إليه من نبوته، فكيف لم ترض النصارى له بما رضى هو لنفسه من أهل زمانه؟ (١)

الدليل الثالث عشر:

دليل على نبوته من مفهوم قوله:

قال متى: «جاء إلى يسوع رؤساء الكهنة. فقالوا: بأى سلطان تفعل هذا؟ومن الذى أعطاك هذا السلطان؟فقال يسوع: وأنا أسألكم عن كلمة واحدة: معمودية يوحنا من أين هي؟أمن الله أم من الناس؟فقالوا: لا نعلم. فقال: وأنا أيضا لا أعرّفكم بأى سلطان أفعل. ثم قال: الحق أقول لكم: «إن الزناة والعشّارين سيسبقونكم إلى ملكوت الله. جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به والعشارون والزناة آمنوا» (٢) .

هذا القول بمفهومه يدل على نبوته. إذ جعل أفعاله وأفعال يحيى بن زكريا تخرج من مشكاة واحدة، وفى هذا الكلام ما يهدم على النصارى قطبا من أقطاب كفرهم، وهو ما حكيناه عنهم من أنه لا يُخرجهم من الخطيئة التى ورّطهم فيها أبوهم آدم إلا قتل المسيح، وها هو ذا يقول: إن الزناة والعشارين يسبقون اليهود إلى الملكوت بالتوبة والانصباغ فى معموديته ومعمودية يوحنا. ولم يحُوجهم إلى غير ذلك، ولم يُرجِ خلاصهم إلى قتله وصلبه كما يهتف به النصارى، بل جعل الاتباع كافيا فى ذلك.

---

(١) هذا النص الذى أورده المؤلف من إنجيل لوقا ينفى قتل المسيح وصلبه. وذلك لأن كليهما بعد الحادثة، المسطرة فى الإنجيل.

(٢) متى ٢١: ٢٣ + .

الدليل الرابع عشر:

ومن الدليل على نبوته: دعاؤه إلى الله ـ سبحانه ـ أسوة غيره من الرسل. قال متي: «قال له قائل يا معلم، أيما أعظم الوصايا في الناموس؟ قال: أعظم الوصايا في الناموس: أن تحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قوتك. ففي هذا جميع نواميس الأنبياء» (١) .

قلت: لو كان الأمر على ما يعتقد أهل الضلال؛ لقال للرجل: أعظم الوصايا في الناموس أن تحب الثالوث والصليب، كلا والله. وأين هذا الهذيان من نواميس الأنبياء؟ وأعظم النواميس توراة موسى ثم داود ثم إشعياء وقد فلّيناها طرقا تترى، وتصفحناها بطنا وظهرا. فلم نر فيها لما يدعيه النصارى أصلاً ألبتة. ولقد شدّدتْ على من تنكب التوحيد أشد تشديد حتى قالت: «أيما نفس أشركت مع الله غيره في حبها فأهلكوا تلك النفس من شعبها» .

الدليل الخامس عشر:

دليل صحيح على نبوة المسيح: قال متى: «قال يسوع المسيح وهو يخاطب البلد: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين . كم من مرة أردت أن أجمع بنيك حولك كما تجمع الدجاجة فراريجها. فلم يريدوا» (١) .

وجه الدلالة من هذا الكلام: أنهم كانوا يتوثّبون عليه في المجالس بأورشليم يريدون قتله؛ إذ كان يفحمهم بالحجج فربما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب. وقد قتلوا عدة من أنبيائهم بها، فكأنه يقول: تريدون قتلي كما فعلتم بمن تقدمني، والخطاب للبلدة. والمراد: أهلها، والقول بنبوته ألزم على قول النصارى أنه قُتل بأورشليم؛ لأنه سماها قاتلة الأنبياء ولم يقل يا قاتلة الإله. وفي الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته؛ لأنه أراد جمعهم على الإيمان فلم تنفذ إرادته، ومَنْ هذا سبيله فلا يصلح للربوبية؛ فقد شهد على نفسه بالعجز عن جمعهم على الدين والهدي، وأولى ذلك لربه ـ عز وجل ـ إذ يقول في

(١) متى ٢٢: ٣٥ + .

(٢) متى ٢٣: ٣٧ ـ ٣٩ .

دعائه: «أيها الأب كل شيء بقدرتك. اصرف عنى هذا الكأس»[١] كما تقدم.

والعجب: أن المسيح أراد وأراد اليهود. فنفذت إرادتهم وقصرت إرادته، إذ قال: إنه ضعيف. وهذا. فاعلم حالُ الأنبياء مع كفار قومهم، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ وقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ؟

وفى هذا الكلام إثبات مزية لموسى عليه السلام، وذلك أن موسى عليه السلام أراد جمع قومه على الإيمان؛ فاستجابوا وأذعنوا، وأمرهم بالنّفر معه؛ فسارعوا وظعنوا، فأخرجهم من مصر وجلَّلهم النصر، وشق بهم البحر، ورفع عنهم السيف بعد أن بلغ النحر، وقاتل بهم الملوك فلم يغلب، وقهر العمالقة والجبابرة ولم يقتل ولم يُصلب. فما نرى موسى إلا كان أحق أن يُدَّعى له ما ادُّعى فى المسيح. فلو أن النصارى جمعت بين قوله للبلدة: «يا قاتلة الأنبياء» وبين دعواهم أنه قتل بها؛ لما وسعهم إلا القول بنبوته، ولكن أفهام القوم بعيدة عن هذا النمط، قريبة من السقط والغَلَط. ألا تراهم كيف جمعوا فى الاعتقاد بين الأضداد. فقالوا فى تسبيحة أمانتهم: «نؤمن بالرب أيشوع المسيح الذى أُتقنت العوالم بيده، وخلق كل شيء وقتل وصلب أيام بيلاطوس»؟[٢] فبينا هم ينعتونه بالرب المجيد، إذ وصفوه بذل ما عليه مزيد.

الدليل السادس عشر:

شهادة إشعياء للمسيح ـ عليهما السلام ـ بالنبوة والرسالة وتكذيب اليهود فيما قرفوه به: قال لوقا:[٣]« جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى ودخل كعادته فى مجامعهم يوم السبت ليقرأ. فَدُفع إليه سفر إشعياء النبى فلما فتحه إذا فيه مكتوب: «روح الرب عليّ من أجل هذا مسحنى وأرسلنى لأبشر المساكين، وأشفى منكسرى القلوب، وأُنذر المأسورين بالتخلية، والعميان بالنظر، وأُبشّر بالسَّنَة المقبولة» ثم

---

(١) متى ٢٦: ٣٩.

(٢) فى الأصل: هيرودوس.

(٣) النص فى الأصحاح الرابع من لوقا وهو بشارة بمحمد ﷺ وذلك لان الذى يقول: «روح الرب عليّ» هو النبى محمد بلسان إشعياء.

طوى السفر ودفعه إلى الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم كَمُل هذا المكتوب في سماعكم، فجعلوا يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟

فقال: الحق أقول لكم: إنه لا يقبل نبي في مدينته وعند عشيرته» [١] .

فهذه نبوة من إشعياء على تصديق المسيح في دعوى النبوة والرسالة. وقد ذكر أن روح الرب عليه، وهو نزول روح القدس الذي هو العِلْم والحكمة الواصلة إليه مع الملك، كقول الله في التوراة لموسي: «يصنع لك قبة الزمان بَصَلْئيل الذي من سبط يهوذا، ورفيقه الذي من سبط دان. وهما اللذان ملأتهما روح الله بالعلم والحكمة» [٢] وكقول الإنجيل: «إن يوحنا بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه » [٣] وكقول المسيح في الإنجيل: «إن سمعان كان ينتظر عزاء إسرائيل، وكانت روح القدس تحل عليه» [٤] فهذه الروح متى حلت على آدمي؛ تنبأ أو نطق بالحكمة. وذلك مشهور عند أهل الكتاب. وقد حكينا قول الله في الكتاب العزيز في حق المؤمنين ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ . وقال حزقيال النبي في كتابه: «قال الله لي: اخرج إلى بقعة كذا وكذا، فخرجت الروح فدخلت فيّ فأقامتني على رجلي» [٥] فهذه الروح متى جاءت نبيا كانت وحيا، ومتى جاءت وليًّا من أولياء الله؛ أكسبته إلهاما عن الله ،جودة فراسة وصدق توسّم. قال الله في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وقال سيدنا محمد رسول الله ﷺ : «إن من أمتي محدثين». وقد قال النصارى: قال المسيح لأصحابه: «لا تهتموا بما تقولون إذا حضرتم المجالس فإن روح أبيكم الحالّ فيكم هي تنطق عنكم بالعلم والحكمة» [٦] .

---

(١) في سفر إشعياء في الأصحاح الحادي والستين: «روح السيد الرب عليّ؛ لأن الرب مسحني؛ لأبشر لمساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين لإلهنا بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب، وبيوم انتقام لإلهنا، لأعزّي كل النائحين» إلى أن قال: «كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب» ويقول اليهود والنصاري: إن هذه النبوءة عن النبي الأمي المماثل لموسى. وفي إنجيل لوقا: يشرح المسيح هذه النبوءة ويقول: «اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم» أي شرحت لكم النبوءة وأفهمتكم دلالتها على محمد رسول الله. ولكن المحرفين يزعمون أنها نبوءة خاصة بعيسى. مع علمهم بأنه لم ينتقم من الأعداء بسيفه ورمحه .

(٢) خروج ٣٥ :٣١ .

(٣) لوقا ١ :١٥ .

(٤) لوقا ٢ :٢٥ .

(٥) حزقيال ٣ :٢٢ + وفي الأصل إشعياء .

(٦) متى ١٠ :١٧ + .

فأما قول المسيح فى آخر الكلام عندما وخزه الناس بأبصارهم: «إنه لا يقبل نبى فى بلدته وعند عشيرته» فذلك واضح فى نبوته لمن أراد الله هدايته. واعلم: أن من لاحظ هذا الفصل بعين الإنصاف؛ لم تتخالجه الشكوك فى نبوة المسيح، وأن اعتقادها هو الصحيح، ولهذا تجد كثيرا من عقلاء النصارى يضمرون اعتقاد نبوته دون ربوبيته، ولكن لا يبوحون بذلك، خشية الجمهور مع الأنس بالمَرْبَى، إذ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجّسانه (١) .

الدليل السابع عشر:

خارق من خوارق نبوته يتحقق به كذب اليهود وبهتهم فيما نسبوه إليه: قال لوقا: «رأى يسوع جنازة شاب واحد لأمه ومعها جمع من أهل المدينة ورآها تبكى وراءه، فَرَقَّ لها وتحنَّن عليها. وقال لها: لا تبكي. ثم تقدم ومسَّ النعش؛ فوقف الحاملون. فقال يسوع للميت: لك أقول يا شاب: قم فاجلس. فجلس الميت وتكلم. فدفعه لأمه ومجدوا الله. فقال الناس: لقد قام فينا نبى عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح. فذاع ذلك فى اليهودية»(٢).

فإن أنكر اليهود دلالة هذه المعجزة على النبوة وصلاحيتها لدعوى الرسالة، قلنا لهم: فلعل انقلاب العصا حيوانًا ذا عينين لا يدل أيضًا على النبوة، وحيث بطل القول بذلك؛ بطل هذا. على أن آية المسيح أوضح فى الدلالة. وذلك أن إحياء من مات أوثق فى النفوس من اضطراب خشبة وتحركها، مع احتمال السحر والشعبذة. كيف واليهود يزعمون أن سحرة فرعون عارضوا موسى وفعلوا مثل فعله. على ما تشهد بذلك توراتهم(٣)؟ وذلك متعذر فى إحياء الميت. فقد وضحت نبوته، وأكذب الله اليهود وأخزاهم بظهور صدقه. وقد شهد له الجمع العظيم بالنبوة بقولهم: «لقد قام فينا نبى عظيم» وذلك حجة على النصارى، إذ صحَّ عن خيار أسلافهم: أنهم شهدوا له بالنبوة، فكيف يدَّعى المتأخرون

(١) حديث فى البخارى ومسلم وفى مسند أحمد.

(٢) لوقا ٧ : ١٢ +

(٣) خروج ٧ .

ألوهيته؟! وإنما طريق من غاب، الأخذ عمَّن حضر. فإن زعم النصارى اليوم أن قول ذلك الجمع ليس بحجة فى إثبات نبوته؛ فلنا عليهم: الحجة القاطعة؛ تقريرهم على ذلك، والرضا منهم به، وترك الإنكار عليهم.

أفتقول النصارى ـ ويلهم ـ إن المسيح عليه السلام أقرهم على الكفر وقول الباطل؟ وهل تسمية الله نبيًا إلا كتسمية النبى إلهًا؟ وكيف يُعتقد فى المسيح أن يسمعهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم؟ وهو القائل فى إنجيله: «لا تدعوا لكم معلمًا على الأرض؛ فإن معلمكم هو المسيح [1] والأنبياء كلهم معلمون، «ولا تدعوا لكم مدبراً فى الأرض؛ فإن مدبركم هو المسيح»[2] وإذا كان المسيح هو معلمهم ومدبرهم، فكيف تقولون إنه أهملهم وتركهم يخبطون فى عمياء، ويتيهون فى ظلماء، ويخاطبون ربهم بأنه نبى من الأنبياء، ثم لا يرشدهم إلى اعتقاد الحق، وقول الصدق؟ فإن استروح النصارى فى دعواهم ربوبيته إلى إحياء الميت؛ أريناهم من كتبهم التى بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى. مثل إلياس واليَسَع وحِزقيال وغيرهم، ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عبادًا لله تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئًا من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه وطلبوا منه المعونة ودعوه.

قلبنا عليهم السؤال وقلنا: فلعلَّ المسيح كان إذا رام شيئًا من هذه الآيات تضرع إلى أحد من ذكرنا وسأله ودعاه وطلب منه. فهم متقدمون عليه وأرواحهم فى حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحق أن يسألهم من أن يسألوه. فقد وضع بذلك نبوته واستوى حاله وحال من تقدمه من إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

الدليل الثامن عشر:

شهادة فولس بنبوة المسيح ورسالته وأنه واسطة بين الله وبين عباده أسوة غيره من الأنبياء: قال فى الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين: «أما أنتم فاقتربتم

(١) المسيح هنا :هو محمد رسول الله ﷺ بلسانهم [متى ٢٣ : ١ +].
(٢) التعليق السابق .

من جبل صهيون ومن مدينة الله أورشليم التى فى السماء ومن ديوان الملائكة ومن الله ديَّان الجميع، ومن يسوع المسيح واسطة الوصية الحديثة الذى هو أفضل من هابيل»(١).

فهذا فُولُس لم يدع للمسيح ما يقوله النصارى من ربوبية المسيح وألوهيته، بل يشهد بأنه سفير وواسطة بين الله وبين عباده فى الوصية ويخبر بأنه أفضل من هابيل، وكل تصريح منه؛ بخلاف ما ذهب النصارى إليه(٢).

الدليل التاسع عشر:

بيان أنه كان يضيف ما يفعله إلى الله تعالى: قال لوقا: «أتى يسوع بمجنون لا يسكن إلا المقابر ولا يلبس ثوبًا. فلما رأى يسوع خرَّ بين يديه وقال: يا يسوع سألتك بالله لا تعذبني. فأمره أن يخرج من الرجل. فخرج، ثم أفاق الرجل وسأل يسوع الصحبة قال له: اذهب وأخبر بالذى صنع الله بك. فذهب فجعل ينادى بذلك فى المدينة»(٣).

قلت : طلب الرجل صحبة المسيح فصرفه وعرَّفه أن الشفاء من الله، وأمره بإشاعة شكر الله. فقال: «أخبر بالذى صنع الله بك» ولم يقل بالذى صنعتُ بك. فإن قال النصارى: لا فرق بينهما، إذ كان المسيح هو الله، والله هو المسيح. قلنا لهم: فالمجنون إذًا أعقل وأعرف بالله منكم؛ إذ يقول: يا يسوع أسألك بالله، فقد عرف الله تعالى على حِدَة وعرف المسيح على حِدَة وأدرك التفرقة بين الإله المقسم به وبين الإنسان المقسم عليه. وأنتم تقولون: إن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله فأيكم أولى بالجنون؟ . وإن طرق اليهود إلى هذا شيئًا من الطعن؛ انعكس عليهم فى الحيَّة النحاسية. وغيرها؛ إذا طريق ثبوت الكل واحد، فالاعتراض على نوع منها، يعودُ على سائرها. ولا سبيل إلى رد شيء منها.

---

(١) عبرانيين ١٢ : ٢٢ + .

(٢) اعلم: أن جهود بولس فى تحريف النصرانية هو تطبيق نبوءات التوراة التى تدل على محمد ﷺ، على عيسى عيه السلام والتثليث لا دخل له فيه وذلك لانه كان معاصرًا للمسيح وأول مجمع لتأليه المسيح كان فى سنة ٣٢٥ م فى نيقية .

(٣) لوقا ٨ وهذا مناقض لقوله: لا تخبروا أحدًا.

الدليل العشرون:

دليل على رسالته من لفظه: قال لوقا: «اختار يسوع سبعين رجلا وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال: الحصاد كثير والحصادون قليل، اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فَعَلَة لحصاده [1]. ثم قال: «من سمع منكم فقد سمع مني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمنى فإنما يشتم من أرسلني»[2].

فإن قال النصارى: ذلك دليل على الربوبية؛ لأن إرسال الرسل إلى الخلق دليل على ما قلناه.

قلنا لهم: أما بعث السبعين [3] فليس فيه مستروح لكم، فقد اختار موسى سبعين رجلا من قومه وندبهم لإبلاغ بنى إسرائيل فنبأهم الله ببركة اختياره فصاروا أنبياء، فأما السبعون الذين اختارهم المسيح فمن سلّم لكم أنهم كانوا أنبياء مؤيدين بالمعجزات؟ولعل المسيح - عليه السلام - إنما اقتدى بسنّة موسى فى الإرسال والعَدَد، فالمسيح عليه السلام نبى ورسول ولا يمتنع أن يكون للرسول رسول. فقد أرسل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه إلى ملوك الأرض.

فإن قال النصارى: قوله: «من شتمنى فإنما يشتم من أرسلني» [4] دليل على الاتحاد الذى نقول به.

قلنا: وقوله: «من شتمكم فقد شتمني» دليل على اتحادهم بالمسيح، أفتقولون: إن السبعين اتحدوا بجسد المسيح؟فإن تراعنوا وادعوا ذلك قلنا لهم: فيلزم على ذلك أن يكونوا قد اتحدوا بذات الله. إذ كانوا قد اتحدوا بمن اتحد به المسيح. فإن التزموا ذلك ، قلنا: فالسبعون هم الله تعالى والله هو السبعون، والرسول هو المرسِل والمُرسل هو الرسول. وهذا هو الجنون. ثم نقول للنصارى: أليس قد اعترف المسيح بأن غيره أرسله؟فكيف تقولون: إنه هو نفسه؟فإن قالوا: هذا

---

(١) لوقا ١٠: ١ + ١.

(٢) لوقا ١٠: ١٦.

(٣) محرف الإنجيل كتب من أجل أن يثبت أن عيسى هو المماثل لموسى أنه كما اختار موسى سبعين، اختاريسوع سبعين. ومعنى أنبياء فى لسان بنى إسرائيل علماء أو رسل لرسول الله وليس بلازم أن يؤيدهم الله بالمعجزات .

(٤) لوقا ١٠: ١٦.

اعتقاد طائفة منَّا. ونحن لا نلتزمها فيلزمنا الذب عنها ولكن الاعتقاد المرضى عندنا: أن المسيح ابن الله. ولا نقول هو الله نفسه [١]. ولا يبعد أن يرسل الله ابنه إلى عباده. فحينئذ يحسن أن نعيد عليهم بعض ما مضى لنا ونقول: ألم تقولوا فى الأمانة: «نؤمن بالمسيح الإله الحق الذى أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء، الذى نزل من السماء وتجسّد وولدته مريم وقتل وصلب»؟ ألم تقرءوا فى صلواتكم: «يا ربنا المسيح الذى، ذاق الموت من أجلنا ونزل من السماء لخلاصنا؛ لا تضيّع من خلقت بيديك» ألم تنقلوا عن أفرايم من أسلافكم وكبار مشائخكم قوله: إن اليدين التى جبلت طينة آدم هى التى سمرت على الخشبة، وإن الشّبر التى مسحت السماوات هى التى عُلقت على الصليب، وإن من لم يقل إن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله؟ وإذا كانت صلواتكم وأمانتكم وأقوال مشائخكم مصرحة بذلك فقد ذبتم فى هربكم مما ألزمناكم، وصدق المسيح فى قوله: إن الله نبأه وأرسله.

وأما قولهم: فلا يبعد أن يرسل الله ابنه، وتسمية الله أباً والمسيح ابنا. فنحن نسألهم ما تعنون بهذه البنوة؟ أمجرد تسمية وتشريف أم لما خصّه به من الآيات والخوارق أم تريدون البنوة المعروفة المألوفة؟

فإن قالوا: إن ذلك مجرد تسمية وتشريف. قلنا: فلا اختصاص للمسيح بهذا التشريف والتسمية، ولا مزية له على غيره؛ فقد سمّى الله يعقوب ابنا وسمى داود ابنا، وسمى الصالحين وأولاد الأنبياء، أبناء - بزعمكم - فرويتم أنتم لنا عن الله فى التوراة قوله: «إسرائيل ابنى بكري» [٢]. يقول ذلك لفرعون فى عدة مواضع. وقال فى السفر الأول: «لما رأى بنو الله بنات الناس حساناً جدا؛ نكحوا منهم على ما أحبوا وأرادوا. فغرقهم الله بالطوفان» [٣]. وقال فى المزامير: «داود

(١) مذهب اليعقوبية وهو نفسه مذهب الأرثوذكس أن الله هو المسيح والمسيح هو الله. ومعنى ابن الله عندهم: هو لتطبيق نبوءة المزمور الثانى عليه، ومعنى الروح القدس عندهم هو لتطبيق نبوءة المعزى الروح القدس عليه. ومذهب النسطورية: أن مريم ولدت إلها وإنسانا معا، مع قولهم بانفصال الأقانيم. ومذهب الملكانية وهو نفسه مذهب الكاثوليك والبروتستانت أن كل أقنوم متميز عن غيره.

(٢) خر ٤: ٢٢ .

(٣) تك ٦: ١ + والمراد بأبناء الله: الصالحين من عباده، والمراد بأبناء الناس: المحبون للدنيا وزينتها.

ابنى حبيبي»[(١)]. وقال المسيح: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم»[(٢)]. فقد استوى المسيح وغيره فى هذا التشريف وترجح إسرائيل بالبكارة عليه[(٣)]. وإن أردتم البنوة المعروفة المألوفة بين الناس وهى المتخذة من الزوجة والمملوكة، على معنى أن المسيح انفصل من الله. فكيف يصح هذا، وإنما ينفصل الجسم من جسم مثله والبارى منزه عن الجسمية؟ ثم ذلك باطل بنص الإنجيل؛ إذ قال لوقا: إن المسيح من روح القدس[(٤)] فكيف تقولون إنه منفصل من ذات الله؟فقد بطل مقصودكم من البنوة على كلا القسمين.

وإن قالوا: إنما استحق المسيح البنوة لما اتحدت به الكلمة فصار بها ابنا على الحقيقة، وغيره ممن ذكرتم لم يتحد به، فبقى ابنا على سبيل التشريف. قلنا: أخبرونا عن هذه الكلمة. ما هي؟وما الذى تعنون بها؟ فإنهم يقولون: الكلمة: هى العلم أو النطق. ولا يعدلون عن ذلك، فيقال لهم: أليس من حكم الصفة أن لا تفارق الذات الموصوفة بها؟فإذا كان العلم أو النطق هو صفة لذات البارى ـ تعالى ـ فلا تفارقه إلا ويخلفها ضدها وهى الجهل أو الخرس. فإن كان علم البارى قد انفصل أو نطقه وقام بغيره؛ فقد صار القديم ماوقا ناقصا. وذلك مستحيل على الله ـ سبحانه ـ وإن كان علم الله لم يزايله وكلامه لم يفارقه؛ فلا حقيقة لهذا الاتحاد الذى تدَّعونه. وقد أطلتُ النَّفَس قليلا. فلنرجع إلى إيثار الاختصار؛ فإن هذه الفرقة أنزر شأنا من أن يُحفل لها.

الدليل الحادى والعشرون:

إيثاره الله على ما سواه وذلك دأب النبيين من إخوانه ـ عليهم السلام ـ: قال لوقا: «جلس يسوع يوما يتكلم مع تلاميذه، فرفعت امرأة من المجلس صوتها وقالت: طوبى للبطن التى حملتك وللثديين التى أرضعتك. فقال لها المسيح: مهلا. طُوبى لمن يسمع كلام الله فيحفظه»[(٥)].

---

(١) مزمور ٨٩: ٢٠ ـ ٢٩ .

(٢) يوحنا ٢٠: ٧ .

(٣) «أنا أيضا أجعله بكرا» [مز ٨٩: ٢٧] .

(٤) لو ١: ٣٥ .

(٥) لوقا ١١: ٢٧ + .

قلت: هذه امرأة اشتغلت بمدح المخلوق فأرشدها لمدح الخالق - جل وعلا - انظر إلى هذا الكلام الصادر من هذه المرأة، هل خرج من قلب نعتقد ربوبية المسيح وألوهيته؟ وإلا فما أحسن ربّا فى بطن وإلهاً على أيدى المراضع!! أعوذ بالله من الضلال، والتعبد للأطفال.

الدليل الثانى والعشرون:

شهادة يوحنا الإنجيلى على المسيح بالنبوة: قال يوحنا: «كان الناس إذا رأوا يسوع وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبى حقا» (١) وقال يوحنا أيضا: «تفل يسوع على طين ووضعه على عينى أكْمه وقال: اذهب فاغتسل فى عين شلوخا. ففعل. فانفتحت عيناه، وذلك فى يوم السبت فوقع بين اليهود فيه خُلف، فمنهم من يقول: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحترم السبت، ومنهم من يقول: إن الله لا يستجيب للخاطئين، ومنهم من يقول: إنه لا يجيء نبى من الجليل» (٢) .

قلت: هذا يوحنا الإنجيلى الذى يُسمى حبيب المسيح يشهد بنبوته، وهو أحسن أقوال أهل زمانه فيه، وذلك يكذب اليهود والنصارى. أما اليهود ففى جحد نبوته، وأما النصارى ففى ادعاء ربوبيته.

الدليل الثالث والعشرون:

موعظة مشابهة لمواعظ الأنبياء عليهم السلام: قال المسيح لمن حضره: «لِمَ لم تحكموا بالحق من نفوسكم؟ فإذا ذهب أحدكم مع خصمه إلى الرئيس فليدفع ما يجب عليه فى الطريق فيخلص كيلا يذهب به إلى الحاكم فيدفعه الحاكم إلى المستخرج فى السجن، الحق أقول لكم: إنه لا يخرج منه حتى يؤدى آخر فلس عليه» (٣) .

قلت: الموعظة بليغة ومعناها رائق وقاعدتها مبنية على أُسّ من الحقائق، غير

---

(١) يوحنا ٤ : ١٩ + .

(٢) يوحنا ٩ : ١٣ + و ٧ : ٥٢ .

(٣) لوقا ١٢ : ٥٨ + .

أن قول خاتم النبيين: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» [١] أبلغ من ذلك وأخصر، وأضبط لشوادر فرائد الفوائد وأحصر.

الدليل الرابع والعشرون:

قال المؤلف ـ عفا الله عنه ـ: وقد شهد يوحنا الإنجيلى أن المسيح ليس إلهاً، ولكنه نبى بار ذو شفاعة مقبولة عند الله، فقال فى الفصل الأول من رسالته الأولى: «أيها الأبناء لا تخطئوا، فإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الأب؛ يسوع المسيح البار» [٢] . فهذا ـ رحمكم الله ـ يوحنا الحوارى مفارق لمقالة النصارى فى المسيح موافق لاعتقاد الملة الحنفية فى نبوته عليه السلام.

الدليل الخامس والعشرون:

دليل صحيح على نبوة المسيح: قال لوقا: «قال الفرِّيسيُّون ليسوع: اخرج من ههنا فإن هيرودس يريد قتلك، فقال: امضوا وقولوا لهذا الثعلب: إنى أقيم ههنا اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أُكمل؛ لأنه لا يهلك نبى خارجا عن أورشليم» [٣] .

قال المؤلف عفا الله عنه: لو اجتمع علماء النصرانية وراموا صرف هذا الكلام عن صلاحيته لنبوة المسيح إلى إثبات ما يدعونه من الربوبية لأعوزهم ذلك. فمن أبدى من النصرانية فى بنوته نزاعا، ورام لها دفاعا. فهذا الفصل وأمثاله حجة عليه. فإن قال النصاري: هب أن هذا الفصل يدل على نبوته؛ أليس قد شهد عليكم معشر المسلمين بأنه فى اليوم الثالث يُقتل ويصلب؟ قلنا: لم يقل ذلك وحاشاه منه، إنما قال: إنه فى اليوم الثالث يُكمل، يريد أنه تتم مدة إقامته فى هذا

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) يوحنا الأولى٢ : ١ واعلم: أن المسيح عيسى عليه السلام لن يشفع فى اليهود. ولن يشفع فى النصارى والمسيحيين. وذلك لأن الشفاعة خاصة بمحمد ﷺ ففى التوراة فى سفر إشعياء من أوصاف العبد المتألم من إعراض الناس عن دعوته: «وشفع فى المذنبين» [إش ٥٣ : ١٢] وقد طبقها المسيح على محمد ﷺ طبقا لرواية برنابا ويوحنا فى قوله فى يوحنا: «وكل بنيك تلاميذ الرب» [إش ٥٤ : ١٣] وفى ترجمة: «ويكون الجميع متعلمين من الله» وفى إنجيل مرقس أن المسيح تعجب من عدم إيمان اليهود به، ولن يشفع فيهم. وهذا مبين فى كتاب الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب / نشر دار الإيمان بالمنصورة .

(٣) لوقا ١٣ : ٣١ + .

العالم الناقص ثم يرتفع، وكيف يكون أراد ما ذكرتم من القتل والصفع والصلب وذلك غاية النقص؟لأنكم زعمتم أنه ضرب وسحب ثم قتل وصلب وسلب وذلك لا يعدّ كمالا، بل الكمال الذى أراده هو الذى يقول به المسلمون هو أن الله حماه من أعدائه حين طلبوه ورد طلبتهم منه بالحرمان؛ فما قتلوه وما صلبوه، ونحن إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذكر القتل والصلب أبدينا فيه العجب العجاب، وأقررنا عيون أولى الألباب.

الدليل السادس والعشرون:

وصية مناسبة لكلام الرسل: قال المسيح عليه السلام: «إذا دعاك أخوك فلا تجلس فى صدر المجلس؛ فلعله قد دعا هناك من هو أكرم عليه منك؛ فيأتى المدعو فيقال لك: دع المكان لهذا، فتقوم فتجلس فى آخر باب الناس؛ فتخزى أمام الحاضرين، ولكن إذا دُعيت فاجلس فى آخر موضع، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك: يا حبيب ارتفع عن مجلسك هذا. فيكون لك مجدٌ أمام الحاضرين. فمن اتضع ارتفع، ومن ارتفع اتضع. وإذا صنعت وليمة فلا تدع أحباءك وأغنياء جيرانك لكى يكافئوك ولكن ادع المساكين والضعفاء والزّمنى والمقعدين؛ فطوبى لك إذ ليس لهم ما يكافئونك به. ومجازاتك تكون فى قيامة الصدّيقين» [1] ثم عرَّض بالعلماء. فقال: «جيد هو المِلح فإذا فسد الملح فبماذا يملّح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة، فيطرحونه خارجا. من كانت له أذنان سامعتان فليسمع» [2] .

هذه الوصية وما شاكلها لم تمتد إليها يد التغيير سوى ما عبق بها من قصر التعبير. وهى بطولها مندمجة فى قوله عليه السلام: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء» [3] وقال عليه السلام: «من تواضع لله رفعه الله» [4]. وفى قوله «إنكم أئمة يقتدى بكم» [5] يقول ذلك لأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ .

(١) لوقا ١٤: ٧ ـ ١٤ .

(٢) لوقا ١٤: ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣) أخرجه مسلم وابن ماجه والبخارى .

(٤) مسلم وأحمد .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ١: ٣٤٦ .

اشتمال الجنة على الأكل والشرب والنكاح
وذلك على خلاف معتقد أهل الكتاب

قال المسيح عليه السلام: «كان رجل من الأغنياء يلبس البزّ والأرجوان ويتنعم كل يوم ويلتذ، وكان ببابه رجل مسكين يسمى لَعازَر مضروب بالقروح، وكانت الكلاب تأتى فتلعق قروحه، ويود لو ملأ بطنه من الفتات الذى يسقط من مائدة ذلك الغني. فلما مات ذلك المسكين، أخذته الملائكة إلى حِضن إبراهيم. ومات ذلك الغنى فقر فى الجحيم. ففتح عينيه وهو فى العذاب فنظر إلى لَعازَر فى حضن إبراهيم يتنعم ويلتذ. فنادى: يا أبتاه إبراهيم ارحمنى وأرسل لَعازَر ليبل طرف إصبعه بماء يبرد لسانى من هذا اللهيب. فقال إبراهيم: يا بنى اذكر أنك أفنيت خيراتك ولعازر إذ ذاك فى بلائه، والآن فهو ههنا يستريح وأنت تُعذّب، ومع ذلك فبيننا وبينكم هوّة بعيدة لا يقدر أحد منا على العبور إلى الآخر» [١] .

قلت: قال الله فيمن حاله بحال ذلك الغني: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ .

واعلم: أن اليهود [٢] والنصارى ينكرون أن يكون فى الجنة طعام أو نكاح أو شراب. وهذا الكلام [٣] من المسيح حجّة عليهم. وقد قال المسيح: «إن لعازر هذا فى كفالة إبراهيم يتنعم ويلتذ فى الآخرة» كما قال: «إن ذلك الغنى كان كل يوم يتنعم فى دنياه ويلتذ» والذى يتبدر إلى الأفهام منه: التنعم بالطيبات المألوفة المعروفة، إذ الإنسان إنما يشتاق لما عرف جنسه ونوعه. وقد جاء ذلك فى الإنجيل كثيرًا ولكن النصارى محجوبون بالتقليد عن النظر فى أقوال الأنبياء.

قال لوقا: «قال يسوع: إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء لتكون

(١) لوقا ١٦: ١٩ ـ ٣١ . (٢) اليهود لا ينكرون .

(٣) كلام المسيح ضرب مثل وليس بحجة. إنما الحجة فى تصريحه بالعذاب الجسدي، والنعيم الجسدى فى قوله: «ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» وفى إنجيل برنابا كل أدلة المسيح على النعيم الحسى والعذاب الحسي من التوراة .

مجازاتك فى قيامة الصدِّيقين. فقال من حضر لمن يأكل خبزًا فى ملكوت الله»(١)
وقال حَمَلة الإنجيل: «قال يسوع لتلاميذه: إنى ذاهب أُعِدُّ لكم مائدتى فى الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كراسى المجد»(٢). وقال الإنجيل: إن المسيح شرب مع تلاميذه عصيرًا ثم قال: «إنى لست شاربًا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا فى ملكوت السموات» (٣). وقال المسيح فى الإنجيل: «إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي» (٤). وقال المسيح فى الإنجيل: «بحقّ أقول لكم: إنه سيأتى قوم من المشرق والمغرب فيتكئون. مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماء. ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية. هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان» (٥). وقال المسيح فى الإنجيل: «طوبى للجياع العطاش فإنهم للرحماء فإنهم يرحمون» (٦).

فهذا المسيح يشهد أن فى الجنة أكلا وشربا وأن المساكين يتملكون ذلك وفى الإنجيل يقول المسيح: «بيعوا أمتعتكم وتصدّقوا، اجعلوا لكم أكياسا لا تبلى وكنوزا فى السماء لا تفنى، حيث لا يصل إليها سارق ولا يفسدها سوس. فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم معلقة» (٧). وقال المسيح عليه السلام لأصحابه: «أنتم تقولون: إن الحصاد يأتى بعد أربعة أشهر، وأنا أقول لكم: ارفعوا أعينكم فانظروا إلى الكُوَر قد ابيضت وبلغت الحصاد، والذى يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثمار

---

(١) لوقا ١٤: ١٣ ـ ١٥ وقوله «لتكون مجازاتك فى قيامة الصديقين» فى الترجمة الحديثة: «لأنك تكافى فى قيامة الأبرار» وفى توراة موسى: «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» [عدد ٢٣: ١٠] وفى القرآن الكريم: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

(٢) لوقا ٢٢: ٢٩ وقوله «لتجلسوا على كراسى المجد» تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر. معناه: أن المستقيمين يعلون على الأشرار فى يوم القيامة، ويخزونهم. وقد أخذ هذا المعنى من الزبور. إذ يقول داود عليه السلام: «والإنسان فى كرامة لا يبيت؛ يشبه البهائم التى تباد. هذا طريقهم اعتمادهم، وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم. سلاه. مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعهم ويسودهم المستقيمون. عذاة وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم» [مزمور ٤٩].

(٣) متى ٢٦: ٢٩.

(٤) لوقا ٢٢: ٣٠.

(٥) متى ٨: ١١ ـ ١٢.

(٦) متى ٥: ٦ ـ ٧.

(٧) متى ٦: ١٩ ـ ٢١.

الحيـاة الدائمة»[١]. وقال المسيح عليه السلام لتلامـيذه: «اعلموا لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقى فى الحيـاة المؤبدة؛ لأن ذلك قد ختمه الله» [٢]. فقـد ثبت عن المسـيح: اشـتمـال الجنة علـى الأكل من الطيـبات والتـنعم باللذات والتـفكه فى الشهوات.

فإن قيل: وأين ذكر الجماع فى الجنة؟

قلنا: قال المسـيح عليه السلام فى الإنجيل: «من ترك زوجـة أو بنين أو حقلا من أجلى فإنه يعطى فى الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة» [٣]. فقد صرح المسيح بأن الرجـل المؤمن يُعـطى فى الجنة مـــائتى زوجـــة كــمـــا يُعطى مـــائتى حقل. والحقل: الكرم والبستان. وذلك مكذب للنصارى واليهود فيما صاروا إليه.

فإن قيل: هذا فيه الحجة الواضحة على النصارى، فما الحجة فيه على اليهود مع إنكارهم شرع الإنجيل؟

قلنا: قـال الله تـعالـى فى السـفـر الأول من التـوراة وهو الذى يدعى سـفـر الخليـقة[٤]: « إن الله غرس فردوسـا فى جنة عدن وأسكنه آدم وغرس له من كل شجـرة طيبة المأكل شهـية الطعم وتقدم إليـه: إنى قد جعلت كل شـجر الجنة لك مأكلا سوى شجرة معرفة الخـير والشر. ثم قال الله سبحانه: لا تحسبن أن يبقى آدم وحده. فألقى عليه سُباتا ونزع ضلعا من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحما ثم خلق الله من ذلك الضلع حواء؛ فزوجـها آدم، فلما أكلا من الشجرة التى نهـيا عنها؛ انفتحت أعينهما، وعَرَفا أنهمـا عريانان. فكلمهما الله وتوعدهما على المخالفة. ثم صنع سبحـانه لآدم وزوجته سرابيلات من الجلود فـألبسهما ثـم أرسلهما من جنة عدن وأهبطهما إلى الأرض؛ ليحرث فيها» .

وقال فى السفر الأول أيضاً: «كانت سدوم قبل أن يخسف الله بها تشبه فردوس الله وأرض مـصر» [٥] وقال فى السفر الأول أيضاً: «أما هابـيل الشهيد فإنه يجزى

(١) يوحنا ٤: ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) يوحنا ٦: ٢٧ .

(٣) متى ١٩: ٢٥ .

(٤) الأصحاح الثانى من سفر التكوين. . . .

(٥) تكوين ١٣: ١٠ .

بدل الواحد سبعة» [١] .

وهذا دليل على أن الجزاء من جنس المنفَق فى الدنيا تقرّباً إلى الله؛ فإن هابيل كان قد قرب من أبكار غنمه؛ فتقبله الله منه، ووعده الجزاء على الواحد سبعة. فهذه التوراة والإنجيل مصرحة بموافقة الكتاب العزيز، وبذلك تتم اللذة وتجتمع المسرة، وتحصل الدعة. فمن أعظم جرما وأشد إثما وأثقل وزرا وأضعف أزرا؛ ممن يقرأ هذه النصوص من التوراة والإنجيل، ثم يكفر بها ويردها؟

ولو أن اليهود والنصارى إذ حرموا لذّة الاستنباط والاستخراج؛ قلدوا أنبياء الله فى ذلك؛ لأخذوا بحظّهم من الخير. فقد قال النبى إشعياء فى نبوته: «يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء والورود، ومن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقى ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن» [٢] .

قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى فى الكتاب العزيز فى وصف الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

وقال دانيال عليه السلام: «سيبعث من الأجداث قوم كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار» [٣] . وقال داود: «الله باعثهم وناشرهم من بين أنياب السباع ومن لجج البحار» [٤] . وقال أيضا فى المزمور الخامس والثلاثين: «يا رب البشر بظلال بيتك يستترون، ومن نعيم بيتك يشبعون، ومن وادى نعمك يرتعون؛

---

(١) تك ٤ : ١٥ .

(٢) نص سِفر إشعياء الذى ذكره المؤلف هو نبوءة عن محمد ﷺ وهو بعد نبوءة العاقر والعبد المتألم [إش ١٣٥٢ +] وفيه يقول عن محمد ﷺ : «هو ذا قد جعلته شارعًا للشعوب، رئيسًا وموصيًا للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك؛ تركض إليك...» [إش ٥٥ : ٤ +].

(٣) يقول دانيال : وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون...» ثم يقول: «أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك فى نهاية الأيام» [را ١٢ : ٢ و ١٣] .

(٤) النص فى المزمور الثامن عشر. كناية عن هزيمة النبى المنتظر على يد أعدائه، ثم انتصاره عليهم. ويظن المؤلف أنه فى يوم القيامة. وفيه «حبال الهاوية حاقت بي. أشراك الموت انتشبت بي. فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت» إلى أن قال: «فأزعجهم. فظهرت أعماق المياه» - «أنقذنى من عدوى القوي، ومن مبغضى ؛ لأنهم أقوى مني».

لأن ينبوع الحياة عندك»(١) وقال فى المزمور الثمانين: «لو سمع منى شعبى وسلك سبلى لأذللت أعلاه ومحوت سيئاته وأطعمته من طيباتي»(٢). وقال فى المزمور الرابع والعشرين والمائة: «المتوكلون على الله مثل جبل صهيون الذى بأورشليم لا يزول إلى الأبد. والذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح كانوا ينطلقون باكين ويقبلون بالتهليل وقد حملوا غلاتهم»(٣).

فهذه نبوات أنبياء بنى إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت بما نطق به الكتاب العزيز من اشتمال دار الثواب على الطعام والنكاح والشراب. فإن قال اليهود: ما حكيته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا ولا ينكر تسمية الجنة بستانًا، والبستان جنة.

قلنا: يا إخوان القرود ومشاركى ثمود إنما قالت التوراة: «إن الله أسكن آدم فردوسًا فى جنة عدن وجعل فيه من كل شجرة طيبة المأكل وقال لآدم: جعلت لك كل شجر الجنة مأكلاً» والله تعالى يقول: إنه فردوس فى الجنة، وأنتم تقولون: بل بستان وحديقة فى الدنيا، ألم تسمعوا إلى قوله فى بقية الكلام: إن الله كلمهما وتهددهما ثم صنع لهما سرابيلات من الجلود، وأرسلهما من جنة عدن إلى الأرض التى أُخذ منها آدم وأهبطه للحرث؟(٤) وإن تعلق النصارى بقول

(١) المزمور السادس والثلاثون كله نبوءة عن محمد ﷺ والتعابير التى فيه عن النعيم هى كناية عن الرخاء والأمن وكثرة الشبع فى زمانه. ومنه «فبنو البشر فى ظل جناحيك يحتمون، يروون من رسم بيتك» يقصد كثرة الخيرات عند الكعبة البيت الحرام - «ومن نهر نعمك تسقيهم» إلى أن قال عن هزيمة اليهود أمام المسلمين «دحروا فلم يستطيعوا القيام».

(٢) النص فى المزمور الحادى والثمانين. والمؤلف يعتقد أن الطيبات التى فيه ستكون فى الجنة. والحق أنه تكلم عن الرخاء وكثرة الخيرات فى زمن محمد ﷺ ويقول: لو سمع بنو إسرائيل له فى وقت مجيئه لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض «سريعًا كنت أُخضع أعداءهم، وعلى مضايقيهم كنت أرد يدي...».

(٣) النص فى المزمور المائة والخامس والعشرون. وهو فى المقارنة بين الأشرار وهم اليهود، وبين الأخيار وهم بنو إسماعيل. ويقول: إن هزيمة الأشرار للأخيار لن تدوم. وأن الأشرار يعدلون إلى طرق معوجة فيذهبهم الرب مع فعلة الإثم. وفى القرآن الكريم: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ وفى نهاية المزمور يقول المحرف: «سلام على إسرائيل» وفى سفر إشعياء: ليس سلام على الأشرار» فتكون العبارة من قبل التحريف: سلام على إسماعيل.

(٤) فى الأصل وأهبطهما. وفى التوراة وأهبطه [تك ٣ : ٢٣].

أسلافهم[١] إن أهل الجنة لا يتزوجون.

قلنا لهم: يا عبَّاد الرجال وربَّات الحِجال، لو قدرنا صحة ما نقلتموه عن أسلافكم من ورود هذا اللفظ بعينه؛ لم يلزم نفى ما صرنا إليه من التنعم بالنِّسوان فى الجنان، إذ يُحتمل أن يراد به: أنهم لا يتزوجون الزواج المعروف المألوف من قاعدة النكاح، والزواج الدنيوى وهو تقدم الخطبة وبذل الصداق والعقد والشروط وغير ذلك مما فيه حرج وكلف على الناكح، بل يمنحون ذلك ويتملكونه ويرثونه وراثة وتملكًا. والدليل عليه من الإنجيل: قول المسيح: «من ترك زوجة من أجلى فى الدنيا فإنه يعطى مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة»[٢]. وفى ذلك موافقة الكتاب العزيز حيث يقول: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولفظة الميراث كثيرة مستعملة فى الإنجيل والتنزيل. ولهذا شمَّر كثير من أتباع المسيح فى طلب هذا التضعيف؛ فترهبنوا وانقطعوا عن النساء والشواغل، فإذًا قولكم: إن أهل الجنة لا يتزوجون منافاة بينه وبين قوله فى الإنجيل: «من ترك زوجة فإنه يعطى للواحد مائة ضعف» والأصل المعتبر عند أرباب النظر: الجمع بين الأدلة، لا تعطيل بعضها واستعمال بعض.

فقد ثبت ـ بعون الله ومنِّه ـ ماضمناه من اشتمال الجنة على الملاذ الروحانية والجسمانية جميعاً.

•••

لزوم الاستقامة خوف هجوم القيامة:

قال المسيح: «يشبه ملكوت الله عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العروس، خمس منهم جاهلات وخمس حكيمات. فأما الجاهلات؛ فأخذن مصابيحهن ولم يعددن زيتاً. أما الحكيمات؛ فأعددن الزيت مع مصابيحهن. فلما أبطأ العروس نعسن ونمن أجمع. وانتصف الليل وصرخ الصوت: قد جاء العروس

---

(١) إن بولس يقول بالبعث الروحانى لسبب ذكرناه فى «حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب» وهو اللغو فى نبوءة ملكوت السموات.

(٢) مرقس ١٠ : ٢٩ ـ ٣٠ وانظر نبوءة التجديد فى كتابنا المسجد الأقصى بين المسلمين وأهل الكتاب.

فاخرجن للقائه. فقام الحكيمات وزيّن مصابيحهن. فقال الجاهلات للحكيمات: أعطونا من زيتكن؛ فإن مصابيحنا قد طُفئت. فقلن: ليس معنا ما يكفينا وإياكن فاذهبن وابتعن لكن زيتا. فلما ذهبن لذلك جاء العروس ودخل مع المستعدات إلى العرس وأغلق الباب. وجاء الجاهلات فقلن: يا رب يا رب. فقال: الحق أقول لكن: إنى لست أعرفكن. ثم قال لتلاميذه: اسهروا الآن وصلوا؛ فإنكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة»(١).

قلت: قال ربنا جل اسمه﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ .

انظر ـ رحمك الله ـ إلى هذا الكلام الرفيع القدر، الطيب النشر، الحسن البشر، وقسه بفصل العذارى العشر؛ لتعلم قدر ما أُوتيت الأمة المحمدية، وتقف على سرِّ قوله عليه السلام: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية» (٢).

الدليل السابع والعشرون:

شهادة يوحنا الإنجيلى للمسيح عليه السلام بالنبوة. وفى ذلك تكذيب للمتأخرين من النصارى فى دعوى ربوبيته: قال يوحنا تلميذ المسيح وحبيبه وهو أحد مدونى الإنجيل: «لما أطعم يسوع خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وحوتين من السمك. قال الناس: حقا إن هذا لهو النبى الآتى إلى العالم. فلما علم أنهم يريدون أن يخطفونه ويصيرونه ملكا عليهم؛ خرج من بينهم وذهب وحده إلى الجليل»(٣).

(١) النص فى الأصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى. وهو ليس فى الغرض الذى قاله المؤلف. وإنما هو نص فى مجيء محمد ﷺ ليفتح بلاد فلسطين ويعلم فيها القرآن ويطرد اليهود منها. وهو مثل مبدوء «حينئذ يشبه ملكوت السموات» وفى نهايته: «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان» يعنى بابن الإنسان محمد ﷺ . .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا. وقول اليهود: «حقا إن هذا لهو النبى الآتى إلى العالم» يدل على أن=

فهؤلاء خمسة آلاف رجل ممن شاهد المسيح، يشهدون له بالنبوة. وهو مقرّهم على شهادتهم، وحاكم بصحة إيمانهم، وراض بهذا المعتقد منهم. ولو أنكر عليهم قولهم؛ لنُقل إليناكما نقلت منهياته وأوامره ـ على ما سيأتى ـ وما أحسن إلها يخاف من العبيد أن يخطفوه ويصيروه ملكا عليهم ويغلبوه على رأيه فى ذلك.

وقد نقلوا عن لوقا أن جبريل حين بشر مريم أم المسيح بالناصرة قال لها: «إن ولدك يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»[1].

فإن كان ما حكوه عن لوقا عن جبريل صحيحا؛ فقد كذبوا فى هربه من التمليك عليهم، وإن كان ما نقلوه ههنا فى الهرب صحيحا؛ فقد كذبوا فى نقلهم عن لوقا عن جبريل، وإلا فكيف يتقدم الله إليه على لسان جبريل بسياسة عباده والتملك عليهم، ثم يأبى ذلك ويخالف أمره وينكص عنه فلا يمتثله؟

هذا مما يُورِّك فيه عن النَّقلة. وبهذا الاضطراب وشبهه؛ رد العلماء كتب هؤلاء القوم وأضربوا عن الاحتفال بها.

فإن شغب النصارى بذكر هذه الآية أعدنا عليهم آية موسى وقلنا: قد نقلنا من التوراة أن موسى أطعم قومه وهم ستمائة ألف رجل سوى الصبيان والنسوان والغرباء منًّا وسَلْوى وأدامه عليهم[2]، ومن صنع خيرا كثيرا وأدامه؛ أفضل بلا شك ممن صنع قليلا منه وقطعه.

وبالجملة: فآيات الأنبياء ليست نمطا واحدا؛ إذْ المقصود منها الإعجاز.

الدليل الثامن والعشرون:

معجزة دالة على صدق نبوته عليه السلام: قال يوحنا التلميذ: «دُعى المسيح إلى عرس فى الجليل، ففرغ الخمر الذى لهم، فقالت أم يسوع: ليس للقوم خمر. ثم

=النبى المماثل لموسى لم يكن قد أتى حتى زمن عيسى. ومن أوصافه: أن يكون ملكا له يسمعون [تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢] وانصراف عيسى ورفضه الملك هو دليل عملى منه بأنه ليس هو. ويكون باب النبوة مفتوحا من بعده لمن يأتى من بعده. وقد جاء من بعده محمد، وانطبق وصف الملك عليه.

(١) لوقا ١: ٣٢ ـ ٣٣ والنص محرف لأن المسيح ليس من داود ولم يكن ملكا.

(٢) خروج ١٦.

قالت للخدام: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وكان هناك أوعية من حجارة لتطهير اليهود. فأمرهم يسوع فملأوها ماء، ثم أمرهم فسقوا الناس منها خمراً طيبة» قال يوحنا: «هذه أول آية أظهرها المسيح بقانا الجليل» (١).

فإن قال النصارى: بذلك نستدل على ربوبيته. إذ قلْب الأعيان ليس من مقدور البشر. فالجواب: أن المستبد بالخلق والاختراع هو الله الذى لا إله غيره الفرد القديم الواحد العالم القادر الحكيم خالق العوالم بما فيه من الأجسام والأعراض. وليس فى تحويل الماء خمرا سوى تبديل عَرَض بعرض؛ إذ لا يخلو الجوهر عن عرض إلا ويخلفه ضده. فتارة يكون ذلك الضد مناسبا، وتارة يكون مخالفا، وذلك كله ممكن والله تعالى متصف بالقدرة على كل ممكن. وقد دللنا على عبودية المسيح فى الباب الأول. وفى ذلك ما يرد هذا السؤال. والمعجز فى الحقيقة خالق العجز. وهو الله عز وجل، وصدوره على يد عبد من عبيد الله يدّعى أن الله أرسله؛ يتنزل منزلة قول الله تعالي: صدق عبدي.

ونحن نناقش النصارى على ذلك فنقول:

أولاً: لا نسلّم أن هذه المعجزة لعيسى بل هى لمريم أمه. بدليل: أنها التى اقترحتها وطلبتها. ألا تراها كيف تقدمت للخدام وقالت: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وذلك من غير مؤامرته؟ وقد حكى بعض العلماء من أصحابنا فى نبوة مريم قولين، فإن كانت نبية فهذه معجزة لها، وإلا فهى كرامة فى حق ولايتها. والكرامة صورتها صورة المعجزة، وإنما يفترقان فى التحدّى - على رأى بعضهم - قال الله تعالى فى حق مريم أم المسيح: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾. ولا يستنكر من أصحابنا القول بنبوة مريم؛ فأهل الكتاب يعتقدون نبوة جماعة من النسوان. منهم مريم أخت موسى وخُلْدى (٢) وأستار (٣). ورفقى. وقد زعموا: أنه كان لفيلبّس - الرسول من أتباع المسيح بعد المسيح - أربع بنات كلهن بنيات.

(١) يوحنا ٢ .

(٢) الملوك الثانى ٢٢: ١٤ .

(٣) استير: فى سفر أستير

ولو سلمنا أن الآية مضافة إلى المسيح وفى حقه؛ فهى آية تدل على صدقه والله يؤيد من يشاء لإرشاد خلقه، ولو جاز أن يدعى فى المسيح الربوبية بتحويل الماء خمراً لجاز أن يدعى ذلك فى اليسع بتحويله زيتا. فقد جاء فى سفر الملوك من كتب أهل الكتاب: «أن اليسع عليه السلام نزل بامرأة من بنى إسرائيل فأضافته وأكرمته فلما عزم على الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: يا نبى الله إن على زوجى دينا قد فدحه وإن رأيت أن تدعو الله تعالى لنا بقضاء ديننا. فقال لها اليسع: أحضري لى ما عندك من الأوانى واستعيرى من جيرانك ما قدرت عليه من الآنية. ففعلت ذلك فأمرها فملأتها كلها ماء. ثم قال: اتركيها ليلتك هذه. وتركها ومضى فأصبحت المرأة وقد تحول ذلك كله زيتا فباعوه وقضوا دينهم»[١].

فهذه الآية أعجب وأغرب. ولم يُنقل: أن اليسع امتُهِن وغلب وقتل وصلب، بل لم يزل آمنا فى سِربْه إلى أن ألحق بالله ربه.

ولقد فعل موسى ما هو أعجب من ذلك كله وهو أنه ضرب بعصاه[٢] بحر النيل بمصر فتحول الماء بسائر أرض مصر دماً عبيطا، وكذلك ألقى عصاه بين عصى بنى إسرائيل فاهتزت شجرة ذات أغصان وأفنان وأورقت وأثمرت لوزا، فبينا هى خشبة إذ صارت شجرة خضراء مثمرة[٣]. فبطل ما عول النصارى عليه. فما أجابوا به عن آيتى موسى واليسع فهو جواب لنا عن آية المسيح.

وقد صرح فولُس فى الرسالة[٤] إلى العبرانيين بأن المسيح ليس ربا ولا إلها بل إنه عبد من عباد الله. شَرّفه الله كما شرف غيره من أنبيائه وأهل صفوته فقال[٥]: «إن المسيح هو رئيس أحبارنا، وهو الذى صعد إلى السماء، وليس لنا رئيس أحبار غيره» ثم قال: «إن كل رئيس أحبار إنما يكون من الناس ليقوموا فيما بين الناس وبين الله، وليس أحد ينال الكرامة لنفسه إلا من أناله الله مثل هارون، وكذلك

---

(١) الملوك الثانى ٤ .

(٢) الأصحاح السابع من سفر الخروج .

(٣) فى الأصحاح السابع عشر من سفر العدد: «أفرخت فروخا، وأزهرت زهراً، وأنضجت لوزاً».

(٤) عبارة الأصل : فى الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين.

(٥) النص فى الأصحاح الرابع من الرسالة إلى العبرانيين وهو: «فإذ لنا رئيس كهنة. . .إلخ».

المسيح لم يمدح نفسه، بل الله الذى مدحه، حيث يقول: «أقسم الرب بأنك أنت الكاهن المؤيد شبه ملكى صادق» .

فهذا فولس ـ الذى ليس عند النصارى من يعدله ـ يشهد بأن المسيح إنسان من بنى آدم وحَبْر من أحبارهم. كهارون.

الدليل التاسع والعشرون:

دليل صحيح على نبوته: قال يوحنا الإنجيلي: «جاء يسوع إلى بئر من آبار السامرة مستسقيا ماء، وقد عيى من تعب الطريق. ففاوضته امرأة منهم فقالت: يا سيد إنى أرى أنك نبي. فقال لها يسوع: أنا هو الذى أكلمك. ثم وافاه تلاميذه فعرضوا عليه طعامًا، فقال: إن لى طعامًا لستم تعرفونه، إن طعامى أن أعمل مسرَّة من أرسلني، وأتم عمله. ثم بعد يومين خرج من هناك لأنه شهد أن النبى لا يكرم فى مدينته[1]».

وجه الدلالة على النبوة والرسالة من وجوه:

أحدها: قولها له: «يا سيد إنى أرى أنك نبي» فصدقها وحقق ظنها. فقال لها: أنا هو. وهذا واضح.

الثاني: قوله: «إن لى طعامًا لستم تعرفونه» يعنى بذلك: اللذات الروحانية الحاصلة من المناجاة والمكالمة.

---

(١) النص فى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. وهو بتمامه فى إنجيل برنابا. وقد قالت له المرأة: «يا سيد. أرى أنك نبي» والسيد معناها المعلم أو المربى أو الحبر. وكونه معلمًا وسيدًا يدل على نفى الألوهية عنه. ثم سألته المرأة عن القبلة هل هى إلى جهة جرزيم كما يدعى السامريون، أو إلى جهة صهيون كما يدعى العبرانيون. وأجاب بقوله: «إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب» ثم تكلم عن الساجدين الحقيقيين وهم أتباع محمد ﷺ بقوله: « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» وعندئذ قالت له المرأة: «أنا أعلم أن مَسيّا. الذى يُقال له المسيح؛ يأتي» فهل أنت هو؟ ومحرف الإنجيل كتب أنه رد عليها بقوله: «أنا الذى أكلمك هو» ويرد تحريفه أن كاتب إنجيل متى بين أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: «وأما أنتم فلا تُدعوا سيدي؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح» الآتي، لا أنا « ولا تُدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح. وأكبركم يكون خادمًا لكم. فمن يرفع نفسه؛ يتضع، ومن يضع نفسه؛ يرتفع» [متى ٢٣ : ٨+].

الثـــالث: قوله: «أعمل مـسرة من أرسلني» كنَّى بالمسرة عن المحـبة. وإن كان البارى لا يتـصف بالمسرة[1]، وذلك من سوء تعبيرهــم، وعرَّف بأنه رسول مأمور بإتمام العمل ولزوم الطاعة، والنبى وغيـره سواء فى الشرع، إلا ما قام الدليل على تخصيصه به.

قـال المؤلف عـفـا الله عنه: من وقف على هذه الفـصـول الشـاهدة بالنبـوة والرسالة، وشاهد ما كيـفيته من مؤنة استخراجـها من أيدى الضانِّين بها، الكاتمين لها؛ ليطفئـوا نور الله بأفواههم والله متمٌّ نوره؛ فليخصصنى بـدعوة صالحة تكون زادى لمعادي، ويتـعين عليه إظهار ذلك للمـسلم والكافر. أما المـسلم ليقف على مصداق قوله تعالى فى حق المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وأما الكافر فحتى تظهـر عليه الحجة، وتتضح المحجَّـة؛ وأُنذر من بسطت يداه فى دنيـاه، وأهمتـه العناية بأُخراه؛ أن يجـمع من وجوه هذه الطائفة الزائغـة جمعًا كثيـفًا، ويحضر إنجيلهم ويقررهـم بهـذه الفصول على النبوة والعبودية. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

وأما قول يوحنا: «وقد عيى يسوع من تعب الطريق» فدليل على الحدث، ظاهر لمن له ناظر. وليت شـعرى كيف يعـتقـد ربوبية رجل ذى رأس وعـينين، وقذال وأذنين، وفم ولسان وكف وبنان، يأكل ويشرب، ويعيا ويتعب، ويهان ويضرب، ويقتل فى ـ زعمه ـ ويصلب؟.

على أنا نسـأل الـنصـارى فنقـول: من هو هذا الذى عطـش وعـيى من تعب الطريق؟ فـإن قالوا : هو اللاهوت. أكـذبتهم التـوراة. إذ تقول: «إن الله خـالق العالم بأسـره وما مسه إعـياء ولا تعب»[2]. وإن قـالوا: هو الناسـوت. أبطلوا الاتحاد: إذ لم يبق لاهوت متـميز عن ناسوت حتى يضاف إليـه الإعياء والتعب،

---

(١) البارى تعالى يتصف بالمسرة والفرح وبالغضب وبالأسف وبالمكر والنسيان وذلك لأنه نسب إلى نفسه هذه الصفات ليقرب بها ذاته إلى عقول البشر، ويكلمهم بها عن نفسه على قدر عقولهم. أما هو فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

(٢) فى سفـر إشعياء: أما عـرفت أم لم تسمع. إله الدهر. الرب خالق أطراف الأرض. لا يكل ولا يـعيا. ليس عن فهمـه فحص. يعطى المعيى قدرة ولعـديم القوة يكثر شدة. الغلمان يُعيون ويتعبون والفـتيان=

وإذا كان الإله منزهاً عن التعب والإعياء وقد تعب المسيح وعيي؛ فذلك دليل على كذب النصارى فيما هذوا به من الاتحاد. اللهم إلا أن يفسروا الاتحاد بما ظهر على يده من آيات الإله من إحياء الميت وتطهير الأبرص وغير ذلك، فيقودهم القول بذلك إلى مساواة المسيح غيره، ويصير لا خصوصية له بهذا الاتحاد. فإن راموا تفرقة بين المسيح وبين غيره ممن أحيا الميت وطهّر الأبرص وفعل أضعاف فعل المسيح؛ لم يقدروا على ذلك.

وقد حكى لوقا فى إنجيله : «أن رجلاً من الفَرّيسين طلب إلى يسوع أن يأكل عنده خبزًا، فلما دخل بيته حضرت إليه امرأة خاطئة، وصبّت على رجليه قارورة طيب، وبكت عند قدميه حتى بلتهما بدموعها، وجعلت تمسح قدميه بالطيب وبشعر رأسها. قال الفريسى فى نفسه: لو كان هذا نبيًا لعرف أن هذه المرأة خاطئة. فأجابه يسوع عما هجس فى نفسه»[1].

الدليل الثلاثون:

الدليل على رسالته من قوله واعترافه بأن الله غيره وأنه رسول الله إلى عباده: قال يوحنا التلميذ: كيف يحسن هذا التعليم؟ فقال: تعليمى ليس هو لى بل للذى أرسلني، فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمي، هل هو من عندى أو من عند الله؟ إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه فأما من يريد مجد من أرسله: فهو صادق. فعلام تريدون قتلي؟ فقال الجمع: لأنك بك شيطان. قال لهم: تزعمون أن موسى علمكم الختان. وليس الختان من موسى، ولكنه من الآباء وقد تختنون الإنسان فى السبت، كيلا تنقضوا سنة موسى. فعلام تنقمون عليّ إبرائى الإنسان يوم السبت». ثم قال: «إنى لم آت من عندى ولكن الذى أرسلنى محق، ولستم تعرفونه وأنا الذى أعرفه، وهو أرسلني. فَهمَّ اليهود بأخذه

=يتعثرون تعثرًا. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يُعيون» (إش: ٤ : ٢٨+) والمراد بمنتظرى الرب: المترقبون محمدًا ليؤمنوا به.

(١) لوقا ـ الأصحاح السابع.

ولم يقدروا؛ لأن ساعته لم تحضر بعد»[١].

فقد وضحت رسالته من الله إلى الناس وضوح الصبح لذى عينين، ولولا تعاسة الجدّ؛ لما اشتبه الخالق بمخلوق، ولا قوبلت حقوقه بالعقوق.

فأما موضع التحريف[٢] من هذا الفصل: فهو قوله «ليس الختان من موسى ولكنه من الآباء» وذلك غير صحيح؛ لأن التوراة قد أوجبت الختان، وجعلته من شرائع الإيمان، فقال الله فيها: «اختتنوا لحم غرلتكم. أنت وبنوك ورقيقك والساكن عندك الذى أقبل إليّ. واجعلوا ذلك ميْسمًا لى فى أجسادكم، فمن لم يفعل ذلك؛ فليقتل بما أبطل من عهدي»[٣] والتوراة تشهد أن إبراهيم أمره الله فاختتن بعد ما كبرت سنه. وختن بنيه وعبيده[٤]، واختتن موسى وهارون. والمسيح[٥] وحواريوه وتلاميذه، والدليل على ثبج هذا النقل واضطرابه: قوله بعد ذلك: «كيلا تنقضوا سنة موسى» سمّى الختان سنة موسى بعد قوله: «وليس الختان من موسى»، ولم يزل أتباع المسيح يختتنون ويستنون بسنة الأنبياء فى الختان، حتى جاء رجل من المتأخرين يدعى فُولس - وهو الذى يسمونه فولس الرسول - فادعى أن المسيح تراءى له، وأرسله إلى أهل دينه، فأحلّ لهم فولس أشياء وحلّهم مما كانوا مرتبطين به من أقوال موسى والمسيح. فكان مما حلهم منه: سنة الختان التى شرعها الأنبياء - عليهم السلام - فراجعوه فى ذلك. فقال لهم

---

(١) يوحنا - الأصحاح السابع .

(٢) المؤلف يفهم أن التحريف موجود فى قولهم: إن الختان من الآباء والنص ليس فيه تحريف فى الختان. وذلك لأنه يقول: إن الختان مفروض فى شريعة موسى. وهو ليس مفروضًا من موسى فقط، بل هو مفروض عليكم من إبراهيم الذى اختتن وختن أولاده. وهو بهذا يؤكد على وجوب الختان بفرض من الآباء بدءًا من إبراهيم، وبفرضه من موسى إذ هو فى سنته أى شريعته التى تلقاها من الله. والذى ألغى الختان من على النصارى هو بولس. والسبب فى فرض الختان: هو أن الله أمرهم بالجهاد فى سبيله. وإذا لقتل من المؤمنين فى أرض المعركة رجال، وقتل من الكفار رجال؛ فإن الختان هو الذى يميز المقتول المؤمن من المقتول الكافر. وقد ألغى بولس الجهاد فى سبيل الله من على المسيحيين. فأصبح الختان ملغيًا لعدم التمييز. وأحل المعمودية محل الختان.

(٣) تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ .

(٤) تكوين ١٧ : ٢٣ - ٢٧ .

(٥) لوقا ٢ : ٢١ .

فولس هذا المدعي رسالة المسيح: «إن الختان ليس بشيء، وإن الغرلة ليس بشيء»[١] فأطبق الملكية[٢] على ترك الختان، وتربص بقية طوائف بها فلم يتجاسروا على إهمالها.

وهذا فولس الرسول عندهم له كلمات تدل على تهكم وتلاعب بدين النصارى، ستأتى متفرقة فى أضعاف هذا المختصر، إن شاء الله تعالى.

وقد سمعت بعض النصارى يذكر أن كل كلمة ينطق بها المسيح هى مركبة من اللاهوت والناسوت جميعًا. فيلزم على قول هذا القائل: أن يكون الإله قد نطق بكلام المستضعفين، إذ يقول فى كلامه لليهود: «إنكم تريدون قتلي» وذلك زلل عظيم.

الدليل الحادي والثلاثون:

مناظرة جرت بينه وبين اليهود تشهد له بالنبوة والرسالة: قال يوحنا التلميذ «قال يسوع لليهود الذين حضروه: إن أنتم ثبتم على الحق. فالحق يعتقكم. فقالوا: نحن ذرية إبراهيم وأنت تزعم أنا عبيد؟ فقال: الحق أقول لكم: إن من يعمل بالخطيئة. قد عرفت أنكم من ذرية إبراهيم ولكنكم تريدون قتل رجل كلمكم بالحق الذى سمعه من الله. فقالوا: أما نحن فلسنا مولودين من زنى، وإنما لنا أب واحد هو الله. فقال: لو كان الله أباكم كنتم تحبونني؛ لأن الله أرسلني، ولستم تفهمون كلامي، ولا تطيقون استماع قولى أنت من أبيكم إبليس وشهوة أبيكم تأتون. فقالوا: ألم نقل إنك سامرى وإن بك جنونًا؟ فقال: الحق أقول لكم: إن من يحفظ كلامى لا يذوق الموت إلى الأبد. فقالوا: الآن علمنا أنك مجنون، قد مات إبراهيم والأنبياء، فلعلك أعظم من أبينا إبراهيم ومن مات من الأنبياء؟ من تجعل نفسك؟ فقال يسوع: أبوكم إبراهيم اشتهى أن يرى يومى فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأت لك خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم: إننى كائن قبل أن يكون إبراهيم. فتناولوا حجارة

---

(١) كورنثوس الأولى ٧ : ١٩+ .

(٢) الملكية : الكاثوليك .

ليرجموه، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل»[١].

قلت: فقد نطق المسيح فى هذا الفصل وفى غيره بأنه رسول من الله، وأنه إنسان من خلقه، يروم أعداؤه قتلَه على تبليغه رسالة ربه، وأنه سامع من الله، وأن الله غيره، ولو أن الأمر على ما يتخيله النصارى؛ لأرشد أهل ذلك المجلس إلى الصواب ولعرّفهم أن الإله لا يتصور قتله والظهور عليه، ولكنه أثبت عندهم أنه رجل ضعيف من بنى آدم، وأكّد ذلك فى نفوسهم بهربه وتواريه من المجلس على أعين الناس وهم يشهدون، وكيف يكون إلهًا ويترك خلقه يرتبكون فى حبائل الشكوك، ويقول فى محاورته: «إنكم تريدون قتلى وأنا إنسان كلمتكم بالحق، وفُهت لكم بالصدق»؟.

وفى هذا الفصل مواضع يسألون عنها، وكلها قريبة المغزى على من أمعن من مطالعة كتبهم، وعرف نبوات أنبيائهم. منها: قوله «أنا قبل أن يكون إبراهيم» وإنما يريد قبلية الاصطفاء والاجتباء، وتقدير الكلام: أن الله قدر لى النبوة واصطفانى للرسالة قبل خلق إبراهيم. وهذا محمل يتعين حمل هذا الكلام عليه إن صح نسبته إليه، ولو كان الأمر على ما ينهق به النصارى من دعوى الربوبية لم يخصص القبلية بإبراهيم، ولقال: أنا كنت قبل خلق العالم، وأنا الذى نفخت الروح فى حواء وآدم. ولو جاز أن يتمسك بقوله: «أنا قبل أن يكون إبراهيم». لجاز ذلك فى سليمان فقد قال عليه السلام فى حكمته: «أنا كنت قبل الدنيا وأنا كنت مع الله حين مدّ الأرض، وكنت صبيًا ألهو بين يديه»[٢].

فإن قالوا: هذا مؤول؛ لأن سليمان من بنى إسرايل، فكيف يكون قبل الدنيا؟

قلنا: ويسوع المسيح من ولد إبراهيم، فكيف يكون قبل إبراهيم؟ فاستوت الحال، وترجح جانب سليمان فى هذه القَبْليَة. ومنها قوله: «إن أباكم إبراهيم ليشتهى أن يرى يومى فرأى وفرح» يحتمل أن يكون إبراهيم كان قد اشتهى أن يرى يومًا يتلذذ فيه بمناجاة الله ومكالمته؛ فلا جرم أن الله تعالى أناله طلبته،

(١) يوحنا ٨ : ٣١ + والمراد بيرى يومي: المَسِيّا والنصارى حرفوا المعنى إلى عيسى.
(٢) الأمثال ٨ : ٢٢ + .

وأسعفه بحاجته، وشرفه نحلته. فكان عند انتصاف النهار، حين مرت به الملائكة لهلاك قوم لوط. كما شهدت به التوراة، وفارقوه وبقى إبراهيم قائمًا بين يدى الله يناجيه ويتلذذ بمراجعته. ويقول له: «يا رب أتهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد»؟ كما شهدت به التوراة، فضاهى ذلك اليوم من حسنه وطيبه يوم المسيح. إذ كان يدعو ربه عند إحياء «لعَازر» ويقول: «أشكرك لأنك تستجيب لي، وأنا أعلم أنك تستجيب لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفئام؛ ليعلموا أنك أرسلتني». كما نطق به الإنجيل. فهذا تأويل قول: «إبراهيم اشتهى أن يرى يومي» ولو كان على ما يذهب إليه النصارى لقال: اشتهى أن يراني، ولم يقل: اشتهى أن يرى يومي.

ويحتمل أيضًا أن يكون إبراهيم كان قد سأل الله تعالى أن يجعل فى ذريته رجلاً صالحًا تعمّ بركته، فوعده الله أن يخرج من ذريته من يحيى الميت، ويبرئ الأبرص والأكمه، ويشفى المرضي. فاشتهى إبراهيم أن يرى يومًا من أيام هذا المولود الموعود به؛ لكى يحصل به مع علم اليقين عين اليقين فلذا أحيا له ميتًا أو عددًا من الموتى، وشفى له مرضى، وكثّر له من الزاد القليل ما أشبع الجمع الكثير. وقال: إن من ذريتك من أُجرى هذه الأمور على يده، ففرح بذلك اليوم الذى حصل له فيه من ربه ما حصل.

وفى الفصل ما يقتضى مساواة المسيح غيره فى لفظ البنوة. إذ يقولون: «إن أبانا واحد هو الله»[١] فلم ينكر عليهم ويقول: كذبتم بل هو أبى دونكم، بل أقرّهم على ذلك. وقال: «لو أن الله أبوكم؛ كنتم تحبونني» ومن ذلك قوله: «الحق يعتقكم» ومعلوم أنهم أحرار. ومن ذلك قوله: «أنتم من أبيكم إبليس» ومعلوم أنهم من بنى آدم.

فهذا التوسع من المسيح يُوجب صرف الأبوة والبنوّة عن ظاهرها. ويقتضى إطلاق البنوة على العبد المطيع، حيث يقول: «لو أن الله أبوكم كنتم تحبونني»[٢].

قال المؤلف عفا الله عنه:

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ .

(٢) يوحنا ١١ ٤١ ـ ٤٢

قال المؤلف عفا الله عنه:

لقد فاوضتُ بعض النصارى فيما يتعلق بألفاظ البنوة. فقال: لا تعجب من تسميتنا السيد المسيح ابنًا، فنحن بأسرنا ندعو الله أبًا لجميعنا.

فقلت له: فأنتم إذًا مع المسيح فى الرتبة، فلم تسمونه ربًا وتتخذونه إلهًا، ولم يُميز عنكم فى هذه التسمية؟ فذكر اختصاصه بالخوارق والآيات. فتلوتُ عليه أمثالها التى صدرت عن عدة من الأنبياء. فحار ولم يحر جوابًا، وأصيب ولم يصب صوابًا. فليت شعري، أى شيء فى هذا الفصل يصلح للاستدلال على ربوبية المسيح وفيه قوله لليهود: «من منكم يوبخنى على خطيئة؟» وفيه: هربه من المجلس بحضرتهم. وهلاّ كان مكان قوله «من منكم يوبخنى على خطيئة»؟ من منكم يجحد خلقى العالم، ونفخى الروح فى آدم ولم تنكرون ربوبيتى وتجحدون ألوهيتي، وأنا الذى بيده البسط والقبض، وبأمره قامت السماء والأرض؟ وحاشاه حاشاه، بل إنما استدل على نبوته بثبوت عصمته، فقال: «من منكم يوبخنى على خطيئة»؟

الدليل الثانى والثلاثون:

معجزة دالة على نبوته: قال يوحنا التلميذ: «أحيا يسوع لعازر، وجاء إلى القبر مع أخته، وقال لها: أين دفنتموه؟ فأشارت إلى المغارة التى هو فيها فقال: ارفعوا الحجر عنه. ثم دمعت عيناه. فقال اليهود: انظروا حبُّه له. فقالت أخت لَعازر: يا سيد إنه قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام. فقال: إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الحجر عن القبر، ورفع يسوع بصره إلى فوق. وقال: يا أبتاه أشكرك لأنك تسمع لي، وأعلم أنك تسمع لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام؛ ليعلموا أنك أرسلتني. ثم نادى بصوت عظيم: لعازر اخرج فخرج الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفائف ووجهه مستور بعمامة، فقال يسوع: حلوه ودعوه يمضى إلى بيته»[1].

قلت: بهذا وشبهه ثبتت نبوة المسيح، ووضحت رسالته، وقطع ألسن اليهود

(١)يوحنا ١١ .

الذى قرفوه بالخناء، ونسبوا أمير الصدق إلى الزناء، وهذا الكلام من المسيح هو التحدى على النبوة. فإن نازع اليهود فى صدق هذه الآية من المسيح ودلالتها على النبوة وَرَدَ عليهم ذلك بعينه فى شق البحر وإجراء المياه من حجر الظران وغيره من آيات موسى، وكل سؤال انعكس على مورده، فهو مردود من أصله.

وإن زعم النصارى أن ذلك دليل على ربوبية المسيح إذ ليس فى مقدور البشر إحياء من فى القبور. قلنا: قد بينا فى الباب الأول عبودية المسيح: وأنه إنسان من الخلق، أكرمه الله بالآيات وأمدّه بالمعجزات. والرب تعالى هو الذى يعيد الروح إلى قالبها، ويفعل ذلك عند دعوة النبي؛ ليتوجه على العباد قبول أمره وينزل ذلك منه سبحانه منزلة قوله صدق عبدى فأطيعوه. وهذا كما فلق البحر بسؤال موسى، وأخرج له من الرمل حيوانًا كثيرًا فملا. فأرسله[1] إلى فرعون وجنوده، وقد شهد كتاب الملوك من كتبهم: أن قومًا حملوا ميتًا لهم إلى القبر فرأوا أعداءً لهم فطرحوا الميت عن أعناقهم، وابتدروا الهرب إلى المدينة، فأحيا الله تعالى الميت وأقبل حتى دخل المدينة؛ فنظروا فإذا هم قد وضعوه على قبر نبى الله اليسع. فهذا تراب قبر اليسع قد أحيا ميتًا وهو أعجب من فعل المسيح، والمسيح سأل وتضرع فى ذلك، واليسع ميت لم يُنسب إليه سؤال.

وقد ذكر حزقيال النبي: أن الله عز وجل قال حزقيال: قم فتنبأ على هذه العظام حتى أحييها لك. ففعل فأحيا الله بدعوته عالمًا كبيرًا يقال: إنهم ثلاثون ألفًا. وقيل ستون ألفًا. كان بختنصر البابلي[2] قتلهم، وكان لهم من يوم أن قُتلوا ستون سنة، وقد أحيا إلياس وغيره الأموات. وقد كان موسى ضرب بعصاه الرمل فتكوّن منه قمّل وذباب فانثال على أعدائه[3] ولا شك أن من صوّر حيوانًا ابتداءً هو أبدع ممن أعاد الروح إلى قالبها الأول. وكل هذه المنقولات تشهد بها التوراة والنبوات، فهلاّ اتخذ النصارى من ذكرنا من الأنبياء آلهة وأربابًا، وقد أربوا على ما صدر من المسيح عليهم السلام.

(١) خروج ٨ .

(٢) فى الأصل : بختنصر اليونانى

(٣) خروج ٨

واعلم: أن فى قصة لعازر أشياء تمنع النصارى من اعتقاد ربوبية المسيح، منها: قوله: «أين دفنتمـوه»؟ فإنه لو كان المسيح ربه لعـرف مكانه. فكيف يسأل الرب من موضع قبر؟ ومنها: استعـباره عند رؤية قبره وذلك من صفات الآدميين وحنوٌ الجنسيـة. ومنها: قوله لأخت الميـت: «إن آمنت رأيت مجد الله» أضـاف القدرة على الإحياء إلى غيره. ومنها: ابتهاله وطلبـه من الله وإظهار فاقته وحاجته إليه - سبـحانه - وعجزه وقـصوره عن أن يأخذ إلا ما أعطاه. وقـد صرّح هو بذلك فى موضع آخر من الإنجيل إذ يقول: «إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئًا ولا يتفكر فيه، إلا أن يأمـر الأب»[1] وهذا غاية العجز والافتقار. فلو كان المسيح هو الله أو الله حالاً فيه - كـما يقول النصارى - للزم اتحاد السـائل والمسؤول، والداعى والمدعو، والطالب والمطلوب منه. ولو كـان الله هو المسيح أو صـفة من صفـاته، لجر إلى تلبيـس عظيم، إذ سؤاله غيـره، وطلبه من غـير مطلوب منه؛ تلبـيس وتدليس، وحمل لخلـقه أن لا يفوا به دون حـقه، وأن يعـاملوه بما يقصـر عن جلاله، ولا يعطونه من الخدمـة والعبادة مـا تتقاضـاه الربوبية وتوجـيه الإلهيـة، بل يعاملونه معاملة البشر، ويخاطبونه مخـاطبة الآدميين. فينسبونه تارة إلى بنوة داود، وأخرى إلى بنوة يوسف ومـريم. وذلك غض عظـيم من منصب الربوبيـة، وحط لجـلال الإلهية.

فنحن - يرحـمك الله - نسأل النصـارى عن هذا الداعى المبتـهل الطالب. أهو الإله الأزلى الواحـد أو إنسـان من بنى آدم؟ فإن قـالوا: إنه إنسـان من بنى آدم، وافقوا شريعـتنا وخالفوا شريعتهم. إذ تقول: «إن المسـيح إله حق من إله حق من جـوهر الله، وأن المسيـح بيده أتقن العـوالم وخلق كل شيء» وحـينئـذ يصيـروا مسلمين إذا اعتـرفوا بالرسول ﷺ وإن زعموا: أن القـائل لذلك هو الإله الخالق الأزلى الواحد؛ فـقد صرحـوا أن الله الأزلى لا يعلم المغيّبـات، وأنه مفتـقر إلى سؤال غيـره، وأن له ربًا فوقه يسـأله حوائجه، ويضرع إليـه فى نوازله، ومآربه. وكفى بذلك تجاهلاً.

---

(١) يوحنا ٥ : ١٩ «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الأب يعمل».

مؤاخذة على إحياء لعازر:

ذكر يوحنا في قصة لعازر هذه: أن مريم ومرثا أختا لعازر ذهبتا إلى يسوع فقالتا: «يا سيد إن حبيبك لعازر قد مات. فقال يسوع: ليس هذا موتًا على الحقيقة، ولكن ليظهر مجد الله»[1].

قلت: لا يخلو أن يكون لعازر مات أو لم يمت. فإن كان قد مات؛ فكيف يقول: إنه لم يمت حقيقة، وإن كان لم يمت؛ لم يحصل الإعجاز بإحياء من لم يمت. وإحياء الحي محال.

نكتة:

من غلُظ فهمه وأظلم حسه وكثف لبه. افتقر في إرشاده إلى معجز كثيف؛ فلا جرم كانت الآيات في أهل الكتاب من جنس فُهومهم. ولما لطفت أفهام آخرين، وتروحنت نفوسهم، وقوى نفوذ إدراكهم؛ اكتفى في هدايتهم بالروحاني من المعجز؛ فلا جرم آمن طوائف بمجرد رؤية نبيهم وسماع أوّل كلامه، ولم يتوقف إيمانهم على ما توقف عليه إيمان الأولين.

نكتة أخرى:

من أرسله الملك إلى قُطر، في أمر ذي بال. فهو إما خصيص به أو غير خصيص. فإن كان خصيصًا به؛ لم يحتج في تبليغ أوامره إلى مزيد ثبتة. وإن كان الآخر؛ فلابدَّ لوجوب الامتثال مما يقطع الاحتمال.

فقد ثبتت بحمد الله نبوة المسيح، وتقررت رسالته بالأدلة المستنبطة من كتبهم على وجه لا خفاء به على من نوَّر الله قلبه.

---

(١) في البدء. لما كان «لعازر» مريضًا، أرسلت الأختان إلى المسيح: «يا سيد. هوذا الذى تحبه مريض» وأرسل المسيح لهم قائلاً: هذا المرض ليس للموت العادى الذى لا حياة بعده، وإنما سيعقب الموت حياة هى معجزة لي؛ ليتمجد ابن الله بها. يريد أن يقول: إن النبى الآتى الملقب من داود بلقب «ابن الله» هذه المعجزة من أجله. لأننى أبشر به، والله سيؤيدنى بهذه المعجزة ليصدقوا تبشيرى به. فلما وصل المسيح لبيت المريض وجده قد مات من أربعة أيام، وقالت له أخته مرثا: «لو كنت ههنا لم يمت أخي، لكنى الآن أيضًا أعلم أن كل ما تطلب من الله؛ يعطيك الله إياه. قال لها يسوع: سيقوم أخوك. فقالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» وهذا دليل على أنه رسول الله وعلى أن البعث حق واليهود يعترفون به

الباب الثالث

في

تأويل ظواهر الإنجيل

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه إنما دخل الخلل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته من المعقـول مزجاة؛ من جهلهم بمقـتضيـات الألفاظ، وعدم المعرفـة بوجوه الكلام؛ ولقصـور أفهامـهم؛ هابوا تأويل الظواهر، فلم يحملوها على بعض مـحتمـلاتها بالدليل. وليس ذلك صـوابًا، بل ينبغى حراسـة ما دلّ عليه دلـيل العقل الذى لا احتمال فـيه. فإذا ورد لفظ. عرض «العالم» ظاهره على مـا ضَبَطه دليلُ العقل. فإن لم يَنْبُ عـنه؛ استعـمل الظاهر من اللفظ ولم يتأوّل، وإن نبـا عنه؛ طلب له وجهًا، يحمل عليه ما يحتمله؛ ليـجمع بين اللفظ وبين مقتضى العقل. إذ الشرع لا يرد بخلاف ما يقتضيه العقل.

إذا عرفت هذا. فاعلم: أن الألفاظ التى زلّوا فيـها وقدّروها نصوصًا. وليست بنصوص أربعة: الابن، والأب، والإله، والرب. وإذا نحن أتـينا عليها بالتأويل، وبينا ما تحتمله بالدليل، من التوراة والإنجيل. لم يبق إلى إجرائها على الظاهر من سبيل. بعـد أن نُقدِّر صحتهـا مثلاً ونسلِّم ورودها جدلاً. ولو نسبناهم فـيها إلى التحـريف والتصحـيف؛ لأغريناهم بطغيـانهم، وحسمنا عـنهم مادة إيمانهم. بل نلاطفهـم ونتكلم بمقتـضى اصطلاحهم ومنقـولهم. فعسى أن يـكون ذلك أقرب لمعقولهم، فـأما الخوض بهم فى أدلة العقول؛ فـشيء لا تحمله قواهم، ولا يلائم هواهم.

فنقول وبالله التوفيق:

أما لفظتا الابن والأب:

فلغتهم تسـمى الولى «ابنا» وتسمى المربى «أبا» ويعبرون عـن ذلك بأبوّة النعمة وبُنوَّة الخدمة. وذلك عندهم مشهور وفى نبـوات أنبيائهم موسوم مذكور. والدليل عليه من التوراة :قول الله لموسى: «اذهب إلى فـرعون فقل له: يقول لك الرب:

إسرائيل ابنى بكري. أرسله يعبدني. فإن أبيت أن تُرسل ابنى بكري؛ قتلتُ ابنك بكرك»(١) قالت التوراة: «فلما لم يرسل فرعون بنى إسرائيل كما قال الله؛ قتل الله أبكارَ فرعون وقومه. من بِكْر فرعون الجالس على السرير إلى الأتونى من أولاد الآدميين، إلى ولد الحيوان البهيم»(٢).

فهذه التوراة تُسَمِّى بنى إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره وتسمى أبناء أهل مصر أبناء فرعون، وتتوسع بتسمية سِخال الحيوان أولادًا لمالك الحيوان.

فهل بقى بعد هذا ريب فى صرف البنوة عن ظاهرها وحملها على الوليّ العبد؟ ألم تسمع النصارى قول الله: «أرسله يعبدني» فعبر عن العبد المطيع له الممتثل أمره بالابن؟

قال المؤلف عفا الله عنه: قَلَّ ما رأيت لفظة الابن فى كتبهم إلا مقرونة بالعبودية والتعبد. كقول التوراة: «إسرائيل ابن بكري. أرسله يعبدني»(٣). وكقول المزامير: «أنت ابنى سلنى أعطيك»(٤) وكقول المسيح: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم

(١) خروج ٤ : ٢٢ + .

(٢) خروج ١٢ : ٢٩ + .

(٣) خروج ٤ : ٢٤ .

(٤) المزمور ٢ : ٧ واعلم: أن المزمور كله نبوءة عن محمد ﷺ بلقب «ابن الله» على حسب لسان بنى إسرائيل. وبولس وأتباعه وضعوا لقب «ابن الله» الذى هو خاص بالنبى الأمى الآتى على مثال موسى، الذى نقول نحن المسلمين: إنه هو محمد ﷺ على المسيح عليه السلام ليوهموا العالم أنه هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى، لا محمد رسول الله.

وعيسى عليه السلام هو «ابن لله» ولكن ليس هو «ابن الله» فابن الله: تعبير خاص بالنبى المنتظر، وابن لله: تعبير شائع فى لسان بنى إسرائيل لكل يهودى ولكل من يؤمن باليهودية من الأمم. ففى التوراة: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤ : ١] وعيسى منهم. ولذلك يقول علماء الأديان غير المسلمين - ولا يفطن المسلمون لمعنى قولهم - :إن عيسى لم يدع فى يوم من الأيام أنه هو «المسيح المنتظر» والمسيح المنتظر هو «المَسِيّا» ولم يقل عن نفسه إنه «ابن الله» ومعنى الكلام: أن الألقاب: ١ - «المسيح» ٢ - «المسيا» ٣ - «ابن الله» ٤- «ابن الإنسان»... إلخ. هذه الألقاب إذا أُطلقت يفهم منها أنها تدل على النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وقد طبقها عيسى نفسه على محمد ﷺ وأما بولس فإنه طبقها على عيسى فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة. ومن هؤلاء العلماء شارل جنيبر فى كتابه المسيحية الذى قال: «والدراسات الأكيدة لدراسات الباحثين هى أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن =

وإلهي وإلهكم»(١) وكقوله: «إذا صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السموات. قدوس اسمك. افعل بنا كذا وكذا»(٢) من باب السؤال والدعاء. فإذا كان إسرائيل ابن الله وبكره، فأيُّ مزية للمسيح عليه وعلى غيره فى هذه البنوة؟

وقال أيضًا فى التوراة فى قصة الطوفان «إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس. حسان جدًا؛ شغفوا بهن. فنكحوا منهن ما أحبوا واختاروا؛ فولدوا جبابرة مذكورين. فأفسدوا. فقال الله: لا تحل عنايتى على هؤلاء القوم(٣)».

قال المؤلف: أراد بأبناء الله أولاد القتيل من ابنى آدم وهو هابيل(٤)، وأراد ببنات الناس بنات القاتل وهو قابيل، وكُنَّ حسانًا جدًا. فصرفوا قلوبهن عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، وقد سمَّى الله أولاد الصلحاء من عباده أبناء له إذ كانوا أولياءه وأبناء وليه وصفيه الشهيد. فدلَّ على ما قلناه من تسمية الولى فى شرع أهل الكتاب: ابنا. والمربى له: أبا ومنعمًا. وذلك لا خفاء به عندهم. والدليل على ذلك من المزامير: قول الله «يا داود أنت ابنى حبيبي»(٥) وذلك يقضى بمساواته المسيح إذ يقول له: «هذا ابنى الحبيب»(٦) فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود وإسرائيل وأولاده الصلحاء من أولاد هابيل الذى قتله قابيل. وقال فى المزامير لداود أو لغيره: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك»(٧) وفى المزامير «ولدتك من البطن قبل الفجر»(٨). وقال نبى الله إشعياء فى نبوته حاكيًا

=نفسه إنه ابن الله» ا. هـ . ويمكن لليهودى أن يعتبر نفسه عبدًا لله، وابنًا لله. ليس على البنوة الحقيقية الطبيعية، بل على البنوة المجازية. وذلك لما جاء فى التوراة عنهم على لسان الله تعالى: «أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم» [مز ٨٢: ٦] وقد جاء فى إنجيل يوحنا: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله. أى المؤمنون باسمه» [يوحنا ١ : ١٢].

(١) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٢) متى ٦ : ٩ + .

(٣) تكوين ٦ : ١ + .

(٤) أراد بأبناء الله: عباد الله الصالحين السائرين مع الله. وأراد بأبناء الناس: السائرين مع الشيطان.

(٥) هذا النص فى المزمور التاسع والثمانين «وجدت داود عبدى بدهن قدسى مسحته. . . إلخ».

(٦) هذا ابنى الحبيب: وضعهما المحرف على المسيح وهى نبوءة المزمور الثانى على محمد ﷺ .

(٧) مزمور ٢ : ٧ وهو محمد ﷺ .

(٨) المزمور المائة وعشرة وهو نبوءة عن محمد ﷺ

عن الله: «توصّوا بنى فى أبنائى وبناتي»[١] يريد ذكور عباده الصالحين وإناثهم.

وقال الله فى نبوءة إشَعياء: « إنى ربيت أولادًا حتى كبروا ونشأوا»[٢] فما نرى المسيح إلا نسج له على منوال من تقدمه من صلحاء عباد الله. فإن لم يصح هذا النقل؛ فلا بنوة، وإن كان صحيحًا؛ فلا مزية. والدليل على أن البنوة بمعنى التربية والإنعام: قول المسيح فى الإنجيل: «أبى رباني»[٣] فقرن الأبوة بالتربية. وقال المسيح: «أنا الكرم وأبى الفلاّح». فكما أن الفلاح يسقى الكرم ويدفع عنه الأذى ويُنمِّيه، فكذلك يفعل الأب»[٤].

قال المؤلف: وإذا كان هذا نقلهم عن الله تعالى أن الله تعالى سمَّى الصالحين من عباده والمتقين من خلقه أبناء؛ فلا معنى لإطنابهم فى بنوة المسيح. وتخصيصُ التأويل بداود وإسرائيل وغيره؛ ما إليه من سبيل.

قلت: وهذه الولادة الروحانية هى الأبوة المعتبرة المستفادة من تربية المشائخ والعلماء بالله الدالين عليه، المحبين عباده، وبها يصير الإنسان إنسانًا. وذلك أن الوالد الجسمانى يضع المولود ساذجًا عن المعرفة، خاليًا عن العلم، عاطلاً من الأدب، متوفر البهيمية، نزر الإنسانية ليس له كبير فضل على الحيوان البهيم، فإذا ولد الولادة الروحانية نُقل إلى طور الإنسان، وحُوِّل عن بهيم الحيوان، فتروّى بالعلم، وتحلَّى بالحكم، وتشنَّف بالأدب، وتشرّف بالزهد، وتَروْحن بالمعرفة، فترقى عن الإنسانية وناسب الملائكة، فحينئذ تمت له الولادة الروحانية، وتلاشت فى جنبها الولادة الترابية الجسمانية.

والدليل على اعتبار هذه الولادة: قول المسيح: «لن يدخل ملكوت السموات من لم يولد من ذى قبل. قيل له: كيف يولد شيخ؟ قال: الحق أقول لكم: إن المولود من الجسد؛ جسد هو، والمولود من الورح؛ روح هو»[٥]. يريد عليه السلام

(١) «ايتِ ببنيّ من بعيد وببناتى من أقصى الأرض» [إش ٤٣ :٦].

(٢) إشعياء ١ : ٢ .

(٣) لوقا ٤ : ١٦ يوحنا ١٠ : ٢٩ «أبى الذى أعطانى هو أعظم من الكل».

(٤) يوحنا ١٥ : ١«أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام»...

(٥) يوحنا ٣ : ٣ + ٣ .

روح الحكمة التى قالت التوراة: إنه ملأت بصلئيل من سبط يهوذا[١]. «وقال رجل من أصحاب المسيح له: يا سيد مرنى أن أذهب فأدفن أبي. فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم»[٢] أمره بملازمة الأب الروحانى الذى كون سبب الحياة الدائمة.

ولما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة قال: «يا عتاب أتدرى على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله[٣]، قالها مرات. وقال عليه السلام: «أهل القرآن هم أهل الله»[٤].

وقيل لأبى بكر الصديق: ماذا تقول لربك وقد استعملت علينا عمر؟ فقال: أقول: «استعملت على أهلك خير أهلك[٥]». وذلك كله للتشريف فلا مناسبة بين القديم والحادث، والخالق والمخلوق. وبعد:

فقد كانت هذه الولادة - أعنى ولادة التربية - مشهورة فى الزمن الأول، والدهر المتقدم. فكان التبنى بالغير مسوغ. فانظر إلى المعنى الذى أشرنا إليه، ولم يزل ذلك كذلك إلى قبيل الإسلام. ولما قال عليه السلام: «إن زيدًا ابن يرثنى وأرثه[٦] رضى بذلك والد زيد وعمومته وانصرفوا». فلما جاء الله بالإسلام والنبوة منع من ذلك رفعًا للالتباس بالتسمية وأحكام الأبوة الدنيوية فقال جل من قائل: ﴿**ادعوهم**

(١) خروج ٣١ : ١ + .

(٢) لوقا ٩ : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) ابن عدى فى الضعفاء .

(٤) ابن ماجه وأحمد .

(٥) الطبقات لابن سعد.

(٦) فى شريعة التوراة: أن العبد العبرانى يخدم ست سنين، وفى السابعة يطلق حرًا مجانًا. وإذا زوجة سيده جارية من جواريه، والجبت له أولادًا. فإن الأولاد ينسبون إلى السيد ولا ينسبون إلى العبد. وإذا خرج إلى الحرية؛ يترك زوجته وأولاده لسيده. لكن إن دخل بيت سيده ومعه زوجته فإنها تخرج معه. [خروج ٢١] وقد مسخ الله فى القرآن هذا الحكم. بقوله: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ وكان العرب على هذا الحكم من قبل الإسلام لأن العرب كانوا مكلفين بالعمل بشريعة التوراة. وفى آية ﴿زيد﴾ تكملة لهذا الحكم. وفى تفسير القرطبى أنه اسم فرضي. كما يقال فى النحو جاء زيد وذهب عمرو . . . على أحد الآراء - والمعنى : أن العبد يمسك زوجته ويأخذها معه فى الشريعة الجديدة ولا يتركها لسيده. وأنه يحق للعبد طلاقها برضاه لا برضا السيد، وإذا طلقها العبد. فإنها تحل لأى مسلم. وهى ما كانت تحل للسيد. وذلك لزواج كل امرأة فى سبطها لتتميز الأسباط. أما فى الإسلام فإن المسلمين جماعة واحدة. ويشبهون سبطًا واحدًا.

لآبَائِهِمْ﴾فإن أراد النصارى بالأبوة والبنوة المذهب الروحانى من التربية والتعليم والتهذيب والتقويم؛ لم نشاححهم فى الألفاظ بعد فهم المعاني. لكنا نقول لهم: لا اختصاص للمسيح عليه السلام بهذه البنوة، ونتلو عليهم ما تقدم مما نقلنا من التوراة والنبوات والإنجيل.

والدليل على مساواة المسيح غيره فى هذه البنوة، وأنه لم يخص بها نفسه؛ وذلك فى الإنجيل كثير جداً؛

قال المسيح فى خاتمة الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم»[1] فقد سوّى بين نفسه وبين تلاميذه فى هذا المعنى ويوضحه قوله «وإلهى وإلهكم» فإن رام النصارى تفرقة بين المسيح وبين غيره. قلبنا عليهم الكلام، وعكسنا المرام. حتى يضطرهم الحجاج إلى جعل البنوة فى حق المسيح وغيره بمعنى واحد.

قال المؤلف: لقد فاوضنى بعض الرهبان، ممن يدَّعى بنانًا فى البيان. فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة. فأزمته قول التوراة «ابنى بكري»[2] وقلت له: لعل البكر يكون أحظى عند والده، وأولى بطريف برّه وتالده، فما تقول فى بنوة إسرائيل؟ فقال: إسرائيل وغيره ابن النعمة والمسيح ابن على على الحقيقة. فعكست عليه كلامه؛ فتبلد واختزى، ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى.

وقد سوَّى المسيح بين نفسه وبين سائر المطيعين من عباد الله فى هذه البنوة. وقد أخبر يوحنا الإنجيلى فى الفصل الثالث من الرسالة الأولى أن إطلاق لفظ البنوة إنما هى مجرد تسمية امتن الله بها عليهم تشريفًا لهم فقال: «انظروا إلى محبة الأب لنا. إنه أعطانا أن ندعا له أبناء»[3] ثم قال فى الفصل الثالث منها: «أيها الأحباء الآن صرنا أبناء الله وقد تبنَّن بنا. فينبغى لنا أن نُنزله من الإجلال على ما هو عليه، فمن صح له هذا الرجاء فليزكّ نفسه بترك الخطيئة والإثم. واعلموا أن

---

(١) يوحنا ٢ : ١٧ .

(٢) خروج ٤ : ٢٢ .

(٣) الأصل : الثانى

من لابس الخطيئة؛ فإنه لم يعرفه»[١].

وقال متى: قال المسيح: «أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردكم، لكيما تكونوا بنى أبيكم، المشرق شمسه على الأخيار والأشرار، والممطر على الصديقين والظالمين»[٢].

وقال المسيح لتلاميذه: «كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل، لا تصنعوا معروفكم قدام الناس لكى تراؤنهم فيحبط أجركم عند أبيكم الذى فى السموات، لتكن صدقتك فى السر وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، إذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل لأبيك سرًا وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، وإذا صليتم فلا تتشبهوا بالوثنيين لأنهم يظنون أن يسمع منهم بكثرة كلامهم، فأبوكم عالم بحوائجكم قبل أن تسألوه»[٣].

فهذا المسيح قد سوَّى بين نفسه وبين سائر المطيعين له فى البنوة، وبيَّن أن لفظة «الابن» قد تطلق على العبد الصالح. بدليل قوله لليهود: «أنتم لو كان الله أباكم كنتم تحبونني. أنتم من أبيكم إبليس، وشهوة إبليس تَهْوُون»[٤].

وقد قال فولس فى الرسالة الخامسة[٥]: «إياكم والسفه والسبّ واللعن واللعب، فإن الزانى والنجس والغاشم عابد الوثن؛ لا نصيب له فى ملكوت الله، احذروا هذه الشرور. فمن أجلها يأتى رِجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه، فإياكم أن تكونوا شركاءهم. فقد كنتم من قبل فى ظلمة فاسعوا لأن نسعى كأبناء نور» انظر كيف سمى فولس حكيم النصارى من يعمل بالمعاصى ابنًا، كما سمى المتقين من عباد الله ابنا. فقد استبان لك مرادهم بالبنوة التى يطلقونها.

---

(١) يوحنا الأولى ٣ : ١ .

(٢) يوحنا الأولى ٣ بتصرف ١ + .

(٣) متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٥ .

(٤) متى ٥ : ٤٨ + .

(٥) يوحنا ٤٢ + .

نوع آخر:

قال المسيح: «سمعتم[1] ما قيل: العين بالعين، والسن بالسن. وأنا أقول: لا تقاوموا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، من اقترض منك؛ فلا تمنعه. سمعتم ما قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك. وأنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلّوا على من يطردكم ويخزيكم؛ لكيما تكونوا بنى أبيكم. كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل. وإذا صنعت رحمة فلا تُصوِّت قدامك بالبوق كالمرائين فى المجامع والأسواق؛ لكى يُحمدوا من الناس. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم. وإذا صنعت رحمة؛ فلا تعلم شمالك ما صنعت يمينك. لتكن صدقتك فى السر وأبوك يجزيك علانية. وإذا صلّيتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يُصلّون ليظهر للناس صلاتهم. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم. وإذا صمتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يعبِّسون وجوههم ويغيرونها ليظهر للناس صيامهم. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم.

وأنت إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك كيلا يظهر للناس صيامك، اغفروا للناس خطاياهم؛ ليغفر لكم أبوكم السماوى خطاياكم. لا تكنزوا لكم كنوزًا فى السماء حتى لا يفسدها سوس ولا تنالها أيدى السرّاق، فحيث تكون كنوزهم هناك تكون قلوبكم»[2].

فهذه أقوال من المسيح شاهدة بأنه عليه السلام لم يخص نفسه بالبنوة دون أدناهم، وأنه وإياهم فيها سِيانِ، وأنها كلمة تطلق على عباد الله الصالحين، وأنه حيثما ذكرها؛ قرنها بالعبودية والتشمير فى الطاعة. وأن من كان منحرفًا عن التقى والديانة؛ لم يصلح لهذه البنوة. كما قال المسيح لليهود: «أنتم من أبيكم إبليس» حيث لم يرضهم للبنوة المعزوة إلى الصالحين من بنى إسرائيل.

---

(١) افسس ٥ : ٣ +.

(٢) الكلام فى موعظة الجبل وتبدأ من الأصحاح الخامس من متى

إطلاق أتباع المسيح لفظ البنوة على أنفسهم غير مفرقين فيها بينهم وبين المسيح وأنهم لم يفهموا منها إلا ما أشرنا إليه:

قال يوحنا التلميذ : «يا أحبــائى إنا أبناء الله سمانا بذلك، واعلموا أن الفصل بين أبناء الله وأبناء الشـيطان أن من لم يتبرر ويحب أخـاه؛ فليس من الله بل من الشيطان»[١].

فبين الحوارى أن بنوة الله عبــارة عن طاعته، وأن من لم يطع الله فليس يصلح لهذه البنوة ولا تليق به، وســاوى بين نفسه وبين المســيح فى هذه البنوة. فلم يبق بعدها للنصارى باقــية، ولم تقم لهم فى تخصيص المسيح بالبنوة قائمــة. وقد عبّر الإنجيلى عن هذه البنوة بالطاعة والاســتقامة، وذكر أن من كان منحــرفًا عن خدمة الله لم يصلح لهذه البنوة. فقال فى الفصل الثالث من رسالته الأولى: «اعلموا أن كل من ولد من الله؛ فلن يعمل خطيئة. من أجل أن زرعــه ثابت فيه فلا يستطيع أن يخطئ؛ لأنه مولود من الله. وبهذا نتبين أبناء الله من أبناء الشيطان. فكل من لا يعمل البر فليس هو من الله»[٢].

فالمســيح عليه الســلام ويعقــوب وداود ومن مضى من أوليــاء الله وأنبيــائه لما تحققــوا بخدمة الله وسارعــوا إليها؛ أطلق اللسانُ العــبرانى عليهم هذه التســمية؛ تشريفًا لهم. ولا مزية للمسيح على غيره فى ذلك.

وقال فولس الذى يســمونه فولس الرسول ـ وهو المفســر العالم الذى لهم ـ فى رسالته إلى أهل الروم «أن الروح تشهد لأرواحنا أنا أبناء الله، وإذا كنا أبناءه فنحن ورثته أيــضًا»[٣] وقال فولس فى هذه الرسالة: «إن البــرية كلها تترجّى ظهور أبناء الله»[٤].

قال المؤلف: إن كان هذا الكلام صحيحًا، فالمســلمون أحق بهذه التسمية فإنهم

---

(١) يوحنا الأولى ٣ : ١ + .

(٢) يوحنا الأولى ٣ : ٩ + .

(٣) رومية ٨ : ١٦ ـ ١٧ .

(٤) رومية ٨ : ١٩ .

الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم إليه من طاعة الله، وعلّموهم من توحيده، وشرعوا لهم من أحكامه، وتحقق رجاء البرية بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم.

وقال فولس فى رسالته إلى بعض النواحي: «أولا تعلمون أنكم هياكل الله، وأن روح الله حالة فيكم، وأن الدنيا والآخرة لكم؟»[١].

وقال فولس لإخوانه: «إن أجسامكم هيكل لروح القدس التى قبلتموها عن الله»[٢] وقال فولس فى رسالته الثانية: إن الله تعالى قال: «إنى أحل فيهم وأسعى معهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون بمنزلة البنين والبنات[٣].

فهذا فولس ـ المؤتمن عند النصارى ـ لم يدَّع أن المسيح مباين أحداً من الملة فى هذه البنوة. وقول فولس «أنكم هياكل الله» الهيكل: بيت متعبدهم. كالمسجد ونحوه، فشبه بيت العبد الصالح فى طهارتها وعمارتها بذكر الله بالهيكل والمسجد.

وقال متى فى إنجيله: «إن جُباة الجزية جاءوا إلى بطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يؤدى الجزية؟ فقال لهم نعم. ثم أخبر المسيح بمقالتهم فقال: يا بطرس والبنون أيضًا تؤدى الغرم؟ اذهب إلى البحر فأول حوت يخرج فخذه وأدِّ عنى وعنك»[٤].

فهذا متى يشهد على المسيح بأنه لا يختص بهذه البنوة وأن البنين سواه كثير.

وهذه صورة صلاة زعم النصارى أن المسيح علّمها تلاميذه: وهي: «أبانا

---

(١) كورنثوس الأولى ٣: ١٦ .

(٢) كورنثوس الأولى ٣ : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) كورنثوس الثانية ٦ : ١٦ ـ ١٨ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي. كما قال الله: إنى سأسكن فيهم. وأسير بينهم. . .».

(٤) متى ١٧ : ٢٤ + «فإذًا البنون احرار»والمؤلف نقل النصر ناقصًا وعلى نقله يكون الحوت ليس بدلا عن الجزية . والنص هو: «والسمكة التى تطلع أولا؛ هذا. ومتى فتحت فاها؛ تجد إستارا. فخذه، وأعطهم عنى وعنك» وههنا مساءلة وهي: أن الآخذين للجزية هم الرومان، وكانوا يأخذونها من اليهود؛ لأنهم احتلوا فلسطين سنة ٦٣ ق. م. والمسيح يهودى وواقع تحت الجزية كسائر اليهود. فكيف يكون إلهًا للعالم ويدفع وهو ذليل مهان؟ وكيف يعترف بدفع الأجانب، ويقول: إن البنين لا يدفعون. والرومان ليسوا يهودًا؟ .

الذى فى السموات. قدّوس اسمك، يأتى ملكوتك، تكون مشيئتك، كما فى السماء كذلك تكون على الأرض، آتنا خبزنا. قوتًا فى اليوم، واغفر لنا ما وجب علينا، كما نحب أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا التجارب، ولكن نجنا من الشرير، إذا لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. آمين»(١).

قال المؤلف: قوله «أبانا الذى فى السموات» لفظ مُوهِم من حيث الأبوة ومن حيث الجهة.

فالأبوة متروكة الظاهر بقول يوسف فى التوراة لأخيه بنيامين وهو لا يعرفه: «يا بنى الله يترأف عليك»(٢).

فقد سمى أخاه ابنه، وليس ابنًا له على الحقيقة. وبقوله فى التوراة لإخوته: «لستم أنتم الذين أرسلتمونى بل الله أرسلنى أمامكم، وجعلنى أبا لفرعون وسيداً لأهل الأرض»(٣) يريد مدبرًا له.

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح: يا أبت، وليس أباهم إلا على جهة التدبير، كما قال لهم: «لا تدعوا لكم مُدبِّرًا على الأرض فإن مدبركم المسيح»(٤). وكانوا أيضًا يدعون بطرس بعد المسيح أبًا لهم. كما شهدت به سير التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر. فليعلم اللبيب: أن قول المسيح لربه «يا أبت» إن صح ذلك عنه. كقول بطرس للمسيح: «يا أبت» وكقول التلاميذ لبطرس(٥): «يا أبت» وعند

---

(١) متى ٦ : ٩ +.

(٢) تكوين ٤٣ : ٢٩ «الله يُنعم عليك يا بني».

(٣) تكوين ٤٥ : ٨.

(٤) كان المسيح يقول للتلاميذ: «يا أولادي» [يو ١٣ : ٣٣] وهم كانوا يقولون له: «يا أبت» لأن المعلم الدينى - فى لسانهم - أب روحى لهم. وفى القرآن الكريم أن محمداً ﷺ ليس أبًا لأحد من رجال بنى إسرائيل؛ لأن شريعته تختلف عن شريعتهم. وعبر برجالهم لأن الوعظ والتعليم عندهم فى الرجال وليس فى النساء. وكانوا ينادون المعلم بلقب السيد والأب والمربى والحبر ومسيا الله ومسيح الله وقال عيسى عليه السلام: «لا تدعوا لكم مدبراً على الأرض فإن مدبركم - المسيح» [متى ٢٣ : ٩] يعنى به محمداً ﷺ بلسانهم.

(٥) يقصد المؤلف: أن الكاثوليك يعتبرون بطرس أباهم؛ لأنه رئيس الحواريين، وبابا الفاتيكان نائب عنه.

الوقوف على هذه المواضع. تنحل عقود النصارى فى دعوى بنوة المسيح، وينفصم عراهم؛ فلا يحاولون انفصالاً، إلا وينعكس عليهم فى بنوة المسيح. ويقال لهم: هل أبوة يوسف لأخيه بنيامين ولملك مصر إلا كأبوة الله للمسيح؟ وهل بنوة المسيح لله إلا كبنوة إسرائيل وداود، وأولاد الشهيد من ابنى آدم. كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة؟

ولما كان الأب هو المشفق المرفق العاطف ببره العائد بخيره، المحرك بإحسانه، المفضل بتطوله وامتنانه، وكانت هذه المعانى لا تتحقق على الحقيقة إلا من الله - جلّت قدرته -وكان المسيح قد توفرت روحانيته فلم ير الوسائط؛ حَسُنَ عنده التجوز باسم الأب عن الرب. وهذا محمل يتعين حمل هذه الألفاظ عليه. إن صحّ إطلاقها منه. إذ القديم - جل وعلا - يتقدس عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتخذة من الزوجة والسريّة - تعالى القديم عن مماسة العديم، وتقدس العظيم عن ملابسة الهضيم - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ولما كان الابن هو المهضوم الجناح، المفتقر فى سعيه إلى النجاح، الخائف من دركات الهلكات بركوب الجناح، اللائذ بأبيه لاستمطار نواله، المتعلق بذيول كرمه فى مضمون سؤاله. المربَّى ببره العظيم المغذّى بمنّه الجسيم؛ لم يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن تأول النصارى البنوة والأبوة بهذا التأويل، وإلا فضحتهم التوراة والنبوات والإنجيل. فقد حكوا عن التوراة قول الله: «إسرائيل ابنى بكري» وفى المزامير يقول داود لأكابر بنى إسرائيل: «أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم تدعون»(١).

(١) تطلق التوراة على كل فرد من بنى إسرائيل سواء أكان صالحًا أم كان فاسدًا؛ لقب «إله» بمعنى «سيد» وذلك لأنهم سادة على الأمم بالشريعة، ومفضلين بها عنهم إلى أن تنسخ الشريعة على يد النبى الأمى الآتي؛ فيكونون فى أيامه مرءوسين من بنى إسماعيل، ولا يكونون رؤساء. وقد عبر داود عن هذا المعنى فقال على لسان الله تعالى: «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم» [مز ٨٢ : ٦] وعيسى عليه السلام «إله» على هذا المعنى. وهو أحق بهذا اللقب على المعنى المجازى من اليهود الفاسدين. وقد جادلوه بقولهم: أنت تزعم أنك إله. فما معنى قولهم هذا وهم يعلمون أنهم كلهم آلهة؟ إنهم يعنون به أنه سيد يريد أن يجعل نفسه ملكًا عليهم وينسخ شريعة موسى. وقد رد عليهم بقوله: من جهة الملك فأنا=

ولا خلاف أن الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخصص المسيح بهذه البنوة، بل شارك فيها غيره من الصلحاء والأتقياء من عباد الله وأوليائه. ومن أنصف من النصارى عرف صحة ما قلنا. فقد قال يوحنا فى إنجيله: «إن يسوع كان مزمعًا أن يجمع أبناء الله»[1] فهذا يوحنا التلميذ يذكر أن سائر بنى إسرائيل يسمون بهذا الاسم، ويذكر أن المسيح رام جمع الناس على كلمة الإيمان؛ فلم يقدر على ذلك.

وإذا ثبت إطلاق لفظة البنوة على يعقوب وداود وغيره؛ فما بال النصارى لا يقولون فى إيمانهم وحلفهم: وحق يعقوب ابن الله؟ ولم حطُّوا حرمته وهو ابن الله بكره ـ والبكر له مزيد حرمة عند أبيه ـ؟ وكذلك هلا أقسموا بداود وهو ابنه حبيبه، ولم هجروا اسمه وهو مساو للمسيح فى البنوة والحب؟ وكذلك قال لوقا الإنجيلي: «جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود»[2] فهلا نسبوه نسبته التى نسبه بها جبريل، ولهجوا بذلك فى أقسامهم وأيمانهم فقالوا: وحق المسيح ابن داود. وكيف رغبوا له عن تسمية سمّاه الله بها على لسان جبريل قبل خلقه؟ أهم أعلم بما يجب له من الله؟ فكيف تركوا تسمية الله له وأخلفوا تسمية أجمع أرباب الملل والنحل على تخطئتهم فيها؟

فإن رجعوا القهقرى وتمسكوا بقوله: «يا أبت» أوردنا عليهم قوله للتلاميذ: «قولوا: أبانا الذى فى السموّات»[3] ونظائرها. على أنا نقول لهم: ألم ترووا لنا

=انصرفت عنه لما أحييت ابن أرملة بنيامين ومن جهة نسخ الشريعة فأنا صرحت بعدم نقضى للناموس. ومن جهة لفظ الإله فأنا جدير بهذا اللقب. لأنى أنا صالح. يقول يوحنا: «فتناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أى عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا. أجابهم يسوع: أليس مكتوبًا فى ناموسكم: «أنا قلت إنكم آلهة»؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولايمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنك تجدف؛ لأنى قلت: إنى ابن الله؟» [يو ١٠ : ٣١ +].

وموضع التحريف فى هذا النص: هو «لأنى قلت: إنى ابن الله» وصحة العبارة: «لأنى قلت إنى رسول لابشر بابن الله. وهو لقب لمحمد ﷺ فى المزمور الثاني.

(١) يوحنا ١١ : ٥٢ .

(٢) لوقا ١ : ٣٢ .

(٣) متى ٦ : ٩ .

عن المسيح فى خاتمة الإنجيل قوله: «أنا ذاهب إلى إلهى وإلهكم»[١] وقوله وهو على الصليب فيما زعمتم: «إلهى إلهى لم تركتني»[٢] فهلا تقولون فى صلواتكم وأدعيتكم: يا عبد الله اغفر لنا، وكذلك إذا دعوتم الأب تقولوا: يا سيد إلهنا ارحمنا، وكذلك قولوا فى دعائكم الأب: يا جدَّنا افعل بنا كذا؛ لأن بطرس أبوكم، والمسيح أب لبطرس، والله أب للمسيح.

وقد زعمتم أنه قد صفعه اليهود فى رأسه بالقصب وضَفَّرُوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وألبسوه ثياباً حُمرا، وسقوه الخلّ عندما عطش. وأنتم فى صلواتكم تبتهلون إليه بالأدعية، فما بالكم لا تقولون: يا من صفعه اليهود فى رأسه، وبصقوا فى وجهه، واقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، واستعارّ على خشبته، وقرن باللصوص؛ افعل بنا كذا.

مجاز اللغة:

وإن تلاميذه كانوا معافين مما ابتُلى به المتأخرون من النصارى. قال: متى: بينا يسوع جالسًا يتكلم مع الناس إذ قيل له: أمك وإخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي ومن إخوتي؟ ثم أومأ بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمى وإخوتي. وكل من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات؛ فهو أخى وأختى وأمي»[٣].

قلت: هو ذا المسيح عليه السلام قد أعرب فى التجوّز والتوسّع والاستعارة. حتى سمّى المطيع لله قريبًا له من هذه الجهات. فجعله أما له وأختا وأخاً. وإذا كان النصارى لا يُجرون على ظاهر هذا اللفظ، بل يحملونه على ما يليق به من التأويل؛ فكذلك يلزمهم فى لفظ البنوة والأبوة؛ فإنه كما يستحيل أن يكون آحاد الناس أما وأختا وأخا للمسيح؛ فكذلك يستحيل أن يكون المسيح . وهو رجل من بنى إسرائيل يناله من النفع والضرر ما ينال غيره من البشر؛ ابنا لله القديم الأزلي.

---

(١) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٢) متى ٢٧ : ٤٦ .

(٣) متى ١٢ : ٤٦ + .

فإن هذى هاذٍ منهم وقال: فإذا لم يكن له بدٌّ من أب، فمن أبوه؟

قلنا له: إذا لم يكن لآدم بُدّ من أب. فمن أبوه؟ فـإذا قالوا: إن آدم خلقه الله آية وأعجوبة. إذ خلقـه من غير تناسل وتوالد. قلنا: وكذلك المسـيح خلقه تعالى آية وأعجوبة . إذ خلقه من تراب. فكم قد خلق الله سبـحانه من الحيوان من غير توالد وتناسل معروف. وقد ابتدأ الله العالم بأسره لا عن مثال سبق ﴿فَـأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾؟

واعلم: أن إطلاق المسيح لفظ البنوة؛ جـرى فيه على عادة من تقـدمه من بنى إسرائيل؛ فـإنهم كانوا يُطلقـون هذه البنوة والربوبية والألوهيـة على المعظّمين فى الدين والمدبرين للأمم، كقول التوراة: «إسرائيل ابنى بكري» وكقول المزامير: «داود ابنى حبيبي» وقوله لبنى إسرائيل: «أنا قلت: إنكم آلهة وبنى العليّ كلكم تدعون» وقول إشعـياء «توصوا بى فى بنى وبناتي» وقول إشعـياء: «إنى ربيت أولادًا حتى نشأوا وكبروا».

فحال المسـيح مُنسج على منوال من سبقه. فـقال: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم» غيـر أن هذه اللفظة لم تأت إلا ومـعها لـفظ العبوديـة ليزول الإيهام، ويـحصل التشريف والإنعام. والدليل على ما قلناه من نبـوة إشعياء النبى عليه السلام: «إن الله تعالى تهدد بنى إسرائيل على جرم فعلوه، فلمـا خافوا نزول العقوبة قالوا فى دعائهم: «اللهم ترأف علينا، وأقبل بوجهك إلينا، ولا تصرف رحمتك عنا. فأنت هو الرب أبونا، فـأما إبراهيم وإسـرائيل فلم نعـرفه، لكن أنت أبونا قـد مِلْنا عن طرقك، يا رب ارحمنا فنحن عبيدك» [1].

---

(١) هذا النص فى الأصحاح الثالث والسـتين من سفر إشعياء. وقد أشـار الله إليه فى القرآن الكريم. ومنه: «تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك. زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت. فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا. ولينا. منذ الأبد اسمك» لاحظ: أن الـيهود يقـولون لله تعالى: «انظر» أى ترحم واعطف؛ فـإن الكفار آذونا، وعجل بإرسال رسولك الـذى نستفتح به على الذين كفروا. الذى سـيأتى من أدوم، فى أول الأصحاح. وفى المزمور الثمـانين يقولون لله ارعنا بشريعة النبى الآتى وقد نهـاهم الله عن قولهم ارعنا بالنبى الآتي. وذلك لأنه اتى وهو محمد رسول الله وامرهم بأن يقولوا ﴿انظرنا﴾ اى تحنن علينا واهدنا إلى الإيمان به، =

وقد رووا عن يوحنا الإنجيلي: «أن من لابس المعاصى وانغمس فى الخطايا فليس له فى هذه الولادة من نصيب»[١].

فقالوا: قال يوحنا فى خاتمة رسالته الأولى: «قد علمنا أن كل من هو مولود من الله لا يخطئ؛ لأن ولادته من الله وهو حافظه له من أن يقترب إليه الشرير»[٢].

فإن صدق النصارى فى هذا النقل فليس فيهم إذًا من يستحق هذه التسمية؛ لأنه لا يكاد أحد منهم يخلص من ملابسة المعاصى واقتراف الخطيئة والإثم. فإما أن يبطلوا هذا القول ويوصوا بفساده ليسلم لهم دعواهم البنوة، وإما أن يصححوه فيخرجوا عن بنوة الله التى يدَّعون بها. فقد حكم يوحنا وغيره من أئمتهم أن مَن وُلد من الله لم يرتكب على نفسه ذنبًا ولم يحتقب وزرًا. فهكذا كان اعتقاد من يطلق لفظ الأبوة على الله ويسّمى نفسه ابنا لله إنما يجعل ذلك من باب التودد إلى الله والخدمة له. فلهذا لم يكن يضره إطلاقه، ولما جاء المتأخرون[٣] أكثروا من هذا الإطلاق وصاروا يوردونه على جهة الفخر والتزكية وتمجيد النفس؛ فخوطبوا بالتكبر، وقيل لهم فى الكتاب العزيز: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾.

فأما الإله والرب:

فالرب: هو المربى باللطف والإحسان، العائد بالعطف والامتنان. وهاتان اللفظتان قد تستعملان فى حق العظيم من الآدميين تجوزًا وتوسعًا، لكن على جهة التقييد لا جهة الإطلاق. وقد قال إشعياء النبي: «عرف الثور من اقتناه، والحمار

=وأمرهم بقوله ﴿واسمعوا﴾ منه لأنه هو المكتوب عنه فى التثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢«له تسمعون» وأمرهم أن يقولوا لله: اسمع دعاءنا واهدنا حسب المكتوب عندهم .

(١) يوحنا الأولى ٣ : ٩ ـ ١٠ .

(٢) يوحنا الأولى ٥ : ١٨ .

(٣) قوله ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ لا يرد به على المتأخرين إلا من جهة اعتقادهم فى البنوة الطبيعية. فإن الكاثوليك يعتقدون أن أقنوم الابن متميز عن أقنوم الآب. ويعتقدون أن المسيح ابن طبيعى لله. وهذا خطأ أما البنوة المجازية فعندنا «الفقراء عيال الله» وعندنا ﴿وابن السبيل﴾ بنوة مجازية.

مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل»[١] وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم والمدبر والقيّم يسمى ربا، كما أن الرجل رب منزله وداره وبيته ورب ماله. قال نبينا ﷺ لرجل: «أرب إبل أنت أم رب غنم؟» فقال: من كل آتاني الله. فأجزل[٢].

والدليل على ذلك من التوراة: قول إبراهيم ولوط للملاك: «يا رب ملْ إلى منزل عبدك»[٣] ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة، وإنما أراد الإجلال في الخطاب. وفي التوراة يقول الله لموسى: «قد جعلتك إلهًا لفرعون»[٤] يريد مسلطًا عليه ومتحكمًا فيه. وفي التوراة وقد شكا موسى لثغةً في لسانه وعجمة في منطقه فقال الله له: «قد جعلتك ربًا لهارون وجعلته لك نبيا، أنا آمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بني إسرائيل»[٥] ولم يقل الله للمسيح: قد جعلتك ربًا وإلهًا. بل إنما ذلك شيء تقوّله النصارى. فقول بطرس للمسيح «يارب» إن صح. فهو مُنزَّل منزلة ربوبية موسى لهارون، من حيث إن المسيح أيضًا مبلغ عن الله أوامره كتبليغ موسى أخاه هارون.

وقد قال داود في المزمور الثاني والثمانين: «قام الله في جماعة الآلهة»[٦] وقال فيه وهو يعنف الأكابر[٧] من بني إسرائيل: «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ تدعون»، وفي المزامير أيضًا في حق يوسف: «فخلا الملك يوسف وصيّره سلطانًا على شعبه ربًا على بنيه»[٨] يريد القيم عليهم والمدبر لأمورهم. وقد قال يوسف للساقي عندما فسر له رؤياه: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يريد مدبرك والقيم عليك.

وإذا عرفت ذلك سَهُل عليك ما يهتف به النصارى من تسمية المسيح ربا وإلهًا،

(١) الرب ههنا بمعنى المالك والصاحب [إش ١: ٣]

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) التكوين ١٨ : ٣ . ١٩ : ٢ .

(٤) الخروج ٧ : ١ .

(٥) خروج ٧ : ١ ـ ٢ .

(٦) مزمور ٨٢ . وقوله في نفس المزمور: «قم يا الله. ومن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأمم» يريد به: عجل بإرساله النبي الأمي المماثل لموسى.

(٧) المؤلف فهم الأكابر؛ لأنه فهم بنو العلا بمعنى الأكابر والصحيح وبنو العليّ أي الله العلي العظيم.

(٨) مزمور ١٠٥ .

وعرفت كيف تكسر حجتهم بتأويل هذه الألفاظ.

وقد قال شمعون الصفا رئيس الحواريين: «إن الله جعل أيشوع ربا»(١) يريد وكل تدبير أصحابه إليه(٢)، إذ الرب لا يقال إن غيره جعله وصيره ربا وإلهًا. فما نرى شمعون الصفا زاد المسيح فى ذلك على ما قالت التوراة: «إن الله جعل موسى ربا لهارون وإلهًا لفرعون» ولم يتجاوز به أيضًا قول المزامير: «إن يوسف صار ربا للملك» وفى الإنجيل: «إن الكلاب لتأكل من موائد أربابها»(٣).

وقد روى عن سلمان الفارسى أنه قال: «تداولنى بضعة عشر، من رب إلى رب» (٤)يريد المرشدين والمدبرين له.

وقد يكون الرب بمعنى السيد، قال لبيد بن ربيعة(٥):

وأهلكن يومًا رَبَّ كِنْدة وابنه ... ورَبَّ معدّ بين خَبْت وعرعر

ويكون أيضًا الرب بمعنى المالك. قال طرفة:

كقنطرة الرومى أقسم بها ... لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

ويكون أيضاً الرب بمعنى المربي. من قولهم رَبَّ يرب فهو رب.

قال الشاعر:

يَرُبُّ الذى يأتى من الخير أنه ... متى فعل المعروف، زاد وتمما

ويكون أيضًا بمعنى المصلح للشيء. قال الشاعر:

كانوا كسالئة حَمْقاء إذ حقنت ... سلاءها فى أديم غَيْرَ مَرْبُوب

ويقال للشمس: إلهة. قال الشاعر:

.... وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

(١) أعمال ٢ : ٣٦ .

(٢) المحرف نسب إلى بطرس هذا القول والغرض منه : جعل عيسى هو النبى الأمى لا محمد رسول الله ﷺ .

(٣) متى ١٥ : ٣٧ .

(٤) أخرجه البخارى

(٥) فى الأصل: قال الأعشى .

ويقال: ألهت إلى فلان، إذا فزعت إليه واعتمدت عليه. وقيل: هو من ألهت فيه إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه. فقول بطرس «يا رب» يريد يا مدبر أمرنا والقيم علينا[1].

وقول إشعياء «هوذا العذراء تحبل وتلد ولدًا عمانويل الذى تفسيره إلّهنا»[2] محمول على بعض هذه المحامل إن صح نقلهم عن إشعياء هذا اللفظ بعينه.

وقد فسر علماء الإنجيل قول مريم المجدلانية للمسيح «ربّوني»[3] بالمعلم، والمعلم والمربى والمدبر بمعنى واحد.

وقد صرح يوحنا الإنجيلى بأن الألوهية ليست على ظاهرها. فقال فى إنجيله: «جلس يسوع فى إسطوان سليمان بأورشليم. فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة ليرجموه. وقالوا حتى متى تعذب نفوسنا؟ فقال: أريتكم أعمالاً حسانًا من عند الله، أفمن أجل الأعمال ترجمونني؟ فقالوا: إنما نرجمك لأنك بينا أنت إنسان إذ جعلت نفسك إلّـهًا، فقال يسوع: أليس هكذا مكتوب فى ناموسكم: «إنى قلت إنكم آلهة وبنى العليّ تُدعون» فإذا قيل لأولئك آلهة لكون كلمة الله عندهم، فالذى قدّسه الله وأرسله إلى العالم، كيف تقولون إنه يجدف؟»[4].

فقد اعترف يوحنا والمسيح بأن الألوهية متروكة الظاهر، وإن إطلاقها عليه كإطلاقها على العلماء والحكماء والمدبرين من بنى إسرائيل. وقد صرح فى هذا الكلام بأنه ليس هو الله، ولا الله حالّ فيه، وأن الله قدسه. أى طهره وأرسله إلى العالم. وكذلك يفعل بسائر الأنبياء والرسل. ولو كان المسيح هو الله، كقول الجهلة من النصارى؛ للزم اتحاد المُرْسِل والرسول والمقدَّس.

---

(١) استشهاد المؤلف على صحة المعنى فى الإنجيل بلغة العرب لا يجوز؛ لاختلاف اللغة.

(٢) المؤلف خلط بين نص إشعياء ونص إنجيل متى. فنص إشعياء: «ها العذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل» [إش ٧ : ١٤] ونص متى: «هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل. الذى تفسيره الله معنا» [متى ١ : ٢٣] والمراد بالعذراء المرأة الشابة سواء أكانت متزوجة أم كانت بكرًا. وعلى ذلك لا دلالة فيها على ولادة المسيح من عذراء.

(٣) يوحنا ٢٠ : ١٦ .

(٤) سبق ذكر التعليق على هذا الموضع فى الباب الثالث هذا.

وقال فولس فى رسائله: «وقد يعرفون نعمة سيدنا يسوع المسيح إذ تَمسْكن من أجلكم وهو غني، لكى تستغنوا بمسكنته»[١].

فشهد فولس بأن المسيح رجل من عباد الله، يتواضع لله كدأب أوليائه وصفوته.

• • •

وقد استشهد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية:

قال متى[٢]: «حضر إلى يسوع امرأة كنعانية فقالت: إن ابنتى بها شيطان رديء. فعسى تتعطف عليها. فلم يجبها. فسأله التلاميذ أن يقضى حاجتها. فقال: لم أُرسل إلا للخراف الضالة من بيت إسرائيل. فجاءت المرأة وسجدت له وقالت له: يا ربّ أعني. فقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب. فقالت: نعم يا رب والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها، فحينئذ عطف عليها وقال: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة».

قال النصارى: سجدت له، وخاطبته بالربوبية. وذلك دليل على ربوبيته إذ لم ينكر عليها، بل تقريرها وشفاء ابنتها من أوضح الأدلة على ربوبيته.

وسبيل من وقف على ذلك: أن يُعارِض قول الكنعانية له «يا رب» بقولها «والكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها» فقد جعلت ملاك الكلاب أربابا لهم، ولم ينكر عليها أيضًا.

وكذلك فيعارِضون بقوله «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيعطى للكلاب» فقد سمى الكفار من بنى آدم كلابًا، وقد سمى الدعاء والشفاء خُبزًا. وذلك كله دليل التجوّز والتوسّع. وإذا كان ذلك كله جائزًا على المعنى؛ فالربوبية والبنوة أيضًا جائزة على طريق المعنى، فإن أحالوا أن يكون الآدمى كلبًا؛ فليحيلوا أن يكون ربا. وأما سجودها له ولم ينكر عليها. فذلك كان سلام القوم وتحيتهم فى

---

(١) كورنثوس الثانية ٨ : ٩ .

(٢) النص فى متى ١٥ وتوضيحه فى نظيره عند برنابا .

الزمن الأول على عظمائهم وأكابرهم. والدليل عليه أن التوراة تنطق بأن إخوة يوسف حين عرفوه؛ سجدوا له طالبين قدميه. وكذلك قالت التوراة: إن أفرايم ومَنسّى ابنى يوسف سجدا لجدهما يعقوب بحضرة أبيهم يوسف» ولم ينكر عليهم.

وقد قالت التوراة: «إن إبراهيم ولوطًا سجدا للملائكة على الأرض» فلم ينهوا عن ذلك «وقد ساوم إبراهيم قومًا فى أرض لهم ليدفن فيها سارة؛ فلم يكلمهم، ولم يساومهم حتى سجد لهم مرتين» على ما فى التوراة. فبطل تعلقهم بسجود المرأة للمسيح.

وقال المؤلف عفا الله عنه: قصة هذه الكنعانية التى استدلوا بها على الربوبية هى من أدل الدلالة على دعم الربوبية. وبيانه: أنها جاءت إلى المسيح مؤمنة به، سالكة طريقه فى التواضع، معتقدة أن معجزته لا تعجز عن شفاء ابنتها. وهو لم يعلم بما انطوى عليه ضميرها من الإيمان به. ألا تراه كيف جابهها بالرد وقال: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب»؟ فلما قالت له ما قالت؛ ظهر له من إيمانها ما كان مستورًا عنه، وبدا له من معتقدها فيه ما لم يكن فى حسابه. فحينئذ قضى حاجتها وشفى ابنتها[1].

• • •

(١) معجزات المسيح كانت ١ ـ للمؤمنين به من بنى إسرائيل ٢ ـ وللمؤمنين به من الأمم. ولما لم تظهر الكنعانية ما يدل على إيمانها بالله وعملها بشريعة موسى؛ امتنع من شفاء ابنتها. بقوله: المؤمنون أولى، والمؤمنون من بنى إسرائيل أولى. أما الكافرون فإلههم الذى يعتقدون فيه فليشفهم إن كان إلهًا حقًا. ولقب الكلاب كان يطلقه بنو إسرائيل على الكافرين لأنهم ضالون ضلال الكلاب فى الطرقات. فلما أظهرت المرأة إيمانها ساواها مع المؤمنين وشفى ابنتها بإذن الله تعالى. ويوضح ذلك رواية مرقس التى سيذكرها المؤلف فيما بعد. وفيها يقول أبو الصبى: «أنا مؤمن».

دليل من قوله على أن ما يفعله بقوة الله وحوله:

قال مرقس: « قال رجل ليسوع: يا معلم قد جئتك بابنى وبه روح أبْكَم. حيثما أدركه صرعه، وسألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراجه. فقال يسوع: آتونى به. فلما رآه قال لأبيه: منذ كم أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، فتارة يلقيه فى الماء وتاره يطرحه فى النار. فإن استطعت فأعنا وتحنن علينا. فقال يسوع: كل شيء يستطيعه المؤمن. فبكى أبو الصبى وقال: أنا مؤمن؛ فأعن ضعف إيماني، فانتهر يسوع الروح وقال: أيها الروح النجس الأبكم الأصم؛ اخرج من الإنسان. فخرج، وصار الصبى كالميت، وأخذ يسوع بيده وأقامه. فقال التلاميذ: لم لم نقدر نحن على إخراجه؟ فقال يسوع: إن هذا الجنس لا يُستطاع إلا بصوم وصلاة. وخرج يسوع من هناك إلى الجليل مستترًا»[1].

قلت: إن قدح اليهود فى هذه الآية. قيل لهم: ألم تروا لنا أن موت الفجأة وقع فى بنى إسرائيل بغتة. فقتل منهم أربعة عشر ألفًا وسبعمائة رجل. فأمر موسى هارون أن يضع فى المجمرة بخورًا، وقام بين الأموات والأحياء. فأمسك الموت الفاشى عن بعضهم[2] فما الدليل على صحة ما نقلتم من هذه الآية ولعلها زور وكذب ومينٌ وإفك؟ فإذا قالوا: قد ثبت أن الناقلين لهذه الآية انتهوا فى الكثرة إلى حد يستحيل منهم التواطؤ على الكذب. قيل لهم: وكذلك آية المسيح نقلها من يستحيل تواطؤهم على الباطل؛ فاستوت الحال.

وإن زعم النصارى أن ذلك يصلح للدلالة على ربوبيته. قيل لهم: لا تتعرضوا للاستدلال بهذه القصة على ربوبية المسيح ألبتة، فهى من إحدى الشواهد على عبوديته. **وبيانه من وجوه:**

أحدها: قوله لأبى الصبي: «منذ كم أصابه الجِنّي» فإن ذلك مشعرٌ بعدم علمه بالزمن الذى علقه الجنى فيه، إذ لو كان ربه وإلهه ـ كما يزعم النصارى ـ لكان هو الذى ابتلاه ولَما علِقَه الجنى دون إذنه وعلمه. فعدم علمه بالوقت الذى لبسه فيه؛

(١) مرقس ١ : ١٧ +

(٢) العدد ١٦

دليل على عبوديتـه. إذ الغيب لا يعلمه إلا الله الواحد ـ جل وعـلا ـ وقد مضى نظائر ذلك. إذ قد سُئل عن يوم القيـامة فقال: «لا أعـلمها ولا يعلمـها إلا الله الواحد»[١].

والثاني: قوله «كل شيء يستطيعه المؤمن» أراد إنما يصدر منه من شفاء المرضى وسائر الآيات إنما كانت لإيمانه بالله واهب القوى، وماحِي أثر الداء بالدواء.

والثالث: قوله للتلاميذ: «إن هذا الجنس لا يُستطاع إلا بصوم وصلاة» يدل على أن المسيح تقدم فى الصوم والصلاة والعبادة إلى حـد أربى فيه على غيره من عبيد الله.

وفى بقيـة الفصل ما دل علـى خوف أيشوع وتواريه، وعـجزه عن مقـاومة مناوئيه. وهو أنه بعد قيـام الفتى من صرعته، خرج إلى الجليل فـاراً من ساعته. والكلمة الأزلية لا تعتورها نقائص البشرية.

• • •

كذب النصارى فى دعوى بنوة المسيح:

قال مـرقس: «خرج يسوع وتلامـيذه إلى البحـر وتبعه جـمع كبيـر؛ فأبرأ

(١) اعلم: أن المسيح عيسى عليه السلام تكلم عن انتهاء ملك بنى إسرائيل فى فلسطين والأمم، ونسخ التوراة ـ وعبر عن نسخ التوراة بهدم هيكل سليمان ـ علـى يد «ابن الإنسان» الذى هو بلسانهم محمد رسول الله ﷺ وذكر علامات تحدث فى العالم من قبل إتيـانه. وقد لغا النصارى فى كلامه هذا بقولهم إنه يتكلم عن انتهاء الحياة الدنيا وقيام القيامـة. وسرى قولهم هذا فى المسلمين. وقال المسيح عيسى عليه السلام إنه من بعد حـدوث هذه العلامـات. سيظهـر «المسيح الرئيس» الذى هو بلســانهم محـمد ﷺ وقـد لغا النصارى فى قـوله هذا بقولهم إن« المسـيح الرئيس» هو عيسى نفـسه فى مجـيئه الثـانى المتزامن مع يوم القيامة. وقـال المسيح عيسى عليه السـلام: إن انتهاء ملك بنى إسرائيل ونسخ شريعتـهم سيكونان بحرب شديدة فى أرض فلسطين تنشـب بين أتباع محمـد ﷺ وبين اليهود وسينـتصر فيـها أتباع محـمد على اليهود. وقال المسيح: إن سـاعة هذه المعركة لا يعلمها إلا الله وحده وستكون هـذه الساعة بغتة. والنص على هذه الساعة موجـود فى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، وفى الأصـحاح الحادى والعشرين من إنجيل لوقا وفى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجـيل متى. وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

أعلالهم. فجعلوا يزدحمون عليه، ويقولون: أنت هو ابن الله؛ فكان ينهاهم وينتهرهم»[١].

قلت: اعلم أن هذا الكلام لو كان إيمانًا من قائله؛ لم ينهه المسيح. وكيف ينهى عنه، وإنما جاء لنشر الدين، وبث الحق اليقين. والأمر بالكتمان ينافى الإعلان بالإيمان؟ فلو أن قول أهل زمانه «أنت ابن الله» توحيد لم ينههم عن التوحيد، لكنه إنما نهاهم لمخالفة نص الإنجيل. إذ قال فيه لوقا: «إن المسيح هو ابن داود» و« إن الرب يجلسه على كرسى أبيه داود» [٢] وذلك بشهادة جبريل عليه السلام. وإذا كان المسيح إنما هو ابن داود؛ فكيف لا ينهاهم عن قول ما لا يحسن قوله؟ فإن قال النصارى: إنما نهاهم خوفًا من اليهود أن يفطنوا به، إذ كانوا يرومون قتله.

قلنا: ألم تزعموا أنه إنما تعنّى ونزل إلى الأرض؛ ليُقتل إيثارًا لكم وتخليصًا من العذاب الذى ورّطكم فيه آدم بتعاطى الخطيئة؟ أفترونه ندم على ذلك؟ فهو يستتر ويتوارى خوفًا من القتل؟ أفتصفونه بالبَداء والندم والجهل بعواقب الأمور؟ لقد كاد الله هذه العقول، وحاد بها عن سواء السبيل.

نوع منه آخر:

قال لوقا: «كان كل من له مريض يجيء به إلى يسوع. فيضع يده عليه فيبرأ. فيقولون له: أنت ابن الله، فكان لا ينتهرهم، ولا يدعهم ينطقون بهذا» انظر رحمك الله ـ إلى انتهار المسيح من ينطق بلفظة البنوة ليعلم أن النصارى اليوم معرضون عن إنجيله، سالكون غير سبيله. فقد شهد لوقا بمثل ما شهد به مرقس. فإن زعموا أنه إنما نهاهم خشية اليهود. قيل لهم: لو كان ذلك كذلك؛ لما أكثر من

---

(١) المؤلف غير مدرك لمعنى «ابن الله» ههنا. والمعنى المراد: هو أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وهو محمد رسول الله. كان اليهود يطلقون عليه لقب«ابن الله» من نبوءة المزمور الثانى عليه. فلما ألصق الأميون هذا اللقب بعيسى عليه السلام بين لهم أنه ليس هو «ابن الله» النبى الأمى الآتى [تثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وانتهرهم لكيلا يقولوا عنه: إنه هو. وانتهرهم أيضًا على اعتقادهم فيه أنه هو «المسيح الرئيس» النبى الأمى الآتى ـ بلسانهم ـ وبين لهم أنه ليس هو [مرقس٣ : ١١] «فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح. فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه» [مرقس ٨: ٢٩] .

(٢)لوقا ٤ والنهى هو على أن «ابن الله» لقب للنبى المنتظر، ويريدون وضع اللقب عليه.

فعل الآيات. وفى فعلها وإظهارها ما يوجب شهرته وظهوره. فلما أكثر من المعجزات وأشاع فعلها؛ دل على كذبكم فى أنه نهاهم خشية أن يفطنوا به. بل إنما نهاهم لنص الإنجيل وبيان جبريل، حيث يقول: إن يسوع هو ابن داود. فلذلك لم يرضَ منهم بهذا الإطلاق. وقد قال متى فى إنجيله: «هذا ميلاد أيشوع المسيح ابن داود بن إبراهيم»[1] فشهد - وهو الصادق عندهم - أن أبا المسيح هو داود[2]، وذلك رد على من زعم من النصارى أنه ابن الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيرًا .

فإن قيل: ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره. إذ سلّمتم أنه مولود من غير أب، فكيف توردون علينا بنوة داود؟ وإذا كنتم لا تقولون بذلك؛ فقد سُلِّم لنا مرادنا.

قلنا: النسبة نسبتان: نسبة تعريف ونسبة تشريف. فالأولى: هى نسبة الإنسان من والده الذى هو أصله. والثانية: هى نسبته من والده الذى هو أصل أصله. فالمسيح منسوب إلى داود النسبة الثانية - التى هى نسبة تشريف - وهى كنسبة داود إلى إبراهيم.

ثم إن مريم أم المسيح من نسل داود[3]. وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وإذا كان المسيح بن داود بهذه النسبة؛ بطل ما ذهبتم إليه من

(١) متى ١ : ١ .

(٢) المحرف هو الذى نسبه إلى داود. وهو من جهة أمه إلى هارون عليه السلام.

(٣) الدليل على أن مريم أم المسيح من نسل هارون كما قال القرآن الكريم هو: ١ - «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا، من فرقة أبيّا. وامرأته من بنات هارون، واسمها اليصابات» [لو ١ : ٥] فقد بين أن مريم من نسل هارون وأنها متزوجة من هارونى هو نبى الله زكريا عليه السلام. الذى هو من فرقة أبيا. إحدى فرق الهارونيين. ٢ - «فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ أجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك. فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهوذا اليصابات نسيبتك هى أيضًا حبلى بابن فى شيخوختها. . .إلخ» [لو ١ : ٢٤ +] قوله «يدعى ابن الله» تحريف؛ لأن لقب «ابن الله» هذا هو لقب من ألقاب النبى الأمى الآتى على مثال موسى [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢] والمحرف يريد وضعه على عيسى عليه السلام. وقوله إن اليصابات نسيبة لمريم يدل على أن مريم هارونية؛ لأن النسب هو القرابة. وإذا ثبتت قرابتها لها يثبت أنها من نفس سبطها. ويدل على ذلك: ٣ - فى سفر العدد : «وكل بنت ورثت نصيبها من أسباط بنى إسرائيل؛ تكون =

الضلال وانتحال المحال.

فإن قيل: إن كان قد روى مرقس ولُوقا - من أصحابه - نهيه من ينطق بلفظ البنوة. فقد قال هو: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم».

قلنا فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه[١]، إذ لو كان صحيحًا لم يختلفوا فيه، وإذا كان بعض الإنجيل يقول إن المسيح بن داود، وبعضه يقول: لا، بل هو ابن يوسف، وبعضه يقول: بل هو ابن الله؛ لم تحصل الثقة بقول واحد لا سيما والمسيح يقول: «إنى ذاهب إلى إلٰهى وإلٰهكم» ويقول فى زعمكم «إلٰهى إلٰهى لم تركتني؟» فالمسيح يقول: إن الله إلٰهه وربه، وأنتم تقولون: لا، بل هو ابنه. لقد تباعد ما بينكم وبين المسيح.

مسألة:

زعم النصارى: أين أيشوع إنما جاءهم لينصرهم على اليهود، ويطلع عليهم بالثالوث شموس السعود.

فيقال لهم: يا عبّاد الرجال وربّات الحجال. إن كان الأمر على ما تصفون؛ فقد كان يقضى أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة. والخلائق مقبلون على أنبيائهم، إقبالهم على آبائهم وأبنائهم. فما الذى دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع، وعزِّه المنيع. إلى حضيض النصب، ومقرّ الآفات والوصب. فيولج بطن امرأة من إمائه، ويمكث برحمها. منغمسًا فى المشيمة، على حال ذميمة. ثم ولدته وأرضعته وفصلته وأدبته. فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها. وترددت به إلى الأعياد والمواسم، وأرته الشعائر والمعالم. ولم تزل تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوّف إلى حنكة الرجولية وتطلع.

=امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها؛ لكى يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه. فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر، بل يلازم أسباط بنى إسرائيل كل واحد نصيبه» [عد ٣٦ : ٨ - ٩] .

(١) قول المؤلف فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه يؤيد ما ذهبنا إليه وهو أن النهى عن اللقب الخاص النبى المنتظر.

فلما شرع فيما جاء له من نُصرتكم؛ وثب عليه اليهود فكذّبوا فمه، وأهدروا دمه. وأقصوه وشردوه، وكدّروا عليه روح الحياة ونكّدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه. فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار، وعوَّل على معقل الاستتار فى الحذار. وتقدم إلى أصحابه ألا يذكروه، وأن يبالغوا فى طى أمره فلا ينشروه بل ينكروه. ولم يزل ذلك حاله واليهود تُنقّب عليه، وترشى من يرشدها إليه. حتى دلّ عليه صاحبه «يهوذا»[1] وساق إليه من أعدائه جمعًا كثيفًا، وأنزل به من الذعر خطبًا منيفًا. فأنشبوا فيه مخاليب الضراب، وأمطروا شآبيب العذاب، وسحبوه على شوْك السفا والسباب. وبقى هذا الإله المسكين فى أيدى اليهود ممتهنًا، يرون أقبح مايأتونه إليه حُسنا. فلما بلغوا من إهانته المراد؛ مضوا به إلى بقعة من الأرض. تزعمُ النصارى أنه دحاها وألزموه حمل خشبة قالوا: إنه أنبت لَحَاها. وألبسوه أثوابًا كان قد صنع ورَسْها، وأصهروه شمسًا هو الذى أسخن مسها. فسألهم شربة من الماء الذى فجّره، حين وقفت نفسه لدى الحنجرة. فضنوا عليه بذلك، وعوَّضوه الخلّ مما هنالك. فلما تضافرت عليه فوق جزعه الدواهي، أعلن بقوله: «إلهى إلهي» وصار بين اللصوص ثالثة الأثافي. وعُوِّض عن بلوغ المنى بالمنافي. ثم زهقت نفسه، وفتح رمسه. وصار فى صدر الأرض

(١) إن الصلب والقتل منتف عن المسيح وعن يهوذا. بدلائل كثيرة من الأناجيل الأربعة أهمها الاقتباسات المأخوذة من التوراة للدلالة على صلب وقتل كل منهما. وكان يجب على المسلمين وهم يرومون نفى الصلب والقتل عن المسيح أن ينظروا فى النص المقتبس من التوراة لهذا الغرض، وسوف يقودهم النظر فيه إلى النصوص المقتبسة عن يهوذا ولكنهم لم يفعلوا. وقد بينت ذلك كله فى كتابنا الموسوم باقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة. لاحظ : «ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها؛ لكى يتم ما قيل بالنبي: «اقتسموا ثيابى بينهم، وعلى لباسى ألقوا قرعة» {متى ٢٧ : ٣٥} من هو النبى القائل؟ وما هو القول؟ وما مناسبته ههنا؟ لاحظ: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي. إيلي. لما شبقتني. أى إلهى إلهى لماذا تركتني؟» {متى ٢٧ : ٤٦} من هو النبى القائل؟ وما هو القول؟ وما المناسبة؟ ونفس الحال فى الكلام عن يهوذا الاسخريوطي. ففى سفر الأعمال: «لأنه مكتوب فى سفر المزامير: «لتصر داره خرابًا ولا يكن فيها ساكن» و«ليأخذ وظيفته آخر» {أع ١ : ٢٠} من هو النبى القائل للنوءتين؟ وماهما النبوءتان؟ وما المناسبة؟

سرًا مكتومًا، وعاد هذا الإلّه العظيم عديمًا. ولم تمت له ثلاثة أيام فى الرخام، قام من ذلك المكان، ورجع إلّهًا كما كان. فتلبس الحال الوبيل، وادّرع الذل العريض الطويل، ولم يؤمن به إلا عصابة هى أقل من قليل.

فما أرى هذا الإلّه إلا نايل الرأي، فاسد الحس. فطير الفطرة، مشئوم الغرة، منقوص الهمة، مظلم الفكرة. إذ عرّض نفسه للمحن، وأثار بين عباده الأحقاد والإحن. فلقد شان الربوبية، وأزال بهجتها. وطمس نورها، وأطلق ألسن السفلة بنقصها وثلْبها. حتى لقد شكّك كثير منهم فى الربوبية، وسهّل عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية، وسلّهم من ربقة العبودية بالكلية. فسحقًا سحقًا لإلّه هذه حكمته، ومحقًا محقًا لرب هذا تدبيره.

فلو أن إنسانًا نشأ ببعض الجزائر المنقطعة عن العمران لا يعرف ربًا ولا يقرأ كتبًا، ولا يدين بملة عُرِض عليه دين النصارى. فقيل له: إن لك ربًا خلقك وأبدعك، ومن صفته أنه رجل مثلك يبول ويغوط ويبصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسى ويسهر وينام، وسارع مع الأنام الكلام، وأن إنسانًا مثله حقد عليه بعض الأمر فضربه وسحبه، ثم قتله وصلبه، بعد أن حطّم شعره ولطم نحره؛ فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة وفات. لاستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإلّه فضلاً عن أن يتعبد له. ولأحال تصوره، ولرأى لنفسه عليه فضلا لا ينكر، ومزية من حقها أن تذكر فتشكر.

قال المؤلف:

ليس فى النصارى من يجحد مما ذكرته فى هذا الفصل حرفًا واحدًا بل قد مدّوا أعناقهم للذل، وأسلبوا آذانهم للخزي، وأنسوا بسماع التوبيخ، واستلانوا ملابس التقريع، فهم يتلون هذا الفصل تلاوة المحجج ويبتهجون به ابتهاج المنجج فالحمد لله الذى حَصننا بمعقل العقل عن سلوك هذا المذهب وأنا لنا بدهن الذهن {عدم} حلول هذا الغيهب.

الباب الرابع

في

التعريف بمواضع التحريف

نبين ـ بعون الله ـ فى هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه، وتكاذبه وتهافته. ومصادمة بعضه بعضًا؛ ما يشهد معه من وقف عليه: أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم. وألحقوا به أمورًا غير مسموعة من المسيح ولا أصحابه. مثل ما حكوه من صورة الصَّلب والقتل واسوداد الشمس وتغير لون القمر وانشقاق الهيكل. وهذه أمور إنما جرت فى زعم النصارى بعد المسيح، فكيف تُجعل من الإنجيل، ولم تسمع من المسيح؟ والإنجيل الحق إنما هو الذى نطق به المسيح، وإذا كان ذلك كذلك؛ فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، وعُدمت الطمأنينة بنقلته.

وقد قدمنا أنه ليس إنجيلاً واحدًا، بل الذى فى أيدى النصارى اليوم أربعة أناجيل. جُمع كل إنجيل منها فى قطر من أقطار الأرض، بقلم غير قلم الآخر، وتضمّن كل كتاب من الأقاصيص والحكايات ما غفله الكتّاب الآخرون مع تسمية الجميع إنجيلاً. وقد ذكر العلماء أن اثنين من هؤلاء العلماء الأربعة وهما مَرْقُس ولوقا لم يكونا من الاثنى عشر الحورايين أصحاب المسيح، وإنما أخذا عمن أخذ عن المسيح وإذا كان الأمر كذلك، فهذان الإنجيلان ليسا من عند الله. إذ لم يسمعا من لفظ المسيح. والحجة إنما تقوم بكلام الله وكلام رسوله وإجماع أصحاب رسوله.

وقد صرح لوقا فى صدر إنجيله بذلك فقال: «إن ناسًا راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون، كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خدامًا للكلمة، فرأيت أنا إذ كنت تابعًا أن أكتب لك أيها الأخ العزيز ثاوفيلس. لتعرف به حقائق الأمر الذى وُعظت بها».

فهذا لوقا قد اعترف أنه لم يلق المسيح ولا خدمه، وأن كتابه الذى ألفه إنما هو تأويلات جمعها مما وعظه به خدام الكلمة.

واعلم: أن هؤلاء الأربعة تولّوا النقل عن رجل واحد. فلابد أن يكون الاختلاف. إما من قِبَل المنقول عنه، أو من قبل الناقل. وإذا كان المنقول عنه معصومًا؛ تعيَّن الخطأ فى الناقل.

١.تكاذب:

قال متى: «من يوسف خطيب مريم ـ وهو الذى يسمى يوسف النجار ـ إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة» .وقال لوقا: لا. ولكن بينهما أربع وخمسون ولادة. وذلك تكاذب قبيح. ولعل التوريك[1] على لوقا أوْلى؛ لأن متى كان صحابيًا ولوقا ليس بصحابي. إلا أنه لا فرق بينهما عند النصارى. وذلك يقضى بانخرام الثقة بهما جميعاً.

قال المؤلف: صواب النسب الذى عددته فى إنجيل متى تسعة وثلاثون رجلاً، وفى إنجيل لوقا خمسة وخمسون رجلاً. وذلك من يوسف خطيب مريم إلى إبراهيم الخليل، بشرط دخول الجدّين يوسف وإبراهيم فى العدد. وقد اختلفا فى الأسماء أيضًا. وذلك زلل ظاهر.

٢.موضع آخر:

قال لوقا: «قال جبريل الملك لمريم بالناصرة: إنك ستلدين ولدًا اسمه يسوع يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملّكه على بيت يعقوب»[2] وأكذبه يوحنا

(١) ليس التوريك على متى ولوقا. وذلك لأن الأصحاحات الأولى أُلحقت بعد تحريف النصرانية فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م لغرض هو: أن العبرانيين كانوا يزعمون أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] سيكون من نسل داود، من سبط يهوذا، وكان السامريون يزعمون أنه سيكون من سبط يوسف عليه السلام. فلما اعترف عيسى بأنه سيكون من نسل إسماعيل عليه السلام رأى اليهود العبرانيون تغيير نسب عيسى من هارون إلى داود، ليقنعوا الأميين منهم أنه هو النبى المنتظر، كما كنا نقول لكم من قبل إنه سيأتى من داود. وتعدلت الأناجيل على هذا الكذب. ولم يتفقوا على نسب. وذلك ليلهوا العلماء بالاختلاف وينسوهم أصل الموضوع.

(٢) لوقا ١ : ٣١ ـ ٣٣ .

وغيره فقال: «حمل يوسع هذا الذى وعده الله بالملك إلى القائد فِيلاطُس، وقد ألبسوه شهرة الثياب وتوّجوه بتاج من الشوك، وصفعوه وسخروا منه. ففاوضه فيلاطس طويلاً. فلم يتكلم فقال له: أما تعلم أن لى عليك سلطانًا، إن شئت صلبتُك وإن شئتُ أطلقتك، فأجابه يسوع: لولا أنك أُعطيت ذلك من السماء؛ لم يكن لك عليّ سلطان. ومن أجل ذلك خطيئة الذى أسلمنى إليك عظيمة»[1].

وهذا تكاذب قبيح؛ لأن أحدهما يقول: إن يسوع يملك على بنى إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف ذليل.

٣. موضع آخر:

قال لوقا: «لما نزل بيسوع الجزع من اليهود؛ ظهر له مَلَك من السماء[2] ليقويه. وكان يُصلّى متواريًا ، وصار عرقه كعبيط الدم».

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا، وإذ تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه؛ فتضيع السّنن وتذهب الفرائض وتُرفع الأحكام. فإن كان ذلك صحيحًا، فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح ذلك عندهم لم يُؤْمن أن يُدخِل لوقا فى الإنجيل أشياء أُخَر أفظع من هذا. ولعل لوقا قد صدق فى نقله، فإن ظهور الملك علامة دالة وأمارة واضحة على رفع المسيح إلى السماء، وصونه عن كيد الأعداء.

---

(١) يوحنا ١٩ : ١ + وموضع الشاهد من النص هو كما ذكره المؤلف. ولكن المؤلف لم يذكر موضع الشاهد وهو أنه ليس ملكًا وفى رواية لوقا أنه لم يملك. وهذا هو التناقض. وهو مقصود وضعه فى الإنجيل. وذلك لأن من أوصاف النبى الأمى المماثل لموسى أن يكون ملكًا. وله يسمع اليهود [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] والمحرفون يريدون التشكيك فى هذه الصفة وهم ينسبونها زورًا إلى عيسى عليه السلام.

(٢) النص فى لوقا ٢٢ ولماذا قال لوقا بظهور الملاك؟ لأن من نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى وهو محمد رسول الله أن تكون الملائكة فى نصرته. والمحرف يريد وضع نبوءة ظهور الملائكة على عيسى فى وقت شدته؛ ليوهم الأميين أنه هو النبى المنتظر لا محمد رسول الله ﷺ ومثل هذا القول فى متى ٤ : ١١ «وإذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه» وقد أشار إلى ذلك بولس فى الرسالة إلى العبرانيين ١ : ٧ «وأيضًا متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله» ونبوءة ظهور الملائكة لمحمد فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية بحسب النص اليونانى ومزمور ٩٧ : ٧ .

مناقشة:

اعلم : أن المسيح عند النصارى عبارة عن لاهوت اتحد بناسوت فصارا بالاتحاد شيئًا واحدًا. وإذا كان ذلك كذلك، فظهور الملك ليُقوِّى مَن منهما؟ فإن قالوا: ليقوِّى اللاهوت؛ كان ذلك باطلاً. إذ لا حاجة بالإله إلى مساعدة عبده وتقويته. وإن قالوا: ليقوى الناسوت؛ أبطلوا الاتحاد. إذ لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت، حتى يفتقر إلى التقوية والنصرة. ثم ذلك يُشعر بضعف اللاهوت عن تقوية الناسوت المتّحد به حتى احتاج إلى التقوية. وكيف يحتاج الإله إلى عبد من عبيده ليقويه وكل عباد الله إنما قوتهم بالله - عز وجل - ؟

٤. موضع آخر:

ذكر يوحنا - الذى هو أصغر الأربعة سنًا - «أن أول آية أظهرها المسيح؛ تحويل الماء خمرًا»[١] ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك، وإذا أغفلوا مثل هذه الآية مع شهرتها دلّ ذلك على غفلة عظيمة، وقلة اعتناء بأمر الدين. وإذا كانت لم تصح عنده؛ فتحرّجوا من تسطيرها؛ فكيف ثبتت من الإنجيل بقول واحد وشرط ثبوت كلام الله؛ التواتر. وهو النقل من قوم لا تجمعهم رابطة التواطؤ على الكذب.

٥. موضع آخر:

ذكر يوحنا هذا «أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان فى وسطه، وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع وترك التكبر»[٢] ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، فإن لم تصح عندهم؛ فهو طعن على يوحنا، وإن كان ذلك صحيحًا؛ فهو طعن عليهم.

وكيف يُعدّ ذلك من الإنجيل، والأكابر من التلاميذ لم يعرفوه، ولم يدوّنوه فى أناجيلهم؟ والتوريك على واحد صغير أولى منه على ثلاثة كبار.

---

(١) يوحنا ١ : ١ + .

(٢) يوحنا ١٣ : ٤ + .

٦. موضع آخر في غاية الفساد:

حكوا[1]: أن يوحنا هذا قال في الفصل الخامس من إنجيله: «إن يسوع قال: إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي؛ لكانت شهادتي باطلة. ولكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي، وأبي أيضًا يشهد لي: أنه أرسلني؛ وقد قالت توراتكم: إن شهادة رجلين صحيحة».

فانظر - رحمك الله - ما أفسد هذا الكلام وأقربه من كلام المجانين وذلك أنهم جعلوا الله رجلاً، وجعلوا شهادته لنفسه تقوم مقام شهادة شاهد بعد قوله: «لو كنت أنا أشهد لنفسى لكانت شهادتى باطلة» والتوراة تقول: إن شهادة شاهدين صحيحة، ولم تقل: إن شهادة الإنسان لنفسه صحيحة.

وإذا كان المسيح وتلاميذه منزهين عن هذا الكلام الفاسد؛ فليُرم به جانبًا، وليُعلم أنه ليس من الإنجيل الحق.

٧. موضع آخر:

نقل يوحنا: «أن المسيح مضى إلى المعمدانى ليتعمد منه. فقال له المعمدانى حين رآه: هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم. وهو الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدي، وإنه أقوى مني، وإن بيده الرفش، ينقى بيدره، فيجمع الحنطة إلى

---

(١) هذا ليس موضع اختلاف كما فهم المؤلف. وبيان ذلك: أن شهادة الواحد لنفسه أو لغيره مردودة بنص التوراة والقرآن أيضا. ولذلك قال المسيح: «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا. الذى يشهد لى هو آخر» وهذا كلام صحيح. فمن يشهد للمسيح؟ يشهد له اثنان غيره هما ١ - الله الذى تحل المعجزة محله ٢ - ويحيى عليه السلام الذى ثبتت نبوته بمعجزاته. ولذلك قال: «أنتم ارسلتم إلى يوحنا فشهد للحق» وقال: «والآب نفسه الذى أرسلني؛ يشهد لي» بما يجريه على يدى من معجزات وأراد المحرف «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهى التى تشهد لي» وليس فى الكتب أية نبوءات عنه. وهذا فى الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا. ويقول فى الأصحاح الثامن: «لست وحدي، بل أنا والآب الذى ارسلني. وأيضا: فى ناموسكم مكتوب: «أن شهادة رجلين حق» [تث ١٧: ٦ أيضا ١٩: ١٥] أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لى الآب الذى أرسلني».

وقال عن نفسه: لو فرضنا أنى قلت قولا ولم آت عليه بدليل. وقلتم أنتم أقوالا ولم تأتوا عليها بدليل. فإنى صادق فيما أقول. ذلك قوله: «وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق» وعلل صدقه بقوله: «لأنى أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب» فلذلك لا أكذب؛ لأنى أخاف الله وأنتم لا تخافونه.

أهرائه، ويحرق الأتبان بالنار التى تُطفأ» [١] .

وخالفه فى ذلك متى ولوقا. أما متى فقال: «إن المعمدانى حين رأى المسيح قال له: إنى محتاج أن أنصبغ على يديك، فكيف جئتنى تنصبغ على يدي». «وأنه أرسل بعد ذلك إلى المسيح يقول له: أأنت الآتى أو ننتظر غيرك» . فأما مرقس فلم يذكر شيئا من ذلك ألبتة. وهذا تكاذب قبيح، لأن يوحنا جزم أنه هو. ولم يحتج إلى سؤاله، ومتي: ما علم حتى أرسل يسأل المسيح. والآخر أغفل القصة بالجملة. وهذا القدر منفّر موجب لسوء الظن.

٨ ـ موضع آخر:

ذكر متى [٢] : أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتّان وذكر لوقا غير ذلك فقال: «ولما ابتدأ أيشوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو يُظن أنه ابن يوسف ابن هالى بن متثات» وهذا تناقض عجيب.

٩ ـ موضع آخر:

ذكر متى [٣] أن المسيح صُلب وصلب معه لصان. أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وأنهما جميعا كانا يهزءان بالمسيح مع اليهود ويُعيِّرانه . وذكر لوقا خلاف ذلك. فذكر أن أحدهما كان يهزأ بالمسيح، والآخر يقول له: أما تتقى الله؟ أما نحن فبعدل جوزينا. وأما هذا اللص فلم يعمل قبيحا. ثم قال للمسيح: يا سيد اذكرنى فى ملكوتك [٤] . فقال: حقا إنك تكون معى اليوم فى الفردوس» .

---

(١) موضع التحريف فى النص هو: أن المعمدان وعيسى عليهما السلام كانا يبشران بمحمد رسول الله معا بقولهما: «توبوا؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» وقال المعمدان عن محمد ﷺ: «يأتى بعدى من هو أقوى مني، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه» وأزاد فى رواية متى: «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذى رَفْشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» [متى ٣: ٧ +] ولما حرفت الأناجيل فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م كتبوا أن المعمدان كان يعنى بقوله يأتى بعدي؛ عيسى عليه السلام وأنه قتل من أجل خطايا العالم.

ولم يشر مرقس إلى موضع التحريف المكتوب فى يوحنا وحده. ولم يشر متى ولوقا.

(٢) متى ١: ١٥ ولوقا ٣: ٢٣ .

(٣) متى ٢٧ ولوقا ٢٣ .

(٤) الغرض من وضع الملكوت للمسيح: هو اللغو فى نبوءة محمد رسول الله لأنه هو صاحب الملكوت. لا المسيح.

وهذا تكذيب لقول متى إنهما جميعا كانا يعيران المسيح ويهزءان به. وأغفل هذه القصة مرقس ويوحنا. ومن المحال أن يحدث مثل هذا في ذلك الوقت، ولا يكون شائعا ذائعا، فإن كان صحيحا فلم تركاه؟وإن أهملاه سهوا؛ لم يُؤمن أن يهملا شيئا كثيرا من الإنجيل. ولعلهما لم يصح عندهما. والدليل على عدم صحته: تناقض متى ولوقا فيه؛ فإن اللصين عند متى كافران بالمسيح، وعند لوقا إن أحدهما كافر والآخر مؤمن. وذلك قبيح جدا.

١٠. تكاذب قبيح:

قال لوقا: «قال يسوع للمؤمن به: حقا إنك اليوم معي في الفردوس» [١] وأكذبه سائر أصحابه فقالوا: «أقام يسوع بعد هذا القول في الأرض أربعين يوما ثم صعد إلى الجنة» [٢] وذلك تكذيب لما نقله لوقا من أنه معه من يومه.

١١. تناقض واضح:

قال لوقا: «قال يسوع: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس، ولكن ليُحيي» [٣]. وخالفه أصحابه فقالوا: بل قال: «إن ابن الإنسان لم يأت ليلقي على الأرض سلاما لكن سيفاً ويضرم فيها نارا».

وهذا تناقض وتكاذيب لاخفاء به. ونحن ننزه التلاميذ عن هذا التناقض القبيح والنقل غير الصحيح. إذ بعضهم يجعله جاء رحمة للعالمين، والآخرون يقولون. بل جاء نقمة على الخلائق أجمعين.

١٢. موضع آخر:

ذكر متى [٤]: «إن مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى، وإذا مَلَك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا. فليس يسوع ههنا

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٣.

(٢) أعمال ١: ٣.

(٣) لوقا ٩: ٥٦ ومتى ١٠: ٣٤ ومن الممكن إزالة التناقض بأنه لن يأتي ليهلك المؤمنين به، وإنما يأتي ليقتل بسيفه أهل الشرك. ومن هو ابن الإنسان في هذا النص؟

(٤) متى ٢٨ ويوحنا ٢

قد قام من بين الأموات. وهو يسبقكم إلى الجليل. فمضتا مسرعتين. فإذا المسيح قد لقيهما. وقال: «لا بأس عليكما. قولا لإخوتى ينطلقون إلى الجليل» وخالفه يوحنا فقال: «جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغَلَس، فرأت الصخرة وقد رُفعت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون الصفا وإلى تلميذ آخر. فقالت لهما: إن المسيح قد أُخِذَ من تيك المقبرة ولا أدرى أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر. فرجعا. وجلست مريم تبكى عند القبر. فبينا هى كذلك؛ اطّلعت فى القبر. فرأت مَلَكين جالسين - حيث كان يسوع - عليهما ثياب بيض فقالا: ما يبكيك؟ فقالت: أخذوا سيدى ولا أدرى أين وضعوه. فبينا هى كذلك التفتت فرأت المسيح قائما. فلم تعرفه وحسبته حارس البستان. قالت له: بالله إن كنت أخذته فقل لى أين وضعته حتى أذهب إليه. فناداها المسيح: يا مريم. فعرفته وقالت بالعِبرانية: ربُّوني. تفسيره يا معلم. فقال لها: لا تدن مني؛ فإنى لم أصعد بعدُ. اذهبى إلى إخوتى فقولي: إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فذهبت وبشرت التلاميذ» .

وهذا نقل يكذب بعضه بعضا، وذلك أن أحدهما يذكر أن الملك هو الذى أرسل مريم إلى التلاميذ، والآخر يذكر أن الذى أرسلها هو المسيح نفسه.

وأحدهما يقول: إن ذلك كان عشية السبت، والآخر يقول: لا بل يوم الأحد بغلس. وأحدهما يحكى عن مريم وحدها، والآخر يحكى عن أخرى معها.

والعجب من قبول النصارى قول امرأة واحدة فى مثل هذا الأمر العظيم. وقد جاء على هذا الوجه من الاضطراب. وهذا الفصل حريّ بأن يُسطّر فى حكايات المغفلين والعجائز المثكلين.

وبعد - يرحمك الله - فما سمعنا قط برب يُصفع ويضرب ويقتل ويصلب ويبكى عليه ويندب ويتردد بين خلقه فى زِيّ إنسان، ويشتبه على من رآه بناطور بستان. فلو أن اليهود نصبوا جماعة من المجّان على السخرية بدين النصارى والغض منه، ما بلغوا منهم ما بلغوا من أنفسهم. وهذا كما قيل:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغُ الجاهل من نفسه

١٣.موضع آخر:

قال متى فى إنجيله: «إن يوحنا المعمدانى أفضل من نبي» [١] ثم نسى نفسه فقال بعد ذلك «وكان المعمدانى مثل نبى» [٢].

فليت شعرى من فى بنى آدم تسمو رتبتـه على رتبة النبى حتى يقال: إنه أفضل من نبي؟هل ذلك إلا من سوء التعبير من سوء الفهم [٣].

١٤.موضع آخر:

قال نقلة الإنجيل: «قال يسوع لبطرس: طوبى لك» [٤] ثم نقضوا ذلك فقالوا فى آخر القـول: «قال يسوع لبطرس هذا: اذهب عنى يا شـيطان لا تشككني؛ لأنك ما تفكر فيما لله، بل فيما للناس» [٥].

فبينا بطرس عنده للطوبى مالكا إذ جعله فى الدركات هالكا.

١٥.موضع آخر:

قال نقلة الإنجيل عن لوقا: «أن يسوع جاء ليجلس على كرسى أبيه داود، ويملك على بيت يعـقـوب إلى الأبد» [٦] ثم نقضوا ذلك فقـالوا: قال يسوع: إنه ينبغى أن أقتل وأصلب [٧]. وهذا غاية التناقض والتكاذب. وكيف يخبر جبريل عن الله: أن المسيح يجلس على كرسى داود، ويملك على أسـباط بنى إسرائيل، ويُخلَف ذلك فلا يُجرى منه حرف واحد بل يُجرى نقيضـه؟فيرذل يسوع ويقهر. ويطاف به مُهانا ويُشهر، ويأرق من شدة الفَرَق ويسهر، ويقرن مع اللصوص ويسب وينهر، ويقتل ويصلب ويقبـر، وينصدع شمل أصحابـه بمصابه فلا يجبر. هـذا ما لا يصدر عن

---

(١) متى ١١ :٩ .

(٢) متى ١٤ :٥ .

(٣) هذا الموضع ليس فيـه تناقض، لأن الموضع الأول من كلام المسيح نفسـه، والموضع الآخر من كـلام متى نفسه. فمصدر الكلام مختلف.

(٤) متى ١٦ :١٧ .

(٥) متى ١٦ :٢٣ .

(٦) لوقا ١ :٣٢ ـ ٣٣ .

(٧) متى ١٧ :٢٢ ـ ٢٣ .

جهّال الكهان، فكيف يصدر من رئيس ملائكة الرحمن؟ثم العجب من قولهم: إن يسوع جاء ليقتل ويصلب ويهان، لا واللهِ ولا كرامة. ولا ينبغى لمن عنده أدنى مسكة من عقل أن يعرّض دابته وكلبه لهذه المحن، فكيف بالإله الذى تقوم السماء والأرض بأمره، ويجرى بتقدير حلو العيش ومره؟وكيف إذ عزم على هذا الخاطر الرديء، وتنفس بهذا النفس الصّدئي. لم تمنعه التلاميذ ويشيروا عليه بالإضراب عن هذا الرأى الغائل، ويعرفوه أن الخلائق تهلك بهلاكه وتعدم بعدمه؟ومن الذى يرزق البُغاث فى عشه إذاحُمل الإله على نعشه أو يرسى الجبل فى أُسّه، وقد حُصد الرب فى رمسه؟فإن أجاب إلى الصواب وإلا ربطوه وضبطوه وشددوا عليه فى الحَجْر، واعتقدوا فى ذلك الثواب والأجر.

فانظر ـ رحمك الله ـ ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التى تمجها الأسماع، وتأباها الطباع.

١٦. موضع آخر:

قال يوحنا فى خاتمة إنجيله: «لقد فعل يسوع أمورا كثيرة لو أنها كُتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صفحا مكتوبة» [١].

وهذا ـ لعمرك ـ من الكذب الذى لا يتجانبه على البوح به إلا من أنسل من الحجا، واعتزى إلى الحماقة ولجا. إذ العالم أوسع أكنافا وأبعد أطرافا من أن يضيق عن أوراق تتضمن معجزات نبى وآيات رسول. وهذا الموضع وشبهه مما يورك على النقلة فيه، وإلا فالحواريون محاشون عندنا عن التفوه بالمحال.

١٧. موضع آخر:

قال يوحنا فى الفصل العشرين من إنجيله: «كان التلاميذ مجتمعين فى غرفة لهم يتحدثون فى قيامة المسيح. فقال توما: لا أومن بذلك حتى أرى آثار المسامير فى يديه بعيني» [٢].

(١) يوحنا ٢١ : ٢٥ والنص كناية عن الكثرة .

(٢) يوحنا ٢٠ : ١٩ + .

ولم يذكر ذلك سوى يوحنا وأغفله الباقون. والإنجيل لا يثبت بخبر واحد، وكيف أغفله الأكابر من التلاميذ وظفر به صبي واحد؟ وإنما النصارى يتعلقون بالقول الضعيف إذا وافق مقصودهم، ونحن بعون الله سنبطل دعواهم في القتل والصلب بحيث لا يبقى لهم حجة يحتجون بها في ذلك.

١٨. موضع آخر:

صعود المسيح إلى السماء، أغفله يوحنا ومتى فلم يذكراه وهما من الاثنى عشر. وذكره لوقا ومرقس وليسا من الاثنى عشر بل من السبعين. على أنهما قد اختلفا في ذلك - أعني لوقا ومرقس - فقال مرقس: إن سيدنا أيشوع لما قام كلَّم تلاميذه تكليما ثم صعد من يومه»[1] وخالفه في ذلك لوقا فقال: «إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما»[2] وهذا تكاذب فظيع، واختلاف فاحش شنيع. ومما يخرم الثقة بنقلهم قول متى: «قال يسوع: حقا أقول لكم: إن قوماً من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته»[3].

ومعلوم: أنه قد مضى من حين صدور هذا الكلام ما نيف على ألف عام. ولم يأت في ملكوته.

فإن قالوا: لم يعن إلا أنه يقوم من بين الأموات، بعد ثلاث متتابعات.

قلنا: إنما قلتم إنه يأتي في ملكوته، وأيُّ ملكوت كان له في اليوم الثالث، ومريم المجدلانية تبكي عليه وتسأل من يرشدها إليه؟ وأيُّ مجد كان له في ذلك اليوم وهو من سوء الحال يشبَّه بناطور البستان؟

١٩. موضع آخر:

قال متى: «فقال لهم أيشوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد؛ متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده؛ تجلسون أنتم أيضا على اثنى

---

(١) مرقس ١٦ .

(٢) أعمال ١ .

(٣) متى ١٦ والنص كناية عن سرعة مجيء ابن الإنسان الذى هو محمد رسول الله ﷺ كما فهم المؤلف.

عشر كرسيا، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر»[١].

فشهد للكل بالفوز والزعامة فى القيامة[٢]، ثم نقض ذلك متى وغيره وقال: «مضى واحد من التلاميذ الاثنى عشر المشهود لهم. وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة؛ فارتشى على يسوع ثلاثين درهما، وجاء بالشُّرَط؛ فسلّم إليهم أيشوع. فقال أيشوع: الويل له، خير له ألا يولد»[٣].

فانظر - رعاك الله - إلى قبح هذا النقل وشناعة هذه الرواية. هذا راوٍ واحد. بينما يهوذا عنده جالس على كرسي من كراسي المجد، يُحاسب سبطا من أسباط بنى إسرائيل. إذ جعله كافراً فاجراً بائعاً ربه بالثمن البخس، طالعا نجمه بعد السعد بالنحس. وهذا لا يليق بنبى الله المسيح أن يخبر عن رجل بمصيره إلى السعادة والسيادة. ويختاره لحفظ أموال الصدقات، وهو من الكفار فى دركات النار. هذا مما يتحاشى عنه النبي، فكيف يصدر ممن تُعتقد ربوبيته؟

٢٠. موضع آخر:

قال يوحنا: «قال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي؛ يعمل أفضل من أعمالي»[٤] وأكذب ذلك أصحابه فقالوا: «لما أبرأ يسوع المجنون الأبكم قال والد المجنون: لقد سألتُ تلاميذك فلم يقدروا على إخراج الجِنّي. فقال يسوع: إن هذا لا يُقدر عليه إلا بصوم وصلاة»[٥].

---

(١) متى ١٩: ٢٨.

(٢) المؤلف يعتقد أن ذلك فى يوم القيامة من الأموات. واعتقاده ينقضه: أن النص فى وقت جلوس ابن الإنسان فى مجده. فمن هو ابن الإنسان؟ هو محمد ﷺ صاحب ملكوت السموات. والغرض من الكلام هو: أن الذين تبعوا المسيح فى تجديد الأمة اليهودية بالشريعة الجديدة الآتية مع النبى الأمي، الملقب من دانيال بابن الإنسان. هؤلاء سيكتبون شهاداتهم أن عيسى قد بلّغ رسالة الله وهى اقتراب ظهور محمد والإيمان به فى حال ظهوره وترك شريعة موسى. وشهاداتهم ستحل محل وجودهم بالجسد. وهى شهادات تخزى من لا يؤمن به من اليهود. وقد بينا من قبل أن يهوذا لم يصلب ولم يقتل وهم قد قالوا بصلبه وقتله؛ ليطبقوا نبوءتين من نبوءات التوراة على صلبه وقتله وبذلك يصرفونهما عن نبى الإسلام محمد ﷺ وهما ١ - مزمور ٦٩ . ٢ - مزمور ١٠٩ .

(٣) متى ٢٦: ١٤ +.

(٤) يوحنا ١٤: ١٢.

(٥) متى ١٧: ١٤ + والمؤلف قرر شبهة ما كان له أن يقررها وذلك لأن فى النص: «ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم».

فمرة يقول: إنهم يفعلون أفضل من أعماله. وأخرى يقول: إنهم لا يقدرون على مثل أعماله، مع شهادته لهم بالإيمان والجلوس معه فى القيامة على كراسى المجد. وذلك تناقض عظيم، وتكاذب جسيم.

٢١. موضع آخر:

قال متى: « قال يسوع لأصحابه: لا تهتموا بما تأكلون وتشربون، فطيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الأهراء. والله يطعمها» [١]. وخالف ذلك الإنجيل فقال: «إذا قمتم إلى الصلاة فقولوا: يا أبانا أعطنا كل يوم خبزا نأكله» [٢] فالأول ينهى عن الاهتمام بالشراب والطعام، والآخر يقول: كذا ولكنه أمر به. وهذا تكاذب عجيب. فإن الأول نهى محض، والثانى أمر جزم. والأمر بالشيء والنهى عنه من وجه واحد؛ غير معقول.

٢٢. تناقض آخر:

قال الرواة: قال أيشوع: «أنا وأبى واحد» [٣] ثم قالوا: قال أيشوع: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم» [٤].

فإن لم يحملوا الأول على التبليغ والسفارة، وإلا تناقضا لا محالة. إذ ذهابه إلى نفسه محال.

٢٣. فساد إنجيل يوحنا:

رووا عن يوحنا الإنجيلى أنه قال: «إن الكلمة صارت جسدا وحل فينا» [٥] وهم لا يعنون بالكلمة إلا صفة العلم أو النطق. وذلك محال. إذ يلزمهم أن يكون القديم صار محدثا والأزلى عاد زمنيا، وصار الله عندهم عبارة عن ذات جاهلة

---

(١) متى ٦: ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) متى ٦: ٩ وهذا الموضع ليس به تناقض. لأنه ينهى عن الاهتمام بأمور الحياة الدنيا الزائدة عن الحاجة والصارفة إلى حب المال.

(٣) يوحنا ١٠ : ٣٠ «أنا والآب واحد» والمعنى مثل ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ .

(٤) يوحنا ٢٠ : ١٧ والمعنى: مثل: ﴿إنى ذاهب إلى ربى سيهدين﴾ .

(٥) يوحنا ١ : ١٤

ساكتة خرساء. وتحولت الألوهية للمسيح؛ لأنه ذات كاملة بالعلم والنطق وذلك من النصارى عزل لله عن الربوبية، وإخراج له عن الألوهية الكلية.

قال المؤلف: لقد كنت أتعجب من قراءتهم في صلواتهم: «المسيح الإله الصالح الداعى الكل إلى الخلاص» ومن شريعة إيمانهم حيث تقول: «المسيح إله حق». وأقول: من أينَ جاءت النصارى بهذه المحنة حتى وقفت على قول يوحنا هذا «إن الكلمة صارت جسدا وحلت فينا» فتحققت أن تلك الصلاة وتلك الشريعة إنما أُسست على هذه الكلمة الرذلة.

٢٤. فساد المنقول عن يوحنا أيضا:

انفرد يوحنا وحده بفصل ذكره في صدر إنجيله. وهو في غاية التهافت والركة فقال: «في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، والله هو الكلمة» [(١)] وهذا كما ترى مضطرب من جهة لفظه ومعناه.

أما اضطرابه من جهة لفظه: فإن ذلك بمنزلة قول القائل: الكلام عند المتكلم، والمتكلم هو الكلام. والعلم عند العالم، والعالم هو العلم والدينار عند الصيرفي، والصيرفى هو الدينار. وذلك هو الجنون.

وأما اضطرابه من جهة معناه: فإن الكلمة عندهم هى العلم أو النطق. وهى التى اتّحدت بالجسد المأخوذ من مريم، فإذا قال يوحنا: إن الله هو الكلمة؛ فقد صرح بأن الأب قد اتحد بالجسد وحَلّ في رحم مريم، وناله القتل والصلب، وتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان. وهذا لا يقول به نصراني. وهو لازم لهم بمقتضى

---

(١) يقول يوحنا: «في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله» [يو ١:١ ـ ٢] وعبر بكان ولم يعبر بكانت لأن الكلمة تدل على إنسان هو «المَسِيّا» النبى الآتى إلى العالم على مثال موسى [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] وعبر عن المسيا بالكلمة؛ لأن الله وعد به، ووعده دلت عليه كلمته. ولما كان الوعد به من قديم الأيام، قال فى البدء كان الكلمة. أى فى قديم الأيام كان وعد الله بإرسال المسيا. وكلمة الوعد كانت عند الله فى صحف الأعمال من قبل أن يظهر المسيا أو النبى الملقب بالكلمة نحو الله. أى متجه فى دعوته إلى الله. فهو والله يريدان هدفا واحدا مشتركا هو إنقاذ العالم من الشيطان. وهذا هو معنى «وكان الكلمة الله» وفى سفر إشعياء فى الأصحاح الأربعين: «وأما كلمة إلهنا؛ فتثبت إلى الأبد» [إش ٤٠: ٨] أى وعده بإرسال محمد ﷺ إلى العالم.

ماورووا عن يوحنا: أن الله هو الكلمة.

ومما يرد به قول يوحنا هذا: تصريح المسيح فى عدة مواضع من الإنجيل بأنه نبى وأنه رسول ومعلم وأن الله نبّأه وأرسله، وأنه لا يعلم الغيب والقيامة. وذلك كله بخلاف قول يوحنا «إن الله هو الكلمة».

٢٥. ومن اللعب البديع:

قول يوحنا: [١] «قال يسوع لتلاميذه: إن لم تأكلوا جسدى وتشربوا دمي؛ فلا

---

(١) إن المؤلف نقد النص بحسب الظاهر. والظاهر غير المراد. وإنما المراد المعنى المجازي. وبيان ذلك:

١ ـ أن المائدة السماوية التى طلبها الحواريون. بعدما أكلوا وشبعوا؛ جمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر. وقالوا: «إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم» المكتوب عنه فى سفر التثنية وقد رد عليهم المسيح بأنه ليس هو وذلك بإنصرافه إلى الجبل وحده. لأن من أوصاف النبى الآتى أن يكون ملكا. ورفضه الملك دليل على أنه ليس هو.

٢ ـ وبعد أيام بحث الحواريون وجموع من اليهود عن المسيح. فقال لهم: «أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية. الذى يعطيكم ابن الإنسان» يقصد المعنى المجازى وهو تقبل تعاليم ابن الإنسان الآتى والعمل بها. وابن الإنسان هو لقب لمحمد ﷺ فى سفر دانيال. لأن تعاليمه تحيى الروح، كما أن الخبز يحيى الجسد.

٣ ـ وقال الحواريون: «آباؤنا أكلوا المنّ فى البرية فى سيناء. وقد سماه داود فى سفر الزبور: «خبز السماء» أو «بُرّ السماء» فأعطنا من خبز السماء [مزمور ٧٨: ٢٤] كما أعطانا نبى الله موسى. ورد عليهم بأن العاطى هو الله وليس هو موسى. وهو يعطى خبزا للجسد، وخبزا للروح فيه حياة للعالم. فقالوا له: نريد خبز الروح. فقال لهم: أنا هو خبز الروح. خبز الحياة «من يُقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي؛ فلا يعطش أبدا» يعنى من يؤمن بتعاليمه فتعاليمه فيها الشفاء وفيها الحياة. فقالوا له: وما هى تعاليمك؟ فأجاب بقوله: «إن كل من يرى الابن، ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير» من هو الابن؟ وما هو المراد باليوم الأخير؟ لقد تنبأ داود فى المزمور الثانى عن محمد ﷺ بلقب «ابن الله» حسب لسان بنى إسرائيل. والمسيح يقول: إن كل من يرى الابن. أى يعلم به ويؤمن به فى حال ظهوره ويعمل بشريعته؛ فستكون له حياة طيبة وشهادتى عنه المدونة فى الأناجيل المأثورة عني، تعرف مريد الإيمان به أنه هو، فى اليوم الأخير لشريعة موسى، وهو نفسه اليوم الأول لشريعة النبى الملقب بالابن. والمجيلى فى وقت ظهوره يحل محلى فى التعريف به. فكأننى أنا الذى أقمته وأصلحت شأنه.

٤ ـ وعندئذ تذمّر علماء اليهود واستاءوا من المسيح لكلامه عن النبى الأمى الآتي؛ لأنهم يريدونه من بنى إسرائيل. ولما تذمروا واستاءوا، احتج عليهم بالتوراة بنبوءة تدل على أنه سيأتى من بنى إسماعيل. وهى نبوءة العاقر فى الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء. ولم يذكر النص بتمامه، وإنما ذكر منه آية تدل على غرضه، وتحيل النص فقال «لا تتذمروا فيما بينكم. لا يقدر احد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلني، وأن اقيمه فى اليوم الأخير إنه مكتوب فى الأنبياء: «ويكون الجميع متعلمين من الله» [يو ٦: ٤٣ ـ ٤٥] ما معنى مكتوب فى الأنبياء؟ وما هو المكتوب فى الأنبياء؟ يقصد أسفار الأنبياء الذين أتوا=

حياة لكم؛ لأن جسدى مأكل حق، ودمى مشرب حق. ومن يأكل جسدي،

=من بعد موسى عليه السلام. والنص المشار إليه فى سفر إشعياء. وهم عرفوا أنه سفر إشعياء من الآية التى ذكرها، وهي: «ويكون الجميع متعلمين من الله» وهى موجودة فى سفر إشعياء. وترجمتها: «وكلُّ بنيك تلاميذ الرب» {إش ٥٤ :١٣} ولماذا ذكرها من النص كله؟ لأن شريعة التوراة كان يقوم بها سبط معين. وفى الشريعه الجديدة سيكون كل فرد من المسلمين إماما. ومعنى هذا: انتهاء الطقوس الدينية على يد النبى الملقب بابن الإنسان وبالابن فى هذا النص.

٥ ـ وفرق المسيح بين طعام الجسد وطعام الروح فقال: إن طعام الجسد يعقبه موت الجسد. أما طعام الروح فيعقبه حياة إلى الأبد «أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء؛ لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت».

٦ ـ ثم عبر بأسلوب الكناية عن التّفانى فى الحب بقوله: أنا أدعو الناس إلى النبى الآتي، وأحبه. ودليل حبى له: أننى أقبل الإهانة من كارهيه وأنا أريد من القابل لدعوتى أن يكون مثلى فى حبه. كأنه أنا. وكأننى هو. بمقدار أن نتحول نحن الاثنين إلى جسد واحد. إما جسده وإما جسدي. فإن كان جسده؛ فكأنه قد أكل جسدي، وصيّره فيه. وإن كان جسدي؛ فكأننى قد أكلتُ جسده، وصيرتُه فيّ. وقد عبر عن هذا المعنى فى مواضع كثيرة. منها قول الرب تعالى: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم؛ ليكون الجميع واحد. كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضا واحد فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا، كما أننا نحن واحد. وأنا فيهم وأنت فيّ؛ ليكونوا مكمّلين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتني» {يو ١٧ : ٢٠ ـ ٢٣} .

٧ ـ ثم خاطب الحواريين بقوله: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه؛ فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدى ويشرب دمي؛ فله حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» لاحظ: أنه يتكلم عن اثنين ١ـ ابن الإنسان ٢ ـ وهو .

أى ليس هو ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات. ولاحظ: أن الذى سيقيم مريد الإيمان بالنبى الأمى الآتى هو الإنجيل الحال محل المسيح. وأن الإقامة ستكون فى حال ظهوره فى اليوم الأخير لبركة إسحق، وهو اليوم الأول لبركة إسماعيل.

والغرض من أكل الجسد: هو الكناية عن الحب الشديد. لدرجة أن تكون إرادتاهما واحدة، وهدفاهما واحداً. كالمريد أمام شيخه أو كالميت بين يدى غاسله ـ كما يقول المتصوفة.

٨ ـ ولما أدرك السامعون غرضه. وهو غرض يغضب اليهود منهم. وغضبهم سيؤدى إلى منع رزق وحرب واضطهاد وتغريب ونفي. صعب على كثيرين منهم أن ينضموا إليه فى الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ وانصرفوا «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للاثنى عشر: ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا؟ فأجابه سمعان بطرس: يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» {يو ٦ :٦٦ ـ ٦٨} اى ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ .

٩ ـ ومحرف الإنجيل أراد على هذا الكلام قوله: «ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» وليس عيسى هو «المسيح المنتظر» وليس عيسى هو «ابن الله» وذلك لأنهما لقبان خاصان بالنبى الأمى الآتى إلى العالم، وليس هو.

ويشرب دمي؛ يثبت فِيَّ وأثبتُ فيه. فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا: ما أصعبها، من يطيق استماعها؟فرجع كثير منهم عن صحبته» .

قلت: الكلام على الشيء بالرد والقبول؛ فرعُ كونه معقولا. وهذا الكلام لو أراد البليغ أن يوجهه؛ لأفضى به الحال إلى المحال. فيكفينا فى الرد عليه، مجرد تسطيره. والكلام على الشيء الركيك؛ لا يجيئ إلا ركيكا.

وإذا كان فى الأنابيب خُلْف وقعَ الطّيشُ فى صُدور الصِّعاد

وكيف لا يرجع العقلاء عن صحبة أيشوع. وهو يقول فى الكلام المتقدم على هذا: إن الله هو الكلمة والكلمة صارت جسدا؟وإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يأمرهم بأكل ذلك الجسد وشرب دمه؟

ولا شك أن العقلاء من النصارى اليوم لو جمعوا بين قول يوحنا أولا، وقوله آخراً؛ لرجعوا أيضا كما رجع عن يسوع. إذ يجتمع من الكلامين: أكل جسد الله القديم الأزلي، وشرب دمه. ومن الذى يسمع ذلك؛ فلا يقضى على قائله بالجنون أو المجُون؟

فساد المنقول عن فولس:

قال فى رسالته وهو يحث على التواضع والتودد: «لا ينظرن أحدكم إلى نفسه دون صاحبه. لكن ليعُدَّ صاحبه أفضل منه. واقتدوا بيسوع المسيح الذى كان شبه الله وعِدل الله. كيف أخفى نفسه، وأخذ شبه العبد، وألقى نفسه فى زى إنسان وشكله حتى مات وصلب» (١) .

فبينا المسيح ـ عنده ـ مشابه للإله ومعادل له، إذ حُكم عليه بالذل والإهانة والقتل والصلب. وذلك غاية الجهل والحُمق. وإلا فأى حاجة بالإله الخالق البارى إلى تلبسه بهذه الأمور؟وما الذى اضطره إلى ذلك؟تعالى عن هذا الهذيان.

---

(١) فيلبى ٢: ٤ ـ ٨

٢٦. موضع آخر من التكاذب:

قال متى: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب» [١] وأكذبه الآخرون [٢] فقالوا: «كان طعام يوحنا هذا الجراد وعسل البر» [٣] وهذا من أقبح الكذب [٤].

٢٧. موضع آخر:

قال يوحنا الإنجيلي: «قال أيشوع: أنا هو الراعى الصالح وأنا عارف برعيتى وهى تعرفني» [٥] وأكذب نفسه فقال: «قال المعمدانى حين رأى أيشوع: هذ خروف الله» [٦] وقال مرة أخرى: «هذا حَمَل الله» [٧].

فهو يجعل المسيح خروفاً ثم يقول: لا. ولكنه راع للخروف، فيا لله العجب، هلا قال المعمدانى حين رأى المسيح: هذا هو الله، أو هذا ابن الله أو هذا مسكن الله؟

والنصارى تقول: إن المعمدانى إنما جاء شاهدا للمسيح، والمسيح يقول فى إنجيله: «لم تقم النساء عن رجل أفضل من المعمدانى هذا» [٨] فكيف يجوز من مثل المعمدانى أن يسمى المسيح خروفاً وحملاً، ويثبت له مالكا هو الله تعالى؟وتدعى النصارى أنها أعرف بالله من نبيه يحيى بن زكريا وأعلم بما يجب له؛ فكيف استجازوا خلافه، وسلكوا فى المسيح مذهبا غير مذهبه، وطريقا سوى طريقه؟فقالوا تارة: المسيح هو الله، وأخرى قالوا: هو بيت الله ومسكنه؟قالوا فى شريعة إيمانهم: «المسيح إله حق، بيده أُتقنت العوالم، وخلق كل شيء» وقالوا فى صلواتهم: «يا ربنا المسيح لا تضيِّع من خلقتَ بيدك» وهذا كله بخلاف شهادة

---

(١) متى ١١: ١٨.

(٢) كان يجب أن يقول وأكذب متى نفسه.

(٣) متى ٣: ٤.

(٤) يمكن الجمع بأنه لا يأكل ولا يشرب كسائر المحبين لأجسادهم.

(٥) يوحنا ١٠: ١٤.

(٦) رؤيا يوحنا ١٥: ١٣.

(٧) يوحنا ١: ٢٩.

(٨) متى ١١: ١١.

يوحنا له؛ لأن يوحنا شهد أن المسيح عبدٌ لله وأن الله مالكه، وقال حين رآه: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدى وإنه أقوى مني، وأنى لا أستحق أن أحل معقد خفه» [١] وهذا يدل على مساواته المسيح؛ لأن الرجل الفاضل المتقى قد يذكر ذلك لمن هو دونه فى الفضل، تواضعا لله تعالى وفراراً من تزكية النفس. وقد يكون القائل أفضل من المقول له. وهذا واضح. وإلا فيوحنا هذا أكبر من المسيح سناً، وأقدمهم تعميداً ولقد عمَّد المسيح فيمن عمَّد، وامتلأ من روح القدس وهو فى البطن، ونبأ الله أباه زكريا ببركته. يشهد بجميع ذلك الإنجيل [٢]. وذلك كله يخصم النصارى فى دعوى ربوبية المسيح، ويفسد عليهم الأمانة التى ادعوها فى إثبات ألوهيته.

٢٨. موضع آخر:

قالت النصارى: قال داود فى مزمور له: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني» [٣] قالوا: فقد سمى داودُ المسيحَ ربه.

قلنا: فقد حكيتم لنا عن إنجيل لوقا أنه قال: «قال جبريل لمريم: إنك ستلدين ابنا اسمه أيشوع يُجلسه الله على كرسى أبيه داود» فإن كان النقل الأول صحيحا فالثانى باطلاً، وإن كان الأول باطلا فالثانى صحيحاً، وإذا كان فى النصارى من يتدبر ذلك قبل تسطيره، فإنه قد صار سبة عليهم آخر الدهر.

٢٩. موضع آخر:

قالوا: قال متى: «قام المسيح من الموتى مساء يوم السبت» وخالفه أصحابه فقالوا: «ما قام إلا صبيحة يوم الأحد بغلس» وذلك مما يخرم الثقة بأصل الخبر. وسأوضح ذلك إن شاء الله إذا انتهيت إلى بابه.

وفى خبر قيامة المسيح ما هو أنكر من هذا. وهو أن متى يقول: «إن اليهود

---

(١) يوحنا ١ : ٣٠ + .

(٢) الأصحاح الأول من إنجيل لوقا .

(٣) المزمور المائة والعاشر وهو«قال الرب لربي: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يُرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك، فى زينة مقدسة. من رحم الفجر لك طل حداثتك. . . إلخ»

سألوا المسيح أن يريهم آية. فقال: إن يونس أقام فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وكذلك ابن الإنسان يكون فى بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليال مثلما أقام يونس(١) ثم لم يصححوا هذا الخبر. إذ رووا كلهم أنه صلب فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة (٢) ، ثم أنزل ودفن مساء من يومه. فمنهم من زعم أنه قام يوم السبت مساء، ومنهم من قال: قام صبيحة الأحد مغلسا. فإذاً لم يُقم فى بطن الأرض سوى يوم واحد وليلة أو ليلتين. على الرواية الأخرى.

والنصارى قد يقرءون هذا الفصل فى كل سنة فى آخر سبت فى الصوم. وهو السبت الذى يكون فى صبيحته الفَطير، فيقرأ القارئ الفصل المذكور ثلاث مرات وهو يقول: «الآن وفى هذا الوقت قام المسيح من بين الموتى» وهذا كما نرى نقل مضطرب. على أنا لو أضفنا لهم يوم الصلب وهو يوم الجمعة أيضا؛ لم يحصل الوفاء بالثلاثة الأيام والثلاث الليالي. ومن لم يكن عنده من اللب ما يعرف به هذا الخطأ مع وضوحه؛ لم يتعجب من قبوله لكل مستحيل.

= النص العبرانى هو: «قال يَهْوذا لأدوناي. . .» أى قال الله لسيدي. وسيد داود هو محمد ﷺ وليس هو المسيح عليه السلام. ومعنى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك: أى لكن معى وأنا أنصرك على أعدائك. . . إلخ وقد حاجّ به عيسى علماء اليهود. فقال لهم: أنتم تعتقدون أن المسيح المنتظر الذى هو محمد بلسانهم سيأتى من نسل داود. فكيف يأتى من نسله وهو يقول إنه سيده، والابن مهما علا قدره لا يكون سيدا لأبيه؟ ثم استدل على أنه سيكون من نسل إسماعيل بأدلة من التوراة ذكرها برنابا.

وهذا هو نص الحجاج من إنجيل متى: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا: «قال الرب لربي: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» فإن كان داود يدعوه ربا؛ فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر احد ان يسأله بتة» [متى ٢٢: ٤١ ـ ٤٦] وقال المسيح ساعة المحاكمة كما هو مكتوب: «من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء» [متى ٢٦: ٦٤] يقصد بجالس على يمين القوة الصفة التى وضعها داود على محمد فى هذا المزمور، ويقصد بآت على سحاب السماء: نبوءة دانيال ٧: ١٣ ـ ١٤ .

(١) متى ١٢: ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) فى إنجيل متي: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي. إيلي. لِمَ شبقتني. أى إلهى إلهى لماذا تركتني؟ . . . وأسلم الروح» [متى ٢٧: ٤٦ +] وفى إنجيل يوحنا: «وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر والظلام باق» [يو ٢٠: ١] والمراد بالساعة التاسعة من بدء النهار.

٣٠.موضع آخر:

قال المصلوب لأحد اللصين: «حقا إنك اليوم تكون معى فى الفردوس» [١] فحكم بأنه يوم الجمعة يكون معه فى الجنة. وذلك مناقض لما روى لوقا إذ قال: «إن المسيح لم يصعد من الأرض إلا بعد أربعين يوماً» [٢] وإذا كان قد مكث فى الأرض أربعين يوما قبل الصعود فقد بطل قوله: إنه معه يوم الصلب فى الفردوس.

٣١.موضع آخر:

قال متي: «لما حُمل يسوع إلى فِيلاطُس القائد قال: أى شر عمل هذا؟ فصرخ اليهود وقالوا: يُصلب يصلب. فلما رأى القائد عزمهم، وأنه لا ينفع فيهم شيء؛ أخذ ماء وغسل يده. وقال: أنا بريء من دم هذا الصّديق وأنتم أبصر [٣] . وأكذب ذلك يوحنا فقال: «لما حمل يسوع إلى فيلاطس القائد قال لليهود: ما تريدون؟ قالوا: يصلب. فضرب يسوع ثم سلمه إليهم» [٤] .

فانظر يا أخى ـ أسعدك الله بقربه، وعصمك من الشيطان وحزبه ـ ما أقبح هذا التكاذب، وأوضح هذا التناقض. أحد التلميذين يقول: إن القائد أثنى على يسوع وغسل يده. والآخر يقول: كلا ولكن جَلَده.

٣٢.موضع آخر:

قال يوحنا: «لما حمل يسوع إلى رئيس الكهنة قيافا موثّقا؛ سأله مستخبرا عن حاله فيصيح يسوع: أنا كلّمت العالم علانية. أنا علّمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل، حيث يجتمع اليهود دائما، وفى الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألنى أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هم ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا. ولما قال هذا قام إليه رجل من الشُّرَط فلطم يسوع على خده الأيمن وقال: أهكذا تجاوب

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٣ .

(٢) أعمال ١: ٣ .

(٣) متى ٢٧: ٢٢ .

(٤) يوحنا ١٨: ٣٨ .

عظيم الكهنة؟ فقال له أيشوع: إن كنت قلتُ رديا فاشهد بالردى، وإن كنت قلت جيدا فلمَ تضربني» [١] وهذا خلاف ما قال لوقا إذ قال: إن جبريل أخبر عن الله تعالى أن يسوع يكون ملك بنى إسرائيل، ولم يقل إنه يُحمل فى الكبول والقيود إلى اليهود.

٣٣. موضع آخر:

قال لوقا: «قال جبريل لمريم وهو يبشرها: إنك ستلدين ولدا تسميه يسوع يجلس على كرسى داود ويملك على بيت يعقوب» فأخبر عن الله بتملكه على بيت أبيه داود. وأكذب ذلك يوحنا فقال: لما حُمل يسوع إلى بيلاطس قال له: «أنت ملك اليهود؟فقال أيشوع: أمن عندك قلت هذا أم حُكى لك عني» [٢] وهذا تكاذب قبيح. إذ لوقا جعله ملك إسرائيل، والآخر وسمه بِسمة ذليل.

قال المؤلف: التحقيق عندنا: أن هذا جواب الشَّبه. ألا تراه كيف ورَّى فى الجواب، وقد كان الشَّبه شَرَى نفسه من الله، وآثر المسيح بمهجته. وأنت إذا تتبعت ذلك؛ اتضح لك أن المأخوذ المصلوب هو الذى شُبه بالمسيح لا المسيح. وسنزيده وضوحا إن شاء الله.

٣٤. ومما تفرد به يوحنا دون أصحابه:

قال يوحنا: «لما صُلب أيشوع واللصان معه. قال اليهود: هذا يوم الجمعة وغدا السبت. ولا تبقى هذه الأجساد على الصَّلب. وسألوه أن يتقدّم بكسر أسْوُقهم، فمضى الشُّرط ففعلوا ذلك باللصين، وانتهوا إلى يسوع. فوجدوه قد مات. فلم يكسروا ساقيه، بل جاء رجل من الجند بحربة فطعنه فى جنبه الأيمن فخرج من جرحه ماء ودم» [٣] وأغفل الباقون ذلك. فلم يُخبروا به، وإذ تركوه لم يُؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه. ولعلهم استضعفوا أصل الخبر فأضربوا عن نقل تفاصيله.

---

(١) يوحنا ١٨: ١٩ .

(٢) يوحنا ١٨: ٣٣ + .

(٣) يوحنا ١٩: ٣١ + .

٣٥. قال ابن ربَّن:

وكان من أذكيائهم فأسلم على يد المتوكل ورد عليهم وعلى اليهود وغيرهم بكتاب له حَسَن - : أن متّى أسقط من نسب المسيح ثلاثة آباء غلطا، وأن لوقا أزاد فى نسب المسيح أبا. واعترف بذلك المفسقان مفسرهم وقال: هذا غلط وقع فى الإنجيل. فاستحيا من ذلك بعض علمائهم وقال: إن هذا الغلط فى الإنجيل؛ لأنه كُتب بروح القدس ولكنه من التوراة والكتب العتيقة. وذلك باطل. فإن كان الإنجيل قد حضر كتابته روح القدس. فالتوراة وسائر النبوات كذلك.

٣٦. تناقض إنجيل لوقا نفسه:

قال لوقا: قال جبريل لمريم القول المتقدم فى تمليك يسوع على بنى إسرائيل وجلوسه على كرسى داود. ثم أكذب متى فقال: «جاء الجباة من قِبل قَيْصر إلى بُطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يُؤدى الغُرم؟. فذكر بطرس ذلك ليسوع فقال: يا بطرس والبنون أيضا تؤدى الغُرم؟ثم قال له: امض إلى البحر، وألق الصنارة فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تُؤدى عنى وعنك» [١] .

انظر - رحمك الله - أى قبيح هذا التناقض؟هذا راوٍ واحد لإنجيل واحد بينما أيشوع عنده مُلك بنى إسرائيل وجالس على كرسى داود بشهادة جبريل إذ نسى القصة فجعله ضعيفا مسكينا تحت جزية لتظهر آيته فى تناول الذهب أو الوَرِق من فم الحوت. قلنا: إنما مرادنا أنه أظهر كذبكم وأخلف قولكم ونقلكم عن جبريل، وأن أيشوع لم يملك ولم يجلس ولم يُطلق. وعلى أن ذلك لا ينفع فى إثبات ربوبيته. وما أحسن ربا يلتزم الذّلة والصّغار، ويبذل الجزية ليقوى بها الفجار!!

٣٧. تكاذب إنجيل متى:

قال متى فى صدر إنجيله: «هذا مولد يسوع المسيح بن داود» فشهد بأن داود أبوه، ثم قال بعده بورقة: «لما خطب يوسف مريم فَقَبْل أن يعرفها وُجدت حُبلى من روح القدس، وكان يوسف صِدِّيقا؛ فلم يُرد أن يشهرها وهَمّ بتخليتها

---

(١) متى ١٧ : ٢٤ + .

سراً. فظهر لـه الملك فى الرؤيا وقال له: يا يوسف لا تخف من إمساك خطيبتك؛ فإن الذى تلده من روح القدس، وستلد ابنا ويدعى يسوع» [١] .

وذلك تكاذب قبيح؛ لأنه إن صدق فى خبره الأول، كذب لا محالة فى الثاني.

٣٨. موضع آخر:

قال لوقا: «لما انطلقوا بأيشوع ليصلبوه وجدوا سمعان القرونيانى فحملوا عليه الصليب ليحمله، وجعل النسوة خلف أيشوع يبكين فالتفت إليهن وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ وابكين على أولادكن. ليأتينّ عليكن زمان تقولون: طوبى للبطون العواقر التى لا يلدن والأيدى التى لا تُرضع، إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب، فكيف يصنعون بالعود اليابس» [٢] . وخالفه يوحنا فقال: «مضى يسوع ليصلب وهو حامل صليبه إلى موضع يسمى الجمجمة حيث صلبوه» [٣] . وخالفهما مرقس فزاد فى القصة ونقص وقال: «أخذوا سمعان وهو أبو الكسندروس» [٤] وخالفهما متى فقال: «وجدوا إنسانا فسخّروه لحمل الصليب» [٥] .

فلوقا يقول: حملوا الصليب على سمعان القرونيانى وطوّل القصة. ويوحنا يقول: ما حمل الصليب إلا يسوع نفسه. ومرقس اختصر القصة جداً وسمى والد حامل الصليب. ومتّى يقول: سخّروا رجلا لحمل خشبته.

فهذه قصة لطيفة تناقضوا فيها هذا التناقض، فما ظنك بالمطولات. واعلم: أن هذه الأمور تزعم النصارى أنها جرت بعد المسيح، ولم تُسمع من المسيح فكيف عَدّوها من الإنجيل؟

قال المؤلف عفا الله عنه: قوله «يا بنات أورشليم. . .» إلى آخره

---

(١) وجه التكاذب: أنه قال ابن داود ثم قال: إنه مولود بقوة الله. أى لا أب له. لا داود ولا غيره!.

(٢) لوقا ٢٣: ٢٦ + .

(٣) يوحنا ١٩: ١٦ ـ ١٧ .

(٤) مرقس ١٥: ٢٠ ـ ٢١ .

(٥) متى ٢٧: ٣٢ ـ ٣٣ .

هو كلام الشبه ألا ترى إلى قوله«إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب» ولو كان على ما يزعم النصارى لقال: إذا كان هذا فعلهم بالابن الذى قدسه الله وأرسله إلى العالم، كما تقدم فى قوله لليهود غير مرة.

فقوله«يا بنات أورشليم. . .» يكذب النصارى فى دعوى قتل المسيح وصلبه، ولأنهم يقولون فى شريعة إيمانهم: «إن المسيح إله حق من إله حق وإن بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء» وإذا كان الأمر كما قالوا؛ فليس هو قائل: «يا بنات أورشليم» بل غيره، ولأن المسيح جاء فى زعم النصارى لخلاص العالم. وأقل درجات مخلص العالم أن يُخلِّص نفسه، فكيف يحسن القول بعطبه وقتله وصلبه؟

٣٩. وانفرد لوقا بفصل لم يشاركه أصحابه فى نقله:

قال لوقا: «لما ولد المسيح وضعته أمه مقموطا فى معلف من مذاود الدواب وكان هناك رعاة يرعون أغنامهم» قال: «فنظر الرعاة إلى الملائكة قد نزلوا إليهم وبشّروهم فقالوا: نبشركم ببشارة عامة لأهل العالم كله. إنه ولد الليلة لكم مخلّص ومنج وهو أيشوع المسيح الرب» (١) .

وهذه قصة لم يذكرها سوى لوقا. وانفراده بها يوجب سوء الظن به فيها. مع أن فيها ما يقضى بردّها وهو بشرى الملائكة للعالم بأسره بأن يسوع مخلّصهم ومنجيهم. وذلك بمطلقه يقضى بأن الهنود والصين والترك والسودان واليهود وفرعون ونمرود وسائر طوائف الكفار وعبّاد الأنداد من الخشب والحجارة قد خلصوا ونجوا بمولد هذا المسيح، وبطلت الخطيئة بمجيئه.

وهذا القول مع قباحته مردود بنص الإنجيل إذ يقول فيه: «إنى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وعن شمالى فأقول لأهل اليمين: فعلتم بى كذا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم بى كذا فاذهبوا إلى الجحيم» . ثم إخبار هؤلاء الملائكة للرعاة يُوجب مسرّة العالم بمولد أيشوع. إذ كان فيه خلاصهم ونجاتهم، ومعلوم أن اليهود وأكثر هذه الطوائف لم يسروا بمولده. ثم هذه الرواية التى رواها

---

(١) لوقا ٢ : ٦ + .

لوقا من كون المسيح مخلصا للعالم؛ معارضة بقول المسيح: «إني لم أُرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» [١] «فإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء وإنما يحتاج إليه المرضى» [٢] وإذا كان المسيح نفسه قد قال: إنه لم يُرسل إلى العالم، بل إلى من ضلّ من بني إسرائيل، فلا يعوَّل على ما قاله ونقله لوقا. وما أحسن إلهاً يُستر بخرق الثياب، ويشتمل عليه معالف الدواب.

٤٠. تناقض واضح، وتعارض فاضح:

قال لوقا: «قال يسوع: من ليس له سيف فليبع ثيابه وليشتر به سيفا» [٣] وهذا أمر حَزْم. وذلك مردود بأقوال أصحابه إذ قالوا: «قال يسوع: لا تقابلوا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل له الآخر. ومن أراد أخذ ثوبك؛ فزده رداءك. ومن سخرك ميلا؛ فامش معه ميلين» [٤] ـ «ولما كان ليلة الفزع جرَّد شمعون الصفا ـ من أصحابه ـ سيفه فانتهره وقال: ردده إلى غمده» [٥].

فإن كان أحد النقلين صحيحا، فالآخر كذباً قطعا، ونَسْخ الإنجيل بعضه ببعض عندهم لا يجوز.

٤١. ومن التكاذب:

قال متى: «لما ذهبوا بأيشوع جَرَّد واحد من أصحابه سيفا وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فقال له يسوع: أردد سيفك إلى غمده. فإن كل من أخذ بالسيف يهلك» [٦].

انظر إلى هذا التصادم البديع والتهافت الفصيح. لوقا يقول: إن المسيح يحث على شراء السيوف لهذا المهم قبل أن يُسلَم، والآخر يقول: بل نهى صاحب السيف وعنّفه، والثالث، يقول: بل إنه لصق أذن المضروب. وبالسلامة شنَّفه.

(١) متى ١٥: ٢٤ . (٢) متى ٩: ١٢ .

(٣) لوقا ٢٢: ٣٦ . (٤) متى ٥: ٣٩ + .

(٥) متى ٢٦: ٥١ + واعلم أن كلام المسيح في التسامح هو في داخل مدن اليهود حيث العدل مفقود. وفي حمل السلاح هو في قتال الأمم؛ لأنه مصدق للتوراة. وفيها الأمر بقتال الكافرين ليسلموا. وفي القرآن عن هذا الأمر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ .

(٦) متى ٢٦: ٥١ + .

قال المؤلف: قوله«كل من أخذ بالسيف؛ يهلك» [١] فاسد من جملة منطوقه ومفهومه، إذ ذلك يقضى أن يكون كل من أُخذ بالسيف قتل، فكل من لا يأخذ بالسيف لا يقتل، وكلاهما فاسد. فكيف يزعم النصارى أن يسوع قُتل وصلب ونكّل به، مع أنه لم يأخذ بالسيف؟فهذا الكلام من المسيح عليه السلام من أقوى الشهود على عصمته مما افتراه النصارى عليه من القتل والصلب؛ لأنه لم يأخذ إلا ما آتاه الله كما قال فى إنجيله عن المعمداني: «إن العبد لن يأخذ إلا ما أعطاه الله من السماء» [٢] .

٤٢.تفرد لوقا:

قال لوقا: «قال الرب: سمعان سمعان. هوذا الشيطان يسأل أن يغربلكم كما تغربل الحنطة» [٣] .

قلت: قد أُجيب الشيطان إلى سؤاله. فغربلهم بغرباله، وسربلهم بسرباله، وخدعهم بأباطيله. واعتقدوا المحال، ودانوا بالعبادة للنساء والرجال. فالحمد لله الذى عصم من كيده، وقصم أحبولة صيده. وفى هذا الكلام ما يقضى أن للحواريين مزية على المسيح إذ يقول فى الإنجيل: «إن إبليس سحب أيشوع معه من مكان إلى مكان. وقال له: اسجد لى وأعطيك الدنيا بما فيها» [٤] فالشيطان يشاور المسيح ويقول له: اسجد لي، ويسأل ويضرع أن يغربل الحواريين وهذا يدل على أن الشيطان أهيب لهم منه للمسيح.

٤٣.ومن التكاذب:

قول يسوع: «لا تحقروا أحدا من هؤلاء الصغار المؤمنين؛ فإن ملائكتهم فى كل حين ينظرون وجه الله الذى فى السموات» [٥] ثم أكذب ذلك فقال: «الله لم يره أحد قط» [٦] وقال أيضا: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد قط إلا مات»[٧] .

---

(١) مقصد المسيح على الباغى تدور الدوائر.

(٢) يوحنا ٣:٢٧ .

(٣) لوقا ٢٢:٣١ .

(٤) سبق هذا الموضع .

(٥) متى ١٨: ١٠ .

(٦) يوحنا ١:١٨ .

(٧) راجع هذا النص فى إنجيل برنابا .

٤٤. ومما تفرد به لوقا:

قال لوقا: «لما قطعت أذن العبد لمسها يسوع؛ فأبرأها وأنكر على صاحبه فعله»(١)، ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، ولم يسمّ صاحب السيف أحدٌ من الجماعة سوى يوحنا فقال: هو شِمعون الصفا (٢).

٤٥. ومما تفرد به مرقس:

قال مرقس: «لما أخذوا يسوع وذهبوا به؛ تبعه شاب واحد على عُريْه إزار فتعلقوا به، فترك إزاره لهم وذهب عريانا» (٣) ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة.

٤٦. ومما تفرد به لوقا:

قال لوقا: «لما رأى الذين مع يسوع ما كان؛ قالوا: يا رب نضرب بالسيف»(٤) لم ينقل هذا الاستئذان سواه وأغفله الباقون.

٤٧. ومما تفرد به يوحنا:

قال يوحنا: «كان اسم العبد مَلخس» (٥) ولم يذكره ذلك سواه.

٤٨. ومما تفرد به يوحنا:

فصول «الفار قليط» فلم ينقلها سواه وأغفلها الباقون، فلم يذكروا منها حرفاً، وذلك يقضى بالمطاعن عليهم. فلو وجدنا مصحفا من مصاحف المسلمين قد أُسقط منه سورة لأنكرنا على فاعله، فكيف أن يهملها الكافة ويثبتها واحد؟!

٤٩. ومما قالوا إن متى سها فيه:

قوله: «إن يوسف صار بالمسيح إلى قرية يقال لها الناصرة؛ ليتم قول النبى القائل: إن المسيح يدعى ناصريا» (٦) قال العلماء: ليس لذلك ذكر فى نبوة من النبوات ألبتة.

---

(١) لوقا ٢٢: ٥٠.
(٢) يوحنا ١٨: ١٠.
(٣) مرقس ١٤: ٥١.
(٤) لوقا ٢٢: ٤٩.
(٥) يوحنا ١٨ : ١٠.
(٦) متى ٢: ٢٣ وكما قال المؤلف إن هذه النبوءة غير مذكورة فى التوراة. ويلزم على عدم ذكرها ١ ـ إما كذب متى ـ أعنى محرف إنجيله ـ ٢ ـ وإما أن اليهود لما رأوها فى الإنجيل أسقطوها من التوراة ليظهروا النصارى بمظهر الكاذبين. والصحيح هو الأول. لأسباب ذكرناها فى كتابنا اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة.

٥٠.وكذلك قوله.أعني متى.في الفصل الأول:

«إن يوسف ومريم هربا بالمسيح إلى مصر؛ خوفا من هيرودس؛ ليتم ما قيل فى نبوة النبى القائل: من مصر دعوت ابني» [١] . قالوا: ليس لهاتين النبوتين صحة. فما هما إلا عنقاء مغرب.

٥١.حكاية الجحش والأتان، وما اشتملت عليه من السخف والهذيان، والزيادة والنقصان:

قال متى: «لما قرب أيشوع من أورشليم أرسل اثنين من تلاميذه وقال: اذهبا إلى القرية التى أمامكما. فإنكما تجدان أتانا وجحشا لم يُركب. مربوطين. فحلاهما وأتيانى بهما، فإن قيل لكما شيء؛ فقولا: الرب يحتاج إليهما. وهو يرسلها للوقت. فذهب التلميذان وفعلا ذلك، ووضعا الثياب عليهما، وركب أيشوع وفُرشت له الثياب فى الطريق، وفرش آخرون أغصان الشجر، فلما دخل يسوع أورشليم ارتجت له المدينة فقال الناس: هذا أيشوع النبى الذى من الناصرة الجليل»[١] .

وقال مرقس: «لما قرب أيشوع من أورشليم أرسل من تلاميذه رجلين وقال: امضيا فإنكما تجدان جحشا مربوطا» وكذلك قال لوقا [٢] . فأما يوحنا فقال: «إن أيشوع وجد حماراً فركبه» [٣] ولم يذكر سوى ذلك.

فمتى يقول: أتانا وجحشا. وذكر خطبة طويلة، ومرقس ولوقا لم يذكرا سوى الجحش لا غير. ويوحنا لم يذكرهما ألبتة بل قال: إنه وجد حمارا فركبه. ولم يذكر الثلاثة إرساله إلى أصحاب المركوب واستئذانهم وفرش الثياب وأغصان الشجر،

---

(١) متى ٢ : ١٤ «من مصر دعوت ابني» ومحرف إنجيل متى اقتبسها من سفر هوشع، وحرف كلمة «أبناء» بالجمع إلى «ابني» بالمفرد. والمعني: أن الله أحب أبناء يعقوب وأخرجهم من أرض مصر، ولكنهم نسوا نعمته وعبدوا الأصنام [هوشع ١١ : ١] ومحرف سفر هوشع كتب ابني، ونسى ما بعده وهو: «كل ما دعوهم ذهبوا من أمامهم يذبحون للبعليم... إلخ».

(٢) متى ٢١ : ١ + .

(٣) مرقس ١١ : ١ ـ ٨ ولوقا ١٩ : ٣٣ .

(٣) يوحنا ١٢ : ١٤ .

ودخول المدينة وارتجاجها لدخوله، وشهادة الناس له بأنه النبى الذى جاء من الناصرة. وما أحسن ربا يفتقر إلى ركوب الحمير، وإلها يغتذى بالخمر والخمير. ما أخلق هذه المواضع من الإنجيل ليُضحكوا الناس من دين النصرانية، ثم تناقلها النصارى بالغفلة وحسن الظن، المانعين عن النظر فى مقابح الكلام.

٥٢. موضع آخر من التكذيب الشنيع:

قول إنجيلهم: «قال أيشوع: ما جئت إلا لأخلّص من كان ضالا» [١] ثم أكذب ذلك فقال: «ما جئت لألقى على الأرض سلامة لكن سيفا وأضرم بها نارا»[٢] .

٥٣. موضع آخر من التكاذب الشنيع[٣]:

قال فُولُوس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس. إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب: «ملعون كل من عُلّق على خشبة» لتعميم بركة إبراهيم للأمم فى المسيح أيشوع؛ لتنال بالإيمان موعد الروح» [٤] .

يشير بالمكتوب إلى ما فى سفر التثنية وهو: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت. فقُتل وعلّقته على خشبة؛ فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله» [٥] . فلم يكفه ادعاؤه صلب المسيح حتى لعنه صريحا، وهب أنه اعتقد بفاسد عقله صلب المسيح، فمن أين له أن كل مصلوب ملعون؟ وقد صُلب من أولياء الله وأصفيائه جماعة وليس الملعون إلا من فعل بهم ذلك.

فساد عقل أفرايم:

قال أفرايم ـ من قدماء النصارى ـ: إن اليدين التى جبلت طينة آدم هى التى

---

(١) متى ١٨: ١١ .

(٢) متى ١٠: ٣٤ + .

(٣) موضع ٥٣ من وضع المحقق؛ لأن كلام المؤلف يبدأ من «فلم يكفه ادعاؤه... إلخ».

(٤) الأصحاح الثالث من رسالة بولس إلى أهل غلاطية ـ الآية الثالثة عشرة وما بعدها.

(٥) التثنية ٢١: ٢٢ ـ ٢٣ .

سُمِّرت على الصليب، والشِّبر التى مسحت السموات هى التى علقت على الخشبة.

وذلك خطأ بإجماع عقلاء النصارى؛ لأن الذى عُلق على الصليب إنما هو الجسد المأخوذ من مريم، وأين كانت هذه الأجساد الإنسانية يوم خُمِّرت طينة آدم ويوم قُدِّرت السموات والأرض؟ هل ذلك إلا جهل وضلال وغلو فى عبادة الرجال؟

فهذا ـ رحمك الله ـ كتاب قد تلاعبت به بُنيات الطرق وتزاحمت به أيدى الفِرق. ووُلد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف فى كل زمان.

قال المؤلف عفا الله عنه برحمته:

لقد رأيت على حاشية نسخة من نسخ الإنجيل على فصل من فصوله ما مثاله: ليس هذا الفصل فى أناجيل القُبطى ولا بعض أناجيل الرومي، فاستدللت بذلك على أن علوم القوم تفرقتها أيادى سبا، وعصفت عليها رياح التبديل، فأصارتها كالهباء، كما أخبر عن ذلك الكتاب العزيز. إذ يقول: ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ أى يميلون بالأحكام عن مواضعها، ويسلكون بها غير سننها، ويجرونها سوى مجاريها.

والفصل المشار إليه هو «أن الكتبة والفرّيسيين قدّموا إلى أيشوع امرأة وُجدت فى زنا فأقاموها فى الجمع وقالوا له: يا معلم إن هذه المرأة وجدناها تزني. وفى ناموس موسى يجب عليها الرجم. فما تقول أنت؟ وإنما قالوا ذلك ليجدوا عليه حجّة. فأطرق يسوع ينكت الأرض بإصبعه، ثم رفع رأسه وقال: مَن منكم بغير خطيئة فليرجمها أوّلا بحجر؟ ثم أطرق ينكت الأرض فلما سمعوا مقالته؛ خرجوا بأسرهم. وبقى أيشوع وحده والمرأة قائمة. فرفع أيشوع رأسه إليها وقال: يا امرأة أين أولئك الذين أدانوك؟ قالت: ما أرى منهم أحداً. فقال أيشوع: ولا أنا أيضا أدينك. اذهبى الآن ولا تعودى إلى الخطيئة».

ألا ترى أنهم كتموا ذلك وغيروا حكمه.

ولقد مرّوا على رسول الله ﷺ بيهوديين قد زنيا وحمما وطيف بهما. فاستدعاهم ﷺ واستدعى التوراة وأمر بعض أحبارهم بقراءتها. فوضع الجريدة على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك - أى عدو الله - فرفع يده عنها فإذا آية الرجم تلوح فقرأها عبد الله على رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: ثقلت علينا. فصرنا إذا زنى الشريف منا حَمّمناه وأطفناه، وإذا زنى الضعيف والخامل؛ أقمنا عليه الحد. فقال عليه السلام: «أشهد أنى عبد الله ورسوله» ثم أمر بهما فرجما.

فإن قيل: كيف أسقط المسيح عنها الحد والتوراة والكتاب العزيز شاهدان بوجوب الحد على الزاني؟

قلنا: القوم الذين جاءوا بالمرأة وشهدوا عليها بالزنا كانوا كفارا؛ فلم يقبل شهادتهم المسيح. والدليل على كفرهم: قوله «إنهم جاءوا مُتعبين له شاكّين فى نبوته مع ظهور أعلامها» وإنما أتو بالمرأة ليجدوا عليه حجة. كما ذكر الفصل المشار إليه. وإذا كانوا إنما أتوا طالبين غَرته ملتمسين عَثرته. وهو نبى الله الكريم عليه؛ فكيف يقبل شهادتهم؟ وأما المرأة فلم تقر عنده بالزنا، ولم تعترف به، والحد لا يثبتُ إلا بحجة معتبرة. وهى إما شهادة جازمة، أو إقرار صحيح والكافر مردود القول.

والله أعلم.

الباب الخامس

في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب، فما قتل وما صُلب

نورد هذا الفصل على نصّه؛ لتقِفُوا عليه، وتعجبوا من هذه النقائض التى نسبها النصارى إلى المسيح، مع قولهم بربوبيته، واعتقادهم أنه خالق السماء والأرض، وجامع الناس ليوم العَرْض.

قال النصارى (١) : «بينما يسوع جالس مع تلاميذه ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان، إذا جاء يهوذا الإسخريوطى أحد الاثنى عشر، ومعه جماعة، معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة، ومشايخ الشعب. وقد قال لهم يهوذا: «الرجل الذى أَقبّله هو هو. فأمسكوه» ثم جاء يهوذا وقال: السلام عليك يا معلم، ثم قَبَّله. فقال يسوع: «ألهذا جئت يا صاحب؟» فوضعوا أيديهم عليه، وربطوه. فتركه التلاميذ كلهم وهربوا. فقال أيشوع: «مثل ما يُفعل باللصوص خرجتم إليَّ بالسيوف والعصي، وأنا عندكم فى الهيكل كل يوم أُعلّم فلم تعرضوا لي، ولكن هذه ساعة سلطان الظلمة» فذهبوا به إلى رئيس الكهنة حيث يجتمع الشيوخ وتبعه بطرس من بعيد ودخل معه الدار ليلاً وجلس ناحية منها متنكرا؛ ليرى ما يؤول أمره إليه. فالتمس المشايخ على أيشوع شهادة ليقتلوه بها. فجاء جماعة من شهود الزّور، ثم تقدم منهم اثنان فشهدوا أن أيشوع قال: أنا أقدر أنقض هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام. فقال له الرئيس: أما تجيب عن نفسك بشيء؟فسكت أيشوع. فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحي: «أنت المسيح؟»فقال له المسيح: «أنت قلت ذلك. وأنا أقول لكم: إنكم من الآن ترون ابن الإنسان حين ترونه جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء» فلما سمع رئيس الكهنة ذلك شقّ ثيابه. وقال: ما حاجتنا إلى شهادة هوذا.

(١) المؤلف لخص الموضوع من الأناجيل الأربعة.

قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون فى أمره؟فقالوا: هذا مستوجب الموت. فحينئذ بصقوا فى وجهه ولطموه وضربوه وهزءوا به جدا، وجعلوا يلطمونه، ويقولون له: بيّن لنا أيها المسيح من لطمك. ولما كان من الغد أسلموه لفِلاطُس القائد. فتصايح الشعب بأسره وقال: يصلب يصلب. فتحرج فيلاطس من قتله وقال: أيُّ شيء فعل هذا؟فقال الشيوخ: دمه علينا وعلى أولادنا.

فحينئذ ساقه جند القائد إلى الأبروطورون [١] واجتمع عليه الشعب، ونزعوا ثيابه وألبسوه لباسا أحمر وضفروا إكليلاً من الشوك، وتركوه على رأسه، وجعلوا فى يده قصبة، ثم جثوا على ركبهم يهزءون به ويقولون: السلام عليك يا ملك اليهود. وشرعوا يبصقون عليه ويضربونه فى رأسه. ثم ذهبوا به وهو يحمل صليبه إلى موضع يعرف بالجمجمة فصلبوه. وسمّروا يديه على الخشبة. وسألهم شربة ماء فأعطوه خَلا مذابا بمرّ فذاقه ولم يسغه ونادى على الخشبة: «إلهى إلهى لم خذلتني» [٢] وجلس الشُّرط فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، وجعلوا عند رأسه لوحا مكتوبا: «هذا يسوع ملك اليهود» استهزاءً به. ثم جاءوا بلصين فجعلوهما عن يمينه وشماله تحقيرا له. وكان اليهود يقولون له: يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلّص نفسك. إن كنت ابن الله ـ كما تقول ـ انزل عن الصليب.

وقال اليهود: هذا يزعم أنه خلص غيره، فكيف لم يقدر على خلاص نفسه؟إن كان متوكلا على الله؛ فهو ينجيه مما هو فيه. ولِمَ كان ست ساعات من نهار الجمعة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع وهو على الصليب بصوت عظيم فقال: «ألوى ألوى لما شبقتني» تفسيره: إلهى إلهى لم تركتني؟فأخذ اليهود أسفنجة فيها خلّ ورفعها أحدهم إلى قصبة وسقاه. وقال آخر منهم: دعوه حتى نرى من يخلّصه. فصرخ يسوع وأمال رأسه وأسلم الروح.

فانشق جدار الهيكل، وتزلزلت الأرض، وانشقت الصخور، وتفتحت القبور،

(١) «فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية».

(٢) «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لِمَ شبقتني؟أى إلهى إلهى لماذا تركتني؟».

وقام كثير من القديسين من قبورهم؛ فدخلوا المدينة المقدسة، وظهروا للناس. ولما كان المساء جاء رجل من الرامة يسمى يوسف؛ فسأل القائد جسد أيشوع فأمر له به. فلفّه يوسف بلفائف نقية، وتركه فى قبر كان قد نحته فى صخرة. ثم جعل على باب القبر حجرا عظيما. وجاء مشايخ اليهود من الغد الذى بعد الجمعة إلى فيلاطُس القائد فقالوا: يا سيد ذكرنا أن ذاك الضال كان قد قال لتلاميذه: أنا أقوم بعد ثلاثة أيام، فلو أمرتَ من يغلق القبر ويحرسه حتى تمضى المدة؛ كيلا يأتى تلاميذه ويسرقونه، ثم يشيعون فى الشعب أنه قد قام؛ فتكون الضالة الثانية شراً من الأولي. فقال لهم القائد. اذهبوا وسدّوا عليه وحَرِّسوا كما تريدون. فمضوا وفعلوا ما أرادوا.

وفى عشية يوم السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم رفيقتها لتنظران إلى القبر. وفى إنجيل يوحنا [(١)]: إنما جاءت مريم يوم الأحد بغلس، وإذا مَلَك قد نزل من السماء برجّة عظيمة فألقى الحجر عن القبر، وجلس عنده، وعليه ثياب بيض كالبرق، فكاد الحراس يموتون من هيبته. ثم قال للمرأتين: لا تخافا قد علمتُ أنكما جئتما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا إنه قد قام. تعاليا فانظرا إلى المكان الذى كان فيه الرب، واذهبا وقولا لتلاميذه: إنه يسبقكم إلى الجليل. فمضتا وأخبرتا التلاميذ. ودخل الحراس وأخبروا رؤساء الكهنة الخبر، فقالوا: لاتنطقوا بهذا وارشوهم بفضة على كتمان القضية. فقبلوها منهم، وأشاعوا أن تلاميذه جاءوا وسرقوه. ومهدت المشايخ عذرهم عند القائد.

ومضى الأحد عشر تلميذا إلى الجليل، وقد شك بعضهم، وجاءهم يسوع وكلمهم، وقال لهم: «اذهبوا فعمدوا كل الأمم، وعلموهم ما أوصيتكم به. وهوذا أنا معكم إلى انقضاء الدهر» [(٢)] .

قال المؤلف عفا الله عنه: أول ما نفاتح النصارى أن نقول: ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه. أتنقلوه تواتراً أو آحادا؟

---

(١) فى الأصل: مرقس. وهو خطأ لأنه يقول: إذا طلعت الشمس. ولم يقل بغلس إلا يوحنا.

(٢) المؤلف لخص الموضوع من أواخر كل إنجيل.

فإن زعموا: أنهم ينقلونه نقل الآحاد؛ لم تقم بذلك حجة، ولم يثبت العلم الضروري. إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب. وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك؛ فلا يحتج بهم فى القطعيات.

وإن عزوا ذلك إلى التواتر. قلنا لهم: شرط التواتر: استواء الطرفين فيه والواسطة. وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين علموه ضرورة. فإن اختلّ شيء من ذلك؛ فلا تواتر. وإن زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة: أكذبتهم نصوص الإنجيل التى بأيديهم. إذ قال نقلته الذين دونوه لكم وعليهم معولكم:[1] إن المأخوذ للقتل كان فى شرذمة من تلاميذه. فلما قُبض عليه؛ هربوا بأسرهم، ولم يتبعه سوى بُطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا؛ نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته. فقالت: وهذا كان معه، فحلف بطرس: أنه لا يعرف أيشوع، ولا يقول بقوله. وخادعهم. فذهب ولم يعد، وأن شابا تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وأفلت عريانا.

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد. بشهادة الأناجيل. وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر: فلم يبلغوا عدد التواتر أصلا، بل كانوا آحادا وأفرادا. فمن نازع فيما قلناه ونقلناه؛ فهذا الإنجيل الذى بأيديهم حكم فيما بيننا وبينهم. وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد - واليهود الذين حضروا عصابة قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو والغلط واعتماد الكذب - لم يجب قبول أقوالهم.

فلا جرم قُدم تواتر الكتاب العزيز. وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ .

ومما يزيد الأمر وضوحا: قول الإنجيل: إن مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت مَلَكا قد نزل من السماء برَجّة عظيمة. فدحرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده، فكاد الحراس يموتون من هيبته، وبادروا من فورهم إلى مشايخ اليهود وأعلموهم بالقصة، فأرشاهم المشايخ برشوة، وتقدموا إليهم بستر القصة والإشاعة: أن تلاميذ

(١) المؤلف لخص الموضوع من أواخر كل إنجيل.

المصلوب سرقوه. ومهدوا لهم عذرهم عند القائد.

وإذا كان الأمر كذلك، فما يؤمنكم أن تكون هذه العصابة من اليهود قد صلبوا شخصا من أصحاب أيشوع وأتباعه، وأوهموا الناس أنه المسيح، ليغضّوا منه، ويحطوا من قدره. حيث جهدوا جهدهم فى طلبه فلم يقدروا عليه وأعوزتهم وجوه الحيل فى مغالبته. كما فعلوا فى ستر الآية التى ذكرتم؟وإذا كان أصحابكم الموقنون العدول عندكم لم يحضر منهم أحد ألبتة، واليهود الكفار المدلّسون شرذمة قليلة وأكثرهم لم يعرف المسيح، لم يحصل لكم غلبة ظن بقتل المسيح، فضلا عن حصول العلم الضروري. وها نحن أولاء نورد من الحجج المقبولة عندكم ما يقضى بغلطكم فى قتل المسيح وصلبه، ويحقق لكم أن المفعول به ذلك؛ سواه. وهو الشّبه الذى نقول به إن شاء الله تعالى.

الحجة الأولى:

لا شك ولا خفاء أن كتابكم ينطق فى غير موضع: أن المسيح نشأ بين أظهر اليهود وتردد معهم فى مواسمهم وأعيادهم، وزاحمهم فى مجامع قراراتهم، يعرفونه ويعرفون أمّه وسِبطه، وأنه حين بهر فى علم التوراة والنبوات كان يتعلّم عندهم فى الهيكل بأورشليم ويناظر أحبارهم، فيبهتهم بحسن التعليم. فيقولون: أليس هذا ابن يوسف؟أليس أمه مريم؟أليس أخواته عندنا؟فمن أين له هذه الحكمة؟وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه، فما حاجتهم إلى أن اكتروا رجلا من تلاميذه بالأجرة حتى عرّفهم بشخصه، لولا وقوع الشبه الذى نقول به؟

الحجة الثانية:

على أن المفعول به ذلك غير المسيح وانه كان قد شبه لهم: قول نقلة الإنجيل: إن رئيس الكهنة أقسم بالله الحي ، أأنت المسيح ابن الله الحي؟فقال له: أنت قلت. ولم يجبه بأنه هو المسيح. فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم. ولم يستجز أن يُورى فى الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم

المسيح إنما جاء لبثّ الحق ونشر الصدق. فكيف يتجشّم لشيء ثم يكتمه؟فإن قال النصاري: هذا أيضا لنا. إذ لو كان غيره؛ لم يُخف ذلك ولبينه، وقال: لست المسيح بل أنا رجل سواه.

قلنا: يحتمل الوجهان:

أحدهما: أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعته من البيان والإفصاح عن حاله كما يجرى للبشر. وهذا لا بُعد فيه أن يأخذ الله على لسانه ويسدّ عنه مادة الكلام صونا لنبيه المسيح أن يُفصح الرجل عن أمره.

والوجه الثاني: أن يكون الشبه لصِدّيقته آثر المسيح بنفسه، وفعل ذلك بعهد عهده إليه المسيح، رغبة منه فى الشهادة. فلهذا ورّى فى الجواب، وجمجم فى القول. ويؤيد هذا الوجه: قول التلاميذ للمسيح أيام الخوف من إيقاع اليهود به: بأنه لو دفعنا إلى الموت معك؛ لمتنا. والشبه كان من جملة التلاميذ. فلهذا وفّى بما وعد من نفسه. وهذا شيء لم يزل يفعله أصحاب الأنبياء فى الحروب وغيرها. ليقوا بأنفسهم أنبياءهم؛ فينالون بذلك الثناء فى الدنيا والثواب فى العقبى.

فقد وضح أن المجيب لرئيس الكهنة غير المسيح. إذ لو كان المسيح لم ينكر ولم يُورِّ.

الحجة الثالثة:

على حماية الله المسيح عليه السلام وأن المصلوب غيره: قال لوقا: «صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا. فبينا هو يصلّى إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه، وابيضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق. وإذا موسى بن عمران وإلياس، قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما الذين كانوا مع أيشوع: «فوقع عليهم النوم فناموا» [١].

---

(١) هذا الخبر فى متى ١٧ : ١ + وقصد المحرف منه: هو تطبيق نبوءات من نبوءات عيسى من قبل مجيء محمد لئلا تدل عليه. والنبوءات هى نبوءة المزمور الثاني «ابنى الحبيب» ونبوءة العبد المسالم فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر إشعياء «هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسي» والكلام من السحابة. ونبوءة الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية «له تسمعون» .

قلت: هذا من أوضح الدلالة على رفع المسيح وحصول الشبه الذى نقول به؛ لأن تغيُّر صورة المسيح وتبدل لون ثيابه عما كانت عليه وظهور موسى النبى عليه السلام وإلياس عليه السلام ومجيء السحاب يظللهم ووقوع النوم على التلاميذ من أقوى ما يتمسك به فى حماية المسيح ووقوع شبهه على آخر سواه. فلا معنى لظهور هذين النبيين له ووقوع النوم على أصحابه إلا رفعه عليه السلام.

ومما يؤيد: قول الإنجيل: «إن اليهود حين رفعوا المصلوب على الخشبة قالوا: دعه حتى نرى إن كان إلياس يأتى فيخلصه» [١] ، وهم يظنون أن المصلوب هو المسيح، وقد كان المسيح يقول لأصحابه: إن إيلياء سيأتي.

والدليل على غلط النصارى: قول فُولس الرسول فى صدر رسائله زارياً عليهم: «أنهم لم يعرفوا الله تعالى، لكن أظلمت قلوبهم التى لا تفقه، فجهلوا واستدلوا بالله الذى لا يناله فساد شبه صورة الإنسان الفاسد؛ فلذلك أهملهم الله، وتركهم وشهوات قلوبهم النجسة. فبدلوا حق الله بالكذب، وعبدوا الخلائق وآثروها على خالقها الذى له التسابيح والبركات، فلذلك وكلهم الله إلى أولاد الفاضحة» [٢] .

فهذا فولس كأنما أُلهم ما سيفتريه متأخرو النصارى إلهاما. فنطق بذلك رداً عليهم وإزراء بعقولهم وتصريحاً بكفرهم وضلالهم.

الحجة الرابعة:

على حماية المسيح مما نسب إليه: قول الأناجيل إن المأخوذ كان قد غُيِّرت صورته، وشوهت هيئته. وسيق ذليلا، وتُوج من الشوك إكليلا. وأُلبس أرجواناً وألبس هواناً. وجُذب ، وسُحب، وشُقى وسجن ولُدم وضرب، وحَمَل خشبته التى عليها صلب، وأعنف به فى سحبه، فكُرِّب وما ركب.

قال يوحنا: «أُخذ فى ليلة باردة من بستان بوادى الأرز، كان يخلو فيه مع

(١) مرقس ١٥: ٣٦ والمؤلف فهم أن إيلياء الذى هو إلياس عليه السلام سيأتى قبل المسيح. ويقول النصارى إنه أتى قبل المسيح على طريقة تناسخ الأرواح فى جسد يوحنا المعمدان. والحق: أن إيلياء هو اسم «أحمد» فى إنجيل متى بحساب الجمل «فهذا هو إيلياء المزمع أنه يأتي» .

(٢) رومية ١: ٢١ + .

تلاميذه» [١] فاجتمع فى القصة ما يصحح الغلط ويرجح فى النقل اللغط، وهو أن المصلوب أخذ فى حندس ليل مظلم على حين فترة، فلم يصل به الشرط حتى طمست صور محاسنه لَدْماً وضربا ونسخت سور حلاه جذباً وسحبا. فكان جميع ما جرى إنما هو على الشبه. ومع احتواش القصة بهذه الشبه؛ لا يجزم بأنه المسيح. فالذى نقله لوقا فيه أعظم الدلالة على إلقاء الشبه، ثم ظهور موسى وإيلياء ووقوع النوم على القوم؛ دليل واضح على رفع المسيح إلى السماء، وصونه عن أيدى الأعداء.

الحجة الخامسة على ما قلناه:

قال يوحنا [٢] التلميذ: «كان يسوع مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود فى طلبه. فخرج إليهم يسوع وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع - وقد خفى شخصه عنهم - فقال: أنا يسوع. وفعل ذلك مرتين، وهم قد أنكروا صورته» وذلك دليل على الشبه ورفع المسيح، إذْ أنكروا صورته. وهو الناشئْ بينهم، والمربَّى فى جماعتهم.

الحجة السادسة:

قول لوقا فى إنجيله: «إن المسيح بعد قيامه صحب رجلين من أورشليم، وهما يطلبان قرية يقال لها عمواس، فتبعهما وماشاهما، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته، فلما كلمهما عرفاه بعد ذلك» [٣].

وقد حكى بعض النصارى: أن المسيح قد أُعطى قوة التحول من صورة إلى صورة. وذلك كله يشهد بصحة ما قلناه، وإذ التبس أمره على خواص أصحابه وتلاميذه حتى أنكروا هيئته وصورته وثيابه، فما ظنك بغيرهم؟ وقال لوقا أيضا: «بينا التلاميذ فى غرفة لهم. إذ وقف المسيح فى وسطهم بعد قيامه، والتمس منهم شيئاً يأكله. فأطعموه جزءاً من حوت، وشيئا من شهد العسل» [٤].

---

(١) يوحنا ١٨ : ١ . (٢) يوحنا ١٨ : ١ + . (٣) لوقا ٢٤ : ١٣ + .

(٤) لوقا ٢٤ : ٣٦ + .

وذلك كله يشهد بما قلناه فى حمايته وصونه من أعدائه وإلقاء الشبه على غيره.

الحجة السابعة:

قال يوحنا: «وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك. فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فلم يعرفوه. فقالوا: لا. فقال: ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن. ففعلوا، فرفعت سمكاً كثيرا. فحينئذ عرفوه، وقالوا: هو المسيح. وكان أحدهم عرياناً، فأخذ مئزره حين عرف أنه المسيح» (١) .

فهؤلاء التلاميذ وخواصّ أصحاب المسيح يشهدون بما صرنا إليه من تغيير شبه المسيح عليهم، وتصديق قول من يقول منهم: إن المسيح كان قد أُعطى قوة التحول من هيئة الصَّبوة إلى هيئة الكهولة والشيخوخة. وغير ذلك. وإلا فكيف يُخفى وجهه عن مثل الاثنى عشر من أصحابه وتلاميذه ويستبعد ذلك من اليهود؟

الحجة الثامنة:

إن القول بقتل (٢) المسيح يؤدى إلى تكذيب المسيح، وما أدى إلى تكذيبه؛ فهو

---

(١) يوحنا ٢١: ١ +.

(٢) الذى حدا بالنصارى إلى القول بالصلب والقتل: هو أن فى التوراة نبوءات عن محمد ﷺ تبين أنه سيهزم فى الحروب، ثم ينتصر على أعدائه ويفتح بلادهم ويملك عليها. والمسيح ابن مريم لم يهزم فى الحروب ولم ينتصر ولم يفتح البلاد ولم يملك عليها. فلذلك قالوا بهزيمته على يد اليهود وصلبه، ثم قالوا بانتصاره على الموت مرتفعا إلى السماء. وأخذوا التعبيرات المجازية عن الهزيمة وجعلوها تعبيرات حقيقية. ففى المزمور الثانى والعشرين يقول داود على لسان محمد بظهر الغيب: «ثقبوا يدى ورجليّ، أحصى كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ. يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقترعون» وهذه التعابير كناية عن هزيمته وإحاطة الأعداء به، لا أنها على الحقيقة. بدليل أنه فى نفس النص يقول: إننى دعوت الله أن ينجينى من الأعداء فاستجاب لى ونجاني. يقول: «أما أنت يا رب فلا تبعد. ياقوتى أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي. من يد الكلب وحيدتي. خلّصنى من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش استجب لي» إلى أن قال فى نفس النص: «عند صراخه إليه؛ استمع» إلى أن قال عن الجيل الآتى جيل محمد ﷺ: «يُخبر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد، بأنه قد فعل».
وقال النصارى إن يهوذا الإسخريوطى خنق نفسه [متى ٢٧: ٥] وفى رواية: «وإذ سقط على وجهه؛ انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها» [أع ١: ١٨] وقال بعض المسلمين بصلبه وقتله بدل عيسى عليه السلام. والحق: أن النصارى قالوا بخنقه. وهو لم يخنق، أو قالوا بسقوطه على وجهه وهو لم يسقط؛ لتطبيق نبوأتين من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ على يهوذا. يعرف ذلك من قرأ قولهم: «لأنه مكتوب فى سفر المزامير: «لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن». =

باطل وبيانه: هو أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد بَشَّر فى إنجيله بمحمد ﷺ وقال: إنه النبى الصادق الآتى من بعده، ومحمد جاء وأخبر بأن المسيح ما قُتل وما صلب. فالقول بقتل المسيح؛ يفُضى إلى تكذيب مَن صدَّقه المسيح، فكان تكذيباً للمسيح. وسنبين بُشرى المسيح وموسى وغيره من الأنبياء بمحمد رسول الله ﷺ

=و«ليأخذ وظيفته آخر» [أع ١: ٢٠]. والرد عليهم:

أولا: إن المزمور التاسع والستين. قد طبقه النصارى ظلما على المسيح عيسى عليه السلام فقد كتبوا أنه وهو على الصليب قد سقوه خلا. ولم وهو لم يصلب ولم يُسق خلا ووضعوه عليه أيضا فى يوحنا [١٥: ٢٣ +]. وبيان ذلك: أن النبوءة تتكلم عن أ ـ هزيمة محمد ﷺ على يد أعدائه ب ـ وانتصاره على أعدائه. وتتحدث عن الهزيمة بألفاظ كنائية منها «العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزّين فلم أجد، ويجعلون فى طعامى علقما. وفى عطشى يسقوننى خمرا» والعار لا يكسر القلب ثم دعا على اليهود فقال: «لتصر دارهم خرابا، وفى حياتهم لا يكن ساكن» ثم قال لله لمجنى من أعدائي. خلصني «خلاصك يا الله فليرفعني» ثم قال إن الله نصره «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه».

ووجه الإلزام: أنه إذا كانت النبوءة خاصة بالمسيح ابن مريم، فلماذا وضعوها على يهوذا. وإن كانت خاصة بيهوذا. فلماذا وضعوها على المسيح ابن مريم؟ وإن وضعت على أى منهما فى صفة الهزيمة. فأين انطباق الصفات الأخرى على أى منهما؟

ثانيا: إن المزمور المائة والتاسع. هو نبوءة محمد ﷺ وداود يتكلم بدله بظهر الغيب فيقول: «يا إله تسبيحى لا تسكت. لأنه قد انفتح عليّ فم الشرير وفم الغش» ثم دعا على اليهود بصيغة المفرد والمراد الجمع. فقال: «لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر» ـ «فى الجيل القادم ليمح اسمهم» لاحظ: الجيل القادم. وهو جيل الشريعة الجديدة. ولاحظ «اسمهم بصيغة الجمع. ثم يقول «وليقرض من الأرض ذكرهم» لاحظ أيضا: «وأنا صرت عارا عندهم ينظرون إليّ، وينغضون رءوسهم» وتذكر قول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ؟ ﴾ .

ثالثا: وبعدما تكلم النبى عن إحاطة أعدائه به، صرخ إلى الله وقال: «أعنى يا رب إلهي» وبين أن الله نصره بقوله: «قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح. . . .».

رابعا: ونبوءة المزمور المائة والتاسع قد طبقها النصارى على يهوذا. وفى إنجيل يوحنا هذا النص: «الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري؛ لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبي. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم: «إنهم أبغضونى بلا سبب» [يوحنا ١٥: ٢٣ +] لاحظ:

«إنهم أبغضونى بلا سبب» [المزمور ٣٥: ١٩ والمزمور ٦٩: ٤ أيضا مزمور ١٠٩: ٣] يريدون أن يقولوا: إن المزامير ٣٥، ٦٩، ١٠٩ قد طبقهم عيسى المسيح على نفسه؛ لأنهم أبغضوه بلا سبب. وعلى قولهم هذا؛ يخرج يهوذا من الموضوع. وتكون المقارنة بين محمد وبين عيسى فقط. والمزامير كلها تدل على محمد ﷺ للأوصاف الواردة فى كل مزمور عنه. وخاصة تصريح كل مزمور بنجاته من أعدائه. مثل «أما نفسى فتفرح بالرب، وتبتهج بخلاصه» [٣٥: ٩] وغيره.

فى الباب الأخير من هذا الكتاب.

الحجة التاسعة:

لو صح قتل المسيح وصلبه؛ لبطلت الدلالة على وجود البارى تعالي. وبيانه: هو أن فى ذلك إبطال بشائر الأنبياء - عليهم السلام - بمحمد ﷺ وإظهار كذبهم فيما شهدوا له به من النبوة والرسالة وصدق المقالة. وذلك يَعْكُر على نُبواتهم بالإفساد، إذ أُخلفت أقوالهم، ولم تَصدق أخبارهم. وذلك يخرم الثقة بجميع ما أخبروا به من حَدْث العالم، ووجود الصانع - تعالى - وما أدّى إلى ذلك فهو مردود من أصله.

الحجة العاشرة:

قال لوقا: «لما كان فى الشهر السادس من حمل أليصابات زوجة زكريا بيحيى ابنها جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصرة من أرض الجليل، وهى إذ ذاك خطيبة لرجل من نسل داود، يُقال له: يوسف. فقال لها جبريل: أبشرى يا ممتلئة بنعمة الرب، مباركة أنت فى النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه. فقال لها جبريل: لا تخافى يا مريم فقد ظفرت بنعمة من عند الله، وأنت تقبلين حبلي بولد يُدعى يسوع، يكون عظيماً وابن العليّ يُدعي، ويعطيه الرب كرسى أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب. فقالت مريم: أنّى ذلك ولم أعرف رجلا؟. فقال جبريل: روح القدس يحلّ عليك وقوة العلى تظللك

وهذه أليصابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنها؛ لأنه ليس عند الله أمر عسير. فقالت مريم: ها أنا ذا عبدة الرب فليكن ما قلت» [١] .

وَرَدَ ذلك من الله على مريم مَوْرد الامتنان والإنعام. وهو أن يجلس ولدها فى دست داود ويُملّكه رقاب اليهود. فالقول بأن المسيح هلك وما ملك؛ يقضى بالسخرية من البتول، أو البَداء من المرسِل، أو الكذب من الرسول. والكل محال؛ فالقول بقتل المسيح وصلبه محال.

---

(١) لوقا ١:٢٦ + .

فهذه عشر حجج كلها تقضى بالثَّلب، على مدّعى الصلب.

ومما يدلكم على فساد دعوى القتل والصلب: ما اشتمل عليه الفصل من الاضطراب، وقبيح الألفاظ. كقوله لرئيس الكهنة: «إنكم من الآن ترون ابن الإنسان حين ترونه جالساً عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء» (١) يريد بالقوة: الله تعالى.

وكقوله: «إن ناساً من القيام ههنا لا يذقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته» (٢) وكقول الملك للمرأتين: «تعاليا فانظرا إلى الموضع الذى كان فيه الرب فى القبر» (٣).

ما أخلق هذه المواضع أن يكون بعض مجان اليهود قد أدرجها فى كتاب النصارى ليضحك منهم الناس. أسمعتم يا معشر النوكى برب فى قبر، وإله فى لحد؟ أيُّ جَدَث وسعه؟ أى كفن واراه؟ أيّ نعش حمله؟ هل نجا من ضغطة القبر؟ هل لُقّن حجته عند السؤال؟ هل ثبت جأشُه عند طلعة المَلَك؟

أُف لتراب تغشّى وجه هذا الإله، وتبا لكفن ستر محاسنه، وسحقا لجذع انتصب تحته صُلب عليه. عجبا للسماء كيف لم تَبِدْ وهو سامكها، وللأرض كيف لم تَمِدْ وهو ماسكها. وللبحار كيف لم تَغِض وهو مجريها. وللجبال كيف لم تَسِر وهو مرسيها. وللحيوان كيف لم يُصعق وهو مُشبعه. وللكون كيف لم يمحق وهو مخترعه؟ وأنَّى استقام الوجود، والرب فى اللحود. وثبت العالمَ على نظام، والإله فى الأرحام؟ لقد لبس الكون ثوبا من القحّة صفيقاً، واستمر على البقاء وكان الفناء خليقا. فإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة بهذا الرب، والرزية بهذا الإله. لقد ثكلته أمه التى خلقها وصوَّرها، وعدمته الدنيا التى أبدعها وفطرها. فليت شعرى هل قُسم ميراثه وعُمل مأتمه؟ وهل أُخذ بثأره أو سُلّم

(١) متى ٢٦: ٦٤ «وأيضا أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء» وقد سبق البيان أن هذا النص كناية عن سرعة مجيء محمد ﷺ.

(٢) متى ١٦: ٢٨ «إن من القيام ههنا قوما لا يذقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته» ابن الإنسان هنا هو محمد والنص كناية.

(٣) متى ٢٨: ٦ وفى الأصل: وكقول الملك للنسوة تعالين فانظرن.

مسلمه؟هذا ـ وأبيكما ـ الخذلان، والتلاعب بالأديان.

وفى الفصل موضعان آخران يشعران بأن المصلوب رجل غير المسيح:

أحدهما: شكواه العطش؛ فإنا نعلم أن الإنجيل مصرّح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوماً وأربعين ليلة [١] ويقول لتلاميذه: «إن لى طعاماً لستم تعرفونه» [٢] ومن صبر عن الماء والطعام ثمانين يوما وليلة، لا يجزع من فراقه ساعة واحدة. وبذلك يتحقق أن العطشان غيره والمستسقَى سواه.

والموضع الآخر: قوله «إلهى إلهى لِمَ تركتنى وخذلتني» [٣] و«لِمَ»؟ ـ كما يعلم ـ كلمة تنافى الرضا بمرّ القضاء، وتناقض التسليم لأحكام الحكيم ـ وتجُل عن ذلك رتبة الصالحين، فضلا عن أكابر المرسلين ـ فهذا. وما شاكله من كلام المصلوب يوضح ما قلناه فى الشبه.

فإن أبى النصارى إلا أن يكون قائل هذا هو المسيح.

قلنا لهم: ألم تزعموا أن المسيح إنما تعنَّى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويُخلّصه من الشيطان ورجسه؟أفتقولون: إنه تبرّم بالإيثار، واستقال العِثَار؟ألم ترووا لنا عن التوراة: أن إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون كانوا حين احتضروا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى شعبهم. لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا استَوبلوا مذاقه ولا أعابوه. هذا وهُم عبيد. والمسيح ـ بزعمكم ـ ولد ورب. أفكان وثوقهم بالله فوق وثوقه، أم حظ المسيح عند الأب دون حظ رقيقه؟

وأما قولهم فى الفصل: «إن يسوع صرخ وأمال رأسه وأسلم روحه» فمناسب لكلام المجانين، وإلا فكيف يتولّى الميت فى حال النزع تسليم روحه، مع شدة الأمر وعظم الخطب واشتغال البال فى ذلك الوقت عن التسليم والتسلم؟وإن امرءًا تُجذب روحه من تحت كل شعرة من جسده، وقد أُوثق كتاف ذبيحه، وبرق بصره، وانحل عقد تماسكه، واستولت عليه الآلام، ورشقته من جميع جهاته

(١) متى ٤: ٢ .
(٢) يوحنا ٤: ٣٢ .
(٣) متى ٢٧: ٤٦ .

سهام الحمام؛ لغير مختار فى تسليم روحه؛ والعجب من تجاسر هذا الحاكى على قول ما يقطع بكذبه فيه؛ وذلك أن تسليم الميت روحه غير مشاهد بالعيان، فيقع عليه بصر إنسان.

أين قول النصارى فى شريعة إيمانهم: «نؤمن بالرب الواحد أيشوع المسيح. الذى بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، وليس بمصنوع، الذى نزل من السماء لخلاص معشر الناس» ؟وكيف بالذعار يصح لهم هذه الدعوى، والمصلوب ينادى بحضرة اليهود: «إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتني؟»وكيف يكون خالق السموات والأرض مقروناً باللصوص، مصلوباً على الخشب. له إله يدعوه ويسأله أن لا يتركه ولا يخذله؟

فإن كانت الأمانة صادقة. فالإله الأزلى قد بكى واستغاث شربة من الماء، وقُرِن بالذُعار، وعُلّق على الخشب، وسُمرت يداه بالمسامير. وإن كان الإله الرب الأزلى يتعالى عن هذه النقائض ويتقدس عن أن تناله هذه الرذائل؛ فالأمانة باطلة، وأقوال من عَقَدَها لهم فاجرة، وآراؤهم غاشَّة. وسنأتى على أمانتهم إذا انتهينا إليها، ونوضح فسادها وغش من ألفها، وسوء رأيه فى دين النصرانية إن شاء الله تعالى.

وأما قولهم فى الفصل: «إنه حين مات أيشوع على الصليب؛ انشقّ حِجاب الهيكل، وتزلزت الأرض كلها، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور، وقام القديسيون من قبورهم، ودخلوا المدينة حتى رآهم الناس» [1] ـ «وأظلمت الشمس، وحال لون القمر» [2] فذلك كذب ومحال، وبهت لا يخفى بحال؛ لأنه لو كان صحيحا؛ لأطبق الناس على نقله، ولم يبق إخفاء مثله. ولزال الشك عن تلك الجموع، فى أمر أيشوع. فحيث داموا على الحجّة له والتكذيب عنه؛ دلّ ذلك على كذب هذا النقل. ومما يوضح لنا ما قلناه: أن الأناجيل تشهد فى تمام هذا الفصل: «أن جماعة من أصحاب أيشوع شكّوا فيه بعد ذلك؛ فرجعوا عن رأيهم

(١) متى ٢٧ : ٥١ + والنص كناية .
(٢) لوقا ٢٣ : ٤٤ + والنص كناية.

الأول» [١] . وذلك يكذب قول من قال: إن العالم تشوش لمصرع يسوع.

فإن قيل: إنما لم يشتهر ذلك؛ لأن أصحاب أيشوع لم يحضر منهم أحد خوفاً من اليهود، واليهود الذين شاهدوا هذه الآيات تواطؤا على كتمانها بغياً وحسداً.

قلنا: هذه الآيات إذا وقعت. عَمَّ عِلمُها من حضر ومن غاب، من الأعداء والأحباب. لأنها آيات نهارية. فما بال الهنود والسند والصين والسودان والفُرس والترك وسائر الطوائف الذين لم يتعصبوا للأديان، ولا انحازوا لملة وشريعة لم ينقلوا هذه الآيات، ويلهجوا بها خلفاً عن سلف، حقباً بعد حقب؟

وقد نقل المؤرخون فى صحفهم أموراً هى أنزر وأقل خطراً من هذا الأمر الذى يَدعى النصارى أنه طبّق العالم الأعلى والأسفل. فلما رأينا هذه الأمم الخالية عن الأهواء والتعصب للشرائع والتزام الأحكام على كثرتها لم تنقل مما حكاه النصارى حرفاً واحدا؛ علمنا بالضرورة: أن ذلك اخترعه كذبة النصارى ليخدعوا به ضعفاءهم. وسنأتى على قطعة من ذكر حيل القسيسين ومخاريق الرهبان عند وصولنا إلى بابه، فيتوسلون بهذه المخارق إلى جلب الحطام، وجذب الدنيا الدّنية بالخطام. والحق مستغن عن أن يقوى بهذه الترهات.

وأما قولهم فى الفصل: «إن يسوع جاء إلى التلاميذ الأحد عشر بالجليل، وأوصاهم أن يعمّدوا الناس، وأنه يكون معهم إلى انقضاء الدهر».

فأقول: انطفأ السراج على التلميذ الثانى عشر. وهو المشهود له فى الإنجيل بولاية حساب بنى إسرائيل، وبقى كرسيه شاغرا ودسته فى القيامة غامراً. وصار أحد الأسباط فى القيامة ليس له من يدينه؛ فاستراح من العتاب، وسوء الحساب.

قال المؤلف: قلت لنصرانى من عقلائهم: «قال يسوع لتلاميذه الاثنى عشر وفيهم يهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه للقتل والصلب: أنتم ستجلسون يوم

---

(١) متى ٢٦: ٣١ والشك هو فى معنى هل هو النبى الأمى الآتى إلى العالم أو ليس هو؟لأن من أوصافه أن لا يقتل. فإذا قتل المسيح؛ فإنه لا يكون هو.

القيامة[1] على اثنى عشر كرسياً تدينون اثنى عشر سبط إسرائيل» وذلك شهادة للكل بالزعامة في القيامة، فكيف صنع أصحابكم في يهوذا وسبطه فإن المسيح يقول: «الويل لمن يُسلم ابن الإنسان كان خيراً له ألا يُولد»[2].

فقال: قد عوّضوه برجل غيره ونصبناه[3] بدلاً منه لتتم العدّة.

قلت: فليس هذا المُعوَّض هو المخاطب بوعد المسيح بل غيره. فقد أخلف قوله: إن كرسيه لا يجلس عليه غيره، ولا يدين سبطه سواه. فأبلس العلج، ولم يحر جوابا.

وأما حكايتهم عنه «أنه معهم إلى انقضاء الدهر»[4]، فإنا نسألهم فنقول: هل تقولون: إن هذا الكلام محمول على ظاهره، أو محمول على معناه دون ظاهره؟ فإن زعموا أنه محمول على الظاهر؛ لزم منه أن يكون التلاميذ الأحد عشر الآن في قيد الحياة. وسِيَرُهم تُكذّب ذلك، إذ تقول إن القوم اخترموا موتا وقتلا. وإن قالوا: إن ذلك محمول على المعنى دون الظاهر. وهو أنه الآن مع كل جاثليق وأسقف ومطران وقس وراهب منهم. قيل: أهو بذاته أو بعلمه؟ فإن زعموا: أن المسيح معهم بذاته. أكذبتهم شواهد العقول، وشواهد الإنجيل. أما شواهد العقول: فإن العقل قاضٍ بأن الشخص الواحد لا يكون حالاً في عدة

---

(١) المراد بالقيامة: وقت ظهور محمد ﷺ وإنهائه ملك اليهود على فلسطين والعالم بالحرب والقتال. وقد تم ذلك في سنة ٦٣٦ م.

(٢) متى ١٤:٢١.

(٣) أعمال ١:٢٦ واسمه «متياس».

(٤) قال المسيح لتلاميذه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم له. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» [متى ٢٨: ١٩ - ٢٠]

معنى الكلام: أنهم يبشرون جميع الأمم بمقدم محمد ﷺ صاحب ملكوت السموات الذى دعا إليه مع يوحنا المعمدان. وأن يقبلوا منهم من يعترف بالله رب العالمين الذى هو الآب. ومن يعترف بمحمد الذى لقبه داود في المزمور الثاني بلقب «ابن الله» ومحمد أيضا يقول المسيح أنا لقبته بلقب «الروح القدس» واسمه «فيراقليط» أى «أحمد» وعلموهم أن يعملوا بشريعة التوراة، ولا يؤسسوا ديانة مستقلة عن ديانة موسى. وإنجيلي معكم يحلّ محل وجودي بالجسد في الشهادة لمحمد ﷺ. إلى زمن انقضاء دهر الملك والنبوة في بني إسرائيل، وبدء دهر الملك والنبوة في بني إسماعيل.

مواضع فى حالة واحدة، بل إن شغل مكانا، فرغ الآخر لا محالة. وأما شواهد الإنجيل: فإنها مصرحة بأن المسيح كان إن حلَّ بالناصرة، فارق أورشليم. وإن حلّ بأورشليم فارق الناصرة، ولم يتجدد له ما يرفع هذا الحكم.

فإن قالوا: لم يرد المعية بذاته بل بعلمه كقول الكتاب العزيز: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قلنا: فاسلكوا التأويل فى جميع ظواهر الإنجيل؛ ترشدوا.

ولو ألهم النصارى رشدهم لمحوا هذا الفصل من الإنجيل ودرسوا خبره، وعفوا أثره، وأدبّوا من ينطق به؛ فإن اللافظ به إنما يُعرض سب إلههم والتنقص من معبودهم، وإنه فصل وخيم، والعار عليهم فى نشره عظيم. إذ مضمونه أن اليهود الملاعين، والعبيد المدبرين؛ عدوا على إلههم ورصدوه، وتوقعوا غرته فقصدوه، فوضعوا أيديهم عليه ذليلا، وأناطوا به جوامعا وكبولا، ولم يجد إلى الإفلات منهم سبيلا.

وهرب تلاميذه عنه وأسلموه، فتناوله أعداؤه بيد القسر وتسلموه وساقوه بينهم، يحملُ جذعه أسيراً، ثم لُطم حتى حُطِّم، وأُرضع لبان الهوان حتى ودَّ لو فُطم. وتفل فى وجهه القيام والقعود، من أراذل اليهود. فنزل به من الدهش والعطش والكرب مالا يقصر فى الألم عن القتل والصلب. وأنه استسقاهم ماء فسقوه خَلاّ، وسأل البقيا فأسمعوه كلا. فصرخ على جذعه: «إلهى إلهى كيف تركتني؟» وصرح بالعبودية لا يتلقّب ولا يكتني، ولم يزل ينزع فى قاوس النزع حتى مرق سهم روحه، ولقد راموا كسر ساقيه، كفعلهم برفيقيه. فعُجلت عليه منيته، وأُبطئت عنه أمنيته، وأعول عليه أحبابه، وتفرق من الفرق أصحابه. وسأل الوالى جسده فدفن وتصدق عليه بالكفن. وهذه لعمرك معرة يأنف العاقل من إلصاقها بكلبه، فكيف يلصقها بربه؟

وما أرى مُلحق هذ الفصل بكتاب النصارى إلا قد جعل له اليهود جُعْلا على إلحاقه. ولستُ أبعد ذلك؛ فإن يهوذا الإسخريوطى ـ أحد الاثنى عشر، المشهود له بالزعامة فى المحشر ـ زعموا أنه ارتشى على أيشوع ثلاثين درهما من اليهود حتى أنزل به من الهون ألوانا، وإذا كان هذا فهل يهوذا . الذى هو أسنى

من غيره وأفضل، وأرمى عن قوس الصحبة القديمة وأنضل. قد استمالته الدنيا فادَّرع الفضيحة. واستهواه الهوي، فحل عقيد الصحيحة. فما ظنك بمن لم يصحب المسيح ولم يلقه، ومرض بداء الحسد فلم ينقه؟فنسأل الله الذى شرفنا بالإسلام، وعرفنا نبيه عليه السلام أن يقطع عنا أشطان الشيطان، ويصلنا بعباده الذين ليس له عليهم سلطان.

ومن أدل الدلالة على كذب النصارى فى دعوى القتل والصلب: ما رواه متَّى فى إنجيله. قال متي: «سأل اليهود المسيح أن يريهم آية. فقال: الجيل الشرير الفاسق يطلب آية. فلا يُعطي. إلا آية يونان النبى يعنى يونس عليه السلام لأن يونان أقام فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وكذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ».

قال المؤلف: وذلك كذب وغلط بإجماع نقلة الإنجيل؛ لأنه لا خلاف بينهم: أن المأخوذ صُلب فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه ذاك فدفن ليلة السبت، وأقام السبت كله مدفوناً ثم طُلب ليلة الأحد بغَلَس فلم يُوجد. فمنهم من قال: قام ليلة الأحد، ومنهم من ذكر أنه قام يوم الأحد باكراً. وإذا كان الأمر كذلك؛ فلم يقم فى بطن الأرض سوى يوم واحد وليلتين.

قال المؤلف:ولنذكر عشر مسائل مفحمات، تُفحم من وردت عليه من النصاري.من ردها منهم كفر بالتوراة والإنجيل والنبوات، ومن قبلها كفر بالأمانة التى لهم، والصلوات، ودين النصرانية جملة.

المسألة الأولى من العشر المفحمات:

هو أنا نسألهم عن قول القائل: إن الله الأزلى خالق العالم، ونافخ الروح فى حواء وآدم؛ هو إله واحد فرد حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم. أحق ذلك أم باطل؟

فإن قالوا: إنه حق. أبطلوا دين النصرانية، وكفروا بالأمانة والصلوات الثماني التى لهم. إذ سائر فرق النصارى اليوم يدينون بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بنى آدم يُسمَّى أيشوع. والنصارى. يقرءون فى أمانتهم التى هى أصل

دينهم: «نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد أيشوع المسيح الإله الحق الذى بيديه أتقنت العوالم وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد المحيي» فعبدوا ثلاثة آلهة، والتوراة وسائر النبوات تقول: هو واحد ـ جل وعلا ـ ويقرءون فى صلاة لهم تعرف عندهم بصلاة النوم: «الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة أيها الأب؛ لأنك لم تزل، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة. ثالوث واحد».

فقد صرحوا فى الأمانة التى لهم والصلوات بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بنى آدم يسمى أيشوع المسيح. وذلك مضاد للتوحيد الذى سلّموا صحته. وإن قالوا: بل ذلك باطل وكُفر؛ كفروا بتوراة موسى وإنجيل عيسى ومزامير داود ونبوة إشعياء وسائر النّبوات.

قال الله فى التوراة: «يا موسى أنا الله ربك ورب آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. قد ذكرت عهدى لإبراهيم، وقد عرفت ذلّ شعبى بمصر، اذهب إلى فرعون، وقل له: هكذا يقول لك إلّه إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ أرسل شعبى يعبدني. فقال موسي: يارب أنا أذهب إلى بنى إسرائيل فأقول: الرب إلّهكم أرسلنى إليكم. فيقولون لي: ما اسمه؟ فقال الله تعالى: قل لهم: الأزلى الذى لم يزل؛ أرسلنى إليكم. وقال: هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم. وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: يَهْوَه إله آبائكم. إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد. وإلى دهر الداهرين» (١) .

وقال الله لموسى فى التوراة: «أنا الله إلهك. فلا يكن لك إله غيري. فلا تعبده ولا تسجد له ولا تشبهه بشيء مما فى السماء ولا مما فى الأرض ولا مما فى البحار»(٢) وقال الله تعالى فى التوراة: «اعلم: أنى أنا الله وحدى وليس معى غيري، أنا أُميت وأحيى وأنا أسقم وأبرئ، ولا ينجو أحد من يدي» (٣) . وإفراد

---

(١) خروج ٣: ٦ + وفى الأصل «أهيا شر أهيا» ومعناها «الأزلى الذى لم يزل» .

(٢) خروج ٢٠: ٢ + .

(٣) التثنية ٣٢: ٣٩ انظر أيضا: مزمور ١٠٢: ٢٧ وإشعياء ٤١: ٤ و ٤٨: ١٢ .

البارى بالوحدانية ونفى الشركاء فى التوراة كثير جدا.

وقال المسيح فى إنجيل متي: «لا صالح إلا الله الواحد» (١). وقال المسيح فى إنجيل يوحنا ورفع بصره إلى فوق: «إلهي. إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذى أرسلت المسيح» (٢). وقال أيضا فى إنجيل متى جواباً للشيطان. حين قال له اسجد لى وأعطيك جميع ما فى العالم: «اغرب عنى يا شيطان؛ فإنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وله وحده أعبد» (٣). وقال فى إنجيل يوحنا: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم» (٤). وقال فى إنجيل يوحنا أيضا: «إنى لم آت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلني» (٥). وقال فى إنجيل مَرقس: «إلهى إلهى لِمَ تركتني» (٦).

وقال فى إنجيل متى: «يا أبت إن أمكن صرف هذا الكأس عني؛ فاصرفها لكن كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا» (٧). وقال مرقس فى إنجيله: «سُئل المسيح عن يوم القيامة فقال: لا يعرفها ملائكة السموات ولا الابن يعرفها، ولا يعرف ذلك اليوم سوى الأب وحده» (٨).

وقال فى إنجيل يوحنا فى الفصل الأول منه: «الله لم يره أحد قط» (٩). وقال فيه لليهود: «لِمَ تطلبون قتلي. وأنا رجل كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله تعالى» (١٠).

وقال لليهود أيضا: «لم تمجدون الناس ولا تمجدون الله الواحد» (١١) وقال فى

(١) متى ١٩: ١٦ + .
(٢) يوحنا ١٧: ٣ .
(٣) متى ٤: ١٠ انظر أيضا: تث ٦: ١٣ و ١٠: ٢٠ ويش ٢٤: ١٤ واصم٧: ٣ .
(٤) يوحنا ٢٠: ١٧ .
(٥) يوحنا ٦: ٣٨ .
(٦) متى ٢٧: ٤٦ وأيضا: مزمور ٢٢: ١ .
(٧) متى ٢٦: ٤٣ .
(٨) ليس المراد يوم القيامة وإنما المراد فتح المسلمين لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب والنص فى مرقس ١٣ .
(٩) يوحنا ١: ١٨ .
(١٠) يوحنا ٨: ٤٠ .
(١١) يوحنا ٥: ٤٤

إنجيل متي: «إن ربكم واحد فرد» (١). وقال شمعون الصفا في كتاب فراكسيس تأليف لوقا: «يا بني إسرائيل اسمعوا مقالتي: إن يسوع الناصري رجل ظهر لكم من الله بالقوة والأيدي والعجائب التي أجراها على يده» (٢).

وقال داود في المزمور الثامن عشر: «الله لا ريب فيه، هو منجي من توكل عليه، لا إله إلا الرب ولا عزيز مثله» (٣).

وذلك في المزامير كثير جداً.

وقال داود في المزمور الخمسين: «اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوبخك على ذبائحك. قودك أمامي في كل حين» (٤).

وقال فولس في رسائله: «إنه لا إله إلا واحد» (٥). وقال أيضا: «إن كان في الأرض آلهة وأرباب كثير؛ فإن إلهنا نحن إله واحد، هو الأب الذي منه كل شيء ونحن به تعالى» (٦) فمن زعم أن الذي ذكرناه كفر فقد كفر بتوراة موسى وإنجيل عيسى ونبوات الأنبياء.

المسألة الثانية من العشر المفحمات:

إنا نسألهم عن هذا الإله الواحد الأزلي ـ جل وعلا ـ أهو جسم ذو لحم ودم وأعضاء وشعر وظفر أم يتنزه ويتقدس عن ذلك؟

فإن قالوا: إن الباري يتقدس عن ذلك. إذ هو خالق الأجسام؛ أخرجوا المسيح من الربوبية إذ الإنجيل يشهد من فاتحته إلى خاتمته بأنه ذو جسم ولحم وشعر وظفر، لا يفارق المخلوقين في شيء ولا يباينهم في هيئة. وإن وصفوا الباري بهذه النقائص؛ أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات. قال الله تعالى في التوراة: «لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق، ولا في الأرض أسفل، ولا في البحار

---

(١) متى ٢٣: ٩ .

(٢) أعمال ٢: ٢٢ + .

(٣) مزمور ١٨ : ٣٠ + وفي الأصل السابع عشر .

(٤) مزمور ٥٠: ٧ ـ ٨ وفي الأصل التاسع والأربعون .

(٥) رومية ٣: ٣٠ .

(٦) كورنثوس الأولى ٨: ٦ .

تحت، ولا بشيء مما يدبّ من الحشرات والهوام» (١) وغير ذلك. وهو معنى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

وقال موسى فى التوراة: «لا إله مثل إلهنا» (٢) وقال أيضا فيها: «لا إله مثل إله بنى إسرائيل» (٣) والمسيح مما فى الأرض وله أمثال وأشباه وأشكال. وقال المسيح فى الإنجيل: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد قط» (٤) وذلك يقضى بنفى الجسمية عنه.

وقال داود فى المزمور السبعين: «عليك توكلت يا رب، فلا أخزى أبداً، أنت إلهى وحافظى وحصنى الذى ألجأ إليه فى كل حين، أنت صانع العجائب لا نظير لك يا قدوس إسرائيل» (٥) .

المسألة الثالثة من المفحمات:

إنا نسأل النصارى عن الرب الخالق الأزلى إله إبراهيم وداود وسائر العالم، هل يفتقر إلى الطعام والشراب؛ فيجوع ويعطش وينام ويسهر ويحزن ويفرح ويمشى ويركب أو لا؟ فإن قدّسوا البارى عن هذه النقائض؛ تركوا القول بربوبية المسيح؛ إذ الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته يشهد بملابسة المسيح لهذه الأمور، وإن جوّزوا ذلك على البارى ـ جل وعلا ـ كفروا بالإنجيل والمزامير. قال المسيح فى الإنجيل: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد» . وقال داود فى المزمور الخمسين(٦): «اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوبخك على ذبائحك. وقودك أمامى فى كل حين. لا أقبل ثيران بيتك ولا جداء غنمك؛ لأن لى جميع حيوان البرّ وطير السماء ووحش الصحاري، وأحسن الحقول معي، لى الدنيا وما فيها، لا آكل لحوم الثيران ولا أشرب دم المعز، أذبح لله ذبيحة التسبيح، وأوفى للعليّ

---

(١) خروج ٢٠:٤ .

(٢) خروج ١٥:١١ أيضا: صموئيل الأول ٧:١٢ الملوك الأول ٨:٢٢ ومزمور ٨٩:٦ وارمياء ١:٦ واشعياء ٦:٣ .

(٣) التثنية ١٠:١٧ .

(٤) راجع برنابا فى هذا الاقتباس .

(٥) مزمور ٧١:١ + .

(٦) فى الأصل التاسع والأربعين .

نذورك، وادعني في يوم شدتك أنقذك» وقال داود: «إن حارس بني إسرائيل لا تأخذه سِنة ولا نوم» (١) .

فمن زعم أن الباري مفتقر إلى هذه الأمور. فللحيوان البهيم عليه فضل عظيم. بشهادة نبي الله إشعياء حيث يقول في نبوته: «عرف الثور والحمار مَن مالكه، ولم يعرف بنو إسرائيل إلههم».

وقول داود عن الله: «لا آكل لحوم الثيران ولا أشرب دماء المعز» موافق لقول الله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ .

المسألة الرابعة من العشر المفحمات:

إنا نسألهم: هل كان مع الله في أزله إله ثان أو ثالث يشاركه في الربوبية ويساويه في الألوهية، أو لم يزل سبحانه واحداً بغير ثانٍ وثالث؟

فإن قالوا: لم يزل واحداً فرداً؛ وافقوا الملة الحنيفية، وفارقوا دين النصرانية. حيث يقرءون في الصلاة الأولى وهي التي يسمونها صلاة السحر: «أيها المسيح ارحمنا واقبل تضرعنا، تعالوا نسجد لمسيح إلهنا، أيها الرب المسيح حامل خطايا العالم ارحمنا أيها المسيح، أنت وحدك القدوس المتعالي. بار كل يوم إلى الأبد».

وإن قالوا: بل كان معه في أزله آلهة أخرى، أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات. قال الله تعالى في التوراة في السفر الأول منها ـ ويسمى سفر الخليقة ـ: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خالية خاوية غير مرئية، والظلمة غاشية وجه الغمر، وريح (٢) الله يرف على المياه. فقال الله: ليكن كذا ليكن كذا، إلى أن أكمل سبحانه خلق السماء والأرض وما فيها في ستة أيام ثم خلق آدم وخلق منه حواء زوجته» .

فالتوراة من فاتحتها إلى خاتمتها مصرحة بوحدانية الله تعالى وأنه ليس معه إله غيره وأنه مستبد بالخلق والاختراع.

(١) المزمور ١٢١ والمزمور ١٢٧ وإشعياء ٢٧: ٣ .

(٢) اليهود يترجمون ريح وهواء والنصارى يترجمون روح.

وقال التوراة: «وكلم الله آدم» ـ «وكلم الله قايين» ـ «وكلم الله نوحا» ـ «وكلم الله موسي» كل ذلك بلفظ الوحدة ونفى الشركاء.

وقد قال موسى فى السفر الخامس: «إلهي، أيُّ إله فى السماء أو فى الأرض يعمل مثل أعمالك» (١).

وقال موسى فى هذا السفر وهو يوصى بنى إسرائيل: «احترسوا واحتفظوا بنفوسكم جدا؛ فإنكم لم تروا شبها فى اليوم الذى كلمكم الله ورأيتم مجده، إياكم أن تعبدوا آلهة معمولة من الخشب والحجارة وغيرها، فحينئذ تطلبون الله فلا تجدونه، أقبلوا يا بنى إسرائيل إلى الله ربكم وحده، واعبدوه، ووحدوه، تجدونه إذا طلبتموه من كل قلوبكم وأنفسكم؛ لأن الله ربكم إله رحيم لا يخذل ولا يُسْلم من عبده ووحَّده وعلم أنه لا إله غيره. هو رب كل شيء وإلهه، واعلموا: أن الله هو إله فى السماء فوق، وفى الأرض أسفل. وليس إله سواه» (٢).

وقال الله تعالى فى هذا السفر من التوراة: «احفظوا ما آمركم به، ولا تحيدوا عنه يميناً ولا شمالاً، بل سيروا فى الطريق التى أمركم بها إله ربنا واحد فأحبوه من كل قلوبكم وأنفسكم وأموالكم، واكتبوا ذلك فى قلوبكم، وتكلموا به إذا سافرتم أو أقمتم أو رقدتم وشدّوه على أبدانكم، وليكن مَيْسَماً بين أعينكم، واكتبوا على قوائم بيوتكم وأبوابكم، واتقوا الله. وإياه فاعبدوا، وباسمه فأقسموا، ولا تعبدوا آلهة أخرى؛ فالله ربكم إله غيور» (٣).

وقال الله فى التوراة: «إن دعاك قريبك أو صديقك إلى عبادة إله غير الله فاقتله ولا تحنّن عليه ولا ترحمه، أنا الله وحدى وليس معى غيري» (٤).

وقال رجل للمسيح فى الإنجيل: «يا معلم، ما أول الوصايا؟ فقال المسيح: أول الوصايا كلها: اسمع يا إسرائيل، الرب واحد، أحبب الرب إلهك من كل قلبك

---

(١) تث ٣: ٢٤.
(٢) تث ٤: ١٥ +.
(٣) تث ٥: ٣٢ +.
(٤) تث ١٣: ٦ +.

ومن كل قوتك. ففى هذا جميع نواميس الأنبياء» [١] وقال المسيح فى إنجيل يوحنا ورفع رأسه إلى السماء: «أنت الإله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع» [٢] وقد قال فى النبوات: «أنا الله الأول، أنا الله الآخر. وليس معى غيري» [٣] .

فمن زعم أن مع الله تعالى غيره؛ فقد كفر بما تلوناه من كتب الله، وصار لا مسلما ولا يهودياً ولا نصرانياً. ومن صرّح بذلك لم يقبل منه سوى الإسلام أو السيف.

المسألة الخامسة من العشر المفحمات:

إنا نسأل النصارى عن الرب الأزلى ـ جلّ وعلا ـ هل يجوز أن يُقهر ويُغلب ويُقتل ويُصلب أو لا؟ فإن نزهوا البارى عن ذلك أبطلوا قولهم فى المسيح، إذ يقرأون فى صلاة الساعة السادسة: «يا من سُمّرت يداه على الصليب خرّق العُهْدة المكتوب فيها خطايانا وخلّصنا، يا من سُمّر على الصليب وبقى حتى لصق دمه عليه، قد أحببنا الموت لموتك، نسألك ياالله بالمسامير التى سُمّرت بها نَجّنَا».

وإن جوّزوا ذلك على الله تعالى أكذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير، إذ التوراة تشهد فى السفر الأول منها: أن الله أنزل الطوفان، وأهلك الجبابرة والفراعنة والطغاة والنماردة وسائر الملوك من بنى آدم وكل ذى روح من الحيوان البهيم وغيره، وكذلك تشهد: أن الله أغرق فرعون وهو فى ستمائة ألف فارس فى البحر فى ساعة واحدة، ولم يُقهَر سبحانه ولم يُغلب بل هو القاهر الغالب ـ جلّ وعلا ـ وقد قال المسيح فى إنجيله: «لا صالح إلا الله الواحد» و«لا يعلم يوم القيامة سوى الله وحده» فمن ألحق بالله شيئاً من هذه النقائص؛ فقد افترى على الله ـ تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا ـ .

قال داود فى المزمور الثامن عشر: «لا إله إلا الله، لا عزيز مثل إلهنا، الذى علّم يديّ القتال، وشدد ذراعى مثل قوس النحاس، يمينه نصرتني، أطلب أعدائى

(١) مرقس ١٢: ٢٨ + أيضا تث ٦: ٤ ـ ٩ .

(٢) يوحنا ١٧: ٣ .

(٣) إشعياء ٤٤: ٦ .

فأدركهم، عضدى فى الحرب، بقوته جعل الذين قاموا عليّ تحتي، سحق أعدائى مثل التراب. و مثل طين الطرق أطؤهم، صيّرنى رأساً على الشعوب» [١] .

المسألة السادسة من العشر المفحمات:

إنا نسأل النصارى عما تضمنه الإنجيل من أقوال المسيح وأقوال تلاميذه فيه. أحق هو أم باطل؟ فإن زعموا أنها باطلة؛ كفروا بالمسيح، وساووا فى ذلك اليهود والمجوس وغيرهم. وإن قالوا: إنها حق وصدق، اعترفوا بعبودية المسيح ونبوته ورسالته أسوة غيره من الأنبياء والمرسلين. إذ قال المسيح فى إنجيله: «أنا ذاهب إلى إلهى وإلهكم» وقال المسيح فيما حكوا عنه: «إلهى إلهى لِمَ تركتني؟» ولا خلاف بين النصارى أن المسيح تطهّر وتعمّد وصام وصلى وتعبّد وأخلف إلى العلماء فى طلب العلم وتردد وفاوضته امرأة من السامرة فقالت له: «إن آباءنا سجدوا فى هذا الجبل، فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟فقال: يا هذه أنتم تسجدون لما لا تعلمون، ونحن نسجد لمن نعلم». أخبرها أن له رباً يسجد له، وإلها يعبده. وذلك مصدق لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ .

وقد قال متّى فى إنجيله: «إن المسيح حين دخل أورشليم ارتجّت المدينة لدخوله، وقال الناس: هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل» [٢] .

وقال لوقا فى إنجيله: «صحب يسوع بعد قيامه رجلين، وهما يتحدثان فى أمره، فقال لهما: من تذكران؟فقالا: يسوع الناصري. كان رجلاً نبيا قوياً بالأعمال». فأقرّهما ولم ينكر عليهما.

وقال لوقا: «لما أحيا يسوع المسيح ابن الأرملة وسلّمه إلى أمه، قال الناس: لقد قام فينا نبى كريم، وتعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع ذلك فى اليهودية» [٣] ولم ينكره عليه السلام.

وقال يوحنا فى إنجيله: «كان الناس إذا سمعوا كلام المسيح ورأوا وجهه

---

(١) المزمور ١٨ وهذا المزمور عن محمد ﷺ وهو يبين تآمر أعدائه وانتصاره عليهم.
(٢) متى ٢١: ١٠+ .
(٣) لوقا ٧: ١٢ + .

قالوا: هذا النبى حقا»[١]. وقال لوقا: «قال الفَرِّيسيون ليسوع: اخرج من ههنا، فإن هيرودس يريد قتلك. فقال: امضوا وقولوا له: إنى أقيم ههنا اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أكمل. لأنه لا يهلك نبى خارجاً عن أورشليم» وقال يوحنا حبيب المسيح: «إن المسيح لما أطعم من حوتين وخمس خبزات جمعاً عظيماً، قال الناس: حقا إن هذا لهو النبى الآتى إلى العالم».

فإن صَدَّق النصارى أقواله وأقوال تلاميذه؛ فقد اعترفوا بعبوديته ونبوته، وإن ردوا أقواله، كفروا به جملة، وساووا فى ذلك سائر الكفار.

المسألة السابعة من العشر المفحمات:

إنا نسأل النصارى عن أيشوع المسيح، هذا الذى يتخذونه إلهاً مع الله، هل كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون وأهل مللهم فى زمانهم يعرفونه أو لا؟

فإن زعموا: أنهم ما كانوا يعرفونه؛ فقد أزروا على من ذكرنا من أنبياء الله وأهل صفوته وشهدوا عليهم بالكفر الصريح، إذ كانوا لا يعرفون ربهم يسوع المسيح الذى لا يصح التوحيد دون معرفته.

وإن قالوا: إنهم كانوا عارفين به أنه هو ربهم وخالقهم، أكذبتهم كتبهم ونبواتهم، إذ ليس فيها من هذا القبيل، وأزروا على المسيح وعلى تلاميذه وخطّأوهم فى أقوالهم؛ إذ يخاطبون المسيح بلفظ العبودية والنبوة والرسالة. كما تقدم فى بابى عبوديته ونبوته. وكيف يكون المسيح رب موسى وإبراهيم ومَن ذكرنا وشمعون الصفا رئيس الحواريين يقول فى رسائله إلى إخوانه: «اعلموا: أن الله أرسل إليكم يسوع المسيح»[٢]، ويقول: «اعلموا: أن المسيح رجل جاءكم من الله بالقوة والأيد»[٣]

فكيف يكون المسيح رباً وإلهاً والمعمدانى يغسله ويعمّده بالماء، ويقول حين رآه: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدى وهو أقوى مني؟». وكيف يكون المسيح إلها لداود وغيره. وداود يقول فى مزاميره: «إن المسيح يكون كاهناً مؤيداً من

(١) يوحنا ٧: ٤٠ .

(٢) أعمال ٢: ٢٦ .

(٣) أعمال ٢: ٢٢ + .

الله، يُشبه «ملكى صادق» خادم البيت المقدس؟وقد قال المسيح: إنه أفضل من يونس بن متي، وإنه أفضل من سليمان. وقال فُولس: إنه أفضل من موسى بن عمران. فهذه الأقوال من المسيح ومن خيار أصحابه ومن سبق عليه من الأنبياء؛ دليل على كذب النصارى.

المسألة الثامنة من العشر المفحمات:

إنا نسألهم عن آدم عليه السلام لما زلّ وهَفا. هل استرجع وتاب، وأقلع وأناب أو لا؟ فإن زعموا أن آدم لم يتب؛ أكذبتهم الكتب التى بأيديهم؛ فإنها مصرحة بأنه حين أسف وندم؛ لجأ إلى الله، وتاب الله عليه. وإن اعترفوا بتوبته - ولا بُدَّ لهم من ذلك - قيل لهم: فلا حاجة إذاً إلى قتل المسيح وصلبه إذ التوبة تمحو الجريرة، ولا تدع على التائب صغيرة ولا كبيرة. فإن قالوا: إنه لابد من قتل المسيح. فالتوبة لا أثر لها بل حال التائب بعد التوبة النصوح، كحاله قبل التوبة فى ملابسة القبيح.

فالقول بصحة التوبة؛ ينفى القول بالقتل والصلب، والقول بالقتل والصلب؛ ينفى صحة التوبة.

المسألة التاسعة من العشر المفحمات:

إنا نسأل النصارى: هل يُوصف البارى - سبحانه - بالجهل بالغيب أو لا؟فإن وصفوه بذلك؛ تجاهلوا، إذ التوراة والإنجيل وسائر كتب التنزيل تشهد بأنه تعالى عالم بالمغيبات، محيط بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾؟

فإن قالوا: إنه لا يصلح من هذا حاله للربوبية. تركوا ما يهتفون به من ربوبية المسيح إذ سُئل عليه السلام عن القيامة وعن يومها. فقال: لا أعرف يومها ولا ساعتها ولا يعرفها إلا الله وحده. وقال لمريم ومرثا - أختى لعازر - حين مات: أين دفنتموه؟ وقال عليه السلام لرجل: «منذ كم أصاب ابنك هذا المرض؟» وقصد شجرة تين ليصيب منها، فلم يجد بها ثمرة فدعا عليها، وجاءته الكنعانية مؤمنة

به، فلم يعلم بإيمانها.

فهذا مصرح بأن المسيح عليه السلام لا يعلم إلا ما علّمه الله ربه وإلهه. وفى ذلك تكذيب لقولهم فى الأمانة التى لهم. إذ يقولون: إن المسيح إله حق وإنه خالق كل شيء، وإنه بيديه أُتقنت العوالم. فإن كانت الأمانة صحيحة؛ فقد كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صحيحاً؛ فقد كفر من عقَد لهم هذه الأمانة، التى هى فى الحقيقة فساد الأمانة.

المسألة العاشرة من المفحمات:

إنا نسأل النصارى، هل كان البارى تعالى يُوصف بالقدرة على خلاص آدم وذريته، دون قتل المسيح وصلبه والتنكيل به أو لا؟

فإن قالوا: لا يقدر على ذلك؛ جعلوا الله مضطرا مدفوعا إلى قتل المسيح، عاجزا عن خلاص عباده إلا بذلك، وأكذبتهم التوراة والإنجيل وسائر كتب التنزيل، إذ تقول: إن الله خلق العالم بما فيه، وفعل من ذلك ما شاء وأراد ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ .

وإن وصفوا البارى بالقدرة على ذلك جَوَّروه ونسبوه إلى الحيف على المسيح وذلك يفسد عليهم القول بالتحسين والتقبيح.

دعوى للنصارى فيما يرومونه من قتل المسيح وصلبه:

زعموا بأجمعهم: أن آدم لما تخطّى ما أُمر به وزل؛ استحق العقاب. فلما توجه عليه العتاب؛ أشفق من ذنبه وتقطع أسفا على مخالفة ربه. فرحمه الله ولطف له وفداه بابنه المسيح. فكان كل ما نزل بالمسيح من ضرب وإذلال وصلب وموت إنما هو فداء وقضاء عن آدم؛ فضُرب عوضاً من رفاهية آدم، وأهين بدلا من عزّه الذى أمّله بالخلود فى الجنة. وصُلب على خشبة لتناوله الشجرة، وسُمرت يداه لامتداد يد آدم إلى الثمرة. وسقى المرَّ والخلّ عند عطشه، لاستطعام آدم حلاوة ما أكله. ومات بدلاً عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه لولا قتل المسيح؛ فاقتضت حكمة الله الأزلى أن لا يُعذب عبده آدم لوجود التوبة النصوح الصادرة

منه، وأن لا يُهمل مجانا فيقع الخُلف فى خبره، وذلك رحمة من الله ولطف لآدم وبنيه، وإظهار الشرف للمسيح. إذ جعله كبش قربان العالم بأسره. فصبر المسيح ولم ينازع، واستسلم ولم يدافع. فهذه هى الحكمة فى قتل المسيح وصلبه.

والجواب: أن نقول: أليس قد وافقتم على أن آدم لما ورد عليه العتاب استرجع وتاب، وأقلع وأناب؟وإذا كان الأمر كذلك، فأيٌّ شيء أنفت التوبة من ذنبه، حتى يقتل المسيح فداءً عنه؟ والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فصار قتل المسيح عبثا، والرب يتعالى ويتقدس عن العبث، وليس قوله تعالى لآدم نصاً، بل هو ظاهر يدخله النسخ والتخصيص. والدليل عليه: أنه لو وصله بالكلام وقال: إن عصيتنى عذبتك إلا أن تتوب؛ لقبله الكلام ولم ينبُ عنه، ولعُدّ كلاما حسنا، وإنما ترك الزيادة فلم يصلها بالكلام ليكون أدعى إلى الانكفاف. وهكذا كل ظاهر. فإنه يرد مطلقا بلفظ يوهم التأبيد ثم يجيء الناسخ والمخصص. فيبين أن المطلوب وقتا قد انقضى ومضى، وأنه ليس مسترسلاً أبداً. فهو سبحانه توعّد آدم إلا أن يتوب. وقد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ فلا معنى بعد ذلك لقتل المسيح. ثم نقول لهم: أخبرونا عن هذا القضاء الذى تدّعونه، أليس هو استدراك مصلحة الأداء، وهو أن يأتى القاضى بمثل ما فَوّت؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فالذى فَوّته آدم هو الانكفاف عن الأكل، وقد قضاه المسيح بصومه ووصاله أربعين يوما بلياليها. كما حكيتم عنه فى الإنجيل. وفى ذلك قضاء لما ضيّعه آدم؛ لأنه من جنس الأداء المفَوّت، فلا حاجة إلى قتل المسيح. إذ هو خارج عن جنس الأداء المضيَّع.

فإن قالوا: إن آدم وجب عليه موت المعصية. وهو: الخلود فى النيران أبدا. وهو أعظم الموتتين، فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت، فصار من جنسه. فنقول: هذا باطل؛ لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم؛ لكان المسيح قد أماته الله موت الخطيئة، فكان يكون مخلداً فى دركات النار بدلاً عن آدم. فأما إذ مات موت الطبيعة ـ وهو ينقضى عن صاحبه وشيكاً ـ فكيف جعلتم موتاً لابقاء له مكافئا لموت لاانتهاء له؟ فبطل ما عوّلتم عليه، وإذا بطلت دعواكم،

بطل قتل المسيح. إذ صار ساذجاً عن المعنى، فارغا من الفائدة. والرب يتعالى عن العبث.

ثم نقول لهم: أليس ولد الصُّلب أوْلى من ولد الابن، وولد البنت فى الميراث وكثير من الأحكام؟فما الذى أصار المسيح على بُعْده أحَقُّ من «شِيث» ومَن فى درجته بهذا الفداء والقضاء؟فإن قالوا: المسيح هو ابن الله ولم يصلح لفداء الخلائق وخلاص الأمم سواه.

قلنا: ليس من العدل أن يجنى ابن آدم؛ فَيُقتل ابن الله فى جنايته. ثم نقول: أليس إسرائيل عندكم فى التوراة هو بكر الله، والبِكْرُ أوْلى وأفضل عند أبيه من غير البِكر؛ فهلا فداه به ولم يدع الناس فى العذاب إلى حين مجيء المسيح؟

ثم نقول: إن المسيح [1] عند طائفة منكم هو الله الأزلي، وعند أخرى هو ابن الله، فكيف يستقيم أن يقتل الله نفسه أو ابنه بدلاً عن عبده؟و﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ فكيف يتوفى نفسه، فيتحد القاتل والقتيل فيكون قاتلا قتيلا؟

ثم نقول: أرأيتم لو أن رجلا أمر عبده بأمر. فخالفه العبد فغضب عليه وتوعده فخافه العبد وأشفق من عقوبته وراجع خدمته وشمر فى مرضاته؛ فعطف عليه مولاه فرحمه، ثم عمد إلى ولد نفسه فقتله وصلبه على أعلى جِذع، ثم التفت إلى عبده فقال: هذا فداؤك. أكنتم تعدونه حكيما؟

ثم نقول: ألستم عبتم قول ربنا جلَّ اسمه: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وزعمتم: أن ذلك ظلم وحيف لا يليق بالحكمة؟فكيف نسيتم نفوسكم ههنا، وجوزتم أن يقتل الله المسيح ويصلبه وينكل به فداء عن آدم، ولم تجعلوا ذلك ظلما وحيفا؟ والجور لا يجوز على الولد، كما لا يجوز على العبد والأجنبي.

ثم نقول: أليس يجب أن يكون القضاء متصوراً بصورة الأداء ـ وهو أن يأتى القاضى بمثل ما فات ـ والمسيح عندكم ليس مثل آدم، لأن آدم إنسان محض

---

(١) عند الأرثوذكس هو الله متجسد ، وعند الكاثوليك ثالث ثلاثة والابن عند الكاثوليك ابن طبيعي.

والمسيح ليس محضا، بل قلتم: إنه عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا، وإذا كان الأمر كذلك، فليس فى قتله ما يقضى عن آدم.

فإن قالوا: هذا بمثابة مَنْ عليه درهم، فقضى درهما ودينارا، فإن ذلك يُعَدُّ من حسن القضاء. قلنا: هذا خطأ فى التمثيل، بل ذلك بمثابة مَنْ عليه صوم فقضاه بصلاة أو زكاة؛ لا يكون قضاء. وإذا كان المسيح ليس إنسانا محضا، فكيف يكون مكافئا لإنسان محض وآدمى صرف؟

ثم نقول: بم تنكرون على من يزعم أن الذى فُدِى به آدم إنما هو هابيل ابنه لصُلبه؟ فإنه استسلم للقتل فحصلت له الشهادة ولأبيه الفداء؟ وهذا أوْلى الوجهين:

أحدهما: أنه من جوهر أبيه آدم، فهو إنسان حق من إنسان حق من جوهر آدم. فأما المسيح فهو عندكم إله حق من إله حق من جوهر الله. كما عقدتم فى أمانتكم.

والوجه الثاني: أن الفداء بهابيل المبادرة إلى خلاص الخلائق من الجحيم، وفى الفداء بالمسيح بقاء آدم وذريته فى العذاب خمسة آلاف سنة.

وكان الفداء بهابيل أوْلى. ولا سيما على أصلكم؛ فإنكم توجبون على الله تعالى رعاية الأصلح لعباده، وليس من الصلاح ـ فضلا عن الأصلح ـ أن يعاقب الله عبيده آلافا من السنين. وله مندوحة عن ذلك.

ثم نقول: ألستم رويتم عن توراتكم: أن الله كان قد فدى ولد عبده إبراهيم بذبح عظيم؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: أفكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح أم تقولون: إنه أعوزته الغنم. فلم يقدر على رأس يذبحها ويريح العالم من الفتنة؟ وقد رويتم لنا ما يدل على أن البارى ـ سبحانه ـ صان المسيح عن شر أعدائه، وحماه من القتل والإهانة التى ذكرتم فى التوراة: أن الله تقدم إلى إبراهيم بذبح ولده، فلما عزما على امتثال أمر الله لطف الله بهما وفدى الولد وتعقب ذلك الأمر الحزم والحكم الحتم رحمة لعبده، وإذا كان ذلك جائزا فى حكمه، فلعل الله تعالى قد أمر المسيح فى حق نفسه بما أمر به إبراهيم فى حق ولده، فاستسلم المسيح وانتهى إلى ما أمره الله به، وصار يخبر بذلك تلاميذه، كما كان

إبراهيم يخبر به ولده.

ثم لما صحَّ عزم المسيح على تجرع الكأس الذى أمر به، لطف الله به ورحمه وفداه برجل قد حضر أجله؛ فإن عناية الله بالمسيح لا تتقاصر عن عنايته بولد عبده إبراهيم.

وقد حكيتم لنا: أن حَزَقيا ملك يهوذا مرض، فأوحى الله إلى إشعياء عليه السلام أن قل لحزقيا يوصى فإنه ميت من علّته هذه. فدخل إليه إشعياء عليه السلام وأخبره بوحى الله، فاستقبل حزقِيا الجدار، وبكى وتضرع إلى الله تعالي. فنزل الوحى على إشعياء قبل خروجه من الدار. وقال: قل لحزقيا: إنك تُعافى من علّتك هذه، وتنزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام. وقد زيد فى عمرك خمس عشرة سنة [1].

وإذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى، فما الذى أحاله فى حق المسيح، وقد تضرع إلى الله غير مرة فى صرف كأس المنية عنه كما شهد به الإنجيل؟ والمسيح لا ترّد له ـ عندهم ـ دعوة، فلعل الله ـ تعالى ـ قد أجاب دعاءه ورحم نداءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه.

ثم نقول لهم: ويم تنكرون على من يرى أن الله تعالى تاب على عبده آدم، وعافى نبيه المسيح وفداه بكافر عجّله إلى النار، أو بمؤمن عجله إلى الجنة؟ فأى شيء تنكرونه من ذلك؟ وقد بينا فيما تقدم وقوع الشبه وسؤال رئيس الكهنة للشبه: «أأنت المسيح؟» وتورية الشبه فى الجواب، وأنه لو كان هو المسيح نفسه، لما استعمل الحيدة مع استغنائه عن ذلك.

ويقال للنصارى: ما تقولون فى أحدنا اليوم إذا عصى ربه وارتكب إثماً واحتقب وزراً. أتجزيه التوبة أم لابد أن يقتل ويصلب؟

فإن قلتم: تجزيه التوبة؛ فمن أصاره بهذا التخفيف أوْلى من صفيّ الله آدم؟ إذ قلتم: لابد مع توبته من قتل المسيح لأجله.

وإن قلتم لا تجزيه التوبة؛ أكذبتم فولس الرسول، حيث يقول فى صدر كتابه: «أتراك تقدر على الهرب من عقوبة الله الذى أنت مجترئ عليه؟ أوَ لا تعلم

(١) إشعياء ٣٨ .

أن إمهال الله لك إنما هو ليقبل بك إلى التوبة؟»[1].

فقد صرح فُولُس فى هذا الكلام بأن التوبة مجزئة ومخلصة، فلا حاجة إلى قتل وصلب. ويقال للنصارى: ألستم تعلمون أن الله إنما فدى آدم بالمسيح رحمة لآدم وامتنانا عليه فقتل المسيح بدلا من الموت الذى وجب على آدم؟ فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: أليس ناسوت المسيح إنسانا من بنى آدم يحس ويألم ويفرح ويغتم؟

فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: فكيف فدى آدم ببعض آدم، فقد صارت النعمة مشوبة بالكدر، والنفع الحاصل مشوشا بالضرر؟ فإن قالوا: هذا بمثابة المال يشرف على الهلاك، فتقضى الحكمة إتلاف بعضه لصون بقيته. فنقول: إنما ذلك لعسر الأمر على المالك، إذ هو مدفوع إما لهلاك الكل أو البعض، فكأنه كالمكروه المحمول على ذلك، والله سبحانه لا مستكره له وليس مضطرا ولا محمولا ولا يفعل ما يفعله لعلّة، فلو عفا عن جرم عبيده وأحسن إليه لم يعد ذلك منه إلا حسنا ولم ينقص الإحسان خزائنه، ولو عاقب أطوع الناس؛ لم يقبح ذلك منه. وقد أخبرت التوراة: أن الله تعالى عفا عن «السامري»[2] مع عظم جرمه. وأهلك بَلعام[3] بن بَعُور مع سابق معرفته ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ .

ويقال لمن زعم أن خطيئة آدم قد عمّت سائر أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح: فالتوراة والنبوات تردّ هذه المقالة الشوهاء. وذلك أن التوراة تقول فى السفر الأول ـ وهو الذى يعرف بسفر الخليقة ـ لقابيل الذى قتل هابيلا، وردَّ الله عليه قربانه، ولم يتقبله: «إنك إن أحسنتَ تقبلتُ منكَ، وإن لم

---

(١) رومية ٢: ٣ + .

(٢) معنى «السامري»: المضلّ، لا أنه رجل بعينه. وكان العبرانيون يطلقون على المسيح لقب «سامري» بمعنى المضل. والسامريون كانوا يريدون بالمثل على العبرانيين «ألسنا نقول حسنا: إنك سامري، وبك شيطان؟» [يو ٨: ٤٨] .

(٣) بلعام بن بَعُور. قال عن يوم القيامة: «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» [عدد ٢٣: ١٠] وفى القرآن الكريم: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ وقال عن محمد رسول الله ﷺ: «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبا» [عدد ٢٤: ١٧] .

تحسن؛ فإن الخطية رابضة ببابك» (١) وإذا كان الأمر كذلك؛ فقد صار إحسان المحسن من بنى آدم مطهّرا له ومخلّصا؛ فلا حاجة إلى شيء آخر.

وقال الله تعالى فى السفر الأول من التوراة: «إنى سأجزى هابيل عن الواحد سبعة» وفى ذلك مندوحة عن التطهير بقتل وصلب، إذ الجزاء طهرة وزيادة.

وقد قال الله تعالى فى بعض النبوات: «لا آخذ الولد بخطية والده ولا الوالد بخطية ولده. طهارة الطاهر له تكون، وخطية الخاطئ عليه تكون» وذلك موافق لقول ربنا جلّ اسمه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

وقد قال الله فى المزمور الرابع: «يا بنى البشر حتى متى أنتم ثقيلوا القلوب؟لماذا تهوون الباطل وتتبعون الكذب؟اغضبوا ولا تأثموا، والذى تهمون به فى قلوبكم؛ اندموا عليه فى مضاجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر وتوكلوا على الرب» (٢) فهذا المزمور من مزامير داود يقول: إنه لا حاجة إلى قتل المسيح. إذ كان الندم والتوكل على الرب تعالى فيه مندوحة عن ذلك.

وقال الله تعالى فى المزمور الأول: «طوبى لمن لم يتبع سبيل المنافقين، ولم يقف فى طريق الخاطئين، ولم يجالس المستهزئين، لكن فى ناموس الرب يدرس الليل والنهار» (٣) فقد أخبر الله تعالى على لسان داود عليه السلام أن الاشتغال بأسباب الخير ومفارقة أهل الشر مخلّص. فلا حاجة إلى الخلاص بقتل المسيح وصلبه.

وقال فولس ـ خطيب النصارى ومتكلمهم ـ: «أولا تعلم أن إمهال الله لك إنما

---

(١) تكوين ٤ : ٦ ـ ٧ واضيف إلى كلام المؤلف: «وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء؛ فهى تزدرى بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها؛ لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعا تقطع تلك النفس. ذنبها عليها» [عدد ١٥ : ٣٠].
«لا يُقتَل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يُقتَل» [تث ٢٤ : ١٦] وفى المزمور المائة والتاسع عشر لداود: «نفسى دائما فى كفيّ. أما شريعتك فلم أنسها» [مز ١١٩ : ١٠٩].
وفى إنجيل متى يقول المسيح: «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تَتبرر، وبكلامك تُدان» [متى ١٢ : ٣٦ ـ ٣٧] .

(٢) مزمور ٤ : ٢ .

(٣) المزمور الأول وهو الذى أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب...﴾ .

هو ليقبل بك إلى التوبة» [١] فإن كان لابد من قتل المسيح لضرورة خلاصهم؛ فلا معنى لتوبة الله على عبده. والدليل على أن التوبة ماحية للخطيئة. قول الإنجيل: إنه لما أُسْلِم المعمدانى للقتل، خرج يسوع إلى الجليل، وجعل ينادى ويقول: قد كَمُل الزمان واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا وآمنوا بالبشرى» [٢] . فقد شهد المسيح عليه السلام فى هذا الكلام بأن التوبة تستقل بمحو الآثام. فلا حاجة إلى محوها بأمر آخر.

ويقال للنصارى: ما تقولون فيمن اخترموا قبل مجيء المسيح. أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟ فإن قالوا: مؤمنين، فقد سلَّموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح فى تخليصهم، إذ إيمانهم هو الذى خلصهم. وإن قالوا: بل كانوا كفارا؛ أكذبهم المسيح. إذ يقول فى الإنجيل: «إنى لم أرسل إلا إلى الذين ضلّوا من بيت إسرائيل» ـ و«إن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء». ثم نقول لهم: ألستم تزعمون أن المسيح إنما تجشَّم ونزل من السماء لخلاصكم. معشر الناس، كما عقدتم فى الأمانة التى لكم؟

فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فما قولكم فيمن مات قبل نزوله عليه السلام؟

وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟ فإن قالوا: تعذَّر تلافى أمره وفات استدراكه بموته. قلنا لهم: جوَّرتم المسيح ونسبتموه إلى الظلم والحيف، حيث لم ينزل لخلاصهم قبل موتهم. فلِمَ أخَّر ذلك حتى اختُرموا على الكفر والضلال؟

---

(١) رومية ٢: ٣ + .

(٢) فى الإنجيل أن يحيى عليه السلام قتل وصلب. وفى القرآن أنه لم يقتل ولم يصلب. وذلك لأن الله يقول عن يحيى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أثبت موتا لا قتلا. ويقول عن عيسى ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أثبت موتا لا قتلا وأكده بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ وبقوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ .

ويقول النصارى: إن يحيى وعيسى كانا يدعوان معا بدعوة واحدة وهى اقتراب ملكوت الله. ويسمى أيضا بملكوت السموات «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدانى يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» {متى ٣: ١} «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» {متى ٤: ١٧} والبشرى: هى الإنجيل. أى آمنوا ببشارتى عن محمد ﷺ. وهو لفظ يونانى بمعنى الخبر السار.

وكيف صار الأحياء أحق برحمة المسيح عندكم من الأموات؟وفى هذه المقالة هدم أصلكم فى التحسين والتقبيح. وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح لما جاء دعا الأحياء وهو حي، ثم مات فدعا الأموات فى أجداثهم، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك. فنقول: أدعاهم فى أجداثهم وهو حى أم دعاهم وهو ميت؟

فإن قالوا: دعاهم وهو ميت؛ سقطت مكالمتهم؛ لتبين جنونهم. وإن قالوا: دعاهم وهو حي؛ نقضوا قولهم: إنه مات فدعا الأموات. ثم يقال لهم: هب أنا ساعدناكم على هذا المحال. فهل لما أتى الأموات دعا المؤمنين والكفار أو اقتصر على دعاء المؤمنين فقط؟

فإن قالوا: دعا الجميع. قلنا لهم: فلعلّه قد دعا فرعون ونمرود فآمنا، ودعا جماعة من الموحدين فلم يجيبوا، فهل تشكون فى أحد من الفريقين؟فإن توقفوا فى ذلك. فقد جوّزوا أن يكون فرعون الآن فى الجنان، ومن مات على التوحيد فى دركات النيران؛ لاحتمال تغير الحال. وإن منعوا ذلك وقالوا: بل كل من الفريقين على ما مات عليه من كفر وإيمان. قلنا: فدعاء المسيح إياهم وموته بسببهم؛ وقع عبثا. وإن قالوا: لابد من صورة الدعوة لإقامة الحجة عليهم فى القيامة. قلنا: قد دعتهم أنبياؤه ورسله وأقاموا الحجة عليهم، فما حاجته إلى تجشّمه أمرا قد فرغ منه؟إلا أن تقولوا إنه اتهم أنبياءه فى الرسالة والسفارة، أو أنه لم يعلم ما أحدثوا فى التبليغ عنه فنزل ليعلم حقيقة الأمر. ثم يقال لهم: أليس قد دعاهم فى حالة حياته، فزعمتم أنهم وثبوا عليه فقتلوه فصلبوه وأهانوه؟أفَترون أنه فى حال مماته أنهضُ منه فى حال حياته؟فما يؤمنكم أن يكون الأموات حين دعاهم فى الأجداث؛ قد وثبوا به أيضا؟وهذا عندكم غير مستبعد. إذ قلتم: إنه دعا الأموات وهو ميت، وإذا كان الميت لا يستحيل منه الدعوة والإجابة؛ فكذلك لا يستحيل الوثوب والقتل.

ثم يقال للنصارى: أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فصارا مسيحاً؟فإذا قالوا: بلى. قلنا: فالميت أيهما؟فإذا قالوا: الناسوت . قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت، وعجز عن ذلك لاهوت حي؟أفتقولون: إن ناسوت

المسيح أقدر على الهداية من لاهوته. وأيضا: فإن الناسوت فى حال اتحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالناصرة وأورشليم لم يتجاوز ذلك فما فارق لاهوته يوماً وليلة. وإن قلتم: إنه أتى الأموات وهم فى أكناف الأرض متفرقون فدعاهم، فما نرى الناسوت على مقتضى ذلك إلا أعم إحاطة من اللاهوت، وما نرى هذا اللاهوت الذى كان متحداً بالجسد، إلا قد حبسه عن خير كثير، إذ عطله عن الانبعاث ونشر الدعوة. فسحقاً لإله حى أنهضُ منه جسد ميت.

ثم يقال للنصارى: إذا قلتم: إن ربكم المسيح قد مات ثم عاش؛ فَمن الذى أحياه بعد إماتته؟ فإن قالوا: هو أحيا نفسه، فنقول لهم: هل أحياها وهو حى أو أحياها وهو ميت. والقسمان باطلان على مالا يخفي. وإن قالوا: بل أحياه غيره وهو الذى أماته. قلنا لهم: فذلك الغير الذى تولّى موته وحياته أحى هو أم ميت؟ فإن قالوا: ميت، كان ذلك محالا. إذ الميت لا يحيي ولا يميت. وإن قالوا: إنه حى قادر أمات المسيح، ثم أحياه. قلنا: فقد اعترفتم بأن المسيح عبد من عبيد الله تعالى، تجرى عليه أحكامه من الموت والإحياء. وفى ذلك بطلان شريعة إيمانكم. إذ تقولون فيها: إن المسيح إله حق خالق، غير مخلوق وإنه أتقن العوالم وخلق كل شيء بيده.

ثم يقال لهم: أخبرونا هل إماتة المسيح ممن أماتَه وأعدمه؛ فضل وحكمة أو سفه وعبث؟ فإن قالوا: فضل وحكمة؛ فقد أثنوا على اليهود؛ لأنهم ساعدوا على حصول الفضل والحكمة، ومدحوا يهوذا الإسخريوطي؛ لأنه فاز بالدلالة وأعان على حصول هذا الفضل والحكمة. وإن قالوا: إن إماتة المسيح سفه وعبث؛ فقد نسبوا الرب الأزلى إلى السفه والعبث. ويتعالى عن ذلك. وإن قالوا: إن إماتته فضل وحكمة، ولكنّ لَعْن اليهود ويهوذا متعين؛ لأن ذلك كَسْبُهم، وإن وافقوا الفضل والحكمة وصادفوا ذلك مصادفة. قلنا لهم: أزريتم على المسيح غاية الإزراء. إذ زعمتم أنه قال على الصليب: «إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتني». وقال أيضاً: «إن كان يحسن صرف هذا الكأس عنى فاصرفها» فلزم بمقتضى قولكم أنه قد تطيّر بهذا الفضل والحكمة، والتمس البُقيا وترك هذا الفضل. وذلك فيما زعمتم سفه

يناقض الحكمة. ثم يقال لهم: أخبرونا لو لم يتب آدم، ولقى الله بخطيئته، هل كان قتل المسيح يستقل بخلاصه؟ فإن قالوا: لا. أحالوا الخلاص إلى التوبة دون قتل المسيح. وإن قالوا: نعم فى دم المسيح وفاء بالخلاص، وإن لم يتب آدم وبنوه أخلوا التوبة عن الفائدة، ولزم أن يكون كل فاجر وقاتل وظالم قد خلصوا. وإن التزموا ذلك. قيل لهم: فيهوذا الإسخريوطى وفرعون ونمرود وأشباههم؛ قد خلصوا أيضا. وليس فى النصارى من يتجاسر على البوح بذلك، وهو لازم لهم على مقتضى قولهم هذا. فإن قالوا: بل الخلاص بمجموع الأمرين بالتوبة ودم المسيح. قلنا: كأنكم لا ترون دم المسيح مكافئا لآدم مالم تنضم إليه التوبة؟ وهذا تصريح منكم بنقصه عن مقابلة آدم، وعجزه عن خلاصه لولا التوبة. ولعمرى إن من عجز عن خلاص عبد واحد فإنه عن خلاص سائر الخلائق أعجز.

ويقال لمن زعم أن الخلائق لا يخرجهم من خطاياهم ويخلصهم من ذنوبهم إلا قتل المسيح: أليس قد رويتم عنه فى الإنجيل [1] قوله: «إذا كان فى القيامة أقمت الصالحين عن يمينى والظالمين عن شمالي، وأقول لأهل اليمين: فعلتم بى كذا؛ فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم بى كذا؛ فاذهبوا إلى الجحيم».

وإذا كان ذلك صحيحا. فإحسان المحسن هو الذى اقتضى خلاصه، لا ما ادعيتم من قتل المسيح. ومما يؤيد ما قلناه: قول مرقس فى خاتمة إنجيله: «إن المسيح حين ودّع تلاميذه صاعدا إلى السماء، قال لهم: كرزوا بالإنجيل الخليقة كلها، فمن آمن؛ خَلُص، ومن لا يؤمن؛ فإنه يُدان».

وإذا كان إيمان الإنسان هو الذى يخلّصه بشهادة المسيح؛ فلا حاجة إلى الخلاص بقتل ولا صلب. وقال لوقا أيضا: «إن امرأة صبت على رجلى المسيح دهنا كثيرا له قدر كبير، وبكت حتى بلت قدميه بدموعها. فقال لها: اذهبى إيمانك خلصك». ويقال للنصارى: أخبرونا لو لم يقتل المسيح فداء وقضاء عن آدم، ومات حتف أنفه؛ ما كان يكون حال آدم؟ فإن قالوا: يُعذّب على خطيئته. قيل لهم: فلا معنى لقبول توبته إذاً. وإذا قالوا: لا يُعذب. قيل لهم: فقتل المسيح وقع عبثا.

(١) النص عن ابن الإنسان .

ويقال لهم: أخبرونا عن قول الله تعالى فى التوراة لآدم: «إنك فى اليوم الذى تأكل من الشجرة تموت موتا» ما أراد الله سبحانه بهذا الموت؛ أموت المعصية أم موت الطبيعة؟ فإن قالوا: موت المعصية. قلنا لهم: فقد أحيته التوبة. وإن قالوا: موت الطبيعة؛ أكذبتهم التوراة والكتب القديمة؛ إذ صرحت بأن آدم بعد ملابسة الزّلة عاش دهراً حتى رُزق الأولاد، ورأى فيهم البرّ والفاجر، فقد لزمهم خلو قتل المسيح عن الفائدة. ويقال لهم: أخبرونا هل كان المسيح فى الثلاثين سنة قبل الدعوة يسمى ابنا ومسيحا أو لا؟ فإن زعموا: أنه كان يسمى بذلك. أكذبتهم أقوال التلاميذ فى الإنجيل، إذ قالوا: إنه فى طول هذه المدة لم يعرف إلا بابن داود وابن يوسف. وإن قالوا: لم يسم ابنا إلا بعد التعميد. فقد اعترفوا بأن المسيح ليس مسيحاً وابنا حقيقة، وإنما هو مسيح بالتسمية لا غير، وفى ذلك تسوية له بيعقوب وداود، وكل من مُسِح من أولاد هارون وسُمِيّ بهذا الاسم. وعند ذلك لانُشاحهم فى مجرد التسمية إذا صح إطلاقها على الصلحاء من بنى إسرائيل. وتحقق: أن فداء آدم من خطيئته برجل صالح من ذريته. قد شرفه الله بأن سماه ابنا ومسيحا كما شرف عبده إسرائيل وغيره.

ويقُال لهم: هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح سوء؛ ممكن فى قدرة الله أو كان عاجزاً عن ذلك؟ فإن قالوا: لا يمكن ذلك، جعلوا الله ـ سبحانه ـ مضطراً مدفوعا عاجزا عن سلامة عباده وصونهم عن المحن والبلايا. والتوراة تكذبهم. إذْ هى شاهدة بقدرة الله على كل ممكن. وإن قالوا: إنه كان قادرا على ذلك، جوروا الله وحيَّفوه ونسبوه إلى الظلم. إذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على سلامته وكفايته. وذلك يشوش عليهم القول بالتحسين والقبيح.

قال المؤلف: إنما طولنا النَّفَس فى هذا الباب. هدما لقاعدتهم فى القتل والصلب. وهى قُطب كفرهم.

والله أعلم.

الباب السادس
في الأجوبة المسعدة
عن أسئلة الملاحدة

نُسطّر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها ونُشفعها بالجواب؛ ليتنفع بذلك من أحب مكالمتهم:

السؤال الأول:

قال النصارى: قد علمتم معاشر المسلمين. أن اليهود والنصارى يزيدُ عددهم على عدد التواتر أضعافاً مضاعفة، وها هم أولاء ينقلون ويخبرون: أن المسيح قد قُتل وصُلب. على رابية من روابى البيت المقدس. وخبر التواتر يُفيد العلم ويُوجب القطع. فكيف ينفى كتابكم ما أثبته التواتر؟وما ذلك إلا بمثابة من ينفى وجود «بغداد» وغيرها. مما عُلم بالضرورة.

والجواب(١) : هوأنا نقول: مَن سَلَّم لكم أن الذين شاهدوا القتل وشهدوا به بلغوا حد التواتر؟كلا. لم يكونوا بهذه الصفة. وبيانه: أن الذين حضروا القتل والصلب

(١) ونذكر باختصار إجابة هذا السؤال هكذا: وهو أن من أوصاف محمد ﷺ فى التوراة أن يحيط به أعداؤه فى ساحات المعارك، ويصيبوه بالهمّ والغم. هو وأصحابه الكرام. وفى أثناء الهم والغم يطلب من الله النصر. والله ينصره. ففى النبوءات أمران ١ ـ الهزيمة ٢ ـ والنصرة. والنصارى لما أرادوا تطبيق النبوءات عليه ليقفلوا الباب فى وجه محمد من قبل مجيئه. قالوا بهزيمة المسيح على الصليب ثم انتصاره على الموت. وتحيروا فيما بعد انتصاره؛ لأن الانتصار فى الحرب يقتضى فتح البلاد والملك على أهلها؛ للتمكين للشريعة. والمسيح لم يفتح ولم يملك ولم تكن له شريعة. وأزالوا التحير بقولهم: إن المسيح سيأتى فى نهاية الزمان ليملك. ويدل على ذلك كله: النبوءات التى وضعوها على المسيح وهو على الصليب. ففى المزمور الثانى والعشرين يقول داود على لسان محمد ﷺ يظهر الغيب: «إلهى إلهي. لماذا تركتني؟» وبعد الكلام عن همه وغمه، يقول: «يا قوتى أسرع إلى نصرتي» ثم يقول: إن الله استمع إلى صراخه ونصره. ومحرف النصرانية وضع الكلام على لسان المسيح وهو على الصليب. وهكذا. ثم كتب فيما بعد أن المسيح بعد الحادثة ظهر للحواريين. وتكلم معهم مدة أربعين يوما عن ملكوت الله [أعمال ١] وهذا يدل على عدم قتله وصلبه. ونفس المعنى عن يهوذا الإسخريوطي؛ قالوا بانتحاره. لتطبيق نبوءتين من نبوءات محمد ﷺ المزمور ٦٩ والمزمور ١٠٩ كما بينا فى التعليقات سابقا.

إنما كانوا شِرذمة من اليهود، فأما أصحاب المسيح؛ فلم يحضر منهم أحد ألبتة - كما قدمنا - وإذا كان المخبرون آحادا وأفرادا؛ فلا تواتر. إذ التواتر شرطه: أن يستوى فيه الطرفان والواسطة. وإذا كان الحاضرون للقتل لم يوصفوا بهذه الصفة؛ فكثرةُ من جاء بعدهم إنما أخبر عنهم؛ فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز على خبرهم. **فهذا وجه.**

والوجه الثاني: أنا لو قدَّرنا أنهم بلغوا حد التواتر - غير أن التواتر إنما أثبت قتلاً وصلبا لا غير - فلا جرم أن القرآن الكريم لم ينفه. ولكن القرآن إنما نفى أن يكون المفعول به ذلك المسيح نفسه، وأعلمنا: أنه كان قد شُبه لهم[1]. وهذا القدر لو عُرِض على الذين شاهدوا الصلب وقيل لهم: أتجوِّزون أن يكون هذا الذى قد أُحْضر للقتل ليس هو المسيح، ولكنه رجل قد ألقى الله شبهه عليه أو خلقه الله ابتداء يُشبه المسيح؟ فإنا نعلم أنهم كانوا [2] يجوِّزون ذلك، ولا يحيلونه؛ لأن تغيير الأشباه والأشكال جائز فى مقدور الله تعالى، وإنما يمتنع ذلك فى زمان لا تُخرق فيه العوائد. وقد كان فى زمان المسيح خوارق لا يخفى أمرها، فلا يمتنع أن يكون الله سبحانه قد خرق العادة بإلقاء شبه المسيح على غيره، أو أتاح لهم شخصاً يشبهه، كما خرق العادة فقلب النار بردا وسلاما على إبراهيم الخليل، وعلى الفتية فى زمن دانيال [3] عليه السلام، وكما حوّل لون يد موسى عن لونها الأول، وغيّر جوهر الماء إلى الخمر والزيت للأنبياء [4] عليهم السلام، وإذا كان ذلك جائزاً، فالذين أخبروا أن المصلوبَ المسيحُ ليسوا على ثبت، فلم يُوجِب خبرهم عِلْما، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز عليهم. وإذا ثبت ذلك، لم يقع التعارض بين الأدلة القطعية .

---

(١) إن كلمة ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ تحتمل شخصا غير المسيح، يهوذا أو غيره. وتحتمل معنى آخر وهو: أن عقائد الرومان فيها التجسد وفيها التثليث. فوضع اليهود عقائد المسيحيين شبه عقائد الرومان، حتى يقبلوا المسيحية ويتركوا عقائد الرومان. ويقوى هذا المعنى قوله تعالى ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ ويقويه أيضا: مدلول النبوءات كما أرادوا منها. فإنها لا تدل على صلب للمسيح ولا ليهوذا. والقرآن لا يثبت قتلا ولا صلبا للمسيح ولا لغيره، كما فهم المؤلف.

(٢) إنهم لا يجوزونه لأن كل امرئ بما كسب رهين.

(٣) الأصحاح الثالث من سفر دانيال.

(٤) الزيت كان معجزة لإليسع عليه السلام والخمر كان معجزة لعيسى عليه السلام.

فإن قيل: من هو الذى وقع عليه الشَّبه، حتى التبس أمره على اليهود والنصارى واشتبه؟

قلنا روى وهب بن منبه: أن المسيح حين أحاطت به اليهود فى بيت كان فيه؛ صوّر الله الجميع بصورة المسيح، فخرج واحد منهم وكانوا تسعة عشر رجلا فأخذوه وذهبوا ليلا. وكذلك روى مجاهد. وقال ابن إسحاق ـ عمن أسلم منهم: إن المسيح حين حصره اليهود. قال: من يقبل صورتى فيُقتل وله الجنة؟ فقال أحد من معه: أنا. فوقع عليه شبه المسيح، وصُعد بالمسيح من ساعته إلى السماء، وأُخذ الرجل فقتل صبيحة تلك الليلة. قاله من المفسرين: السُّدِّى وقتادة وابن جريج.

وقيل: إن اليهود لما جاءوا لأخذ المسيح؛ هرب من كان معه من أصحابه وثبت معه رجل واحد يسمى جيس، فألقى الله شبهه عليه، فأخذوه وذهبوا به ليلا، وستر الله المسيح عن أعينهم، فعذبوا الرجل ليلا، ثم قتلوه من صبيحة تلك الليلة، فلم يشك من كان ترك المسيح وهرب عنه: أن المأخوذ هو المسيح. فلذلك أخبروا أن المسيح قد صلب.

قال المؤلف: قد روينا فيما تقدم من كتابنا هذا عن بطرس [١] ـ صاحب المسيح ـ أن المسيح عليه السلام صعد إلى جبل الجليل فى جماعة من أصحابه، فنظروا إلى وجهه وإذا هو قد تغيرت صورته، وابيضت ثيابه، وإذا موسى وإلياس قد نزلا إليه ومعهم سحابة تظلهم، وعند ذلك وقع على بطرس وأصحاب المسيح النوم فناموا، وذلك يحقق قولنا فى الشبه.

السؤال الثاني:

قال النصارى: كيف يصح أن يكون المصلوب غير المسيح، ثم يقترن بصلبه ظهور ما ظهر من الآيات من اسوداد الشمس [٢] وانشقاق حجاب الهيكل وقيام الأموات وغير ذلك. وكم قد قُتِلَ من الأنبياء والشهداء ولم يظهر عند مقتلهم شيء من هذا؟.

(١) راجع تعليقنا على هذه الرواية.

(٢) التعبيرات كلها على سبيل الكناية.

قلنا: قد دللنا على كذب هذا النقل بعدم انتشاره فى العالم واشتهاره بين طبقات بنى آدم، وأنه لو كان صحيحا لَدُوِّن فى الكتب، ونقله علماء العَجَم والعرب. فحيث لم ينقل ذلك، دلّ على كذبه وافتعاله. ثم لو قدرناه صدقا وأمرا ثابتا حقا لم يلزم منه أن يكون المصلوب هو المسيح. بل من الحواريين الذين هم عندكم أفضل من الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين. ثم ذلك الحوارى أفضل الحواريين كلهم لوجهين:

أحدهما: لإيثاره المسيح بنفسه حتى فداه من القتل.

والثاني: لإيثار المسيح إياه بشبهه، فقد صار له بذلك مزية أوجبت أن تبكى عليه السماء والأرض، ويتشوش العالم فيأخذ فى النقص والنقض.

السؤال الثالث على النصارى:

يقال للنصارى: قد زعمتم أن المسيح هو إله العباد وخالقهم وبارئهم ورازقهم وآمرهم وناهيهم ومدبِّرهم فى جميع أحوالهم وحافظهم إلى منتهى آجالهم. ثم زعمتم مع ذلك: أن اليهود عدوا عليه فأخذوه قهراً وسحبوه قسراً بعد أن هرب واختفى، وإنما دلَّ عليه بعض أصحابه. فلما ظفروا به؛ أهانوا وبذلوه وما صانوه، ثم جعلوا على رأسه إكليلا من الشوك، وعبثوا به كما يعبث بأهل النوك، ثم رفعوه على جذع ضمانا، واستسقى ماء فسقى خلا هوانا، ثم تُرك حتى الصقت الشمس جسده بالصليب، ولم يكفن لولا تصدق عليه بالكفن إنسان غريب. وبقى برهة تحت التراب، تبكيه الأحباب والأتراب. فأخبرونا يا سخفاء العقول، ومنتحلى هذا المحال المنقول: من الذى كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله فى اللحود؟ ومَن الذى دبّر السماء والأرض، وخلقه فيها بالبسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أو خذلته وهربت مع تلاميذه؟ فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبرا وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فَرَّت وأسلمته، فكيف تصح مفارقتها له بعد اتحادها به؟ أين ذهب الاتحاد وكيف بطل الامتزاج؟!

وما شأن هذا الإله المسكين. أسلمه قومه لأعدائه وخذله سائر أودائه؟أين قولكم فى الأمانة: إن المسيح أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء؟أين ما وصفتم عنه فى الإنجيل: أن العالم بالمسيح كُوِّن؟

وقولكم: إن الأب لا يدين أحدا، بل الابن [1] هو الذى يدين الناس. أترونه كان راضيا بما فعل به قادرا على الدفع عن نفسه {أم كان غير راض وهو قادر؟}

فإن كان راضيا؛ فالذى فُعِلَ به كفر. ومذهبكم يأبى ذلك، وكان ينبغى على سياق هذا أن تُثنوا على اليهود وتترحموا على يهوذا الإسخريوطى وتصلّوا عليهم؛ فإنهم أعانوا على حصول رضاه، وسارعوا إلى ماقدّره وقضاه. وإن كان ذلك بغير رضاه، فاطلبوا إلها سواه؛ فإن من عجز عن حماية حشاشته حتى تم عليه ما نسبتم إليه، كيف ترجون عنده نفعا أو تؤملون لديه دفعا؟وهذه نقيصة تقتضى تنقُّص من لصقت به.

فإن قيل: إنما يكون ذلك نقيصة إذا كان المفعول به عاجزا عن الامتناع والدفاع. فأما المسيح فلو شاء لامتنع من اليهود وأهلك من قصده بأذى من سائر الجنود، بل إنما أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداء عن الناس لينقذهم من الخطيئة، ويزيل عنهم درن الذنوب، ويطهرهم من التبعات والحُوب.

فنقول: لا نسلم ماذكرتم، إذ كتابكم شاهد عليه بأنه هرب واختفى واستتر من أعدائه مراراً واعتنى وتنقل من مكان إلى مكان، وبذل فى طلب السلامة غاية الإمكان. إلى أن دلّ عليه رجل من أصحابه، فأُخذ بغير اختياره وإيثاره. وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم ومن كتابكم. وقد حكيتم أن آخر كلام سمُع منه: «إلهى إلهى لم تركتني؟»مع تقدم قوله فى دعائه: «إلهى إن كان يحسن صرف هذا الكأس

---

(١) ما هو معنى أن الابن هو الذى يدين الناس؟يقول النصاري: إن الله أعطى الدينونة للابن وهو عيسى المسيح. ومعنى الدينونة: هو أنه فى حال مجيئه لتأسيس ملكوته أو لتكميله سيحارب اليهود والكفار ويدينهم ويخزهم ويبكتهم على عدم الإيمان به، مع معرفتهم له. وقد قال المسيح نفسه ذلك لأن تعبير «ابن الله» لقب لمحمد فى المزمور الثانى وهذا واضح من إنجيل يوحنا. بقول المسيح: «لأن الآب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن... كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا؛ لأنه ابن الإنسان...» {يو ٥} .

فاصرفها عني» فبطل قولهم فى هذا السؤال إنه لو شاء لامتنع وفعل بأعدائه وصنع.

وأما قولهم: إنه أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداء عن الناس، لينقذهم من الخطيئة والبأس. فهذا كلام من الكلام السخيف. وذلك أنه لا يخلو أن يفديهم بنفسه من عقاب نفسه، أو عقاب غيره. فإن كان إنما فداهم من عقاب نفسه؛ فما حاجته أن يرذل نفسه فى أمر هو يملكه وزمامه بيده؟فهلا عفا عنهم وأعفا نفسه من القتل والإهانة. وإن كان إنما افتداهم من عقاب غيره؛ فقد صار ضعيفاً عاجزا لم يمكنه صلاح عباده إلا بأن يشفع لهم. ثم لا تقبل شفاعته، حتى يبذل نفسه للصفع والإهانة والموت. والعجب أنه مع بذل نفسه لهذه المحن؛ لم تقبل شفاعته، ولم يحصل لهم الفداء الذى يدّعون. هذا مع أن المشفوع إليه أبوه، أفلم يكن له عند أبيه من الجاه ما يُشَفِّعه فى مطلوبه، وهو معافى من هذه المحن بلا قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده؟

ومثل هذا الفعل لا يصدر إلا من العدو المشاحن، وأرباب الحقود والضغائن، ومما يتعجب منه: أن هذا الرب الذى تدّعون بعد أن تعنَّى ونزل إلى الأرض وحَلَّ به ما وصفتم يبتغى بذلك خلاصكم؛ لم يحصل لكم خلاص ولا تَمَّ له مراد؛ لأنه إن كان أراد خلاصكم من محن الدنيا. فها أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر، ومعالجة الهِرم والكبر، ومضاجعة الأجداث والحُفر. وإن كان أراد خلاصكم من عُهَد التكاليف؛ ليحط عنكم الآثام، ويسقط الصلاة والصيام. فها أنتم أولاء دائبون على التكاليف، مخاطبون بالتصحيح والتسويف. وإلا فكان ينبغى أن من زنى منكم وسرق وافترى وفسق؛ لا يؤاخذ بجريرة، ولا يعاقب على صغيرة ولا كبيرة. وإن كان أراد خلاصكم من أهوال القيامة، وأنكال يوم الطامة. وما يتوجه على العباد عند قيام الأشهاد، أكذبكم الإنجيل إذ يقول فيه: «إنى جامع الناس فى القيامة عن يمينى وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيرا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شراً فاذهبوا

إلى الجحيم» (١) .

وإذا لم يحصل لكم بنزول المسيح خلاص من عقاب الدنيا ولا من عذاب الآخرة. فأين ترجون الخلاص الذى جاءكم لأجله وفعل بنفسه ما ذكرتم، ثم لم يتم له مراد؟وإذا كان ذلك كذلك؛ فاطلبوا الخلاص ممن هو بيديه، ومُعَوَّل سائر الخلائق عليه وهو الذى لا إله سواه ـ سبحانه وتعالى عما يشركون ـ

السؤال الرابع:

قال النصارى: إنما استسلم المسيح ليعلمنا الصبر على الشدائد فتعظم أجورنا وتجزل مثوباتنا، والمتابعة بالحال أبلغ منها بالمقال.

فنقول: فما بال أحدكم لا يجلس فى بيته حتى يناله ما وصفتم غير منازع خصمه ولا مدافع عدوه؟وما بالكم تقيمون سوق الحروب، وتبيحون الغضوب. وتنصبون القتال، وتسفكون الدماء من النساء والرجال؟فما نرى التعليم أفادكم خيراً ولا منعكم شراً ولا أكسبكم عِلْما ولا أنالكم حِلْما. وصار ما وصفتم به ربكم من الإهانة خاليا عن الفائدة صِفرا من الحكمة. وكيف يحسن منكم إيراد هذا السؤال مع قولكم عنه إنه حين نزل به المكروه الذى وصفتم، قال: «إلهى إن كان يمكن صرف هذا الكأس عنى فاصرفه عني» وهذا القول منه إن صح عنه يكذبكم فى قولكم إنه استسلم وألقى بيديه لقصد تعليمكم وتقويمكم.

السؤال الخامس:

قال النصارى: إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى لاهوت المسيح، ونحن لا نعتقد ذلك؛ وإنما القتل والضرب والصلب مضاف إلى ناسوت المسيح دون لاهوته.

فنقول: يمتنع ذلك على اليعقوبية منكم القائلين بأن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة واحدة. إذ الطبيعة الواحدة، لم يبق فيها ناسوت متميز عن لاهوت حتى

---

(١) متى ٢٥: ٣١ ـ ٤٦ والنص لمحمد ﷺ فى فتح أتباعه للقدس فى عهد عمر بن الخطاب .

يخص بالقتل والإهانة . بلى قالوا: إنه صار شيئاً واحدا، والشيء الواحد لا يقال إنه مات ولم يمت، وقتل ولم يقتل، وأهين ولم يهن. وأما الروم وغيرهم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين. فيقال لهم: هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل والصلب؟ فإن زعموا أنه فارقه؛ أبطلوا دين النصرانية جملة، إذ بطل الاتحاد. ولا يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد. فإذا حكموا بأن الإله قد تجرد عن الإنسان وفارقه؛ فقد بطلت ربوبية المسيح فى ذلك الزمان. وإن قالوا: لم يفارقه؛ فقد التزموا ما ورد على اليعقوبية، وهو كون اللاهوت قتل بقتل الناسوت وأهين بإهانته. وإن فسروا الاتحاد بالتَّدَرع، وهو أن الإله جعله درعاً ومسكناً له وبيتاً، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت؛ أبطلوا ألوهية المسيح فى تيك الحال. وقلنا لهم: أليس قد امتهن الناسوت وأهين وأرذل؟ وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة إذ لم يأنف لمحله وسكنه ودرعه أن تناله هذه النقائص، وإن الإنسان ليركب دابة ويلبس ثوبا فيصونه عن الأذى والقذى أن يناله.

ثم كان اللاهوت قادرا على دفع النقائص عن محله ومسكنه، ثم لم يفعل؛ فقد أساء مجاورته، ورضى بدخول النقص على موضعه. وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه. وإن لم يكن قادرا؛ فذلك أبعد له عن عِزِّ الربوبية وأقرب إلى ذل العبودية.

السؤال السادس:

فإن قال النصارى: كيف يجوز إلقاء الشبه وهو ضلال؟ وإذا كان الله تعالى هو الذى أضل عباده؛ فلا معنى لإرسال الرسل إليهم، بل يكون ظلما للرسل إذا بعثهم إلى من يكذبهم أقوالهم ، يردُّها، وكيف يستقيم أن يرسل رسلا يهدون العباد مِن كُفْرٍ وهو الذى زينه لهم؟

قلنا: الانفصال عن هذا السؤال فى التوراة والإنجيل. أما التوراة فإنها مصرحة بأن الله قد قَسَّى قلب فرعون فلم يؤمن بموسى فقال الله فيها: «يا موسى اذهب إلى فرعون وقل له: يقول لك إله بنى إسرائيل: أرسل شعبى يتعبد لي، وأنا أُقَسِّى

قلب فرعـون فلا يرسلهم» [١] وفى التوراة: «أن كل آية صنعهـا موسى بمصر؛ قد صنع السحرة مثلها» [٢] . وأما الإنجيل فقال: «يسوع: إنى ذاهب إلى أورشليم لأُقتل وأصلب. فقال له بطرس: حاشاك من هذا، فانتهره وقال: إنى جئت لهذا» [٣] . فقد علم الكفر وأراده وتعنَّى بسببه، وقدِر على كف اليهود وتركـهم على كفرهم فلم يكففهم .

وقد قال يسوع فى الإنجيل: «الويل لذلك الإنـسان الذى يسلِّم ابن الإنسان خير له لو لم يولد» [٤] .

وإذا كان هذا جائزاً عند النصارى واليهود جميعا، فكيف يمنعون أن يصون الله نبيه المسيح عن قوم يريدون قتله ويلقى شبهه على رجل آخر قد حضر أجله يجعله له جنَّة، ويُثيب ذلك الرجل عن صبره الجنة؟

على أنا نقول: ليس فى إلقـاء الشبه؛ ضلال، كمـا زعم مورد السؤال. إذ ليس الإلقاء هو الذى بعثـهم على القتل، بل ما جاءوا إلى المسيح إلا وهم قـد أجمعوا على الفـتك به. وبهـذا القـصد كـفـروا. وإنما كان الإلقـاء لتـخليص المسـيح من أيديهم. وهذا خلاص من الضـلال لا إضلال. وإنما كان يكون تضليـلا لو كان الله أمرهم بقـتل المسيح، ثم ألقى شـبهه عـلى آخر فقـتلوه، وأما إذ نهـوا عن القتل فخالفوا وجاروا ليقتلوا، فحال بينهم وبين المسيح وألقى شبهه على غيره، أو أباح لهم من يشبهه فى الصورة. فلا يقال لهذا القبيل تضليل.

ثم ولو قـدّرنا ذلك تضليـلا. فمـذهب أهل الحق: أن الله يفـعل مـا يريد [٥]،

---

(١) خروج ٤ : ٢١ . (٢) خروج ٧ : ١١ .

(٣) متى ١٦ : ٢١ والنص من وضع المحرفين . (٤) مرقس ١٤ : ٢١ .

(٥) فعل الله ما يريد: هو فعل عام. ومما أراده من عباده: أن منحهم الحرية بجوده وكرمه.

يقول الله عن نفسه: إنه سيعطى العاملين أجرا غير ممنون؛ لأنهم عملوا ما عملوا بإراداتهم ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ - ﴿إنا لا نضـيع أجر من أحـسـن عـملا﴾ وليس فى المسلمـين من يوجب على الله من شيء. لا بالعـقل ولا بالنقل. وذلك لأن الله هو الذى أوجب على نـفسـه، وهم يحكون عنه مـا أوجبـه هو على نفسه. فإنه يقول: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ وما رأيت فى كتب المسلمين أحدا قدم العقل على. النقل فى التشـريع وبيان ذلـك: أن الشريعة هـى التى تجمع بين المسلمين على الدين، والـقرآن كتـاب الدين. وهم ماموررون بفهمه والعمل به. فالنص أولا هو الاصل. ولكن كيف أعرف صحة النص؟ إن كتاب تخجيل من

ويضل من يشاء من العبيد، ولا يُنسب إلى ظلم ولا جور. إذ له بحق ملكه وملك

=حرف الإنجيل مكتوب لمعرفة صحة النص. وصحة النص يستلزمها عقل سليم. يشهد بصحة النص. فالمؤلف يقول: إنكم تعتقدون أن المسيح هو الله. وأنه صلب تكفيرا عن الخطايا، هذا هو نص الكتب العقائدية. والعقل يقول: أنا لا أقبل هذه العقيدة. وعدم القبول هو بالنص. وذلك لأن التوراة تبين أن الله لا يُرى ولايقدر أحد على رؤيته، والمسيح قد رآه الناس. وبالتالى لا يكون هو الله. والتوراة تبين أن خالق العالم لايقدر أحد عليه. وصلب المسيح يدل على أنهم قدروا عليه. وبالتالى لا يكون هو الله. والتوراة تبين أن كل امرئ بما كسب رهين. فالقول بقتل المسيح وصلبه يكون باطلا. بناء على تبيين التوراة أن كل امرئ بما كسب رهين.

فأنت ترى من هذا المثال: أن النص مقدم على العقل. وإذا تعارضت النصوص فى المعنى؛ فإن العقل يردها بالنصوص أيضا.

وفى دين الإسلام هذا. فإن كثيرين من الزنادقة فى بدء الإسلام وضعوا أحاديث نبوية ونسبوها إلى النبى ﷺ، ثم بنوا عليها أحكاما فقهية، ونسبوا الأحكام إلى الأئمة المعظمين. ومثال ذلك: أنهم رووا حديثا يجيز وطء المرأة فى دبرها. ولو عرضنا على العقل هذا الحديث وعرضنا ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ معه؛ لدل العقل على أن الحديث موضوع. وعلى هذا تكون النصوص موضوعة أمام العقل. ليحكم فيها. فيكون العقل كالقاضى الذى يحكم، وكالقاضى الذى يميز بين أدلة المتخاصمين والنصوص تلزم العقل أن يقول فيها كلمته إلزاما. فنبوة محمد ﷺ يدل العقل على صحتها. ويلزم العقل أن يفصل فيها. فهو قد كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونطق بكلام يدل على علم غزير. فمن أين له هذا العلم؟ يحكم العقل بأنه من الله لأن عصره خال من علماء الذرة والفلك والطب وما شابه ذلك. ويُثبت العقل وجود الله. كما يثبته النص. وذلك لأن الإحكام والإتقان فى العالم يدلان على مدبر حكيم. وهذا الذى قلته فى العقل والنص متفق عليه بين العلماء جميعا. والخلاف بينهم هو فى نصوص المحكم والمتشابه. ومثاله:

١ ـ ﴿ليس كمثله شيء﴾ نص محكم ٢ ـ ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ نص متشابه يحتمل أ ـ اليد الجارحة ب ـ والكناية عن القدرة. فما هو المتفق مع المحكم؟ هنا يتدخل العقل ليحكم ويميز. وعليه يكون النص هو الذى ألزم العقل بالحكم والتمييز لأنه لو لم يكن هذا المحكم والمتشابه؛ ما تدخل العقل فى الحكم والتمييز فماذا يقول:

١ ـ أما عقول الأميين فإنها تقرأ وتسمع وتسلّم ولا توفق بين النصوص، وتحكم بأن الله له يد ولكن ليست كأيدينا.

٢ ـ وأما عقول العلماء فإنها توفق بين النصوص وتحكم بأن الله لا مثل له. ومن لا مثل له، لا يد له. فتكون اليد كناية عن القدرة.

٣ ـ وعندئذ يقول العقل: إن الكناية عن القدرة تثبت صفة هى القدرة. والصفة لابد لها من موصوف. والموصوف لابد أن يكون جسما. وإذا قال هذا؛ يحكم العقل بأن الله تعالى وصف نفسه بصفات البشر، ليقدر البشر على تصور ذاته. وفى القرآن شواهد منها: أنه وصف نفسه بالأسف وبالمكر وبالنسيان وما شابه ذلك. ليس لأنه يأسف ويمكر وينسى وإنما هو يكلم البشر عن نفسه على قدر عقولهم بحسب لسانهم. أى أن القرآن كلم الناس عن الله بلسان بنى آدم. وعلى هذا المعنى. وهو أن الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم لا تنحصر صفات الله تعالى فى سبع صفات أو فى عشرين صفة. وإنما تكون له الأسماء الحسنى والصفات العلا التى تليق بذاته المقدسة.

حقه؛ فهــو حسن، وكل ما يوصّله من خير؛ فهو ابتــداء فضل، وكل ما يبتلى به من ضر؛ فهــو قضاء عدل. وقد زَلّ وهفــا من أوجب على الله ثواب المحسنين أو عــقاب المسيئين إذ لا يجب على رب الأرباب ثواب أو عــقاب. وقــد شهــد أهل الكتاب واعتــرفوا بأن الله تعالى هو الذى نفخ الروح فى العجل، حــتى عبده بنو إسرائيل. وقد قــال الله تعالى ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وعيسى وأمــه لا جُرْم لهما. فأخــبر تعالى أنه لو أهلكهما لم يكن ممنوعا من ذلك ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

السؤال السابع:

قال النصــارى: شهد كــتابكم ونبيكم بأن المســيح عيسى ابن مــريم هو كلمة الله. والكلمة عندنا وعندكم قديمة كالكلام.

قلنا: لا نزاع [١] فى تسميته عليه السلام «كلمة» كما سمى إبراهيم خليلا [٢] وموسى كليما. والتســميات لا حَجْر فيها. وإذا وافقناكم على تســمية المسيح كلمة؛ فــمن أيــن لكم قِــدَمُــهَـــا؟ وبم تنكرون على من يــزعم أن الكلمــة عـــبــارة عن الآية؟ والآيات تسمى كلمــات؟، وهو المعنى بقوله: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ يعــنى آياته ومصنوعاته. وقد قال الله تعالي: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقال: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾، فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أن نقول: المعنى بإلقاء الكلمة إلى مريم: تكوين المسيح من غير نطفــة فحل. والمقــصود: أن الله اخــترعــه وكوّنه من غــير تناســل معــروف. وقال له: ﴿كُن﴾ فكان [٣]: إذ كل أمر اتصل بمأمور؛ فهو ملقى إليه.

---

(١) كان يجب على المؤلف أن يــقول: لانزاع فى تلقيبه عليه الســلام كلمة. وذلك لأن له اسمــا واحدا. وهو عيــسى بالعربية. وهى عن الكلمــة اليونانية «إيســا» التى تنطق فى حالة الرفع «إيســوس» وكلمة الله التى ألقاها إلى مريم؛ جــاء عنها فى إنجيل لوقا: «فقــال لها الملاك: لا تخافى يا مريم؛ لأنك قد وجــدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع» [لوقا١ : ٣١].

(٢) فى مــخطوطات التــوراة التى ظهرت فى قــمــران فى «وصيــة إبراهيم» أن رئيس جند اللــه حيّــا إبراهيم بقوله: «السلام أيهــا الأب الموقر، والروح الصالحة، والصــديق الحقيقى للإله السمــاوي» ولما سأله إبراهيم عن الجهة التى هو آت منها قال له: «أنا مرسل من الملك الأعظم لكى أهتم بميراث صديقه الحقيقي».

(٣) المزمور المائة والثامن والأربعون. فيه: «لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت. وثبتها إلى الدهر والأبد، وضع=

وسمى المسيح كلمة. لقول لوقا فى إنجيله: «إن جبريل قال لمريم: السلام عليك أيتها المباركة فى النساء إنك تحبلين بولد يسمى المسيح، يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود» فعندها حملت مريم بالمسيح؛ أى عند هذه الكلمة. فسمى المسيح بها كما يُسمّى الشيء بما يلازمه عادة، فكان المسيح كلمة بهذا الاعتبار، لا كما اعتقد جهلة النصارى من انقلاب الكلمة الأزلية جسدا. ذا شعر وظُفر.

السؤال الثامن:

قال النصارى: أليس فى كتابكم معشر المسلمين: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا إليه؟

والجواب: أنا نقول: هذا لا يفيدكم شيئاً فى مطلوبكم؛ إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتحد بالمسيح. وإنما الذى اتحد به هو العلم.

وقد قلنا: إن الروح ترد على معانى شتى:

منها: أن ترد والمراد بها: الوحي. كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

وترد والمراد بها: جبريل. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ .

وترد والمراد بها: مَلك كبير [1] يقوم يوم القيامة صفاً وحده والملائكة كلها صفا آخر. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ .

وترد والمراد بها: أرواح الأشخاص وهو المعنى بقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وإذا كان اللفظ مترددا بين معانى كثيرة؛ فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقترانه بما

=لها حدا؛ فلن تتعدّاه. سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج. النار والبرد والثلج والضباب الريح العاصفة كلمته... إلخ».

(١) إن محمدا رسول الله ﷺ مكتوب عنه فى إنجيل يوحنا: «المعزّى الروح القدس» والمعزى موضوعة بدل «فارقليط» وفارقليط موضوعة بدل «فيرقليط» وفيرقليط بكسر الفاء: اسم «أحمد» وكتاب النبى من بعد موته يحل محل النبي. فكأنه لم يمت. وفى يوم القيامة سيشهد محمد على الخلائق أنه بلغ رسالة الله. على الخلائق الذين كانوا معاصرين له ورأوه بأعينهم، وعلى الذين أبلغتهم رسالته من بعد موته عن طريق أتباعه. لأن القرآن يحل محله. فقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ يقصد بالروح محمد ﷺ ويقصد بالملائكة: الملائكة الأربعة. وهذا النص مذكور فى إنجيل برنابا.

وراجع أيضا المسألة ١٧ من كتاب الروح لابن قيم الجوزية.

يفسره. وكل مفتقر للتفسير؛ فلا وجه للاستدلال بظاهره.

فالمسيح سمَّاه الله روحا كتسمية جبريل روحا.

وقد قلنا: إن الشيء قد يُسمى بما يلازمه، فالله تعالى نفخ فى مريم بواسطة جبريل. وهو المعنى بقول لوقا فى إنجيله: «روح القدس تحل عليك».

وقد قالت التوراة: «إن روح الله حالّ فى يوسف» [(١)] وذلك كناية عن العلم والحكمة. وفى التوراة: «أن بصلئيل رجل من سِبط يهوذا ورجل آخر من سبط دان، قد ملأتهما روح القدس» [(٢)] وفى التوراة: أن يوشع امتلأ من روح القدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه» [(٣)]. وفى كتاب الأسباط: أن روح الله لبست جدعون[(٤)]، وفى كتاب شمويال: أن روح الله تكلمت على لسانى [(٥)] وفى كتاب حزقيال يقول: رأيت قدوس الله فوقعت، فدخلت فيَّ الروح فأقامتنى [(٦)].

وفى إنجيل لوقا: إن يوحنا المعمدانى امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه[(٧)]. وقال لوقا فى إنجيله: كان فى بيت المقدس رجل يقال له سمعان ينتظر عزاء إسرائيل وروح القدس كانت تحل عليه [(٨)]. وقال يوحنا التلميذ فى إنجيله: كل إنسان لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت الله [(٩)].

وقال فُولس فى رسالته الأولى لإخوانه: «أولا تعلمون أنكم هياكل الله وأن روح الله حالّ فيكم، ومن يُفسد هيكل الله يُفسده الله» [(١٠)].

وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء فى حلول هذه

=وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فالروح المسئول عنه هو محمد ﷺ بلسان أهل الكتاب. وفى الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال للحواريين عن محمد: «وأما المعزّى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم [يو ١٤: ٢٦] أى أنهم ما أتوا من عيسى بن مريم من العلم إلا قليلا.

(١) تكوين ٤١: ٣٨.
(٢) خروج ٣١: ١ +.
(٣) تثنية ٣٤: ٩.
(٤) القضاة ٦: ٣٤ «ولبس روح الرب جِدعون».
(٥) صموئيل الأول ١٠: ١٠.
(٦) حزقيال ٣: ٢٣ ـ ٢٤.
(٧) لوقا ١: ٤١.
(٨) لوقا ٢: ٢٥.
(٩) يوحنا ٣: ٣.
(١٠) كورنثوس الأولى ٦: ١٦ ـ ١٧.

الروح. التى هى إما الملك أو العلم والحكمة .فما أجاب به النصارى عن حلول الروح على ما ذكرنا وامتلائهم منها؛ فهو جواب لنا عن قول جبريل لمريم: «روح القدس تحلّ عليك» .

السؤال التاسع:

قال النصارى: قال يسوع لمقعد: «قد غفرتُ لك» [1] وذلك دليل ربوبية إذ لا يغفر الذنوب إلا الله.

والجواب: هو أنا نقول: ليس كذلك لفظ الإنجيل؛ وإنما قال له: «مغفورة لك خطاياك» أخبره عن الله بغفر خطاياه لصبره على بلواه، وسكونه تحت مجارى قدر مولاه. ثم لو سلمنا ورود هذه اللفظة بعينها على ما حرفها السائل؛ فليس فيها مستروح لما يحاول، إذ يحتمل أن يكون ذلك المقعد من جملة من كان يؤذى المسيح مع اليهود ويقول فيه كقولهم، فلما رآه المسيح وشاهد بلاه؛ رقّ له وحنا عليه. فقال له: قد غفرت لك. يريد: حلّلتك. والدليل عليه: قول بطرس فى الإنجيل للمسيح: «يارب، إلى كم أغفر لأخى إذا أخطأ إليَّ إلى سبع مرات؟ قال: لستُ أقول إلى سبع مرات فقط بل إلى سبعين مرة سبع مرات» [2]

وهذه أكابرهم اليوم يفعلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حطّ ذنوبه، وليس فيهم من يعتقد خروجه عن ربقة العبودية. وقد ذكر الإنجيل: أن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال: «ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جُعل له أن يغفر الخطايا» [3] . فصرّح فى هذا القول بأنه عبد مخلوق، جعل الله له أن يُخبر عباده بغُفر خطاياهم لإيمانهم به وتصديقهم له.

وقد قال مرقس فى إنجيله: «قال يسوع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة، لكيما يغفر لكم ربكم خطاياكم» [4] . وقالت التوراة فى السفر الخامس منها: «يا موسى ارحل أنت وبنو إسرائيل، وأنا أرسل معكم مَلَكا

---

(١) متى ٩: ٢ «مغفورة لك خطاياك» . (٢) متى ١٨: ٢١ - ٢٢ وفى الأصل يا أبت. بدل يارب.

(٣) متى ٩: ٦ وراجع ما يتعلق بابن الإنسان.

(٤) مرقس ١١: ٢٥ «لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم».

يغفر لكم خطاياكم» [١] أضاف الغفران إلى الملك. وهو عبد من عبيد الله تعالى. وقالت التوراة: إن إخوة يوسف دنوا منه لتقبيل رجليه، فلم يدعهم، فاعترفوا له بذنوبهم فغفر لهم[٢] فقول المسيح للرجل: قد غفرت لك، معناه: قد حاللتك أو قد شفعت لك. وقال فولس فى آخر الرسالة الخامسة ـ وهو يوصى بالبر واللطف ـ «وأنتم أيها الأرباب اغفروا ذنوب مماليككم؛ لأن ربكم فى السماء وليس عنده هوادة»[٣] .

السؤال العاشر:

قال النصارى: قال يوحنا المعمدانى حين رأى المسيح: «هذا خروف الله يحمل خطايا العالم» [٤] فشهد وهو نبى صادق بأن المسيح سيقتل ويصلب قرباناً عن خطيئة آدم.

والجواب: أن هذا السؤال دال على عدم فهم مُورده، وسوء بصيرته بالإنجيل، وذلك أن يوحنا أورد هذا الكلام شهادة للمسيح بالنبوة والرسالة، أُسوة غيره من الأنبياء فى حملهم خطايا قومهم بما يرشدونهم إليه من الإيمان والمغفرة بالله ـ سبحانه ـ وقد كان المعمدانى يتصل به ما يهتف به اليهود من قذف المسيح وقذف والدته الطاهرة، ويبلغه قول اليهود: «إنه لن يجيء من الجليل والناصرة نبي»[٥] فلما وقع بصره على المسيح وعرفه بتعريف الله له قال: هذا الذى به يحط الله خطايا عالم زمانه. والدليل عليه: بقية الكلام إذ قال يوحنا:[٦] « هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدي، وهو أقوى مني، وأنا فلا أستحق أن أحلّ سيور حذائه ولا أصلح أفك معقد خفّه، وهو الذى بيده الرفش ينقى بيدره فيجمع الغَلّة إلى إهرائه، ويحرق الأتبان بالنار التى لا تطفأ».

---

(١) خروج ٢٣ : ٢٣ .

(٢) قال إخوة يوسف: «فالآن اصفح عن ذنب عبيد إله أبيك. فبكى يوسف حين كلموه. وأتى إخوته أيضا ووقعوا أمامه، وقالوا: هانحن عبيدك. فقال لهم يوسف: لا تخافوا. لأنه هل أنا مكان الله؟» [تكوين ٥٠ : ١٧ +] .

(٣) أفسس ٦ : ٩ .

(٤) يوحنا ١ : ٢٩ والنص محرف كما سبق بيانه .

(٥) يوحنا ١ : ٤٦ وقول اليهود صحيح؛ لأن النبى المنتظر سيأتى من فاران وطن بنى إسماعيل عليه السلام.

(٦) النص مركب من عدة نصوص فى أماكن من الأناجيل والنص محرف كما سبق بيانه.

فقـد أفادنا قول المعمـدانى هذا معانى شتـى فى شأن المسيح. منها: تسـويته المسيح مع سـائر بنى إسرائيل فى جـعله خروفـا. قال المسيح فى إنجـيله: «إنى إنما أُرسلت للخراف الضالة من بنى إسرائيل» [١] سمّى الناس خرافا، وسماه المعمدانى خروفا من غير تفرقة بينه وبين غـيره، وكذلك قال المسيح: «أنا الراعى الصالح وأنا عارف برعيتي» [٢].

ومنها: أن المعمـدانى شهد بأن المسيح عـبد الله، وأضافه إليـه. إضافة مِلك فقال: «هذا خروف الله» وقال مرة أخـرى: «هذا حَمَل الله» فشهد بأن الله مالكه، ولم يقل المعـمـدانى حين رأى المسـيح: هذا هو الله. كـمـا يهـذى به طوائف من النصارى. ولا قال: هذا الإنسان الذى اتحد الله به أو سكن الله فى إهابه واتخذه له نزلا ومسكنا. كما افتراه متأخرو النصارى.

وفى ذلك تكذيب للأمانة وإظهار لفسادها ومراغمة لمن عقدها حيث يقولون فيـها: إن المسـيح إله حق، بيده أتقنت العـوالم وخلق كل شيء، وإنه خالق غـير مخلوق.

الويل لهم، أهُم أعلم بالمسـيح وأعرف مـن نبى الله يحيى بن زكـريا الذى شهد المسيح «بأن النساء لم تلد» [٣] مثله فيوحنا هذا النبى ـ عليه السلام ـ إنما بعثه الله على زعم النصارى ليـشهد [٤] للمسيح، وها هو ذا يشـهد بأن المسيح خروف وأن الله مـالكه، وأنه يأتى بعـده [٥] يعمّد الناس ويسـتتيبهم. كمـا كان يحيى بن زكريا يفعل غير أنه أقوى منه[٦]، وهذا قد يقوله ذوو الورع والتقوى تورعا وخوفا من السلب بالإعـجـاب. ولايلزم أن يكون القـائل لذلك دون المقـول له، فلم يزل الصالحون يعتمدون ذلك.

---

(١) متى ١٠ : ٦ .

(٢) يوحنا ١٠ : ١٤ .

(٣) متى ١١ : ١١ .

(٤) الصواب: ليشهد لمحمد وذلك لأنه هو والمسيح دعوا معا لاقتراب ملكوت الله.

(٥) المؤلف غير فاهم وذلك لأن البعدية لمحمد وليست لعيسى. وقد سبق البيان.

(٦) الأقوى منه: هو محمد رسول الله.

وقد شهد متى بنبوة المسيح صريحا إذ يقول: إنه [١] يجمع الصلحاء إلى ملته والأبرار، ويبعد الكفار إلى النار. فقد وضّح أنه ليس فى كلام المعمدانى ما يدل على انتحال الضلال. وإلا فما أحسن رباً له حذاء ينتعله وخف يقى رجليه. أعوذ بالله من العمي، وتنكب الهدي.

السؤال الحادى عشر وهو من معضلات النصارى:

قال النصارى: قال يسوع: «أنا بأبى وأبى بي» [٢] قالوا: هذا تصريح من المسيح بأنه متحد بالله، والله متحد به.

والجواب: فى قول يوحنا التلميذ فى الفصل السابع عشر من إنجيله، قال يوحنا: تضرع المسيح إلى الله فى تلاميذه فقال: «أيها القدوس احفظهم باسمك ليكونوا هم أيضا شيئا واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذى أعطيتنى ليكونوا شيئا واحدا، فأنا بهم وأنت بي» [٣].

وتأويل ذلك: أنت يا إلهى معى وأنت لي، وأنا أيضا مع أصحابى وأنا لهم، وكما أنك أرسلتنى لأدعو عبادك إلى توحيدك؛ فكذلك أرسلتُهم ليدعوا إليك، فكن لهم كما كنت لي. فإن عُدِل عن هذا التأويل؛ لزم منه المحال. وهو أن يكون قوام الله وثبوت ربوبيته برجل من خلقه. ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون البارى وعبد من عبيده متداخلين، ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون التلاميذ متداخلين مع المسيح، ويكون المسيح متداخلا معهم. فإن التزمه النصاري: قيل لهم: فالله إذاً حالّ فى التلاميذ والتلاميذ حالُّون فى الله ـ تعالى الله عن هذيان النصارى علواً كبيراً .

وقد قال فولس ـ وهو يعظ بعض إخوانه ويحذرهم من الزنا ـ: «أما علمتم أن أجسادكم أعضاء للمسيح، فيعمد أحدكم إلى عضو من المسيح فيجعله عضواً للزانية؛ لأن من يصحب الزانية، يصير معها جسدا واحدا، والذى يصحب سيدنا

(١) متى ٣: ١٢ .
(٢) يوحنا ١٤: ١٠ ـ ١١ .
(٣) يوحنا ١٧: ١١ + .

المسيح؛ يصير معه روحا واحدا» (١) . وذلك يفسد على النصارى سؤالهم.

السؤال الثانى عشر من المعضلات:

قال النصارى: قال يوحنا التلميذ فى الفصل الرابع عشر من إنجيله: «من رآنى فقد رأى أبى فأنا وأبى واحد» (٢) .

والجواب: أن له وجوها من التأويل:

أحدها: إنه قد اعترف فى الإنجيل فى غير موضع أنه رسول من الله إلى عباد الله. ولا شك أن رسول الملك إذا توجه إلى قُطر فأبدى بعض الرعية شِماسا عن الامتثال. فيحسن منه أن يقول: أنا ومن أرسلنى واحد، ومن رآنى فقد رأى من أرسلني، ومن بايعنى أو عاهدنى فقد بايع وعاهد من أرسلنى وحصل له العصمة والذمام. وذلك غير مستنكر من الرسل والنواب والوكلاء ومن نُدب لسفارة ووساطة بين اثنين أو جماعة. ومنه قول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾.

الوجه الثاني: أن رؤية الصنعة تدل على صانعها، إذ لا يتصور بناء محكم متقن إلا ببانٍ حكيم متقن، وكلما جَلَّت الصنعة دلت على جلال صانعها، والمسيح لما بهر الناس بما صدر على يديه من العجائب ورأى التفاتهم إليه، واشتغالهم به؛ أحب رفع هممهم إلى الله الذى هو أعلى وأجلّ وأحكم من كل حكيم. وقد قال فى إنجيله: «أبى أعظم مني» (٣) وقال له إنسان: «يا معلم صالح. فقال: لا تقل لى صالحا، لا صالح إلا الله وحده» (٤) .

الوجه الثالث: المسيح كان عبرانى اللسان. والعبرانيون يعتقدون قول التوراة

---

(١) كورنثوس الأولى ٦: ١٥ - ١٧ .

(٢) يوحنا ١٤: ٩ + .

(٣) يوحنا ١٤: ٢٨ .

(٤) متى ١٩: ١٦ - ١٧ «أيها المعلم الصالح. أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد؛ وهو الله» .

فى السفر الأول منها: أن الله خلق آدم يشبهه [1] ؛ قولا صحيحا، فخاطبهم المسيح بما يفهمون. وإنما أرادت التوراة: أن الله حى عالم قادر. وقد أعطى آدم هذه الصفات من الحياة والعلم والقدرة. فكأنه يقول: من رآنى فقد رأى آدم ومن رأى آدم فقد رأى الله. فحذف الواسطة.

فإن عدلوا عن هذا التأويل؛ لزمهم أن يكون اليهود وسائر الكفار والحمير والكلاب قد رأوا الله. وأكذبوا التوراة والإنجيل إذ يقول: «إن الله لم يره أحد قط»[2].

السؤال الثالث عشر وهو من المعضلات:

حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «لا يصعد إلى السماء إلا من نزل من السماء» [3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه أشار إلى زاكى الأعمال وهى التى نزلت بالوحى مع الملائكة، وكأنه يقول: لا يصعد من الأعمال إلا ما كان خالصا قد أُريد به وجه الله. قال الله تعالى: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ .

الوجه الثاني: أنه لا يبادر إلى سمو الأخلاق والأعمال والأحوال إلا من له سمو وهِمَّة. مثل الحواريين الذى أجابوا داعى المسيح، من غير تقدم رؤية آية، بل قال لهم: «دعوا الدنيا واتبعونى ففعلوا».

والوجه الثالث: أنه أشار إلى الأراوح الطاهرة السماوية التى تنام على طهارة. يُؤذن لها فتعرج وتسرح ثم تعود. فإذا فارقت الجسد صعدت. أما أرواح الكفار والفجار فلا تصعد، وإذا فارقت الجسد أُودعت فى الأرض السفلى؛ لأنها لم تنزل من السماء.

(١) نص التوراة عن خلق آدم: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم» [تكوين ١ :٢٧].

(٢) يوحنا ١ :١٨ .

(٣) لوقا ٩ :٥٩ إلخ ومتى ١٩ :٢٨ .

فإن عدلوا عن هذه الوجوه وأجروه على ظاهره، قلنا لهم: فقد صعد إلى السماء من لم ينزل منها. وهو إدريس الذى تسمونه أخنوخ [(١)] .

وناسوت المسيح أيضاً لم ينزل من السماء وقد صعد إلى السماء. فإما أن يتأولوا الخبر وإلاّ أخرجوه إلى الكذب. فإن قال النصاري: لم يزل أيشوع متجسدا. أكذبتهم نصوص الإنجيل والأمانة. إذ تقول: إنه أخذ جسده من مريم - عليها السلام - وقال فى الإنجيل: «هذا مولد يسوع المسيح» [(٢)] فحكم بأنه مخلوق.

السؤال الرابع عشر وهو من المعضلات:

روى النصارى عن المسيح أنه قال: «إن إبراهيم الخليل اشتهى أن يرى يومي؛ فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأت لك خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟فقال: الحق أقول لكم: إننى قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» [(٣)] قال المؤلف: هذا من أقوى ما يتمسك به النصارى فى ربوبية المسيح.

والجواب: يحتمل أن يكون الله تعالى قد أرى إبراهيم أيام المسيح كما أرى آدم جميع أيام ولده، وأعلم إبراهيم بأحواله كما أعلم آدم بأحوال ولده من بعده، وكما أرى موسى ما يؤول أمر بنى إسرائيل إليه. على ما تشهد بذلك التوراة. وذلك بالروح المدركة لا بالعين الباصرة. فإن أبى النصارى هذا التأويل أكذبوا متّى إذ يقول فى صدر إنجيله: «هذا مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم» وأكذبوا لوقا فى روايته عن جبريل إذ يقول لمريم: «إنك تلدين ولدا يسمى أيشوع يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود». وإذا كان المسيح إنما هو ابن مريم ولدته فى زمن متأخر عن إبراهيم بمئين من السنين؛ فكيف يكون قبل إبراهيم إلا على وجه التأويل. وهو أن الله تعالى كان قد قَدّر له الاصطفاء والاجتباء فى سابق علمه قبل إبراهيم، وأعلم الله إبراهيم: أن من ولدك من أجعله آية للعالمين، فاشتاق إلى رؤية هذا الولد، فكشف الله له عن روحه الزكية النبوية، فرآها وفرح بها.

---

(١) تكوين ٥ : ٢٢ + .

(٢) متى ١ : ١ .

(٣) سبق التعليق على هذا النص وهو فى يوحنا ٨ : ٥٦ والنص عن المسيا الرئيس.

وقد روى فى الخبر: «أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأشباح بألفى عام»[١] وقد قال سليمان عن الحكمة: «أنا قبل خلق الدنيا» [٢] كما حكينا فيما مضى، وقال داود فى مزموره: «ذكرتنى يارب من البدء وقدّستنى بأعمالك» .

وقيل لمحمد ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ فقال عليه السلام: «كنت نبيا وآدم منجدل فى طينته» [٣] .

السؤال الخامس عشر وهو من المعضلات:

روى النصارى عن يوحنا الإنجيلى أنه قال فى صدر إنجيله: «إن الكلمة صارت جسدا وحلّت فينا» [٤] .

والجواب: إن ذلك يحتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير. وتبدل اللسان. فتكون إن الجسد الإنسانى الذى هو جسد المسيح سمى الكلمة. ولا معنى لـ «صار» إلا تجدد مالم يكن، وقوله «وحل فينا» إشارة إلى جسد يسوع المسيح الذى صار كلمة بالتسمية من الله تعالى. وكأن يوحنا يقول: إن الذى كفر به اليهود ونسبوه إلى الجنون شرفه الله وسماه كلمة له، وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره. ويحتمل أن يكون يوحنا أشار بهذا القول إلى بطرس كبير تلاميذ ووصى المسيح من بعده؛ فإنه قام بتدبيرهم بعد رفع المسيح بعهد عهده إليه ووصية أوصاه بها . وكان التلاميذ يفزعون إليه فى نوازلهم بعد المسيح. على ما يشهد به سيرهم. وكأن يوحنا يقول: إن ذهبت الكلمة من بيننا فإنها لم تذهب حتى صارت جسدا وحل فينا. يريد: أن بركة الكلمةوتدبيرها حاضر فى جسد بيننا. وهو بطرس. ويحتمل أن يكون يوحنا قال: إن الكلمة أصارت جسدا وحَلّ فينا، فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلى اللسان العربى من العبراني، والميز بين صارت وأصارت لا يكادُ يدرك فى اللسان الواحد. فكيف مع النقل والتحويل

---

(١) لاحظ: أن إبراهيم قبل عيسى بألفين سنة على حسابهم وهذا الحديث رواه الأزدى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ورواه ابن منده.

(٢) أمثال ٨: ٢٢ + .

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(٤) يوحنا ١: ١٤ .

وفساد الترجمة؟وقد أخبر الله تعالى: أن المسيح كان يصنع من الطين حيوانا[١]. والنصارى وإن أنكروا هذا ففى الإنجيل ما يصدّقه وهو أن المسيح عليه السلام تفل على الطين من ريقه وصوّره على موضع عينى رجل أكمه قد ولد أعمى. وقال: اذهب فاغتسل فى عين شلوخا. ففعل وأبصر، فتعجب اليهود من ذلك [٢] . فإن أبى النصارى تأويلنا لكلام يوحنا هذا؛ لزمهم أن تكون الكلمة الأزلية استحالت لحما ودما وعروقا وشعرا وظفرا واغتذت بالطعام وكان منها ما يكون من الأنام، وبقيت ذات البارى خرساء غير ناطقة وجاهلة غير عالمة. وذلك لا يقوله لبيب.

فإن قيل: فما المرضيّ عندك فى كلمة يوحنا هذه على تقدير صحتها وسلامتها عن التحريف والتصحيف؟فأقول: يحتمل أن تكون كلمة جبريل التى أوردها على مريم قد صارت جسدا وتَخلّق منها المسيح الذى حلّ فيهم. وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾ وذلك بعينه هو الذى حكاه لوقا فى إنجيله عن جبريل. وإذا كانت الكلمة التى صارت جسدا هى كلمة جبريل؛ اندفعت عنا مؤنة التأويل.

السؤال السادس عشر وهو من المعضلات:

حكى النصارى عن المسيح أنه قال: «كما أقام يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وليال؛ فكذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالي» [٣] .

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: لا أُسلم صحة هذا النقل بل هو كذب ومَيْن. إذ الإنجيل يشهد أن المصلوب المقبور لم يبق فى قلب الأرض وبطنها سوى يوم واحد وليلتين ـ على كلا الروايتين ـ فقد أخلف قولهم وظهر كذبه وإفكه. فلا حاجة بنا إلى الكلام عليه

---

(١) هذا فى إنجيل الطفولية وإنجيل لوقا.

(٢) يوحنا ٩: ١ ـ ٧ وهى عين سلوام .

(٣) متى ١٢: ٣٩ ـ ٤٠ .

والوجه الثاني: أن المسيح لم يقل: إني أُقتل وأصلب وأدفن وأقيم في بطن الأرض هذه المدة. كما تخرصه النصاري. إنما قال: إن ابن الإنسان يجرى له ذلك، وابن الإنسان هو الذى يُشَبَّه لليهود بالمسيح؛ لا المسيح. على ما قررته وأوضحته فيما تقدم. وقد قلّبت الإنجيل دفعات كثيرة، وأنعمتُ النظر فيه؛ فما وجدته قط أضاف ذلك إلى نفسه الكريمه، ولا أورده إلا مضافا إلى «ابن الإنسان» يعرف ذلك من وقف على الإنجيل. والعجب من النصارى كيف يُنزلون ذلك على المسيح وهم لا يرضون له بنوة إبراهيم وداود؟ فكيف يجعلونه ابن إنسان من عرض الدنيا؟

والعجب أيضا: أنهم يصفونه بما وصفه به اليهود من حيث لا يشعرون؛ لأن غاية ما قال فيه اليهود: أنه ولد يوسف النجار. فأى فرق بينهم وبين اليهود فى ذلك إذ اعترفوا أنه ابن الإنسان؟ وإذا كان المسيح عندهم إنما هو ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يمكن أن يكون ابن الله يُقتل ويُدفن فى الأرض بين الأموات. هذا مع وصفهم له فى الأمانة بأنه إله حق من إله حق من جوهر الله. فإن صدقوا - وحوشوا من الصدق - فالذى قال المسيح: إنه يكون فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالي، إنما هو ابن الإنسان الذى هو إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه آدم. وفى ذلك تكذيب لهم فى دعوى قتل المسيح وصلبه.

السؤال السابع عشر وهو من المعضلات:

حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «قال داود فى مزمور له: قال الرب لربي» قال المسيح: فهذا داود يدعوه ربه، فكيف تقولون إنه ابنه؟» [1] .

والجواب: أنا لا نصحح هذا النقل عن داود نبى الله، فإنه إنما بعث ذابا عن توحيد التوراة ومقررا لها أسوة غيره من الأنبياء الذين بُعثوا بعد موسى عليه السلام. والتوراة ليس فيها ما يدل على ضلال النصارى. ومتى شُهر عن موسى أو داود وغيره من أنبياء الله أن الرب يكون له ربا وللإله إلها؟ وإذا كان ذلك من الهذيان، فلنورّك على النقلة عن داود، إذ داود ثابت العصمة وهو أعرف بالله تعالى من أن يجعل له ربا فوقه أو ربا تحته يشاركه فى الربوبية. على أن ذلك

(١) متى ٢٢: ٤١ - ٤٦ .

مردود بشهادة الإنجيل عن جبريل إذ قال لمريم: إنك تلدين ولدا يجلسه الله على كرسى أبيه داود. وفى ذلك تكذيب لمن نقل عن المسيح أيضا. إذ المسيح قد شحن إنجيله بتوحيد الله وإفراده بالربوبية كما حكيناه عنه، فكيف يَدّعى أنه رب لداود والناس ينادونه: «يا ابن داود ارحمنا» فيفعل ويرضى منهم بهذا القول. وهو القائل فى إنجيله: «لا صالح إلا الله» - «إن إلهكم واحد» - «إن أفضل الوصايا كلها: الله واحد» - «أنا ذاهب إلى إلهى وإلهكم» - «إلهى إلهى لِمَ تركتني؟» - «إنكم تريدون قتلى وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله» وذلك فى الإنجيل كثير جدا. وإذا كان هذا نص المسيح فى الإنجيل فقد كذبوا عليه فى ادّعائه أن داود عبده.

قال مؤلفه: سألت حَبرا من أحبار اليهود عن هذا المزمور. قال: قال الرب لربى تفسيره عندنا بالعبرانية: «قال الرب لوليي» قال: والرب عندنا يطلق على المعظم فى الدين. ثم تلا قول إبراهيم ولوط الذى حكيناه.

السؤال الثامن عشر وهو من المعضلات:

قال النصارى: نحن واليهود من مخالفينا فى الملة ننقل أن الذى قُتل وصلب لم يكن سوى يسوع المسيح. فلو تطرق التشكيك إلى رواتنا ونقلة أخبارنا وحملة ديننا؛ لتطرق مثله إلى ما ينقلونه عن أسلافكم ولم يثبت لأحد من أتباع الأنبياء قاعدة ألبتة.

والجواب: أن الرواة الأربعة الذين رووا لكم القتل والصلب؛ لم يحضر منهم أحد ألبتة ذلك المشهد من خوف اليهود. بشهادة الإنجيل. وقد شهدت أقاصيص الإنجيل بأن المسيح كان قد تغيّر منظر وجهه حتى على بطرس وخواصّ تلاميذه، واستولى عليه ذلك، حتى تعدّى إلى لون ثيابه فغيّرهما عما كانت عليه، وأنه لما التبس أمره وتنكرت حلاه على أصحابه فضلا عن اليهود احتاجوا إلى أن أرشوا رجلا من تلاميذه الاثنى عشر برشوة حتى دلّهم عليه، ثم لم يعرفوه حتى قال لهم: إذا رايتمونى أقبّل شخصا فامسكوه؛ لأنه يسوع. هذا مع كون المسيح فى كل يوم فى الهيكل يناظرهم ويُفحمهم بالحجج النبوية، ويظهر عليهم ويكسِر حججهم

في كل مجلس ومجمع يجتمعون فيه.

فما حاجتهم إلى مَنْ يعرِّفهم عينه بعلامة وأمارة يجعلها لهم، لولا وقوع الشبه الحائل بينهم وبين رجل من أسباطهم وعشائرهم. فأخذُهم من أخذوه إنما هو الشَّبه.

ثم الشبه إنما أُخذ ليلا فلم يصيروا به إلى رئيس الكهنة، وله حلية تُعرف. فقتلوه صبيحة تلك الليلة. كما أخبر الإنجيل. وإذا كان هذا نص الإنجيل أن أصحاب المسيح لم يحضروا، واليهود قد اشتبه عليهم الحال وأنكروا صورة المسيح بعد طول المعرفة به؛ فإخبار من جاء بعدهم لا يفيد إلا الظن. إذ كان مستندهم ما ذكرنا. فالقول بقتل المسيح وصلبه لا سبيل إلى صحته بعد إخبار جبريل عن رب العالمين: أن المسيح يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملّكه على بيت يعقوب. على ما تضمنه إنجيل لوقا. وقد حققنا ذلك غير مرة فلا نعيده.

السؤال التاسع عشر وهو من المعضلات:

قال النصارى: قال المسيح: «إذا كان يوم القيامة أرسل ابن الإنسان ملائكته، فجمعوا أصحاب الشكوك وفاعلى الآثام فيلقونهم فى أتون النار، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان» (١) .

قال النصارى: فقد أثبت لنفسه ملائكة، ولا يثبت ملك الملائكة إلا الله تعالى، وأثبت أنه المقتول المصلوب.

والجواب: أن هذه نسبة صحبة لا نسبة مُلك، والدليل على ذلك من الإنجيل: قول يسوع: «لا تحقروا أحدا من هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات فى كل حين» (٢) فقد أثبت للصغار ملائكة ولم يرد الملك، وقد قال يسوع أيضاً لليهود فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى لا أستطيع

---

(١) متى ١٣ والمراد بالقيامة: الحرب التى ستكون على اليهود من المسلمين فى فتح فلسطين على يد عمر بن الخطاب [راجع دانيال ٩ ومتى ٢٤] والمراد بابن الإنسان محمد ﷺ والمراد بالملائكة أصحابه الكرام الشبيهين بالملائكة النورانيين فى الطهر والصلاح.

(٢) متى ١٨ : ١٠

أن أدعو أبى فيرسل لى اثنا عـشر جوقا من الملائكة» (١) أثبت ههنا مُـلك الملائكة لله وحده. فكان ذلك المطلق محمولا على هذا المقـيد. وقد قالت التوراة: «إن بنى إسرائيل كـان لهم مَلَك يحمل عمـود الغمام ويسـير أمامـهم، ويلهب لهم الليل نارا، يؤمونها فى مسيرهم»(٢) .

وقوله إنه ابن إنسان يُـوهم أنه أراد نفسه. ونحن نحمله على الشّـبه الشديد الذى صلبه اليهود، نعم. فإنه من الحواريين الذين هم تلوا النبيين فى الشفاعة. قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ وإذا كان الشبيه صدِّيقا؛ فـهو من خيرهم. لإيثاره المسـيح، فلا بُعد أن يشهد له المـسيح بأنه يشفع يوم القيـامة، ويرسل الملائكة بين يديه يـؤمر بامتـثال أوامره ويلقـى من آذاه وقتله وصلبه فى أتون النار.

والدليل على تشـريف الأوليـاء والأصـفيـاء بهـذه الرتبة: الكـتاب العـزيز والإنجيل. قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ دلّ على أن من الشافعين من تنفع شفاعتـه. وقال المسيح لتلاميذه: «أنتم الذين صـبرتم معى فى تجاربى إنكم يوم القيـامة تجلسون على اثنى عـشر كرسيـاً من كراسى المجد تدينون اثنى عـشر سبطا من أسـباط بنى إسرائيل» فقـد أثبت محاسـبة الأسباط من بنى يعـقوب إلى تلاميـذه، والمصلوب من خيرهم كمـا تقدم، وكيف لا يعظم جرم اليـهود ويسلط عليهم فى الدار الآخرة أصحاب المسيح، وإنما قـتلوا فى زعمهم واعتقادهم وظنهم المسيح؟ فبشؤم قصدهم عظم إثمـهم. وإن لم يصادفوه ولا قتلوه. فسلط الله عليهم فى القيامة بعض خدمه وهو الشبه لينتقم منهم.

السؤال العشرون وهو من المعضلات:

قال النصارى: قـال داود فى مزمور له وتنبأ به على آلام المسـيح وما يجرى عليه من الـيهود: «ثقـبوا يدي، وجعلـوا فى طعامى المرار، وعند عطشى سـقونى

---

(١) متى ٢٦: ٥٣ ولاحظ أن الملائكة لا تكون إلا لمحمد ﷺ كمـا فى نشيد مـوسى. والمحرف ههنا يطبق نبوءة نشيد موسى على المسيح.

(٢) خروج ١٣: ٢١ + .

خلا، يا رب لا تبعد نصرك مني» [1] .

قالوا: فأى حجة أبين أو دليل أوضح من هذا؟

والجواب: عن ذلك من وجوه:

أحدها: لا نسلم أن داود عنى بذلك المسيح بل لم يعن إلا نفسه [2] . والكلام يحمل على المعنى حيث أعوز حمله على اللفظ، وكأنه عليه السلام كنَّى بذلك عما هو بصدده من قتال المشركين ومنازعة أعداء الدين وجبابرة فلسطين، وكأنهم لطول حروبهم وموالاة شرورهم فعلوا هذه الأشياء. وداود أخبر بهذا المزمور عن نفسه. فمن أراد صرفه عنه إلى غيره؛ فعليه إقامة الدليل.

قال مؤلفه: بعد تبييض هذه النسخة والفراغ سألت حبراً من أحبار اليهود عن قول داود «ثقبوا يدي» بالمزمور، فأجابنى بنحو ماذكرته فى الوجه الأول على الفور من غير توقف. فتعجبت [3] من اتفاقه لنص ما عندهم.

الوجه الثاني: نسلم أن داود لم يعن بذلك نفسه، ولكن عنى غيره. فبم تنكر النصارى أن ذلك المعنيِّ رجلٌ كان قبل داود؟ واللفظ يساعد عليه. فإنه ذكره بلفظ الماضى فقال: «ثقبوا يدي» - «جعلوا فى طعامى المرار» وذلك يشير إلى أمر قد وقع وفرغ منه، وإذا كان ذلك لم يصلح للاستقبال. فلعل داود إنما أراد بالمزمور رجلا من أسلافه الماضين كإبراهيم وموسى وغيره من الأصفياء؛ فتألم بذلك تألم الولد البار لوالده وذوى رَحِمه وعزَّى نفسه وسلاَّها فيما ابتلى به من قتال كفار زمانه وملوك دهره.

الوجه الثالث: نسلّم أن داود أراد الاستقبال، لكن ليس فى المزمور ما يدل على قتل وضرب وصفع وصلب. كما نسبه النصارى لربهم فى زعمهم. وليس فيه إلا أن رجلا من الناس يُثقب يده ويُسقى خلاً عند عطشه ويُمَرَّر طعامه ويسأل ربه وخالقه إلهه أن ينصره، ولا يلزم من وجود هذه الأمور؛ وجودُ قتل وصلب، فقد

(١) المزمور ٢٢ وقد بينا سابقا أنه لمحمد ﷺ .

(٢) المتكلم فى هذا المزمور هو محمد ﷺ وداود يحكى كلامه بظهر الغيب.

(٣) الحبر خدع المؤلف. لأن المزمور نبوءة عن النبى الآتي.

يثقب يد الإنسان ويسقى الخل ولا يموت.

والوجه الرابع:سلّمنا أن ذلك يستلزم القتل والصلب والإهانة، وأن داود عبّر ببعض الآلام عن سائرها. لكن من أين للنصارى أن المفعول به ذلك هو المسيح؟وليس فى كلام داود له ذكر ألبتة. فبم ينكرون على من يقول أن المفعول به ذلك هو الشبه لا المسيح؟وليس دعواهم أن داود أراد المسيح بأولى من دعوى من يقول:لم يرد بذلك إلا الشبه. والدليل على أن داود أراد الشبه [1] :قوله:«يارب لا تبعد نصرك مني»فصرّح داود بأن المفعول به ذلك عبد من عبيد الله يستصرخ بربه ويلتمس نصر خالقه عند نزوله كربه. ويؤيده قول نقلة الإنجيل:إن المصلوب قال فى آخر كلام تكلم به على الخشبة: «إلهى إلهى كيف تركتني؟» والمسيح ليس كذلك عند النصارى، ولا سيما وقد رووا عن داود أنه عنى المسيح بقوله فى المزمور:«قال الرب لربِّي:اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطيء قدميه؛ بطل أن يكون عنى بقوله «ثقبوا يدي» المسيح، وصحَّ إضافة ذلك إلى الشبه. ثم داود عبرانى اللسان، فلو كان فى مزامير ما ينوه بذكر المسيح وربوبيته وقتله وصلبه؛ لكان العبرانيون - وهم اليهود - أحق بمعرفته من غيرهم، لاشتغالهم بتلاوة مزامير داود وانكماشهم على قراءتها والتعبد بها. فإقدامهم على ما أقدموا عليه من طلب المسيح وتكذيبه، وعزمهم على قتله حتى شغلهم الله عنه بالشبه الذى قتلوه وصلبوه؛ دليل واضح على غلط النصارى فيما استنبطوه من المزامير بعقولهم، واستخرجوه بأذهانهم.

عشرون سؤالا معدودة من معضلات أسئلتهم مضافة إلى ما قدمناه، غير أن هذه الأسئلة هى أساس كفرهم، وعليها عقدوا أمانتهم التى سنبين بعون الله فسادها وتناقض ألفاظها ومعارضتها للثالوث ومعارضة الثالوث لها.

وقد بيّن داود فى المزمور التاسع عشر على ما ذهبنا إليه من خلاص المسيح من أعدائه اليهود، وأخبر أن الله تعالى حماه منهم وستره عنهم، فقال:«يستجيب لك الرب فى يوم شديد، ويرسل لك عونا من قدسه، يعضدك من الآن، عرف

---

(١) صحة الكلام: أراد محمدا.

خلاص الله لمسيحه، ومن سماء قدسه استجاب له» [١] فقد شهد داود بأن الله خلّص المسيح. وهذا المزمور مصدِّق لقول لوقا: إن جبريل خبَّر عن الله أن المسيح يكون ملك بنى إسرائيل. فأما مزمور «ثقبوا يدي» فكذّب بشارة جبريل، وما ردَّ بشارة جبريل عن الله تعالى؛ فهو مردود.

فإن قيل: فالمسيح صعد إلى السماء وهذا يدل على ربوبيته. قلنا: هذا من أضعف ما يُتمسك به، إذ الملائكة تصعد السماء وليسوا آلهة ولا أربابا، وأخنوخ الذى هو إدريس قد صعد إلى السماء. وهو عبد من عبيد الله، وكذلك إيلياء ودَّع تلميذه اليسع وصعد إلى السماء على فرس من نور [٢] .

والعجب: أن التلاميذ عندكم أفضل من إدريس وإيلياء وغيرهم، وقد قُتلوا وماتوا ودفنوا فى الأرض. فليس فى صعود السماء ما يدل على ما يذهبون إليه.

فإن قيل: فالمسيح أخبر بالمغيِّبات وعَرَّف تلاميذه بما سيحدث فى المستقبل [٣] ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

قلنا: التعلق بذلك يصلح لإثبات النبوة والرسالة. أما أنه يصلح لما تدَّعونه فلا. والدليل على ذلك: أن نوحا وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وجماعة من الأصفياء قد أخبروا بالمغيبات؛ فوقعت على وفق خبرهم. فأخبر نوح بالطوفان وهلاك الخلق بأسرهم إلا من ركب سفينته. وأخبر إبراهيم بأن ذريته يكونون فى العبودية والسخرة بمصرالمدة الطويلة وأخبر يعقوب بأن الله سيذكر بنى إسرائيل

---

(١) المزمور ٢٠ .

(٢) الملوك الثانى ٢ .

(٣) المغيبات التى أخبر بها المسيح هى مجيء محمد من بعده فقط وهى ليست مغيبات منفرد بها. فإنه قد استدل بالتوراة عليها ودليل ذلك: اقتراب ملكوت السموات أخذه من الأصحاح السابع من سفر دانيال. وفتح المسلمين لفلسطين فى بدء الإسلام أخذه من الأصحاح التاسع من سفر دانيال. والمغيبات التى أخبر بها محمد ﷺ منها ما تنبأت به التوراة من قبله مثل تأسيس ملكوت الله بعد مملكة الروم. وذلك فى الأصحاح السابع من دانيال. ومثل هزيمة المسلمين على يد اليهود سنة ١٩٦٧ وذلك فى سورة الإسراء والأصحاح الثامن من دانيال. ومنها ما تنبأ به الإنجيل مثل فتح المسلمين لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب كما فى الأصحاح الحادى والعشرين من لوقا وما يوازيه عند متى ومرقس. ومن علامات صدق محمد فى دعوى النبوة أن يخبر عن غيب ويقع الغيب كما قال. وذلك فى سفر التثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢ .

ويخرجهم من مصر إلى بلادهم بيدٍ منيعة عزيزة قوية. وأخبر موسى بشتات أمر اليهود وعبادتهم الأصنام والأوثان وإعراضهم عن طاعة الله الذى أنقذهم من سخرة فرعون. وأخبر يوسف بالغلاء والمجاعة التى تعمُّ الأرض سبع سنين. وأخبر دانيال بختنصر بمغيبات كثيرة، فلم يخرم مما قالوا ولم يخلف. كما شهد بذلك كله التوراة والنبوات. وأربوا على المسيح فى ذلك، وذلك كله بتعريف الله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

والعجب كيف يتمسك النصارى فى دعوى ربوبية المسيح بإخباره الغيب، وهذا نوح وإبراهيم ويعقوب يخبرون به وينبئون عنه، مع أن النصارى لا يعتقدون فيهم سوى أنهم قوم صالحون لا غير. وهذا من أجل أغاليطهم وكفرهم. إذ أخرجوا من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم ـ عليه السلام ـ مع شهادة التوراة بأعلامهم ورسوخ أقدامهم ومكالمتهم الحق ودعائهم الخلق.

فإن قيل: فالمسيح جاء من غير فحل، ونحن وأنتم قاطعون بطهارة مريم وبراءتها. وإذا كان لابد من أب، فلا أب له سوى الله تعالى.

قلنا: هذا من أضعف ما يُتَمسك به. وذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق حواء من آدم. قال الله تعالى فى صدر التوراة: «لا يحسن أن يبقى آدم وحده بل نخلق له زوجا مثله، فألقى الله عليه النوم فنام فنزع ضلعا من أضلاعه وأخلف له عوضه لحما؛ فخلق الله من ذلك الضلع حواء زوجته» (١) .

فإذا كان لابد لها من أم. فهل تقولون: الله أمها؟ فخلق أنثى من ذكر بغيرِ أم أعجب من خلق ذكر من أنثى بغير أب، وأعجب من هذين: خلق بشر من غير أنثى ولا ذكر. وقد خلق الله آدم من تراب، فمن كان قادرا على أن يخلق بشراً من غير أبوين ولا يكون ابنا له، كيف لا يقدر أن يخلق بشراً من أنثى ولا ذكر ولا يكون ابنا له؟

وكم قد خلق الله سبحانه من مخلوقاته من غير تناسل معروف ولا ولادة معتادة؟ ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾؟

---

(١) تكوين ٢: ١٨ + .

انتزاعات لهم:

وانتزع النصارى من التوراة والكتب العتيقة مواضع زعموا أنها دالة على ربوبية المسيح. ونحن نوردها فى معرض الأسئلة، ونجيب عنها، ونبيّن أن ليس فيها تفريج لكربة النصارى لهم فيما يحاولونه.

الانتزاع الأول: فإن قيل: ففى التوراة ما يدل على عقد النصارى فى المسيح، وهو: أن إسرائيل لما احتضر بمصر جمع بنيه ودعا واحدا واحدا ثم قال لابنه يهوذا: «لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا، ونبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك. وإياه تنتظر الشعوب، ربط بالحبلة جحشه، يرحض بالخمر لباسه، ويصبغ بعصير العنب رداءه. عيناه أشد سهولة من الخمر، وأسنانه أشد بياضاً من اللبن» (١) .

قال النصارى: هذه صفات المسيح.

قلنا: اللفظ للتوراة وهى عبرانية واليهود من أولاد يعقوب أعرف بذلك منكم، وها هم إلى الآن ينازعونكم فى الموصوف بهذه الصفات، ويدّعون أنه صاحبهم. وهم إلى الآن يتنظرونه. نحن لا نسلم أن هذا الموعود به عيسى ابن مريم ولا غيره بل هو محمد ﷺ والدليل على ذلك: قول يعقوب «حتى يأتى الذى له الملك» (٢) وليست كذلك وإنما هى «الكل» فحرفت بسوء النقل. وكذلك هى فى

(١) هذه النبوءة فى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين وهى خاصة بمحمد ﷺ .

(٢) النص: «لا يزول صولجان الملك من يهوذا، ولا منتزع من صُلبه، حتى يأتى شيلوه [ومعناه: من له الأمر] فتطيعه الشعوب. يربط بالكرمة جحشه، وبأفضل جفنة ابن أتانه. بالخمر يغسل لباسه. وبدم العنب ثوبه. تكون عيناه أشد سوادا من الخمر، وأسنانه أكثر بياضا من اللبن» [ترجمة كتاب الحياة عربي/ انجليزي]. وعبارة [معناه من له الأمر] فى نفس النص .

والمعني: يظل الملك مع اليهود، وتظل الشريعة معهم، إلى أن يأتى النبى المنتظر الملقب «شيلوه» وعندئذ يزول الملك من اليهود، وتنسخ الشريعة. ويكون وينتقل الملك إلى شيلوه، وتكون الشريعة الجديدة معه.

ثم تكلم بأسلوب الكناية عن كثرة الخيرات فى زمن شريعة شيلوه، الذى له الأمرفقال: يربط بالكرمة جحشه. كناية عن كثرة الخيرات، حتى أن طعام الآدميين الفاضل منهم، تأكله الحمير بدلا من طعامهم الخشن. وقال إنه يربط ابن حمارته بأحسن جفنة طعام عليها لحم وثريد. كناية عن كثرة الفاضل من طعام الآدميين. وقال إنه يغسل بالخمر لباسه. بدل غسله بالماء. كناية عن كثرتها. وكثرتها مع غلاء ثمنها تغنى عن الماء فى غسل الثياب. ثم قال ويغسل بدم العنب ثوبه كناية عن رخص أثمان العنب. ولذلك كله يكون من حسن طعام المسلم أن عينيه تكون أشد سوادا من الخمر كناية عن حسن التغذية وجودة صحة بدن=

بعض نسخ التوراة «الكل» فجعله مع النبوة مَلِكا مطاع الأمر، كما قال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك[(١)] ابن أخيك عظيما. فقال له: اسكت فإنها النبوة وقال: «لقد أتيتُ كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه؛ فما رأيت قوما أهيب لملكهم من أصحاب محمد لمحمد ﷺ». وقال صناديد قريش: «لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كَبْشة» جد من أجداد رسول الله ﷺ. وكذلك كان عليه السلام، فإن الله جمع له الكل. كما قال يعقوب النبوة والملك. فاستقام أمره واستوسق سلطانه، واستتبت دولته، وألقت إليه الدنيا سلطان مقاليدها. فكان نبيا رسولا كما كان سلطانا مبعوثا إلى الأحمر والأسود والقريب والبعيد. ولقد هابته الملوك وهادته واعتصمت منه بالذّمم، وحضت على مؤازرته، وتابعه قيصر والنجاشي وملوك العرب.

فأما المسيح عليه السلام فقد شهدت عليه أقواله وأقوال تلاميذه فى الإنجيل بأنه لم يرسل إلى كل الأمم من العرب والعجم. إذ يقول فى إنجيله: «إنى لم أُرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» وسئل أن يقضى حاجة امرأة من الكنعانيين، فقال: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيلقى للكلاب» وقال المسيح حيث بعث تلاميذه: «مدن السامرة لاتدخلوا، وطريق الزنادقة لا تسلكوا، واذهبوا بالحريّ إلى الخراف التى ضلت من بيت إسرائيل» [(٢)]. فبين فى كل كلامه: أن دعوته خاصة وليست عامة، فإذاً ليس هو المراد بلفظ إسرائيل. إذ إسرائيل

=الإنسان. وقال وأسنان أكثر بياضا من اللبن لنفس المعنى الكنائي. وهذا حاصل فى بلاد المسلمين. فإنهم فى رخاء وأمن من حين ظهور الإسلام وإلى يوم القيامة.

(١) فى التوراة عن محمد ﷺ: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون» [تث ١٨: ١٥ -] ومعنى له تسمعون: أنه يكون صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى، ويكون ملكا على بنى إسرائيل وبنى إسماعيل وجميع الأمم. لأن من يلتزم بشريعته فكأنه قد ملكه عليه.

(٢) المؤلف يقول إن المسيح لم يرسل إلا إلى بنى إسرائيل من دون الناس. وقد بنى قوله هذا على عدم دقته فى قراءة النص. حيث قرأ: «واذهبوا إلى الخراف التى ضلّت من بيت إسرائيل» وصحتها: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ١٠: ٥ +] لاحظ «بالحريّ» والمعنى: اذهبوا أولا إلى ديار اليهود، وبعدما تفرغون من الدعوة فيها؛ اذهبوا إلى الأمم. وهذا ما قد حدث بالفعل. وكانت دعوتهم هى التبشير بمحمد ﷺ المعبر عنه ههنا «إنه قد اقترب ملكوت السموات».

ولاحظ: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيلقى للكلاب» كتبها المؤلف «خبزالنبيين» وكررها فى أكثر من موضع ولم يصلحها.

يقول: «إنه تنتظره كل الشعوب» ولم يقل ينتظره من ضل من شعب إسرائيل لا غير.

والعجب من النصارى. كيف ينزلون هذا الكلام على المسيح عليه السلام وهم مجمعون أن صاحبهم كان مستضعفا يبذل الجزية، أسوة سائر أهل الذمة. فرووا فى إنجيلهم الذى بأيديهم اليوم: أن جباة الجزية من جهة قيصر قالوا لبطرس: مابال معلمكم لا يؤدى إلينا الغرم؟ فذكر ذلك بطرس للمسيح، فقال: والبنون أيضا يؤدون الغرم؟ ثم قال لبطرس: «اذهب إلى البحر وألق الصنارة واصطد ما تؤدى عنى وعنك» (١) .

هذا نقلهم والعُهدة عليهم. وإذا كان الأمر على ما نقلوا؛ فليس هو صاحبهم؛ لأن الصادق إسرائيل قال: إن هذا الآتى يكون ملكا نبيا وكل الشعوب ينتظرونه، والخلائق معمومون برسالته ودعوته. والنصارى يقولون: هو هذا الذى يبذل الجزية من صيد السمك ويتحمّل الصّغار. وإن خساس اليهود وأراذلهم وثَبوا به وأرذلوه واستذلوه وربطوه ربط اللصوص وأهل الدَّعَر، ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك، وجعلوا يصفعونه ويسخرون منه. ولما قضوا نهمتهم من عقوبته؛ صلبوه على خشبة فوق نَشَز من الأرض، وقرنوه بلصّين مُصلّبين، ثم قتلوه وإياهما. كما حكوه لنا فى إنجيلهم.

أفكانت بشرى يعقوب لسائر الشعوب برجل يُرذل ويصفع، ويؤدى الجزية فيذل لها ويخضع، ويحمل خشبته ويصعد عليها ويرفع، ويستسقى ماء فَيُذاد عنه ويُدفع، ويسأل القيا فلا يجاب إليها ولا يسمع. قال يعقوب عليه السلام: «وإياه تنتظرون الشعوب» والمسيح عند النصارى إله خالق ورب رازق. ومعلوم أن أكثر شعوب الأرض وأهل الدنيا ينكرون هذا ولا يقرون به. فكيف ينتظرونه؟ وإنما ينتظر الإنسان ما يجوِّزه. فأما ما يُحيله ويقضى بمنعه واستحالته؛ فلا ينتظر مجيئه وإتيانه. فقد وضح أن الذى نص عليه يعقوب فى التوراة ليس هو المسيح عليه السلام.

---

(١) متى ١٧ : ٢٤ + .

فأما اليهود فيقــال لهم: أخبرونا عن مسيحكم هذا الذى أنتم تنتظرونه، هل يعرفه غيركم أو يقرّ به سواكم؟

فإن ادَّعوا ذلك كــابروا العيان، فإن أحدا من النــاس لا يعرفه ولا يدين الله بمجيئــه. وانتظار الشيء فرع معــرفته. وإنما ينتظرون المسيح الدجــال الكذاب الضال المضل الذى حذر منه الأنبياء وأتباع الأنبياء .

قالت التوراة فى السفر الخامس بعد أن نصّ على مجيء النبى الصادق: «فأما الذى يقول مالم آمره به أو يتكلم باسم آلهة أخــرى؛ فليقتل ذلك قتلا. وإن أشكل عليكم معــرفة الصادق من الكــاذب. فانظروا فإنى لا أتمّ عــمل الكاذب ولا أُكمل فعله؛ لأن قوله ذاك كذب وجرأة وصفاقة وجــه. لا تخافوه ولاتفزعوا منه» فهذا ما فى التوراة.

وأما الإنجيل فــقال: «إنه سيقوم مســحاء كذبة وأنبياء كــذبة بآيات وعلامات ويضلون الناس إن قدَرُوا، ويتم الذى حكاه دانيال حينئذ «يهرب الناس إلى الجبال، ولا ينزل من على سطح داره لأخــذ ثيابه. الــويل للحبــالى والمرضعــات فى تيك الأيام، ويكون ضيق عظيم لم يكن مثله فى العــالم، ولولا أن تيك الأيام قصرت لم يخلص ذو جسد، ولكن من أجل المنتخــبين قصرت تيك الأيام. ومن بعد ذلك تظلم الشمس والقمر لا ينير وتسقط الكواكب، وترتج السماء» (١) .

وقد قــال المسيح: «ومن قِــبَل ثمارهم تعــرفونهم» ونحن نعلم أن مــن ثمار محــمد عليــه السلام توحــيد البارى وتقــديسه وخلع مــا سواه جل وتعــالى. وأما المسلمون فــلا يعدلون لهــذا النعت عن محمــد رسول الله ﷺ . وأمــا النصارى فمكذبون لليهود، زاعمون أنه المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد أبطلنا ذلك. وأما المجوس وسائر فرق الناس كالصابئة وأصحــاب هرمس وغيرهم فينقسمون إلى من

---

(١) غرض المؤلف من ذكر النص هو: «أنه سيــقوم مسحاء كذبة وأنبيــاء كذبة» هذا هو غرضه. والنص كله هو كلام لــعيــسى عليه الســلام عن مجيء مــحمــد ﷺ ويستــشهــد عليه بالأصــحاح التــاسع من ســفر دانيال. ويقول المسيح: إن حربا شديدة ستكون فى دخول المسلمين لفلسطين. وإنى أنصح بهروب الناس إلى الجبال؛ لأن مقاومة المسلمين عديمة الجدوى. .

له شبهة كتاب وهو لا يدين بالتوراة ولا بشيء من قول اليهود، وإلى من ينكر النبوات جملة، كالبراهمة والهنود وغيرهم. وإذا كان ذلك كذلك. فليس المذكور في التوراة صاحبهم الذى ينتظره سائر الشعوب. وإذا فسدت دعوى اليهود والنصارى جميعا، فلابد من الوفاء بقول إسرائيل الصادق، ولم يُبعث إلى سائر الشعوب سوى محمد رسول الله ﷺ.

ولا يمكن دعوى ذلك لموسى - عليه السلام - إذ هو مهجور على كل قول، ولا ادعاه أحد. ثم اعلم: أنه يتعين تأويل ألفاظ إسرائيل وصرفها عن ظاهرها، فأكثر كلام القوم متروك الظواهر، موكول استنباطه إلى آراء العلماء، وفهوم الحكماء.

والدليل على أن نبينا محمدا ﷺ ينتظره سائر الشعوب: قوله تعالى فى محكم كتابه العزيز: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ - ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ - ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ .

وقد قال عليه السلام: «بعثتُ إلى الأحمر والأسود. لو أدركنى موسى وعيسى ولم يتبعانى لأكبهما الله فى النار» وذلك الذى يوضح أنه عليه السلام المراد فى التوراة على لسان يعقوب. وقد نصّت الأنبياء فى نبواتهم على أن هذا النبى المنتظر يكون خاتم الأنبياء. وسنذكر ذلك فى الباب الأخير.

أما ما يتعين تأويله: فقوله «ربط بالحبلة جحشه» فتأوله بعض أصحابنا فقال: يشد الحمار بالشجرة ثم قال: الحمار هم اليهود والشجرة هم أصحاب النبى عليه السلام. قال: وشاهد ذلك من القرآن والتوراة. قال الله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ فشبه اليهود بالحمار. وقال تعالى فى التوراة: «أخرجتَ شجرة من مصر ثم فرعتَهَا فى جميع الدنيا» [١] يعنى بالشجرة: أصحاب موسى. وكذلك أصحاب محمد أيضا شجرة بهذا

---

(١) مزمور ٨٠: ٨ - ٩ وإشعياء ٥: ١ - ٧ وإرمياء ٢: ٢١ وحزقيال ١٥: ٦ و١٧: ٦ و١٩: ١٠ .

الاعتبار. وكأنه يقول: يربط الكفار بأصحابه وأهل بيته، قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ .

وقد قال المسيح لليهود: «إما أن تكونوا شجرة طيبة وثمرتها طيبة، وإما أن تكونوا شجرة خبيثة وثمرتها خبيثة؛ لأن من الثمرة تعرف الشجرة» (١) .

هذا تأويله عند بعض أسلافنا ـ رحمهم الله ـ وأنا أقول: يحتمل أن يريد بالحبلة: جزيرة العرب. وهى الحجاز وما والاه، وقد كانت قبل مبعث سيدنا رسول الله ﷺ محمل الشرور ومحط الآثام كالحبلة التى خمَّرتها أم الخبائث. فربط عليه السلام مركوبه؛ أى استقر بها فلم يزايلها حتى أزال ما بها من الشرك (١٢) ، وأباد ما اشتملت عليه من الكفر والإفك، وأحال حالها من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن كاستحالة الخمر خلا. وقد قال بعض أهل العلم: إنهم غيّروا من كلام يعقوب كلمتين:

إحداهما: «جحشه» وإنما هى مهرة.

والثانية: «الملك» وإنما هى الكل.

وذكر: أنه رأى ذلك فى نسخة لم تتغير. قال: وإنما فعلوا ذلك لكى يُخرجوا نص يعقوب عن رسول الله ﷺ. قلت: ولا فائدة لهم أيضا فى ذلك. فلعمرى لقد كان له عليه السلام حمار يسمى يعفور، ومعلوم أنه لابد من ربطه بالشجرة وغيرها. وخفاء علامة واحدة ـ لو خفت ـ لا يقدح فى ظهور بقية الصفات.

وأما قوله «يرحض بالخمر لباسه» فذلك كناية عن جهاده الكفار وقتاله فى سبيل الله، أسوة سائر الرسل. كما صنع إبراهيم وموسى ويوشع وداود والخمر: هو الدم. ودليله: قول المسيح وأشار إلى الخمر: «هذا دمي» وكأنه عليه السلام لشجاعته وإقدامه فى طاعة ربه يصبغ لباسه بدماء المشركين. كما ورد: «أنه حين رجع من بعض غزواته ناول سيفه ابنته فاطمة ـ عليها السلام ـ وقال: «يا بنية

---

(١) متى ٧ : ١٧ + .

(٢) متى ٢٦ : ٢٧ + .

أزيلى ما عليه فلقد أبلى عن أبيك اليوم» . وكيف لا يصفه يعقوب بذلك. وقد روى: «أنه عليه السلام حمل فى بعض مواقفه سبعين حملة على المشركين». وكذلك قول يعقوب عليه السلام: «يصبغ بعصير العنب رداءه» يعنى يغمس سيفه فى دماء الكافرين. والسيف يسمى رداء وإزارا، ولو تصرف متأول فى كلام يعقوب فقدّم وأخر فقال: يرحض الخمر بلباسه؛ لكان محسنا؛ يعنى يحرم الخمر ويزيل وضرها بتقواه. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ سمى التقوى لباساً.

وأما قوله: «عيناه أشدُّ سهولة من الخمر» فقد روى فى حلاه ﷺ: أنه كان بعينيه حمرة ظاهرة لا تفارقه. ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى شدة حيائه عليه السلام فإنه كان أشدُّ حياء وخفرا من العذراء فى خِدرها، فكان إذا أتى أهله تلّفع من شدة حيائه ﷺ. وكان لا يجابه أحدا فى وجهه بما يكره. وإن أمضّه ما يصدر منه عرَّض. فقال: «ما بال قوم يفعلون كذا وكذا» و«وما بال الرجل نولّيه مما ولانا الله فيفعل كيت وكيت» و«إن أقواما استأذنونى فى أمر فلا آذن لهم» وذلك لما طبعه الله عليه من الحياء والخفر والسكينة ﷺ. وأما قوله: «وأسنانه أشدُّ بياضا من اللبن» فإن حمل على ظاهره فكذلك كان عليه السلام لكثرة محافظته على سنة السواك.

وقد اختلف الفقهاء فى وجوب السواك عليه ﷺ.

وإن تؤول فالأسنان: الأصحاب والأعوان الذين هم أعوان النبى على تبليغ أوامر ربه تعالى كاستعانة الإنسان بالأسنان على تناول غذائه. فوصف يعقوب أصحاب نبينا - رضوان الله عليهم - وأهل بيته الأكرمين بصفاء التوحيد ونقاء العقائد عن ظلم التجسيم والتجسيد.

قال الشاعر يرثى سِنًا سقط له:

وصاحبٍ لا أملّ الدهر صحبته	يَشْقَى لنفعى ويسعى سعى مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنا. فَمُذ وقعتْ	عينى عليه. افترقنا فُرقة الأبد

الانتزاع الثاني: فإن قيل: وفى التوراة ما يدل على ما ندين به من صلب المسيح. وهو أن موسى عليه السلام صنع لبنى إسرائيل فى التيه حيّه من نحاس، وأمرهم بالنظر إليها [(١)] . قال النصارى: فهذا تنويه بأن المسيح سيُقتل ويصلب؛ لأن موسى محاشى عن العبث. قالوا: وقد كان المسيح يقول لأصحابه: «اذكروا الحية النحاس».

فنقول لهم: يا نوكا. لو قرأتم ما قبل ذلك لتبين لكم غلطكم وسقطكم؛

---

(١) لما تذمر اليهود على الله وعلى موسى بسبب المنّ والسلوى الذى لم يكن لهم غيره وقد كرهوه «أرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا: قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك؛ فصلّ إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى: اصنع لك حية محرقة، وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها؛ يحيا. فصنع موسى حية من نحاس، ووضعها على الراية. فكلما لدغت حية إنسانا ونظر إلى الحية النحاس؛ يحيا» [عدد ٢١: ٦ +].

والمعنى: أن المريض إذا نظر إلى الحية المرفوعة على الراية؛ يبرأ من مرضه. فكانت الحية النحاسية سبب شفاء فى ارتفاعها. وقد شبّه الله بها «ابن الإنسان» على معنى مجازى بديع، وهو أنه سيظهر للناس، وسيكون أمره ظاهرا، وسيكون عالى الشأن. وعلو شأنه وظهور أمره هما لمن يريد أن يشفى نفسه من مرض النفاق ومرض المعصية. يريد أن يقول: إن من يؤمن به ويتبعه؛ لن يهلك، وسيصح جسده من الأمراض الظاهرة والباطنة وسيصح عقله وسيصح قلبه ويدل على هذا النص بتمامه. وهو: «وكما رفع موسى الحيّة فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان؛ لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم. الذى يؤمن به؛ لا يدان. والذى لا يؤمن قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم الله الوحيد. وهذه هى الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم. وأحب الناس الظلمة أكثر من النور؛ لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يُبغض النور، ولا يأتى إلى النور؛ لئلا تُوبخ أعماله. وأما من يفعل الحق؛ فيُقبل إلى النور؛ لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة» [يوحنا ٣: ١٤ +].

لاحظ: ١ - «ابن الإنسان» ٢ - «ابن الله الوحيد».

يقول المسيح: إن «ابن الإنسان» الذى هو لقب لمحمد ﷺ فى سفر دانيال ٧: ١٣ - ١٤ سيعلو شأنه، وسيظهر أمره. لكى لا يهلك كل من يؤمن بشريعته ويعمل بها. ثم تكلم عن محمد ﷺ بلقب وضعه عليه داود عليه السلام فى المزمور الثانى وهو «ابن الله» فقال «لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» وقوله هذا هو نفسه قوله عن «ابن الإنسان» وبين السبب في أن الله سيرسله. وهو ليس محاربة الناس ولا إدانتهم ولا قتلهم. وإنما هو تخليصهم من أيدى الكفار الذين يضطهدونهم بالحرب. أى أن الحرب للدفاع عن المؤمنين لا لشهوة سفك الدماء. وسبب حربه الكفار هو: أن النور قد جاء. وهو القرآن. وعبر بالماضى لتحقق وقوعه. ولم يقبلوا على هذا النور؛ لأن أعمالهم كانت شرّيرة.

[راجع فى هذا المعنى: كل ما كتب عن ابن الإنسان وابن الله].

وذلك أن التوراة تقول: «إن بنى إسرائيل شكوا إلى موسى. وهم فى التيه. من حيات تلدغهم، فأهلكت منهم خلقاً كثيراً، فأمرهم أن يصنعوا حيّة من نحاس ثم يرفعوها على خشبة وقال: من لدغته حية فليأتِ ولينظر إلى تلك؛ فيبرأ. وإنما رفعوها لكبر العسكر حتى تسهل رؤيتها ولا تتعذر مشاهدتها.

وأما ما ذكرته النصارى من أن ذلك تنويه بصلب المسيح؛ فكذب على نبى الله موسى، وكيف يُعدّى ذلك إلى موسى عليه السلام وقد شحن توراته بتوحيد الله وتنزيهه وإفراده بالربوبية والألوهية. ثم أمر بقتل المصوّرين للصور، ونهى عن إتيان العرّافين والمنجمين ومتحلمى الأحلام، وحرص على قتل من دعا إلى عبادة غير الله وأشرك مع الله إلها آخر كما ذكرت التوراة. قال عليه السلام: «من دعاك إلى عبادة آلهة أخرى، فاقتله، واقتل من استجاب له من الواحد والجماعة والبلدة، ولا تتحننوا عليهم، ولا ترحموهم، وأزيلوا الشر من بينكم. فالله ربكم واحد هو إله جبار عظيم مرهوب. إله غيور. هو نار محرقة» (١).

فمن زعم من النصارى أن توراة موسى فيها ما يعضد باطله؛ أكذبناه بما نقلناه من التوراة.

قال المؤلف: يقال للنصارى: هبْ أن ذلك كان تنويها بصلب، فبم تنكرون على من يزعم أن ذلك المصلوب إنما هو الشّبه، الذى قدمنا ذكره؟ وبيانه: أن المسيح أعلى قدرا من الشّبه؛ لأنه عندنا نبى وعندكم معشر النصارى إله، فلو كانت الحية تنويها بالمسيح؛ لاتخذوها من الذهب أو من شيء أعلى من الذهب؛ ليكون ذلك تنويها بأن المصلوب يكون أعلى من كل شيء وأفضل. كفضل الذهب على غيره من المنطبعات. فلما اتخذوها من النحاس مع قدرتهم على الذهب؛ دل ذلك على أن المصلوب لا يكون إلا مفضولا.

وقد شهدت التوراة بأن موسى عليه السلام حَلَّى قبة الزمان التى بناها للرب بقدر كبير من الذهب (٢). فيا لله العجب تبنى قبة للرب وتُحَلى بقناطير من

---

(١) تثنية ١٣: ٦ + أيضا تثنية ١٨ عن السحرة والعرافين.

(٢) الخروج ٣٥ إلخ.

الذهب؟ فكيف تتخذ الحية من النحاس وهى تنويه بالرب نفسه؟هذا مالا يَجمل ولا يحسن بمثل موسى وصلحاء أصحابه. ففضل ما بين الذهب والنحاس كفضل ما بين المسيح والشّبه. ثم النحاس يسمى بأرض الشام المجاورة لأرض التيه شَبَهًا، فلعل القوم إنما اتخذوا الحية من الشّبه؛ لتكون منوِهة بصلب الشبه وحماية المسيح.

فاعجب ـ هداك الله ـ المواطأة بين الاسمين. إذ كل واحد منهما يسمى شبها.

ثم يقال للنصارى: وكيف استدللتم بنصب الحيّة النحاس على صلب المسيح. وهى على النقيض منه؟وذلك أن تلك حين صارت على جذعها صارت سببا للشفاء، ووسيلة إلى العافية من البلاء. فمن رآها خلص من علّته، وعوفى من لدغته لساعته. فأما أيشوع فحين صار على جذعه صار سببا للهلاك، ووسيلة إلى الاشتراك. فلو أن أيشوع حين صار على الخشبة أطبق اليهود على الإيمان، وخلصوا من لدغات الكفر والعصيان. لكان ذلك موضع شبهة. فأما والأمر على العكس والنقيض مما تذهبون إليه؛ فلا وجه لاستدلالكم بذلك. وهى على نقيض مقصودكم.

فقد صار ما انتزعوه استدلالا على الباطل؛ دليلا على الحق.

تم الجزء الأول، يتلوه الجزء الثانى من كتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»
ووافق الفراغ منه: فى يوم السبت الثالث من شهر صفر من سنة سبع وثلاثين وستمائة.
ولله الحمد والمنة.

تخجيل من حرف التوراة والإنجيل

للإمام: تقى الدين الجعفرى

دراسة وتقديم

خالد محمد عبده

الجزء الثانى

زيادات من التوراة والإنجيل

تدل على وقوع الشبه والاشتباه

قال مؤلفه عفا الله عنه:

ولنزدهم زيادات أخر من التوراة والإنجيل؛ تدلّ على وقوع الشّبه والاشتباه؛ ليتأنّسوا به ولا يحيلونه.

ومن ذلك أن الله تعالى غَيَّر صورة يد موسى عن لونها الأول ثم أعادها إلى لونها [١] وفعل سبحانه ذلك تدريجا لهم، وتأنيسا على الاشتباه قبل وقوعه. إذ النفوس تبتدر إلى إنكار مالم يتقدم معرفته. فكما جاز فى القدرة الإلهية تغير لون يد موسى حتى صارت تلمع كالثلج؛ فكذلك وجه المسيح. ولهذا نص الإنجيل: أنه قبل الفزع بقليل، صعد إلى جبل بالجليل. ونزل إليه موسى وإيلياء قال التلاميذ: فنظرنا فإذا منظر وجه المسيح قد تغيَّر، وتغيرت ثيابه. فصارت تلمع كالبرق [٢] وهذا الموضع إن وفق الله ذا لُبّ من النصارى؛ اضطره إلى ترك القول بقتل المسيح، وأحال ماكان من قتل وصلب على شَبَه المسيح.

ومن ذلك: أن الله تعالى أمر موسى فضرب البحر بعصاه؛ فتحول دما عبيطا. فكان المصريون يشربونه دما، والإسرائيليون يشربونه ماء صافيا [٣] .

ومن ذلك: أن مريم ابنة عمران ـ أخت موسى ـ تغيرت على موسى فى أمر من الأمور، فأمرهما الله أن يصعدا إلى قُبّة الزمان. فكلَّم الله مريم وتوعّدها فى حق موسي. فلما خرجت مريم من القبة إذا هى بيضاء برصاء، من قرنها إلى قدمها. فرقَّ لها هارون. فقال لموسى: يا سيد اشفها. فدعا لها، فأمرها الله أن تخرج خارج المعسكر، وتقيم سبعة ثم تدخل. ففعلت، فزال عنها البرص [٤] .

ومن ذلك: أن عصا موسى كانت من شجرة. فبينما هى خشبة يابسة لا نبات

---

(١) خروج ٤ : ٦ ـ ٧ .

(٢) متى ١٧ : ١ ـ ٨ .

(٣) خروج ٧ : ١٩ ـ ٢٤ .

(٤) عدد ١٢ : ١ + ١ .

بها إذ صارت شجرة ذات أفنان وعرشت وأثمرت لوْزا كذلك صارت حيّة ذات روح تسعى وتأكل ما وجدت. وبينما هى كذلك إذ عادت إلى حالها الأول [١] .

ومن ذلك: أن امرأة لوط لما التفتت تنظر ما نزل من العذاب بقومها؛ صارت لوقتها نصبة ملح [٢]. وكل ذلك تأنيس بشبه سيتفق فى المستقبل [٣].

هذا ما شهد به المنقول من التوراة. فأما الإنجيل. فقد شهد بأن الماء تحول خمرا[٤]، وشهد سفر الملوك الثانى [٥] بأن الماء انقلب زيتا. فأما ما يشاهد من بديع تدبير الله وعجيب فعله: ما نرى الرجلين قد استويا فى الحلى والصورة حتى لا يكاد الإنسان يفرق بينهما. وقد تتعاقب الألوان على الشجر والثمر. فترى الثمرة الواحدة بينما هى فى غاية البياض إذ عادت فى غاية الاخضرار، وبينما هى كذلك إذ صارت صفراء ثم حمراء ثم سوداء. وكذلك أحوالها فى الطعوم وتنقلها من المرارة إلى الغضوضة إلى الحلاوة وذلك فى الزمن اليسير. وقد نرى الشخص أزهر اللون نقى البشرة فى حال الصبوة، ثم نراه فى حال الشيخوخة. فلا تكاد تبين صورته. وهذا الشّيْب فإنه يصبغ الأسود الحالك أبيضا يَقَقًا. وهذا من أعجب أنواع الصباغ. ولا عجب من حسن ما الله خالق، وقد قال شاعرهم فى هذا المعنى:

أنكرتْنى إذ رأت شيبى بَدَا	ثم قالت: مالذى بعدى عراه؟
قلت: هذا صبغة الله. ومَن	يصبغُ الأسودَ مبيضا سواه؟

وكم مَنْ قد اتفق له همّ وغمّ وركوب هول فى بر أو بحر؛ فبات غربيبا؛ فأصبح أشيبا. ولقد خُبرت: أن عندنا بأرض مصر حيوانا يُعرف بالحرباء، يتلوّن فى الساعة الواحدة عدة ألوان. وهذه أمور شاهدة بأن الشبه غير مستحيل فى نفسه،

---

(١) عدد ١٧ : ٨ + .

(٢) تكوين ١٩ .

(٣) هذه سقطة من المؤلف.

(٤) يوحنا ٢ : ١ + .

(٥) الملوك الثانى ٤ : ٣ - ٧ .

وإذا كان جائزا فقد أخبر الصادق بوقوعه. فلا التفات. بعد ذلك إلى جهلة النصارى في ردّه.

وإن قالوا: لا ننكر جوازه. وإنه غيـر مستحيل في نفسه، غـير أن المسيح قال لنا: إنه سيناله من اليهود قتل وغلب وآلام كثيرة، فوقع الأمر كما أخبر [١] .

قلنا لهم: أين قـال لكم ذلك؟في الإنجيل أم في غـيره؟فـإن عزوه إلى غـير الإنجيل. أكذبهم حملة الإنجيل: إذ هو مقـصور على أخبار المسيح من حين ولادته إلى حين رفـعه، وليس يـؤثر عنه شيء خارج عـمـا في الإنجيل. وإن عـزوه إلى الإنجيل؛ افتضحوا؛ إذ اللفظ في الإنجيل أقـربه إلى مقصودهم قول المسيح: إن ابن الإنسان سيناله من اليهود كيت وكيت. وقد بينا غير مرة: أن ابن الإنسان المذكور إنما هو الشبه الذي قُتل وصلب. والدليل على ذلك: أن النصارى إلى يومنا هذا، ليس فيـهم من إذا روى شيئـا عن المسيح قال: قـال المسيح ابن الإنسـان، ولا إذا أقسم قـسمـا قـال: وحق المسـيح ابن الإنسـان، ولا إذا دعا وابـتهل سـأل المسـيح ابن الإنسان. ولكن ديدنه وهجيره أن يقول: قال المسيح ابن الله، وحق المسيح ابن الله.

فـإذا دعواهم أن المـسيح قـال: إني سـأقُتل وأُصـلب؛ دعوى لا حـقـيقـة لها. فاعلموا ترشدوا.

الانتزاع الثالث: وانتزع النصارى من التوراة تحـريم الأعمال في السبت. وقالوا: إنما كان ذلك تنويها وتنبيهـاً للناس على آلام المسيح. وذلك لأنه صُلب يوم الجمعة ودُفن ليلة السـبت، وقـام يوم الأحد باكـراً. فنبَّـهت التـوراة على أنه يكون يوم السبت كله ميّتًا معطلاً من الأعمال.

ونحن ـ يرحمك مولاك ـ قـد أريناك بعون خالقك حماية الله عـبده المسيح وصونه عن كيد أعدائـه، وإلقـاء شبـهه على رجـل قد حضـر أجله ورضى الله له الشهادة، فلا معنى للإعادة. غير أن النصارى يتعلقون في أباطيلهم بأدنى سبب

(١) «وابتـدأ يعلمهم: أن ابن الإنسـان ينبغي أن يتـألم كثـيرا ويرفض من الشـيوخ ورؤسـاء الكهنة والكتـبة، ويقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم» [مرقس ٨: ٣١] وهذا لاينطبق على المسيح لأنه لم يقم بعد ثلاثة أيام، وعلى زعمهم أنه هو النبي المماثل لموسى [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] لا يقتل؛ لأن من أوصافه أن لا يقتل.

فى اللجة يتعلق بما لا ينجّيه. وإلا فأيّ مناسبة بين خلق الله تعالى العالم فى ستة أيام، وإنجاز المخلوقات فى اليوم السابع، وإهانة رجل وقتله وصفعه وصلبه فى ذلك اليوم؟ والفراغ من الأعمال؛ غايةُ الكمال. والصفع والصلب والقتل؛ غاية الذل والنقص. ولا مناسبة بينهما ألبتة. وإنما حرَّم الله على بنى إسرائيل العمل يوم السبت ليتذكروا ما كانوا فيه من السُّخرة والتعب والنَّصب عند فرعون. ويحمدوا الله على ما أراحهم من جَوْر الفراعنة، فرسم لهم يومًا واحدًا فى الأسبوع يكونُ لهم تذكرة كيلا يتقادم الزمان فينسون حسن صنيع الله عندهم؛ فتلزمهم العقوبة أو نقص المثوبة، بقلة الشكر على ما اتخذ عندهم من النعمة. فيقولون: لو أن الله وضع لنا علمًا نعلم به ما جرى لسلفنا؛ لم نقصر فى الشكر، فأزاح الله عللهم وعين لهم اليوم الذى تمت فيه خلائق الله ومصنوعاته. فهذه هى العلّة فى العطلة من الأعمال يوم السبت. لا كما انتزع النصارى.

على أنا لو تركناهم وما انتزعوا؛ لم يكن فيه دلالة إلا على قتل الشَّبه الذى فرغنا من ذكره. وكذلك أمره تعالى برجم الزانى واللوطي؛ تذكيرًا لهم ولنا ما فعل بأهل سدوم وعامورا ليحصل الانزجار عن مثل فعلهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1]. وكذلك أمره سبحانه بالاغتسال من الجنابات والأحداث؛ تذكيرًا لهم ما صنع بفرعون وقومه، وكيف أغرقهم فى البحر وفجّر لهم المياه من الصخر القاسي. وكذلك أمرهم باتخاذ الأوانى من الذهب فى بيت مقدسهم؛ إذكارا لهم بالذهب الذى خرجوا به من مصر، وكيف سلبوه من الفراعنة، ومنحهم إياه، مع عزة المسلوب وضعف السالب. وكذلك أمره إياهم بأن يفدوا أولادهم بذبيحة. كلّ على قدر طوقه، إذكارًا لهم فعل إبراهيم حين أراد ذبح ولده. ليتأسوا به فى الرضا والتسليم لله - عز وجل - فيعظم مثوبته ويجزل أجرهم. وكذلك أمره سبحانه بالقرابين والأضاحي؛ تذكرة فعل ابْنَيْ آدم وسخاء نفس هابيل، وشح أخيه قابيل. ليكف البخيل عن بخله، ويجود السخى فى سخاه.

(١) سدوم وعامورا فى التكوين ١٩ وموقع سدوم وعامورا قريب من ارض الظالمين. وهى قريبة من أرض مصر. والفاصل هو البحر الأحمر.

وكذلك أمره إياهم أن يقربوا عن أبكارهم؛ إذكارًا لهم ما صنعه الله بأبكار فرعون وقومه، وكيف قتل فى ليلة واحدة أبكار الناس والحيوان من الملك إلى الآتوني.

وكذلك رش الكهنة الدم على المذبح؛ إذكارًا لهم الدم الذى أرسل على المصريين والنعمة على بنى إسرائيل. إذ يشرب هؤلاء الماء العذب وهؤلاء الدم العبيط من معين واحد ومجرى واحد. وكذلك أمره لهم بعيد المظالّ؛ إذكارًا لهم على تظليلهم بالغمام من حرّ الشمس وقد ذكرت التوراة العلة فى ذلك، فقال الله تعالى: «إن سألك ابنك غدًا وبعد غد، وقال لك : أى شيء هذا؟ فقل له: بيد منيعة قوية أخرج قومنا من مصر»[١].

وهذه المواضع تبطل على النصارى ما احتجوا به من العطلة فى السبت على قتل المسيح وصلبه .

الانتزاع الرابع؛وانتزع النصارى من التوراة قوله: «تعالوا نخلق بشرًا على شبهنا ومثالنا»[٢]، وقوله أيضًا فيها: «تعالوا ننزل نبلبل ألسن الناس»[٣] قالوا: فهذا دليلنا على الثالوث. وإنما خاطب بذلك الروح والابن. وقوله «شبهنا ومثالنا» دليل على التأنُّس الذى فعله.

والجواب: أن نقول: أخطأتم الطريق، وقذفتم بنفوسكم من مكان سحيق. وذلك أن الروح والابن قديمان لا دخول لهما تحت أوامر الآب حتى يأمرهم. وليس قوله لهما بأوْلى من قولهما له. فمن صَيَّر الأب أوْلى بافتتاح القول منهما؟ ثم الأب عبارة عن الذات ، والروح عبارة عن الحياة، والابن عبارة عن العلم أو النطق، فكيف يخاطب الله علمه وحياته فيقول لهما: تعاليا ننزل. والصفة على تجردها لا تُخَاطَب ولا تخاطِب؟

فإذا قالوا: فإذا كان لفظ التوراة هكذا. وهو صالح للتثليث. فما وجه

---

(١) لاويين ٢٣ : ٤٢ .

(٢) «على صورتنا كشبهنا» [تك ١ : ٢٦].

(٣) تك ١١ : ٧ .

حمله على التوحيد؟ قلنا: هذه النون مشهورة فى كل لسان وعند كل إنسان يُطلقها العظماء بينهم والأكابر. وهى بالله أليق، إذ هو العظيم على الحقيقة. وكل عظيم سواه؛ فهو عبدُه، ومخترع من صنعه. وقد قال لوقا فى إنجيله: «إن ناسًا راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة»[1] فهذا لوقا قد ذكر نفسه بلفظ الجمع. فبطل ما تخيّله النصارى من ذلك.

وقد قال الله تعالى فى الكتاب العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ .

ويحتمل أن يكون أمر الملائكة بالنزول وبخمر طينة آدم وتقديرها على هذا الشكل الإنساني، كالفعلة والعمال الذين يصدرون عن رأى المهندس الحكيم. فلما كملت فخارته؛ نفخ الله فيه الروح. والخلق عبارة: عن التقدير قال الأول:

ولأنت تَفْرى ما خلقت وبعـ ـضُ القوم يخلُق ثم لا يَفْري

هذا كله إن كانت ألفاظ التوراة والإنجيل لم يدخلها التحريف والتصحيف. وهذا الموضع إن لم يمش على ما قلناه؛ وإلا صادم بقية نصوص التوراة. فى استبداد الله تعالى بالخلق والاختراع. إذ قال الله فى السفر الأول منها: «فى البدء خلق الله السماء والأرض» فقال الله: ليكن كذا . ليكن كذا. حتى أكمل سائر مخلوقاته فى ستة أيام. كل ذلك ليس فيه ما يشعر تثنية ولا تثليثًا.

فأما قوله: «شبهنا ومثالنا» فهذا الموضع هو الذى غلَّط اليهود والنصارى. فاعتقدوا أن الله جسم وأنه مشابه لهذا الهيكل الإنساني. ويتعالى القديم عن مشابهة مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وإنما أراد الله تعالى أن آدم صار يعرف الخير والشر. ولم يرد المثال والشبه الخِلْقي. وقد فسرته التوراة بعد ذلك بأسطر فقال الله تعالى: «هذا آدم قد صار كأحدنا يعرف الخير والشر» والسر فى ذلك: أن المَلَك مركوز فى خلقه معرفة الخير والشر، والحيوان البهيم خال عن ذلك. وقد كان آدم فى بدء أمره ساذجًا عن

---

(١) لوقا ١ : ١ +.

معرفة ذلك. فلما تناول الشجرة؛ بدت له سوءته، وعرف ما لم يكن يعرف من الخير والشر. وإذا كان الله ـ سبحانه ـ إنما أراد المماثلة فى العلم بالخير والشر؛ بطل قول النصارى إن ذلك دليل على التثليث.

وأما قوله «ننزل نبلبل الألسن» فنزوله: نزول أوامره، وتجدد أحكامه، وهبوط الملائكة بوحيه. وإلا فالحركة والتفريغ والاشتغال يستحيل على القديم ـ سبحانه ـ وقد رُوى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فى كل ليلة جمعة. فيقول: هل من تائب . . . الحديث»[1].

وقول التوراة ـ فى خاتمتها: «أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران» فنزوله سبحانه: نزول أوامره، وظهوره: ظهور شرائعه، وإقباله: إسباغ نعمه على خلقه. وهذه كلها معانٍ معقوله يُؤمن بها اللبيب، ولا يجريها على الظاهر إلا المريب. ونحن فقد بينا من كتابهم الذى بأيديهم: توحيد الباري. واستشهدنا بأقوال المسيح فى التوحيد وأقوال تلاميذه. وذلك يُبطل تعلقهم بهذا الكلم الذى لا دلالة فيه على التثليث.

الانتزاع الخامس: وانتزع النصارى من التوراة: أن ثلاثة[2] من الملائكة مروا بإبراهيم ـ عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم «يارب» قالوا: فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذى نحن نقول به.

فيقال لهم: غلطتم أيها القوم غلطاً عظيماً، وحِدتم عن صَوْب الصواب، وأشكل عليكم غير المشكل. وذلك أن التوراة تقول فى السفر الأول منها: إن الله سبحانه كان متجلياً لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثالثة[3]. فقوله «يارب» خطاب لله وحده. ويؤيد ما قلته: قول التوراة: «ومضى الملائكة نحو سدوم وبقى إبراهيم قائمًا بين يدى الله تعالى يشفع فى القوم. ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار

---

(١) حديث البخارى كل ليلة .

(٢) خاطبهم «يا سيد» وفى ترجمة كتاب الحياة عربى إنجليزى «ياسيدي» «my lord» {تك ١٨ : ٣} وخاطبهم لوط «ياسيديّ» {تك ١٩ : ٢} «My lords».

(٣) تك ١٢ : ٧ .

مع الفجار؟ حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن يكون هذا من صنيعك[١] . فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أَضْمر: يا رسل رب. والإضمار فى التوراة كثير جدًا كقول المَلَكَ لهاجر حين رآها ومعها ولدها إسماعيل: «شُدِّى يديك بهذا الغلام؛ فإنى سأكثر نسله كثيرًا[٢] فأضمر الملك: يقول لك الله: إنى سأكثر نسل ولدك. إذ الملك لا يقدر على ذلك. وهو صادق لا يكذب. وكذلك قول التوراة فى هذا السفر: «إبراهيم إبراهيم لا تذبحن الغلام، فقد علمت أنك تخاف الله حين لم تمنعنى ابنك وحيدك»[٣] فأضمر: قال الله. لأن إبراهيم لم يقصد بذبح ولده التقرب إلى المَلَك، ولم يكذب فى قوله. وإذا ثبت أن إبراهيم إنما خاطب بذلك الله، وسجد له؛ بطل انتزاع النصارى لذلك واستشهادهم به.

على أنا نقول: لو ثبت أن إبراهيم إنما خاطب الملائكة وسجد لهم؛ لم يلزم منه ما انتحله النصارى من عبادة الثالوث؛ لأن قصد الجماعة الكثيرة بلفظ الواحد: كان هو لسان القوم فى ذاك الزمان. وشاهده من التوراة: قوله لبنى إسرائيل: «وتعملون للرب إلهكم ليبارك فى طعامكم وشرابكم، ويدفع الآلام عن بيوتكم، ولا يجعل عاقرًا فى أرضكم، وأرسل هيبتى بين يديك وأقاتل عنك كل من تذهب إليه، وأجعل أعداءك خاضعة بين يديك»[٤]وهذا كما ترى مخاطبة الجمع الكثير بلفظ الواحد. وفى التوراة من هذا الجنس كثير. كقوله لبنى إسرائيل: «إنكم تعرفون أنفس التواينة؛ لأنكم كنتم توابنة بأرض مصر. ازرع أرضك ست سنين، ودعها فى السابعة[٥]. وشاهده من المزامير لداود: «اسمع يا قوم، أقول لكم يا إسرائيل: أنا الله ربك»[٦] وشاهده من الإنجيل: «لا تقابلوا

(١) تكوين ١٨ : ٢٢ + .

(٢) تك ٢١ : ١٧ ــ .

(٣) تكوين ٢٢ : ١١ ــ .

(٤) خروج ٢٣ : ٢٥ ـ ٢٧ .

(٥) خروج ٢٣ : ٩ + .

(٦) مزمور ٨١ : ٨ ـ ١٠ .

الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحول له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك؛ فألق عليه رداءك»[١].

وفى الإنجيل: «لا تصنعوا بِرَّكم قُدَّام الناس لتراءوا لهم. فيحبط أجركم. لكن إذا صنعت رحمة، فلا تُصوِّت قدامك بالبوق، كما يفعل المراؤون فى المحافل والأسواق؛ لكى يحمدهم الناس»[٢].

وذلك فى كتبهم كثير. فلو كان خطاب إبراهيم للثلاثة بلفظ واحد يدل على التثليث؛ فهذه كتبهم تخطب الجموع الكثيرة بلفظ الواحد؛ فيلزم منه إفساد التثليث. وأما قوله يا رب. فقد قدمنا: أن لغة القوم تُجيز ذلك، وأنهم يخاطبون العظيم القدر، الرفيع المنزلة. ولا يستنكر ذلك منهم. وقد قال زكريا عليه السلام: «قال لى الملك: ما تدرى ما هذا؟ قلت لا يارب»[٣].

ورأى يوشع رجلاً فى يده السيف مصلتًا. فذهب إليه فقال: «أمنًا أنت أم من عدونا؟ فقال: أنا رئيس جند الله. فسجد يوشع وقال: أيٌّ شيء يقول الرب لعبده؟ فقال: اخلع نعليك؛ فإن الموضع الذى أنت فيه مقدس»[٤].

وهذا فى كتب القوم كثير يخاطبون به أكابرهم وعظماءهم. ولما كان لفظ الرب يطلقونه على غير الله تجوزًا وتوسُعًا؛ احتاجوا إلى لفظ التأكيد والتكرار عند إرادة الرب الحقيقي. فقيل لهم فى التوراة والكتب العتيقة: «اعلموا أن الله ربكم وإلهكم وخالقكم ورازقكم» حتى يرتفع الاشتراك بين المجاز والحقيقة، وقال سبحانه فى التوراة لبنى إسرائيل : «اختنوا قلفة قلوبكم ولاتقسوا رقابكم، الله ربكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، إله عظيم مرهوب جبار، لا يرتشى ولا يحابي، ينصف الأيتام والأرامل الذين يقبلون إليه»[٥]

---

(١) متى ٥ : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) متى ٦ : ١ ـ ٢ .

(٣) زكريا ٤ : ٥ .

(٤) يشوع ٥ : ١٣ + .

(٥) تث ١٠ : ١٦ ـ ١٨ .

وقد ذكرنا أن السجود كان سلام القوم على أكابرهم وتحيتهم لعظمائهم. فقد سجد يوشع للمَلَك. والتوراة تشهد بأن إبراهيم ولوطًا وإخوة يوسف وأولاده قد فعلوا ذلك، وذلك مذكور مشهور.

قال مؤلفه ـ عفا الله عنه ـ: **فى هذا الفصل من التوراة معانٍ رديئة. فتأمل؛**

منها: قولهم: «إن الله قال لإبراهيم: لقد وصل إليَّ إثم سدوم وعامورا. فقلت انزل الآن فانظر. هل صنعوا وأثموا كما بلغني. وإلا عرفت ذلك[1]» فإن فيه نسبة البارى إلى عدم العلم بالمغيبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق، وأنهم فى موضع تهمة، ومحل ظنة.

والموضع الآخر: قولهم: «إن الملائكة أكلت الطعام عند إبراهيم ولوط» ونقولوا عن إبراهيم: «أنه أطعمهم خبز ملّة، وصنع لهم عجلا سمينا، وسقاهم لبنا وسمنا» وأن لوطا «أطعمهم فطيرًا» هذا وأهل الكتاب ينكرون قول أهل الإسلام: أن أهل الجنة يغتذون بالطعام والشراب. ويقولون: لا طعام فى الجنة ولا شراب ولا نكاح؛ بل يكون حالهم كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون. وهذه غفلة عظيمة، وقد قال تعالى فى شأن الملائكة فى هذه القصة: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ وذلك كناية عن ترك الأكل ويشبه أن يكونوا أمسكوا طعام إبراهيم وباركوا عليه، وتقدموا إليه بإطعام أبناء السبيل وذوى الحاجة.

الانتزاع السادس: وانتزع النصارى من التوراة قولها: «وأهبط الرب على سدوم وعامورا نارًا وكبريتا من بين يدى الرب من السماء»[2] فزعموا أن تكرار «الرب» مرتين دليل لهم على أقنومين، وأن الله أَبْهَم ذكر [الأقنوم] الثالث ووكله إلى استخراج العلماء والفهماء: لتكثر أجورهم وتجزل مثوبتهم بالبحث والاستنباط.

والجواب عن ذلك: أنه سبحانه إنما كرر لفظة الرب للتأكيد؛ ليُعْلِم عباده أنه

(١) تك ١٨ : ٢٠ ـ ٢١ يقول اليهود فى مثل هذا: «إن التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم [راجع دلالة الحائرين لموسى بن ميمون]».

(٢) تك ١٩ : ٢٤ .

هو المتولى عذاب الظالمين. وهذا موجود فى كل لغة عند إرادة التأكيد وهو كقول القائل: نعوذ بالله من غضب الله. وكقول التوراة: «وصعد موسى إلى الله وناداه الله: قل لبنى إسرائيل وأعلِم بنى يعقوب قد رأيتم ما صنعت بالمصريين» (١). وكرر الله مرتين. وكرر يعقوب. والمعنى واحد. وقد قال إشعياء فى نبوته: «إن الرب سيرحم يعقوب، وسينجى إسرائيل»(٢) وقال إشعياء أيضًا: «تكلم يا يعقوب وقل يا إسرائيل ولا تخف»(٣) .وفى التوراة: «قال موسى: يا رب. الشعب الذين معى ستمائة ألف، وأنت قلت: إنك تطعمهم لحمًا شهراً كاملا، فلو ذُبح لهؤلاء أنعام الأرض وثيرانها، أوصيد لهم سمك البحور. أين كان يقع ذلك منهم؟ فقال الرب:يد الرب تكمل الأشياء، الآن ترى هل يتم كلامى أو لا؟» (٤) ،فبطل ما تعلقوا به من قوله «أنزل» ـ «الرب» ـ «يدى الرب».

ويقال للنصارى : ما قولكم فيمن يدعى أن الأقانيم خمسة، ويستشهد بقول الله تعالى فى التوراة: «فدعا بنوإسرائيل؛ فصعد نحيبهم إلى الله. فرأى الله بليّتهم؛ فذكر الله ميثاقه مع إبراهيم أبيهم. فنظر الله لهم، وعلم الله حالهم واضطرارهم»(٥). وإن كان قوله «أهبط الرب على سودم» تدل على أقنومين؛ فهذه الآية من التوراة تدل على خمسة أقانيم. ولعل ثم أيضًا عدة أقانيم وراء هذه الخمسة، أظهر منها ما أظهر، وأبهم الباقي؛ ليكثر أجر الحكماء والعلماء فى استنباط ما أبهم منها .

وكذلك قال داود فى المزمور التاسع عشر: «ناموس الرب بلا عيب، شهادة الرب صادقة، أمر الرب مستقيم، ووصية الرب تدبر العيون، خشية الرب زكية، أحكام الرب عادلة»(٦) فهذا المزمور قد كرر «الرب» ست مرات. أفتقول النصارى:

---

(١) خر ١٩ : ٣ ـ ٤ .

(٢) إشعياء ١٤ : ١ .

(٣) إش ٤٠ : ٢٧ .

(٤) عدد ١١ : ٢١ + .

(٥) خروج ٢ : ٢٣ + .

(٦) المزمور ١٩ وفى الأصل الثامن عشر .

إن الأقانيم ستة؟ فبطل مـا ادعوه فى قوله: «أنزل الرب على سدوم». ونزّل ذلك منزلة قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولا فرق فى التكرار والتأكيد بين أن يأتى بالاسم الواحد مرتين، وبين المغايرة بين الاسمين والمعنى واحد.

الانتزاع السابع: فإن قيل :دليلنا على ربوبية المسيح: أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه وطهَّر الأبرص، ومـشى على الماء وصعد إلى السمـاء، وحوّل الماء خمرا، وكـثّر الطعام القليل، وأقام الزَّمِن، وحمته الملائكة، وسـترته الغمامة، وأخرج الشياطين من الآدميين.

والجواب : أنه لم يُسلّم لـكم هذه الدعاوى سوى هذه الأمـة البارة. وهى أمة محمد ﷺ فلولا محمد عليه السلام شهد لأخيه عيسى بالرسالة والنبوة؛ لما عَرَّج أحد اليوم على أقوالـكم ولا وثق برواياتكم. وإلا فما بال بنى إسرائيل على كثرتهم لم يصدقوكم فيما تنقلون؟ هذا وأنتم تنقلون عن أمور محسوسة إذا وقعت لم تكد تخفى.

فـإن قالوا: إن اليـهود لعـداوتهم لنا تمالؤوا على سـتر هذه الخـوارق بغيـا وحسدا.

قلنا لهم: فـما بال من عدا اليـهود من الأمم والطوائف. كـالفُرس والديلم والترك والهنود والصين؛ لم يصدقوكم على ذلك، ويتـفقوا على دينكم ويتابعوكم على معتقـدكم. وقد أرَّخَ الناسُ أخبارَ العالم وحوادثه ودونوا فى كتبـهم عجائبه؟ فمـا بال العالم يُكذبكم ويقولون: إن يسـوعكم لم يحيِ ميّتـا قط، ولا أقام زَمِنًا ألبتة، ولا طَهَّـر أبرص أصلا، وإن جميع ما تنقـولنه من ذلك؛ كذبٌ ومين وإفك واختلاق لا أصل له ولا صحة. فلولا محمد رسول الله ﷺ شهد بصدق أخيه المسيح، وأخـبر أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكـمه والأبرص، وخلق من الطين كهـيئة الطير بإذن الله ، لما عَرّج أحد على أمثالكم وأشباهكم.

فأما بقية الآيات التى تدَّعونها. فإن ثبت أن نبينا ﷺ أخبرنا بها أو أخبرنا صادق آخر من الأنبـياء المتقدمين عن شيء منها؛ سمـعناه وآمنا به وصدقناه وكان

عندنا عَلَمًا من أعلام نبوته ـ عليه السلام ـ فأما أنتم فإنا لا نصدقكم فيما تنقلون عن الأنبياء، بعد وقوفنا على تخليطكم فى منقولكم، وفساد عقولكم، وقبولها لكم مستحيل. ألستم الذين تنقلون عن يوحنا الإنجيلي: أن كلمة الله التى هى علمه صارت لحما وشعرا وظفرا؟ ألستم الذين تنقلون عن أفرايم: أن اليدين اللتين خمرت طينة آدم، سُمِّرت بالمسامير على الصليب، والشِّبْر التى مسحت السموات؛ عُلِّقت على خشبة، وأن من لم يقل إن مريم ولدت ربها إلهها؛ فهو محروم؟

ألستم الذين زعمتم أن لوطا وقع على ابنتيه فأحبلهما وأولدهما الأولاد؟[1] وأن رؤبيل ـ بكر يعقوب ـ وقع على سُرِيَّة أبيه وفجر [2] بها؟ وأن يهوذا وقع على امرأة ابنه؟[3] وأن دينا ابنة يعقوب افترعت وأزيلت بكارتها؟ [4]وصيَّرتم ذلك قُرآنا يُتلى فى بيعكم وكنائسكم بحضرة جموعكم. ألستم الذين زعمتم أن لله الخالق البارئ ابنا، وأنه أرسل أنبياء فقُهروا وغُلبوا. وظهر عليهم الشيطان، وقل جدّهم، وقهر سلطانهم واستولى على ملك الله؛ فاحتاج الله إلى أن يرسل ابنه ذلك إلى الأرض. فولج فؤاد امرأة من خلقه، وأقام برحمها تسعة أشهر، ثم خرج من فرجها طفلا، وبقى يتردد بين اليهود يدعوهم، وأن الشيطان قهره وأخرجه إلى البرية وسحبه من مكان إلى مكان، ودعاه إلى أن يسجد له. فلما أتى عليه هذا الابن سلّط عليه شرذمة من أخس جنده وأدبر أعوانه؛ وهم اليهود. فأخذوه وصفعوه ثم قتلوه وصلبوه، وأغضبوا والده وأثكلوه؟

وإذا كان هذا نقلكم. فأى عاقل بعدها يسكن إليكم، أو يعول فى أمر

---

(١) النص فى تكوين ١٩ : ٣٠ + واعلم : أن تحريم المرأة وحلها لم يكن إلا من شريعة التوراة. فإنها هى التى أحلت من النساء وحرمن منهن. ولا يسمى الزنا بزنا إلا بالشريعة أما من قبل الشريعة فكيف يعرف الحلال من الحرام؟ فإبراهيم على سبيل المثال كان متزوجا من أخته. وعمران كان متزوجا من عمته، ويعقوب كان قد جمع بين الأختين. وكل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ما عدا لحم الإنسان. فلما نزلت التوراة صار هناك حلال وحرام.

(٢) تكوين ٣٥ : ٢٢ .

(٣) تكوين ٣٨ : ١٢ + .

(٤) تكوين ٣٤ : ١ ـ .

عليكم؟ فأما إحياء الميت [١] : فقد حكينا: أن إلياس أحيا ابن الأرملة، وأن اليسع أحيا ميّتين واحداً فى حال حياته وآخر بعد وفاته، وأن حزقيال أحيا الذين قتلهم بختنصر. وكانوا ألوفا من الناس، ولهم من يوم قتلوا نيّفٌ وأربعون سنة. فقال الله لحزقيال: تنبأ على هذه العظام حتى أحييها لك. وقد فعل قبر اليسع أعجب من فعل المسيح؛ لأن قوما حملوا جنازة إلى الجبال فرأوا عدواً، فخافوا وطرحوا الميت عن رقابهم وابتدروا فزعة. فقام الميت، وجاء يمشى حتى دخل المدينة، فنظروا فإذا هم قد ألقوه على قبر نبى الله اليسع. وفعْل حِزقيال أبدع من فعل المسيح. وفعل موسى أغرب من فعله. إذ قَلَب الخشبة. لها عينان تبصر بهما. وأخرج من الرمل قمّلا يسعى، حتى ملأ قياطن فرعون وأرض مصر. وهذا أعجب وأغرب من فعل المسيح.

وإما إبراء الأكمه من بنى آدم: فلا شك أنها من الآيات الباهرة أيضا. وهو يلحق بإحياء الميت؛ لأن ذاك عضوا كان ميتاً، فأشبه إحياء الإنسان جملة. غير أن آية موسى أغرب عند العقلاء منهم. وذلك أن صنعه عينين لخشبة يابسة جافة لا روح فيها أبدع، وأبدع من فتح عينى آدمي. ثم آية موسى كيف أراد؛ أدارها وحوّلها. إذ بينما هي خشبة صارت حيواناً يبصر بعينيه، ويأكل ما قدر عليه. وبينما هى حيوان إذ عادت شجرة لوز مثمرة، وبينما هى كذلك إذ عادت إلى حالها الأول. ثم إنها يستدعى بها الجراد والذباب والقُمّل والضفادع، ويثير بها الثلوج والمياه والظلمة، ويشق بها البحر، ويُجرى بها المياه من الصخر، ويجاهد بها الجبابرة؛ فتنفذُ فى كل ما عمل بها أعظم نفوذ.

وهذا - فاعلموا - لم يكن للمسيح من الآيات مثله. وقد فتح يوسف الصِّديق عينى أبيه يعقوب - عليهما السلام - كل ذلك تشهد به التوراة.

---

(١) إحياء اليسع لابن الأرملة فى الملوك الثانى ٤ وإحياء إلياس فى الملوك الأول ١٧ وإحياء المسيح فى يوحنا ٧ و ١١ ومتى ٩ وإحياء اليسع لميت بعد وفاته فى الملوك الثانى ١٣ وحزقيال فى سفره ٣٧ والمقصود من الموت: خراب القرية على المعنى المجازى وهو المشار إليه فى سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾ .

وقلب موسى للخشبة فى الخروج ٤ وإخراج موسى من الرمل فى الخروج ٨ .

وأما إبراء الأبرص[١] : فقد شهدت التوراة أيضا أن مريم أخت موسى وهارون تكلمت فى موسي؛ فبرصت من ساعتها، فأُخرجت عن المعسكر. فرضى عنها؛ فزال برصها، ولم يدع عليها فى الأول ولا دعا لها فى الثاني. وذكرنا عن نعمان الآرامى أنه برص فرحل إلى اليسع، واستأذن عليه فلم يأذن له، وقال: «قولوا له يذهب إلى الأردن فينغمس فيه سبعا؛ فإنه يبرأ» ففعل، فبرأ من برصه.

وأما مشيه على الماء [٢] : فقد حكينا أن إلياس وتلميذه اليسع قد مشيا على نهر الأردن جميعا. وكذلك يوشع بن نون قد مشى على الماء بتابوت السكينة، هو ومن معه.

وأما تحويل الماء خمراً[٣]: فقد حكينا عن سفر الملوك من كتبهم: أن اليسع قلب الماء زيتا؛ فأغنى به بيتاً من الفقراء. وذلك أعجب من فعل المسيح ــ على الكلّ سلام الله .

وأما تكثيره القليل من الطعام [٤] : فقد حكى فى التوراة: أن موسى دعا الله فأطعم بنى إسرائيل مَنًّا وسَلْوى فى البريّة، وهم ستمائة ألف سوى النساء والصبيان، وذلك أعجب وأغرب من آية المسيح ـ عليهما السلام ـ وقد حكى فى سفر الملوك: أن إلياس عليه السلام نزل بامرأة أرملة فى زمن قحط شديد حتى هلك الناس، ومكثت السماء لم تمطر ثلاث سنين. فقال لها: هل عندك من طعام؟فقالت: والله يا نبى الله ما عندى إلا كفّ دقيق فى قُلّة لنا. أردتُ أن أخبزه لطفل صغير. وقد أيقنا بالهلاك. فقال عليه السلام: أحضريه ولا خوف عليك. فأحضرته بين يديه، فبارك عليه، فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر؛ تأكل منه هى وأهلها وجيرانها حتى فرج الله عن الناس. ومَن كثَّر القليل وأدامه؛ أغربُ فى الإعجاز ممن كثر ولم يُدمه.

---

(١) متى ٨ وحادثة مريم فى العدد ١٢ ونعمان الآرامى فى الملوك الثانى ٥ .

(٢) متى ١٤ والملوك الثانى ٢ وفعل يشوع فى الأصحاح ٣ من سفر يشوع.

(٣) يوحنا ٢ وفعل اليسع فى الملوك الثانى ٤ .

(٤) متى ١٤ والخروج ١٦ ونزول إلياس على الأرملة فى الملوك الأول ١٧ .

وأما حراسة الملائكة له[1]: فالتوراة تشهد بأن الملك كان يسير في عمود الغمام أيام بنى إسرائيل حتى شق بهم البحر وخلصهم من فرعون. وذلك أعجب من تخليص المسيح من يد الشيطان.

والعجب من النصارى يعتقدون أن المسيح رب الشيطان ورب كل شيء. ومع ذلك يُقرُّون أن الشيطان حَصَره فى البرية واستولى عليه. وقال له: «اسجد لي» حتى خلصته الملائكة من يده وأنقذته من ورطته.

وأما صعوده إلى السماء [2]: فسائر كتبهم تشهد أن أخنوخ قد صعد إلى السماء. وأن إيلياء قد صعد إلى السماء. فاستوت حالهما مع المسيح.

والعجب: أن الملائكة مأواها السماء. وهى فى زعم النصارى خدم المسيح. فكيف يعدون صعوده إلى السماء دلالة على الربوبية؟

وأما شفاء الزَّمِن [3] من علّة زمانته. فالتوراة شاهدة: أن سارة حملت وهى عجوز فانية، وولدت إسحاق ببركة نبى الله إبراهيم. وكذلك الإنجيل يشهد: أن اليصابات على كبر سنها حملت وولدت يحيى ببركة نبى الله زكريا. وما ذلك إلا عضو أزيلت علّته، فبطش بعد ضمان عطبته وزمانته. فاستوى الأمران.

وأما ستره بالغمامة حين صعد إلى الجبل [4]: فالتوراة تشهد بأن بنى إسرائيل إذ كانوا فى التيه مع موسي، وكان الغمام يسترهم من حر الشمس وهم ستمائة ألف، سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان. وذلك أربعون سنة. وهذا أعجب من ستر المسيح بالغمامة ومعه نفرٌ يسير.

وأما شفاء المجنون من جنونه [5]: فالتوراة تشهد: أن موت الفجأة وقع فى بنى إسرائيل فقتل منهم فى يوم واحد آلافا منهم. فأخذ هارون البخور فى مجمرة

---

(١) متى ٤ وقد سرق المحرف نبوءة الملائكة وهى فى نشيد موسى من محمد ووضعها على المسيح. وهى مطبقة فى القرآن على محمد فى غزوة بدر والتخليص من فرعون خروج ١٣ .

(٢) مرقس ١٦ التكوين ٥ الملوك الثانى ٢ .

(٣) متى ٩ تكوين ٢١ لوقا ١ .

(٤) متى ١٧ والعدد ١٠ .

(٥) مرقس ١ عدد ١٦ عدد ٢١ .

وقام بين الأموات والأحياء؛ فكف الموت عن بقيتهم. وما الجنون إلا مرض أصاب العقل. وهو دون مرض جملة البُنيـة. وكذلك نهشتهم الحيات فى التـيه. فاتخذ لهم حيّـة من نحاس؛ فكان كل من لدغـته حـية جاء إلى الحـية النحـاس؛ فيـبرأ من علّته. فهاتان الآيتان من التوراة أعجب من فعل المسيح.

وأما إجابة دعوته [1] :فالتوراة تشهد بأن إسحق حين كبر وقرم إلى اللحم وقضى أولاده شهوته؛ دعـا ليعقوب وعيصو فـاستجيب فيهـما. وكذلك قالت: إن يعقوب بارك ودعا لأولاده عند وفاته؛ فلم ترد دعوته.

ومما أخبر يعقوب تلميذ المسيح فى رسالته [2]: أن إلياس دعا على قومه فلم تمطر السـماء ثـلاث سنين وستـة أشـهر، ثم دعـا بعـد ذلك فزال الجـدب. وهذا أعجب، من فعل المسيح وأغرب.

وقد بقـيت للأنبياء آيات لم يأت المسـيح ـ عليه السلام ـ بنظيـرها، فنسمح بتسطيرها.

والله أعلم.

(١) يوحنا ١١ التكوين ٢٧ التكوين ٤٩ .

(٢) يعقوب ٥ .

الباب السابع

في إفساد دعوى الاتحاد

نحكى فيه مقالات الفرق الثلاث من النصارى اليعاقبة والروم والنسطورية فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت، وكيف تناقضوا وتعارضوا، ثم ننكر على الجميع بالإفساد والإبطال.

اعلم: أن فرق النصارى كثيرة. ولكن المشهور منهم الآن ثلاث فرق اليعاقبة والروم والنسطورية. وعقائدهم فى الإله مختلفة، وآراؤهم متباينة، ومقالاتهم متناقضة. ولم أر لهم قَدَمًا يثبت، ولا قاعدة تستقر فى هذه الدعوى وسبب خبطهم: أن كلا منهم يريد أن يُفرِّع عن أصل مستحيل؛ مذهبا صحيحا جائزا عند العقلاء. وما ذاك إلا كقول القائل:

ومتى كان فى الأنابِيب خُلْف وقعَ الطَّيش فى صُدور الصِّعاد

الفرقة الأولى:

فرقة يعقوب السروجى ويسمى البرادعى أيضا. ادعت: أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنوما واحد قالوا: لأن طبيعة اللاهوت تركّبت مع طبيعة الناسوت، كما تركبت نفس الإنسان بجسده، فصار إنسانًا واحدًا. فكذلك المسيح. فالمسيح عندهم إله كلّه، وأنسان كلّه. وله طبيعة واحدة، وهو يفعل بها ما يشبه أفعال الإله وما يشبه أفعال الإنسان. وهو أقنوم واحد ، هو الشخص. والأقانيم هي: الأشخاص. ومجرد حكاية هذا المذهب؛ يكفى فى الرد عليه. إذ حاصله: أن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله.

وسبيل الرد على هذه الفرقة: أن يقول لهم:

الحجة الأولى:

أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين أصارهما الاتحاد طبيعة واحدة، هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أو لا؟ فإن زعمت: أنهما لم يتغيرا، بل بقيت طبيعة الإله بحالها وطبيعة الإنسان أيضًا بحالها؛ فقد نقضوا

مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول: إن المسيح بعد الاتحاد كهو قبل الاتحاد. وسيأتى الكلام عليه. وإن زعمت أن الطبيعتين قد صارتا طبيعة ثالثة، لا تشبه واحدة من الأولين. فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة؛ لا إله ولا إنسان، فكان ينبغي على سياق هذا القول ألاّ يَصِفوا المسيح بأنه إله، ولا يصفوه بأنه إنسان؛ بل شيء آخر غريب عجيب. وذلك لأن الطبيعتين كانتا قبل التركيب إلهًا كاملا وإنسانا كاملا. فإن كان التركيب قد أخرجهما إلى طبيعةٍ غيرهما؛ لم تكن تلك الطبيعة لا إلها ولا إنسانا. فإن زعموا: أنهما كانتا قبل التركيب كاملتين، والتركيب لم يخرجهما عن الكمال بل بقى المسيح إلـها كاملا وهو بعينه إنسان كامل؛ فقد تحامقوا. إذ زعموا: أن القديم هو بعينه هو الحادث، وأن الزَّمنى هو بنفسه الأزلي. وذلك بمثابة قول القائل: إن الحركة: هى السكون، وإن السواد: هو البياض. وذلك هو الجنون.

الحجة الثانية:

الجمع بين الجوهرين فى الجوهرية؛ يُوجب كون الطبعين طبعًا واحدا أقنوما واحدا. فيسقط القول فيه الدنايا[1] إن كان المسيح إلها، أو يسقط القول بظهور الآيات إن كان المسيح إنسانا. فبطل القول بكونه طبعا واحدا.

الحجة الثالثة:

لو قد صار الجوهران واحدا للزم أن يكون القديم هو الحادث من الوجه الذى هو قديم، والمحدث قديما من الوجه الذى هو محدث؛ فبطل أن يكون صارا واحدا.

الحجة الرابعة:

هذا الرأى من اليعقوبية مردود بأقوال المسيح فى الإنجيل حيث يقول: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم»[2] ففرق بين الذاهب والذى يذهب إليه.

---

(١) يعنى أن أفعال المسيح الضعيف فى الدنيا، لا تناسب أفعال الله القوي.

(٢) يوحنا ٢٠: ١٧ .

فبطل أن يـكونا قد صارا وحـدا، وإلاّ لاتحد الذاهب ومن يذهب إلـيه، والداعى والمدعو. ودعاء المسيح نفسه محال.

الحجة الخامسة:

إن كـان طبع الإله وطبع الإنسان قـد صارا واحـدا والإله خالق والإنسـان مـخلوق، فطبع الخـالق هـو طبع المخلوق، وطبع العلّة هو طـبع المعلول. وذلك محال.

الحجة السادسة:

إن كان جوهر الأزلى قد تغير فـقد صار الأزلى زمنيا والزمنى أزليا. وذلك جهل من قائله.

الحجة السابعة:

إن كان جوهر الابن الأزلي، وجوهر الإنـسان قد تغيّرا عن طباعهـما؛ فقد بطلت فائدة الاتحاد التى يدعيهـا النصارى؛ لأن فائدته عندهم: أن يقع الفيض من الطبيعـة اللاهوتية على الطبيعـة الناسوتية بحلولها فـيه. وإذا كانت الطبيعـتان قد انقلبتا إلى ثالثة؛ فلا المفيد بقى مفيدا، ولا المستفيد بقى مستفيدا.

الحجة الثامنة:

إن كان الجوهران سليمين فى المسيح، لم يصدق قول من يقول: إنهما صارا واحدا بالعدد. وكيف يقال فى الكثرة إنهـا واحد من الجهة التى هى كثرة؟ وكيف يقال فـى الواحد : إنه كـثرة من الجهـة التى هو بهـا واحد؟ وإن كان الجـوهران والأقنومان قد تفاسدا وعدما، فكان ينبغى ألاّ يُوجد المسيح بل يعدم ويتلاشى.

الحجة التاسعة:

إن كان الجـوهران قد صارا واحدا بالعـدد فيجب أن يبطل فـعل هذا وفعل هذا؛ لأن المخـتلفى الطبـاع إذا تركب مـنهم طبع آخـر؛ لم يَبِنْ فـعل الأول ولا الثاني. فكان يجب ألاّ يُظهر المسيح. لا فعلا إلـهيا ولا فعلا ناسوتيا. ألا ترى أن

الاستقصات الأربع إذا تركب عنها جسم. فلا شك أن ذلك الجسم ليس بنار محضة ولا هواء ولا ماء ولا تراب. فعلى سياق هذا كان يلزم أن يكون المسيح بالاتحاد الذى يدعونه؛ لا إلهًا ولا إنسانًا. ويؤول القول بالاتحاد إلى رفع ثمرته وفائدته.

الحجة العاشرة:

الإنجيل مصرح بأن المسيح كان يتزايد أولا أو لا فى بنيته ومعارفه وعلومه، والمتزايد غير الكامل. فبطل أن يكونا شيئا واحدا؛ لأن الإله لا يتقلب ولا يتغير ولا يستحيل ولا يزيد. فإذا قلتم: إنهما قد صارا واحدا. ثم انقلب وتغير. فيكون غير المنقلب منقلبا، وغير المستحيل مستحيلا [نقول] وإذا انقلبت الكلمة فمن القالب لها؟ ثم جوهر الابن على زعمهم غير مائت ولا فاسد، وجوهر الإنسان المأخوذ من مريم مائت وفاسد. فإن كان المجتمع منهما صار واحدا فقد صار بجملته لا مائتا ولا غير مائت، ولا فاسدا ولا غير فاسد. وذلك خبط وجهل. وإنه لقبيح بموجد أوجده خالقه بعد أن لم يكن أن يقول: إنه صار هو وخالقه شيئًا واحدا وطبيعة واحدة. ولا يقبح أن يقال: إن الخالق البارى أفاض على عبده النعماء. وقال فولس فى أواخر الرسالة العاشرة: «الله مالك العالمين الذى لا يفسد ولا يُرى، هو الله الأحد، له الكرامة والحمد إلى أبد الآباد. جلَّ وعلا»[1].

الحجة الحادية عشرة:

صيرورة الجوهرين المتنافيين ـ كالثلج والنار ـ واحدا؛ مستحيل ببداهة العقول مع اشتركهما فى أصل الجوهرية. فصيرورة خالق الجوهر مع الجوهر واحدا ؛أولى بالاستحالة.

---

(١) تيموثاوس الأولى ١ : ١٧ . «وملك الدهور الذى لا يفنى ولايُرى. الإله الحكيم وحده. له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» وكلام بولس هذا يدل على أنه ليس هو الواضع للمسيحيين عقيدة التثليث. وإنما وضع نبوءات التوراة عن محمد على المسيح، وصرح بإلغاء أحكام التوراة كلها. ونادى بمكارم الأخلاق والبعد عن الفواحش .

الحجة الثانية عشرة:

قال يحيى بن زكريا حين رأى المسيح: «هذا خروف وحمل الله الذى يحمل خطايا العالم» [١] فَفَرَّق بينه وبين البارى تعالى فبطل أن يكونا واحدًا.

الحجة الثالثة عشرة:

قال شِمعون الصَّفا: «يا رجال بنى إسرائيل إن أيشوع رجل جاءكم من الله» [٢] وأيشوع: اسم المسيح. فشهد شِمعون وهو رئيس أصحاب المسيح بأن المسيح رجل، وأن الله أرسله، وأنه إنسان كله. وذلك تكذيب لليعقوبية فى دعوى هذا النوع من الاتحاد.

الحجة الرابعة عشرة:

سُئل المسيح عن يوم القيامة، فقال: «لا يعرف ذلك إلا الأب وحده فأما الابن فلا يعرفها» [٣]، وقول المسيح أَولى بالتصديق. وقد أخبر أنه لا يعلم بالمغيبات، ولو قد صار مع الله شيئا واحدًا لعلم ما يعلمه الله؛ لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض؛ فبطل أن يكونا شيئًا واحدًا.

الحجة الخامسة عشرة:

الأناجيل الأربعة تذكر أن المسيح بكى على صديقه لَعازَر، وفرح بتوبة التائب، وأكل فى دعوات أصحابه، وشرب وركب الأتان، وتعب من وعر الطريق، وحزن من نزول الموت، وقال: «إلهى اصرف عنى هذا الكأس» وهذه النقائص قبيح إضافتها إلى الابن الأزلي؛ فبطل أن يكونا صارا وحدًا.

فهذه حجج دامغة لليعاقبة قاضية بفساد ما ذهبوا إليه، وكثيرًا ما يحاولون تحقيق مقالتهم إذا أُلزموا ما يعتقدونه من قتل المسيح وصلبه فلا يمكنهم ذلك إلا أن يفروا إلى مذهب نسطور.

---

(١) يوحنا ١ : ٢٩ + .

(٢) أعمال ٢ : ٢٢ .

(٣) المسيح لم يسأل عن يوم القيامة، وإنما سئل عن ساعة هلاك اليهود .

الفرقة الثانية:

فرقة الملكية. ومذهبها: أن المسيح بعد صدور الاتحاد: جوهران وهو أقنوم واحد. وقد حكينا عنهم أن الأقنوم هو الشخص. قالوا: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود. غير أنه أقنوم واحد أى شخص واحد. فردوا الاتحاد إلى الأقنوم. إذا رأوا الاتحاد بالنسبة إلى الجوهر مستحيل.

وسبيل الرد على هذه الفرقة:

الحجة الأولى:

أن نقول: إذا قلتم: إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد؛ فقد أبطلتم الاتحاد، لأن افتراق أحد الجوهرين بالطبيعة والمشيئة؛ هو غاية الافتراق. وإذا كان ذلك كذلك؛ فلا معنى للاتحاد. إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة أكثر من الواحد واحدًا، وإذا كان جوهر الأزلى باق بحاله وجوهر الإنسان باق بحاله؛ فقد آل الاتحاد مجرد تسمية فارغة عن المعنى، خالية عن الفائدة.

الحجة الثانية:

هو أن نقول لهم: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازًا فإن قالوا: إن ذلك تجوز وتوسع؛ أبطلوا الاتحاد، وتجوزوا بإطلاق ما لم يجز إطلاقه على القديم سبحانه.

وإن قالوا: إنه اتحد به حقيقة؛ لزمهم أن تكون مشيئتهما واحدة؛ لأن الواحد لا تكون له إلا مشيئة واحدة. إذ لو كان للواحد مشيئتان؛ للزم إما أن يكونا متماثلتين وإما مختلفتين. فإن كانتا متماثلتين؛ فإحداهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين؛ تناقضت أحكامهما، وامتنع حصول مرادهما. فثبت : أنه لابد من إبطال إحدى المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة. أو إبطال الاتحاد جملة إن ثبتت المشيئتان.

الحجة الثالثة على الروم أصحاب الجوهرين والأقنوم الواحد:

هو أن نقول: إن قلتم: إن الأقنومين أعنى أقنوم الأزلى وأقنوم الإنسان، قد صارا واحدًا، فالجوهران أيضًا قد صارا واحدًا. والقول بصيرورة الجوهرين واحدًا؛ باطل، والقول بالأقنوم الواحد؛ باطل.

الحجة الرابعة:

هذا المذهب فيه قباحة. وذلك أن صيرورة جوهرين مختلفى الطباع شخصًا واحدًا لا يبوء به عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح بأنه قديم ومحدث إشارة واحدة.

الحجة الخامسة:

إن كان أقنوم الإله والمسيح قد صارا أقنومًا واحدًا، وأحدهما زمنى والآخر أزلي، فقد صار الأزلى زمنيًا والزمنى أزليًا، أو صار منهما شيء آخر لا أزلى ولا زمني، وذلك محال. وعلى هذا يبطل فعل أقنوم الإنسان وهو الأكل والشرب وغيره. وقد وُصِف المسيح بذلك، أو يبطل فعل أقنوم الإله. وهو إحياء الميت وتطهير الأبرص. وقد وُصِف المسيح به.

الحجة السادسة:

إن كان الأقنومان قد صارا أقنومًا واحدًا مع تنافى طباعهما. فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط؛ فيلزم أن يتغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان. وذلك متعذر على ذات البارى تعالى.

وأكثر الحجج الواردة على الفرقة الأولى واردة على الفرقة الثانية لقولها باتحاد الأقنومين .

الفرقة الثالثة :

فرقة النسطورية وهم نصارى المشرق المنسوبون إلى «نسطورس» أخذوا الأمانة عن السليح مارى وعن توما . وساعدوا نسطورس على رأيه فنسبوا إليه،

ومذهبم: أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان باقيان على طباعهما كما كانا قبل الاتحاد، وردوا الاتحاد إلى خاصية البنوة. وهى علم الباري، قالوا: فهذا الشخص المأخوذ من السيدة شارك الله فى هذه الخاصية؛ فصار بها ابنا ومسيحًا.

وسبيل الرد على هذه الفرقة:

الحجة الأولى:

أن نقول: إذا قلتم: إن الجوهرين باقيان والأقنومين كذلك على حالهم؛ فلا موقع للاتحاد. وصار الاتحاد اسمًا ساذجًا لا ثمرة له ولا فائدة.

الحجة الثانية على نسطور:

أن نقول: القول بكون المسيح أقنومين مكذَّب بالحس؛ وذلك أن الذى يراه كل ذى بصر سليم من المسيح إنما هو أقنوم واحد. أى شخص واحد. وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه.

الحجة الثالثة:

القول بكونه أقنومين يجر إلى السَّيلان، ويفتح باب السفسطة، ويشكك فى الضروريات. فالقول به باطل. إذ كون المسيح شخصًا واحدًا أقنومًا واحدًا ؛معلوم ضرورة. ومن زعم أن المسيح كان شخصين؛ لم يسلم من خبل فى عقله.

الحجة الرابعة:

هذا الرأى ـ أعنى القول بالأقنومين ـ مُكذَّب بأقوال حملة الإنجيل الذين كانوا قبل صدور هذا الخلاف؛ فإنهم يشهدون بأن المسيح ابن داود بن إبراهيم، وأنه وُلد فى بيت لحم، ووضع فى معلف، وذلك فى أيام هيرودس. وأنه صام وصلَّى وأكل وشرب وفرح وحزن وأنه كان شخصًا. فالقول بأنه كان شخصين مردود التلاميذ الذين هم أعرف الناس بالمسيح.

الحجة الخامسة:

قال بطرس ـ صاحب المسيح ـ فى كتاب فراكسيس : «يا بنى إسرائيل إن

أيشوع الناصرى رجل جاء من الله، وإن الله مسحه بروح القدس وبالقوة الإلهية»[١] فشهد بطرسَ المؤتمن عند النصارى بأن المسيح رجل واحد شخص واحد أقنوم واحد، فمن قال بأنه شخصان؛ خَطَّأ بطرس وجهَّله . ومن جهل مثل بطرس منهم فهو بالجهل أجدر.

الحجة السادسة على النسطورية:

قال فولس ـ الذى يسمونه فولس الرسول ـ : «واحد هو الله، وواحد هو المتوسط بين الله والناس »[٢]. فشهد بأن المسيح شيء واحد، وأنه غير الله الواحد. وقال فولس أيضًا: «إن رب جميع الشعوب واحد غنى متسع لكل من يدعوه، وكل من يدعو باسم الرب يحيا ولكن كيف يدعوه من لم يؤمن به؟»[٣] وذلك يقضى بفساد مذهب النسطورية إذ مذهبهم أن المسيح شخصان، وفولس الرسول يقول: كلا ولكنه واحد .

الحجة السابعة على النسطورية:

أن يقال لهم : إن كان المسيح شخصين. فلا يخلو الأمر فيه من أن يكونا متجاورين أو متداخلين. فإن كانا متجاورين فيلزم منه أن يكون أقنوم الإله مذروعًا ممسوحًا، له قدر وكمية. إذ كل شيئين تحاذيا فلا بد أن يكونا متساويين أو متفاوتين. فإن كانا متساويين فقد ساوى الإلهى بالإنساني، وذلك محال. وإن كانا متفاوتين. فإن كان أقنوم اللاهوت أصغر؛ لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر؛ فقد أخذ الأقنوم الإنسانى منه بعضه بالمسامتة والمحاذاة. والقدر الزائد منه على الأقنوم الإنسانى يعود إليه التقسيم. فإن كان مساويًا لأقنوم الإنسان؛ فقد ساوى الخالق المخلوق، وإن كان أصغر؛ لم يصلح. وإن كان أكبر؛ فقد ساوى أقنوم

---

(١) أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ .

(٢) «وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد» [غلاطية ٣ : ٢٠]

(٣) «لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يُخزى. لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى؛ لأن ربًا واحدًا للجميع. غنيا لجميع الذين يدعون به؛ لأن كل من يدعو باسم الرب؛ يخلص» فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟» [رومية ١٠ : ١١ ـ ١٣].

الإنسان بعض الإله. والقدر الزائد يعود إليه التقسيم، ولذلك يقضى بالكمية على الأقنوم الإلهى وهو محال.

وإن كانا متداخلين. فلا يخلو أن يتداخلا تداخل امتزاج أو تداخل إدراع كلابس الدرع. فإن كانا تداخلا تداخل امتزاج حتى صارا طبيعة واحدة؛ فهذا مذهب اليعقوبية. وقد أبطلناه. وإن تداخلا تداخل إدراع؛ فيلزم منه أن يكون الأقنوم الأزلى الذى لا يُوصف بالجسم قد تشكل بشكل الأجسام وصار له لحية وفرج مسامت لما تشكل به من أقنوم الإنسان. وكل ذلك محال فالقول به محال.

الحجة الثامنة :

الإنجيل يشهد بأن المسيح رفع وجهه إلى جهة السماء وابتهل فى الدعاء وقال: «يا أبتِ أدعوك فتستجيب لي، وأعلم أنك تستجيب لى فى كل حين، ولكن إنما أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني»[١].

فهذا الداعى المبتهل لا يخلو من أن يكون الأقنوم اللاهوتى أو الأقنوم الإنساني. فإن كان الأقنوم الإنسانى فيلزم منه أن يكون الجسد مولدًا من الأب مرسلاً منه، وهذا ما لا يقول به نصرانى ألبتة؛ لأن المولود من الأب عند سائرهم إنما هو الكلمة. وإن كان الداعى هو الأقنوم اللاهوتي؛ فهذا فيه تدليس عظيم. إذ المشاهد داعيا إنما هو الجسد المشاهد بائلا وغائطًا.

الحجة التاسعة :

هذا المذهب مردود بقول يوحنا الإنجيلي. إذ يقول فى كتابه: «إن الكلمة صارت جسدًا وحل فينا»[٢] وذلك عند النصارى عبارة عن انقلاب الأقنوم اللاهوتى إنساناً مسيحًا. فكيف يقول النسطورية: إن المسيح أقنومان اثنان ويوحنا يقول إنه واحد؟

---

(١) يوحنا ١١ : ٤١ + .

(٢) يوحنا ١ : ١٤ .

الحجة العاشرة:

لا شك أن طائفتي الروم والنسطورية يطلقون اللعن والحرْمَ على طائفة اليعاقبة لقولهم: إن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت قد صارتا طبيعة واحدة بالاتحاد. فمن قال إن المسيح اثنان في العدد بعد كونه واحدًا؛ فهو حقيق بهذا الذمّ.

فهذا ما يخص كل طائفة على انفرادها. وقد عرفتَ: أن مقالة اليعقوبية: أن المسيح عبارة عن طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وأنهما بالتركيب صارتا طبيعة واحدة، لها مشيئة واحدة.

وأنا مقالة الروم: أن المسيح بعد الاتحاد طبيعتان لكن أقنوم واحد وأن مقالة النسطورية: أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان. وردوا الاتحاد إلى صفة البنوة.

ومما يرد على الجميع ويفسد عليهم دعوى الاتحاد. قول فولس في الرسالة الثالثة: «أولستم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حالّ فيكم. ولئن لم يكن حالا فيكم إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أن تكونوا لستم بمرذولين»[1] فيجب على مقتضى قول فولس أن يكون اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتحاد المسيح بناسوت أُمَّته ومتبعيه، ولئن كان من المستحيل أن يتحد جسد المسيح بأجساد آلاف من النصارى في أقطار الأرض، فاتحاد القديم جل جلاله بجسد المسيح أجدر بالاستحالة.

---

(١) الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٥ ـ ٦ .

القول فى إبطال التثليث

اعلم: أن سائر النصارى مجمعون على الثالوث. وهو أن ربهم أب وابن وروح. فيعبِّرون بالأب عن الذات، وبالابن عن النطق الذى هو الكلام، وبالروح عن الحياة .ويزعمون أنه لا يصح التوحيد لموحد دون أن يعتقد هذا. فزعموا أن الأب جوهر وأن له صفة حياة وصفة نطق. قالوا: فلا يكون الإله فاعلا حكيما إلا بعد كونه حيا ناطقا. فإذا وجب أن يكون الإله حيا ناطقا. فهل الحياة ذوات أو صفات؟ اختلف فيه أكابرهم. فمنهم من قال: الحياة والنطق صفات لجوهر الأب، ومنهم من قال: بل هى ذوات بأنفسها، ومنهم من قال: بل هى خواص لذلك الجوهر.

وطريق مفاوضتهم فى ذلك: أن نقول لهم: هل تثبتون الألوهية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أو تزعمون أن الجميع إله واحد، أو تقولون إن الإله واحد منها والباقى صفات له؟ فإن قلتم: بأن الإله واحد والزائد صفات له؛ أبطلتم القول بالثالوث ووافقتمونا على قولنا: إن الإله واحد، وله صفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وإن شيئا من هذه الصفات ليست إلها وإنما ذات موصوفة بهذه الصفات، وفارقتم حينئذ قول مشايخ الأمانة إذ يقولون: إن الأب إله واحد، وإن أيشوع إله واحد[1]، وإن الروح القدس إله ثالث. وأفسدتم صلواتكم حيث تقرأون فيها: «الملائكة يمجدونك، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة».

وإن زعمتم: أن الجميع إله واحد وأن واحدا من الثلاثة ليس إلَها على انفراده؛ فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم إلها واحداً متركبا من ثلاثة أقانيم. وهذا ترك لما انطوت عليه الأمانة فى أن كل واحد من الآب والابن والروح القدس إله مستقل بالألوهية، وهدم لأصل النصرانية. إذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت.

وإذا كان الإله عبارة عن الثلاثة الآب والابن والروح .فالآب والروح ما

---

(١) فى الأصل: وإن الأب أيسوع إله واحد.

اتحدا بالناسوت أصلا، وإنما اتحد به الابن الذى هو العلم أو النطق. فإذاً ما اتحد الإله بل أحد الأقانيم الثلاثة، وذلك على تجرده لا يسمى إلهـا. وفى الأمانة: أن المسيح إله حق، وأنه أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس. وذلك مما يبطل هذا الأقنوم. لأن الذى نزل إنما هو فى زعمكم أقنوم الابن. فإذا كان الإله هو مجموع الثلاثة؛ بطل أن يكون الابن هو خالق الأشياء ومتقن العوالم ومخلّص الناس؛ إذ لا يوصف بذلك إلا الإله الذى هو مجموع الثلاثة الأقانيم. وهى الأب والابن والروح القدس.

وإن زعموا: أن كل واحد من الثلاثة الأقانيم؛ إله، ومجموعها إله واحد. قلنا لهم: أتزعمون أن كل واحد من الثلاثة إله حقيقة أو على سبيل التجوز والتوسع وأن الإله الحقيقى هو مجموع الثلاثة؟ فإن قالوا بهذا وصرفوه إلى مجرد التسمية دون الحقيقة؛ تركوا القول بالثالوث وأثبتوا إلها واحداً، له صفات، ثم سَموا صفاته آلهة، تحكّما وتخرصا بغير توقيف ولا دلالة، وهدموا قول الأمانة: إن المسيح إله حق. وقالوا: بل هو إله؛ تجوُّزاً، وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقرأون فى صلاتهم: تعالوا نسجد، تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا. وردوا قول مشايخ الأمانة إذ يقولون: المسيح إله حق، وإنه أتقن العوالم وخلق كل شيء بيده؛ لأن الذى أتقن العوالم هو الإله بالحقيقة لا إله بالتسمية والتجوّز. وهذا الإله الحقيقى لم يتّحد بجسد المسيح، بل ما اتحد به إلا واحد، ويسمَّى إلها على سبيل التجوز والاستعارة.

وإن زعموا: أن كل واحد من الثلاثة الأقانيم؛ إله كامل على الحقيقة. إذا أُفردوا، وأن الجميع إله واحد على الحقيقة إذا جُمعوا. وبهذا القول يقولون. فهذا فى الدرجة العليا من الفساد والتهافت. وذلك أنا نقول لهم: أيجوز خلوّ الإله عن الحياة والعلم؟ فإن جوّزوا ذلك. قيل لهم: فإذاً لا حاجة إلى الأقانيم. إذ الإله مستغنٍ عنها.

وإن قالوا: لابد للإله من أن يكون حيا عالما. فيقال لهم: إذا قلتم: إن كل واحد من الأقانيم تسعة؛ فيصير التثليث تسيعا. إذ حياة كل واحد من الأقانيم

الثلاثة وعلمه أقنومان له، ثم كل واحد من التسع الأقـانيم إله حقيقة، وإنما يصير إلها حـقيـقة إذا ثبت وجوده وحـياته وعلمـه، إذْ لا يجوز خلوّ الإله عن الحـياة والعلم، وحينئذ يتسلسل القول إلى إثبات آلهة لا نَهَاية لها.

وهذا يلزم من يقول: إن كل واحد من الأقانيم الثلاثة له حياة وعلم.

وإن قالوا: لا يثبت هذا الوصف إلا لواحد منها؛ امتنع عليهم وصف الثانى والثالث بالألوهية حقيقة. لما تقرر: أن الإله يجب أن يكون حيا عالما، وبطل عليهم القول بالثالوث على كل الوجوه.

والله أعلم وأحكم.

الباب الثامن

في

الإبانة عن تناقض الأمانة

نبين فيه فساد أمانتهم التى يلقبونها بشريعة الإيمان وهى التى لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها، وكيف أكـذب بعضها بعضاً، وناقـضه وعارضه، وأنه لا أصل لها فى شرع الإنجيل.

قال المؤلف ـ عفا الله عنه ـ:

ذكر المؤرخـون وأرباب النقل: أن الباعث لأوائل النصـارى على ترتيب هذه الأمانة الملقبـة أيضا بالتسبيحـة والشريعة، ولَعْن من يخالفهـا منهم وحَرْمه: هو أن آريوس أحد أوائلهم كان يعـتقد هو وطائفته توحـيد البارى ولا يشرك معـه غيره، ولا يرى فى المسـيح ما يراه النصـارى، بل يعتـقد نبوتـه ورسالته، وأنه مـخلوق بجسمه وروحه. ففشت مقالته فى النصرانيـة؛ فتكاتبوا واجتمعوا بمدينة «نيقية» عند الملك قسـطنطين. وتناظروا فشـرح آريوس مقالتـه فردَّ عليـه إليكصندروس بطريك الإسكندرية وشنع مقالته عند الملك «قسطنطين» ثم جلس إليكصندروس وجماعة من حضـر فتناظروا. وطال تنازعهم. فـتعجب الملك من انـتشار مقالاتهم، وكـثرة اختـلافاتهم وأقـام لهم النزل وأمرهم أن يـبحثـوا عن القول المرضي، فـاتفق رأى إليكصندروس وجماعة على نظم هذه الأمانة، بـعد أن أفسدوها دفعات، وأزادوا وأنقـصوا. وهى هذه: نـؤمن بالله الواحد. الأب ضـابط الكل، مـالك كل شيء، صـانع مـا يُرى ومالا يُرى. وبالـرب الواحد أيشـوع المسيح ابن الله الواحـد بكر الخلائق كلها، الذى وُلد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع. إله حق من إله حق من جوهر أبيـه. الذى بيده أُتقنت العـوالم، وخلق كل شيء. الذى من أجلنا معـشر الـناس ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السـماء، وتجسّد من روح الـقدس، وصـار إنسانا، وحُبل به وولد من مريم البـتـول، واتُّجع وصُلب أيام فيـلاطيس النبطي، ودفن وقـام فى اليوم الثـالث ـ كـما هو مكتـوب ـ وصعـد إلى السمـاء

وجلس عن يمين أبيـه، وهو مستعد لـلمجيء تارة أخـرى للقضـاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيـه، روح محبته. وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين».

قال المؤلـف عفا الله عنـه: هذه الأمانة التى أجـمع عليهـا اليوم سـائر فرق النصارى من اليعاقبة والملكية والنسطورية. وهى التى يزعمون أنهم لا يتمّ لهم عيد ولا قربان إلا بها، وهى مع كونها لا أصل لها فى شرع الإنجيل، ولا مأخوذة من قول المسيح، ولا أقوال تلاميـذه، مضطربة متناقضة متهافتة. يكذب بعـضها بعضا ويعارضه ويناقضه. وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: قولهم: «نؤمن بالله الواحد الأب ضابـط الكل مالك كل شيء صانع ما يُرى ومالا يرى» فـهذا أول الأمانة. قـد أثبتوا فـيه الانفراد لله بالألوهيـة والربوبية والوحدانية، وأنه المستبد بالخلق والاختراع، وأنه مالك كل شيء وضابطه وخالقه. فدخل فى هذه المخلوقات؛ المسيح وروح القدس وغير ذلك. وذلك أنهـما إن كانا مرئيين كـالأجسام والأعـراض؛ فالأب الواحد خـالقهمـا، وإن كانا غيـر مرئيين كالأرواح والعقول؛ فالأب خـالقهما وصانعهما. وهذا كلام حَسَن لو ثبتوا عليه، ولم يشوشوه بالتشـريك. غير أنهم نقضوا ذلك على الفور فـقالوا: «نؤمن أيضاً أن مع هذا الإله الواحد المستـبد بخلق ما يرى ومالايرى رباً آخـر واحداً أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء» وفى أول الأمانة بأن الله هو خالق كل شيء. ثم لم يلبثوا أن قـالوا: كـلا ولكن المسـيح ابن مـريم هو خـالـق كل شيء ومـتـقنه. وهذا غـاية التناقض. وفيـه عبادة رجل من بنى آدم مع الله سـبحانه؛ لأن أيشـوع المسيح اسم للإنسان المنـفصل عن مريم. وذلك مناقـض لاعتقـاد الماضين من أسلافـهم وأكابر دينهم ومُـدوِّنى إنجيلهم ـ كمـا قدمناه فى مـواضعـه ـ ومناقض لما اشتملـت عليه التوراة والمزامير وسائر النبوات من توحيد الله وإفراده بالربوبية والألوهية.

الوجـه الثـاني: قول الأمانة: «إن يسـوع المسيح ابن الله بكر الخلائق الذى ولد

من أبيه» وذلك مشعر بحدوث المسيح. إذ لا معنى لكونه ابنه إلا تأخره عنه وتقدم والده عليه فى الوجود. إذ الولد والوالد لا يكونان معا فى الوجود، إذ كونهما معا مستحيل ببداثة العقول.

وكذلك قوله: إن يسوع بكر الخلائق كلها. مع ما فى لفظه من الزيادة، ولا يفهم منه إلا أن المسيح خلقه الله قبل خلق كل الخلائق؛ لأن باكورة الشيء أوّله. وذلك مناقض لقولهم فى الأمانة: وليس المسيح بمصنوع بل هو إله حق. فبينا هو فى الأمانة مولود مصنوع، إذ نعتوه بكونه غير مصنوع. فصار حاصل هذا الكلام: أن المسيح مخلوق غير مخلوق. وكفى بذلك تجاهلا وخذلانا؛ لأن الأب لا يخلو أن يكون ولد ولدا لم يزل، أو ولد ولدا لم يكن.

فإن قالوا: ولد ابنا لم يزل.

قلنا لهم: فما ولد شيئا إذ كان الابن لم يزل، وإن ولد ابنا لم يكن؛ فالولد حادث مخلوق. وذلك مكذوب لقول الأمانة: إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وإنه أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء.

الوجه الثالث: قول الأمانة فى المسيح: إله حق من إله حق من جوهر أبيه. ينقضه قول المسيح فى الإنجيل وقد سُئل عن يوم القيامة فقال: «لا أعرف ذلك ولا يعرفه إلا الأب وحده» [1]. فلوكان من جوهر الأب لعلم ما يعلمه الأب، لكنه إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه داود [2]، إذ سئل داود وغيره من الأنبياء عن القيامة وأشياء كثيرة فقالوا كقول المسيح هذا: لا نعلم ذلك ولا يعلمه إلا الله وحده.

ولو قال قائل: إن جوهر الماء من جوهر النار؛ لكان أحمق. فكذلك من يقول: إن جسم إنسان وهو مركب من لحم ودم وشعر وظفر وأقذار وأسنان من جوهر الإله الذى يستحيل عليه هذه الأمور. ثم لو جاز أن يكون إله يأتى من إله

---

(١) بينا: أن المراد بالساعة: ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وبها زال ملك اليهود من العالم [مرقس ١٣ لوقا ٢١ متى ٢٤ +] .

(٢) المسيح ليس له أب. وأمه من هارون .

أول؛ لجاز أن يكون ثالث من ثاني، ورابع من ثالث، ولما وقف الأمر على غاية. وإذ أبطل ذلك من أصله؛ وجب الرجوع إلى قول المسيح: «إن أول الوصايا الرب واحد» (١) وقوله في إنجيل يوحنا: «الله الإله الحق هو الذى أرسل يسوع المسيح» (٢) وإلى قوله فى إنجيل مرقس وغيره: «لا صالح إلا الله وحده» (٣) وإلى أول الأمانة: إن الله واحد مالك كل شيء صانع ما يُرى وما لا يرى.

الوجه الرابع: قول الأمانة: إن يسوع المسيح أتقن العوالم وخلق كل شيء. وذلك مناقض للإنجيل ومكذب له إذ يقول متي: «هذا مولد أيشوع المسيح بن داود» (٤) ، ومن أتقن العوالم وخلق كل شيء لا يكون متأخرا عن العوالم وتكون العوالم سابقة له. ثم مِن العالَم أمه مريم فكيف يوصف بأنه خالق أمه قبل أن تلده؟ ومِنَ العالم الثياب التى لُفّ بها والمعلف الذى أكنّه وهو طفل والطعام الذى نَمّى أعضاءه. وذلك من الغلو الذى لا يخفى فساده عن لبيب.

أما كان فى شيوخ الأمانة من تصفح فساد هذا الكلام قبل تسطيره؟ ألم يسمعوا إلى قول الإنجيل: «إن إبليس قال للمسيح: اسجد لى وأعطيك جميع ما فى العالم وأملكك كل شيء» (٥) وإبليس بزعمهم من جملة من خلقه المسيح، فكيف بقى خالق العوالم محصورا فى يد بعض العالَم يسحبه من مكان ويحول بينه وبين مراده، ويطمع فى تعبّده له، وجعله من جملة أتباعه؟ أعوذ بالله من العمى والضلال، والغلوفى الرجال.

الوجه الخامس: قول الأمانة: إن المسيح الإله الحق الذى خلق كل شيء؛ نزل من السماء لخلاص الناس، وتجسد من روح القدس إنسانا وحُبل به وولد. فى هذا الكلام عدّة مفاسد:

(١) متى ٢٢: ٣٥ ويقصد التثنية ٦: ٤ ـ ٩ .

(٢) يوحنا ١٧: ١ + .

(٣) مرقس ١٠: ١٨ .

(٤) متى ١: ١ .

(٥) متى ٤: ٨ ـ .

منها: أن المسيح اسم لا يخصّ الكلمة على تجردها ولا الجسد على تجرده، بل هو اسم يخص هذا الجسد المأخوذ من مريم والكلمة معا، ولم تكن الكلمة فى الأزل تسمى مسيحا؛ فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء. والدليل على ذلك: قولهم: وتجسد من روح القدس. لأنه لو كان الذى نزل هو المسيح؛ لم يكن لتجسده ثانية معني، وتجسد المتجسد محال.

ومنها: قولهم إنه نزل من السماء. وهذا الموصوف بالنزول لا يخلو أن يكون الكلمة أو الناسوت. فإن زعموا: أن الذى نزل هو الناسوت؛ فذلك مكذَّب بنصوص الإنجيل إذ صرَّحت بأن الناسوت مكتسب من جسد مريم. وإن زعموا: أنه هو اللاهوت. قلنالهم: أتعنون الأب أم صفته، وهى العلم؟فإن زعموا أنه الأب نزل وتجسد؛ لزمهم لحوق النقائص بالبارى من الأكل والشرب والقتل وحصر الشيطان وغير ذلك. ثم ذلك لا يقول به أحد منهم. وإن زعموا: أن النازل المتجسد هو العِلم. المعبر عنه بالكلمة. قلنا لهم: لو جاز على ما وصفتموه من التجسد؛ لجاز أحدُ محذورين. وهو إما بقاء البارى ولا علم له، أو جعله عالما بعلم قائم بغيره. ثم النزول والصعود والحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال؛ كل ذلك مستحيل على البارى وعلى صفاته. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون النازل من السماء هو المسيح؛ لأن المسيح اسم موضوع للمعنيين الكلمة والجسد - عندهم-.

ومنها: قولهم: إنه إنما نزل وتجسد وحبل به لخلاص معشر الناس. وهم يريدون به أن آدم لما عصي؛ أوثق سائر ذريته فى حبالة الشيطان، وأوجب عليهم الخلود تحت طباق النيران. فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه، والتنكيل به. وإنها دعوى لا دلالة عليها. وقد أبطلناها فيما تقدم. وهب أنا سلمناها لكم. فأخبرونا عن هذا الخلاص الذى يعنى الإله الرب الأزلى فعل بنفسه ما فعل من الدنايا التى جرت عليه فى زعمكم. ما هو؟أو ممن خَلّصكم؟! وبم خلّصكم؟وكيف استقل بخلاصكم دون الأب والروح. والربوبية بينه وبينهم أثلاث؟وكيف صار مبتذلا ممتهنا فى خلاصكم دون الأب والروح؟ فهذه عدة أسئلة.

فإن زعموا: أن الخلاص قد حصل لهم من تكاليف الدنيا وهمومها وأمراضها وأعلالها وهرمها وموتها؛ أكذبهم الحس؛ فإنا نراهم ولا مزية لهم على سائر البشر. وإن زعموا أنهم قد خلصوا من هموم السعى فى طلب الرزق والتكسب للعيال والتبذل فى تحصيل ضرورات العيش أكذبهم الحس أيضا. وإن زعموا: أنهم قد خلصوا من تكاليف الشرع، وأنهم قد حط عنهم المسيح بمجيئه الصوم والصلاة وسائر وظائف التكليف، وأنهم غير مؤاخذين بشيء منها؛ أكذبهم العارفون بما وُظِّفَ عليهم من الصّوم والصلاة والقرابين وغير ذلك. وإن زعموا: أنهم خلصوا من أحكام الدار الآخرة، وأن من تعاطى فى الدنيا جريرة فزنى منهم وسرق وقتل وقذف؛ لا يؤاخذ يوم القيامة بشيء من ذلك، أكذبهم الإنجيل والنبوات. إذ يقول المسيح فى الإنجيل: «إنى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى فأقول لأهل اليمين: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى النعيم المعدّ لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الشمال: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم» (١) . وإذا كان هذا حالكم فى الدنيا والآخرة، فأين الخلاص الذى تدّعون أن الإله تعنّى ونزل إلى الأرض وأكل وشرب وخامرته الهموم والغموم وذاق الموت ليحصّله لكم، وسميتموه بسببه مخلص العالم؟ وإذا لم يحصل لكم الخلاص الذى تدعون فقد بطلت الأمانة.

فهذا بحثنا عن ماهية الخلاص الذى جاء لأجله. فلم يتهيأ له؛ بل بقيتم مركوسين منكوسين على ما كنتم عليه قبل مجيئه. فأخبرونا ممن خلصكم؟ هل كان قد غلبه عليكم غالب؟ أو سلبكم من يديه سالب؟ وهل كان معه مزاحم له عليكم أوقع بكم من المكروه ما اضطره إلى تجشمه هذه النقائص لخلاصكم؟

فإن قلتم: إنه كان له عدو مناصب، قد عاث فى مملكته حتى استولى عليها، وحار أطرافها، وجرت فيها أحكامه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا. فما نرى هذا

---

(١) المسيح يتكلم فى هذا النص عن محمد ﷺ بلقب «ابن الإنسان» والمؤلف يعتقد أن المتكلم هو المسيح عن نفسه. والنص هو: «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض. كما يميز الراعى الخراف من الجداء... إلخ» [متى ٢٥ : ٣١ +] .

العدو الذى تدعون إلا أعظم منه مملكة، وأعز جانبا، وأنفذ قدرة. ومن كان هذا حاله؛ فهو لا شك أحق بالعباد والبلاد منه.

فما نرى هذا الرب الذى تشيرون إليه إلا معْرا بنفسه فى مقاومة هذا العدو، مخاطرا بمهجته، مهورا فى رأيه، مدخولا عقله، خفيفا حكمه؛ إذ رام مكافحة من هو أثبت جنانا وأعز مكانا، وأكثر أعوانا.

فهذا بحثنا عمن كنتم فى يده. فأخبرونا بم خلَّصكم؟فإن زعموا: أنه نزل إلى الأرض فربط الشيطان واستنقذكم من يده، وأهانه ونكّل به غاية التنكيل، وعاقبه أشد العقوبة، ومحى آثاره، وطمس معالمه، وأهان جنده ومن يقول بقوله؛ فلعمرى إن ذلك لقمن أن يُعبد، ويفزع إليه فى النوازل ويصمد. وإن زعموا: أن الأمر على العكس من ذلك، وإن المسيح الإله الرب الذى يعبدونه، نزل إلى الأرض يروم خلاصكم، فاستعمل التَّقيَّة، وأعمل الروية، وسكن إهاب امرأة، يقلب الأمر بطنا وظهرا ويُقْدِم تارة ويُحجم أخرى. ثم استعار منها صورة إنسان، وأخفى نفسه بغاية الإمكان، وكان يفر من «الناصرة» إلى «الجليل» ويتحول من خليل إلى خليل. والشيطان يطلبه ويرقبه، والمسيح يتباعد عنه ولا يقربه. ولما رآه الشيطان قد أعمل مطايا الحذار، واختار طول الاستتار بالحذار، وكَّلَ به شرذمة من أتباعه؛ فآذوه ضربا، ثم قتلوه صَلْبا.

لقد كذبوا وكذبت الأمانة التى لهم فى دعوى الخلاص.

فهذا بحثنا عن سبب خلاصكم الذى عولّتم عليه. فأخبرونا: أليس الأقانيم المعبودة الثلاثة قديمة أزلية، وهى أب وابن وروح قدس. فما الذى أوجب اختصاص الابن بالنزول ومحاربة الشيطان، دون الأب والروح، مع استوائهم فى الربوبية؟أكان أحنْى على العباد منهما وأرحم؟!أم جريمة الشيطان إليه أكبر وأقحم؟وما الذى أصاره أوْلى بالتبدل والتبديل من الأب والروح ونسبتهم فى الربوبية واحدة؟

الوجه السادس:قول الأمانة: وتجسد من روح القدس. وذلك باطل بنص الإنجيل، إذ يقول متى فى الفصل الثانى من إنجيله: «إن يوحنا المعمدانى حين عمّد

المسيح جاءت روح القدس إليه من السماء فى شبه حمامة» وذلك بعد ثلاثين سنة من عمر المسيح. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون متجسدا من روح القدس وكذبت الأمانة، وإذا كان لابد من تصديق المخبِر فإخبار نبى الله يحيى بن زكريا أولى بالتصديق من إخبار من جاء بعد المسيح بمدة متطاولة. ونَظْم هذه الأمانة المتناقضة. ثم التجسد من شيء إنما يصح لو كان من جنسه كالماء مع الماء وكالنار مع النار، ولا تجانس بين الإله والإنسان، وبين القديم والحادث. وكل ذلك يرد الأمانة ويبين زلل مَن عَقَدها.

الوجه السابع: دعوى النصارى بأجمعهم أن المسيح ابن الله.

إن كان كما يقولون. فقد كذبت الأمانة فى قولها: إن المسيح تجسد من روح القدس. وإن كانت الأمانة صحيحة. فالمسيح ابن روح القدس، وليس هو ابن الله، فقد تناقضت الأمانة واعتقادهم. إذ فى صحة أحدهما بطلان الآخر.

الوجه الثامن: قول الأمانة: إن المسيح نزل من السماء، وحبلت به امرأة، وسكن رحمها. مُكَذَّب بقول لوقا الإنجيلى إذ يقول فى قصص الحواريين فى الفصل السابع عشر منه: «إن الله هو خالق العالم بما فيه، وهو رب السماء والأرض، لا يسكن الهياكل، ولا تناله أيدى الرجال، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو الذى أعطى الناس الحياة. فوجودنا به، وحياتنا وحركاتنا منه». فقد شهد لوقا بأن البارى وصفاته لا يسكن الهياكل، ولا تدنه أيدى الرجال، وذلك مُكَذِّب للأمانة فى دعواها سكون الكلمة فى هيكل مريم، وتحولها إلى هيكل المسيح، ومفسد عليهم دعوى قتل المسيح وصلبه، إذ يقول لوقا: «إن البارى لا تناله أيدى الرجال» .

وشهد أيضا بأن المسيح مخلوق؛ لأنه من جملة العالم الذى خلقه الله. وذلك تكذيب لدعوى النصارى، ومشوِّش نظام الأمانة. إذ يقول: إن المسيح هو إله خالق غير مخلوق وقد شهد فولس بأن المسيح عبد الله، وأن الله إلهه وربه، فقال فى صدر رسالته الخامسة: «إنى قد سمعت بإيمانكم، لست أَفْتَرُ من الدعاء لكم فى صلاتى أن يكون إله سيدى أيشوع المسيح الأب المجيد يعطيكم

روح الحكمة والبيان، وينير عيون قلوبكم»[١] .

فـهذا فـولس المؤتمن عندهم يشهـد بأن الله هو إله المسـيح. وذلك مما يبطل الأمانة التى لفّقوها، والوثوق بهذا القـول من فولس أوْلى من قول غيره، ممن جاء بعد المسيح، وهذا القـول من فولس موافق لقول المسـيح حيث يقول: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم»[٢] .

الوجه التاسع: تسمية أيشوع بالمسيح. يستدعى ماسحا مسحه، وفاعلا فعله، وإذا كان مسيحا بمعنى ممسوح، وقـد ثبت بقول الأمانة إنه مصنوع. فإذا قالت: إنه ليس بمصنوع، صـار تقـدير الكلام: أن المسـيح مـصنوع، ليـس بمصنوع ومـخلوق ليس بمخلوق.

ولم تزل بنى إسرائيل من زمن موسى يتخذون دهنا مـجموعا من عدة أنواع من الطيب فى قرن معلق فى الهيكل، تمسح به الكهنة من أرادوا تمليكه، وربما فار القرن عند دخول من يقع الاختيار على تمليكه، فيكون علامة على تمليكه.

وقـد تنبأ داود على المسـيح [٣] فقـال: «من أجل هذا مسـحك ربك بدهن

---

(١) افسس ١: ١٥ + .

(٢) يوحنا ٢٠: ١٧ .

(٣) المسح حقـيقة: هو صب الزيت على الرأس. ومجـازا: هو الشخص المصطفى من الله لأداء رسالة مـقدسة ولو لم يمسح. وكان المسـح للكهنة والأنبياء والملـوك. ثم انقطع المسح. وعيسى عليـه السلام مـسيح؛ لأنه كاهن ونبى ولـيس ملكا. وموسى مسـيح لأنه كاهن ونبى وملـك. وقال المؤلف: إن داود تنبأ علـى المسيح عيسى فقال: «من أجل هذا مـسحك ربك» أى اصطفاك نبيا. ثم دل المؤلف بنقله على أنه ينقل من غيره من كتاب، ولا ينقل من التوراة مـباشرة. فإنه قال بعد: «وقال داود أيضا نبـوءة عن المسيح فى المزمور الخامس والأربعين: «يا من فاق الناس جـمالا» والحق: أن الموضعين من نبوءة واحدة هـى نبوءة المزمور ٤٥ :وهى لمحمد ﷺ وليست لعيسى عليه السلام. ومن أعـجب العجب: أن المؤلف طبق النبوءة كلها على محمد ﷺ فى البشـرى التاسعـة فقد قـال: «قال داود النبى عليه السـلام: «من أجل هذه بارك الله عليك إلى الأبد. . .» وطبقها عليه أيضا الشيخ ابن تيميـة وابن قيم الجوزية والقرطبى ومؤلف مقامع الصلبان ومؤلف إظهـار الحق، ومؤلف الدين والـدولة، ومؤلف كـتاب المِّسيـا المنتظر وأدلة اليـقين وكثـيرون. والمزمـور هو: «فاض قلبى بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائى للملك. لسانى قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالا من بنى البشـر. انسكبت النعمة على شفـتيك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيـفك على فخذك أيهـا الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك. شـعوب تحتك يسقطون كـرسيك ياالله إلى دهر الدهور. قضـيب استقامـة قضيب=

السرور أكثر مما مسح نظراءك» فشهد داود بأنه ممسوح، وأن الله ماسحه، وأنه مربوب، وأن الله ربه، وأن له نظراء قد مُسحوا قبله. وذلك مناقض لقول الأمانة: إن المسيح خالق غير مخلوق. وقال داود أيضاً نبوءة على المسيح فى المزمور الخامس والأربعين: «يا من فاق الناس جمالا لقد أفرغت الرحمة على شفاهك». فبيَّن أنه إنسان، وأنه جميل الصورة، وأن الله أفرغ الرحمة على فيه. فلو كان المسيح هو الله أو صفة من صفاته؛ لاتحد الماسح والممسوح والقائل والمقول له. ،ذلك مما يفسد الأمانة، ويزحزح أركانها.

الوجه العاشر:قول الأمانة: إن يسوع بعد أن قُتل وصُلب؛ قام من الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه. وذلك من الكذب الفاحش، والاعتقاد الفاسد. أما كونه من الكذب الفاحش: فإنه ليس أحد من القائلين هذا الكلام؛ صعد إلى السماء ورأى ذلك عيانا وعاد إلى الأرض فأخبر به. وأما كونه من الاعتقاد الفاسد: فإنه متى جلس شيء عن يمين شيء أو عن جهة من جهاته دلّ على حدث الشيئين. ثم لاخلاف عندهم: أن جسد يسوع حادث وإذا قالوا: إن هذا الجسد الحادث قد جلس عن يمين الله؛ فقد اعتقدوا أن البارى تعالى جسم من الأجسام، وساوروا فى ذلك الحشوية من اليهود القائلين بأن الله تعالى فى صورة شيخ أبيض الرأس واللحية، وأنه ينزل إلى الأرض، ويتردد فيها.

وقد جمعوا فى هذا الموضع بين أمرين متناقضين، وهو أنهم قالوا فى أول الأمانة: إن المسيح إله حق خالق كل شيء فإذا قالوا ههنا: إنه قتل وصلب ودفن بين الأموات؛ فقد اعترفوا بأن المخلوق قتل خالقه، والمصنوع صلب صانعه.

=ملكك. أحببت البرّ، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. كل ثيابك مرّ وعود وسليخة. من قصور العاج سرّتك الأوتار. نبات ملوك بين خطيّاتك. جُعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير.

اسمعى يا بنت وانظرى وأميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك؛ فيشتهى الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية.

كلها مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تُحضر إلى الملك. فى إثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك يُحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. عوضا عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الأرض. اذكر اسمك فى كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد» [مزمور ٤٥].

الوجه الحادى عشر: قول الأمانة: إن يسوع هذا الرب الذى صُلب وقتل مستعد للمجيء تارة أخرى؛ لفصل القضاء بين الأحياء والموات.

للمنكر عليهم أن يقول [١] : إنه تجشّم أول مرة فجرى عليه من الشيطان وحزبه ما وصفتم من الأذى والإهانة والقتل والصلب؛ فرَّ إلى أبيه ليستريح برهة، وتثوب إليه نفسه وتستجم قوته، وليستظهر بالعدد والعدد من عند أبيه، ثم يأتى ثانية لمحاربة عدوه، فإما عليه وإما له.

وأما قول الأمانة: إنه يعود لفصل القضاء بين الأحياء والأموات؛ فهو نازل منزلة قول القائل:

لا ألفينكَ بعد الموت تندبُنى ... وفى حياتى ما زودتنى زادا

إذا زعموا أنه فى المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه حتى تم عليه من أعدائه ما تم، فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم فى المرة الثانية؟

الوجه الثانى عشر: قول الأمانة: ونؤمن بروح القدس الذى يخرج من الله. فيه تصريح بأن المسيح وروح القدس أخوان وأن الله أبوهما جميعا، إذ تقول الأمانة: إن يسوع وُلد من أبيه، وإن روح القدس يخرج من أبيه أيضا. وذلك مُكذَّب بقول متى فى إنجيله إذ حكى أن الذى ولدته مريم هو من روح القدس [٢] وإذا كان المسيح من روح القدس فى الإنجيل، وروح القدس من الله فى الأمانة؛ فقد تناقض الإنجيل والأمانة إذ الأمانة تجعلهما أخوين قد ولدا من الله. والإنجيل يقول: لا بل المسيح من روح القدس. وذلك خبط عظيم. فقد وضح لك بطلان قول الأمانة: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وإنه بكر الخلائق كلهم. فكيف يكون قبل العوالم، وقد سبقه روح القدس. بشهادة الإنجيل؟

الوجه الثالث عشر: قول الأمانة: نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا. فيه مناقضة عظيمة لأصولهم، وذلك أن اعتقاد النصارى أنه لا تُغفر خطاياهم بدون

---

(١) للمنكر أن يقول: إنه قد صرح المسيح فى الإنجيل بعدم مجيئه. فإن قالوا بمجيئه يكونون مكذبين للإنجيل. ذلك قوله: «ولست أنا بعد فى العالم» [يوحنا ١٧ : ١١] .

(٢) «لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا؛ وُجدت حبلى من الروح القدس» [متى ١ : ١٨] .

قتل المسيح. ولذلك سموه حمل الله الذى يحمل خطايا العالم. ودعوه أيضا: مخلّص العالم من الخطيئة. فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم من ذنوبهم؛ فقد صرحوا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح؛ لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة. وإن كان التعميد كافيا فقد اعترفوا بوقوع القتل عبثا. وإن كان لا تحصل المغفرة بدون قتل المسيح؛ فقد تناقضت الأمانة، وكذبت فى دعوى المغفرة بالتعميد، إذ كان لابد من القتل.

الوجه الرابع عشر: قول الأمانة: ونؤمن بجماعة واحدة قديسية. يعنون من عقد لهم هذه الأمانة، التى نحن نتكلم على تناقضها ونوضح فسادها، وفى الإيمان بها لأى من القوم؛ كفرٌ بالمسيح، ورد لأقواله وأقوال تلاميذه.

وبيانه هو: أن المسيح عليه السلام قد شحن إنجيله بتوحيد الله وتمجيده وتقديسه وتنزيهه عن الثانى والثالث وإفراده بالربوبية والألوهية. فقال عليه السلام: «الله واحد هو الله» (١) وقال: «إن الله لم يره أحد قط» (٢) وقال: «لا ينبغى لأحد أن يعبد ربَّين»(٣) وقال: «لا صالح إلا الله وحده» (٤) ورفع وجهه إلى السماء وقال: «إلهى أنت الإله الحق الذى أرسلت المسيح». (٥)

فهذه أقوال المسيح التى رواها عنه تلاميذه، ليس فيها تثنية ولا تثليث. بل مجردة لتوحيد البارى جل وعلا.

فإذا قالوا فى الأمانة: إنهم يؤمنون بأن الآلهة ثلاثة أزلية، وإن لها واحدا ولد إلها مثله، وإن امرأة من بنى آدم ولدت ربها، وأرضعت خالقها ثديها، وأفرشته حجرها، وإن الرب الذى أتقن العالم بيده وخلق كل شيء؛ قد قُوتل فقتل، وغُولب فغلب، ودفن فى المقابر ـ كما رتَّبوه فى أمانتهم ـ فلا شك فى كفرهم بالمسيح وتلاميذه؛ لأن من آمن بالثالوث فقد كفر بالتوحيد. فإن كانت صادقة فقد

---

(١) يو ٥: ١٤ .

(٢) يو ١: ١٨ .

(٣) لوقا ١٦: ١٣ «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» أيضا متى ٦: ٢٤ .

(٤) مرقس ١٠: ١٨ .

(٥) يوحنا ١٧: ١ ـ٣ .

كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صادقا؛ فـقد كذبت الأمانة، وتبيَّن غشّ من ألفها أو غلَطه.

وبعدُ ـ يرحـمك الله ـ فقد أقام المسـيح وتلاميذه وأكابر أصـحابه بُرهة من الزمـان بالناصرة والجليل وأورشليم وغـيرها مـن البقـاع، يُصلّون لله إله إبراهيم ويتعـبدون له. فهل حُـفظ عنهم أو عن أحد ممن روى عنهم: أنه كـان إذا قام إلى مُصلاَّه وشـرع يناجى مولاه؛ يقرأ هذه الأمانة المتـضمنة عبادة ثلاثة آلهة، بعـضها أب، وبعضـها ابن، وبعضـها قاتل، وبعـضها قـتيل، وبعضـها والد، وبعضـها مولود؟فكون المسـيح وخيـار أصحابه لم يُؤثر عن واحـد منهم من ذلك لفظة ولا كلمة واحدة هو أدل على افتعال هذه الأمانـة، وجهل من عقدها، وسخريته بدين النصرانية، وقصده الإزراء بهم وإبداء عورهم.

الوجه الخامس عشر: فى طريق امتحان هذه الأمانة، ومعـرفة حقها من باطلها وصحتها من فسادها، بأقوال الأنبياء الذين تنبؤوا عن المسيح [1] ، وأقوال أصحابه الذين شاهدوه وأخذوا عنه أقواله المروية عنه وفى الإنجيل:

فنقول لمن نظم هذه الأمـانة وعقد هذه الشـريعة: قد زعـمتَ: أن المسيح إله حق، وأنه أتقن العالم بيـده، وخلق كل شيء. فنحن نورد عليك نصوص كـتبك وآيات صحفك، وأقـوال مشايخك وسلفك، وما تنبأ به الأنبـياء على من ادعيت ربوبيته، ونحاكمك إلى نفسك فنقول: قالت التوراة فى آيات تفوت الحصر: إن الله تعالى إله إبراهيم وإسحق ويعـقوب؛ واحد لا شريك له. وقال فى العـشر كلمات من التوراة: «أنا الله ربك الذى أخـرجتك من مصر بيـدى القوية، لا يكن لك إله غيري» [2] وقال: «لا تشبهونى بشيء مما فى السماء ولا مما فى الأرض، ولا مما فى البحار، أنا الله إله واحد جبار غيور، لا تتخذوا آلهة غيري» [3] وذلك فى التوراة كثير وهو تكذيب لأهل هذه الأمانة فـى قولهم: إن مع الله إلهين آخرين، أحدهما إنسان من بنى آدم.

(١) لم يتنبأ أحد عن المسيح عيسى عليه السلام .

(٢) خروج ٣:٢٠ ـ ٣ .

(٣) خروج ٢٠:٤ ـ ٥ .

وقال إشعياء فى نبوته: «قال إله إسرائيل: أنا الأول والآخر وليس غيري» [١] وقال: «عرف الحمار والثور ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل» [٢] فقد أكذبهم إشعياء فى نظم هذه الأمانة، ودعواهم أن الآلهة ثلاثة قديمة أزلية.

وقال داود فى مزموره وهو يناجى ربه[٣]: « يا رب إنك حين عبرت ببلاد أشيمون تزلزلت الأرض من هيبتك، وانفطرت انفطارا» ثم قال: «ما لك أيها البحر هاربا مزبدا، وأنت يا نهر الأردن ما بالك وليت راجعاً، ومالكم أيها الجبال طفرتن كالأيائل» ثم أجاب عن ذلك بنفسه فقال: «من هيبة الرب تزلزلت البقاع، واضطربت الشوامخ» .

فهذا الذى يليق بجلال الله وعظمته لا ما وصفه به النصارى من الجوع والعطش، والتعب والسهر، والضعف والعجز، والانحصار فى الرحم، والقتل والصلب ـ تعالى الله عن هذيانهم علواً كبيراً ـ.

وقال المسيح فى إنجيله: «الله لم يره أحد قط» [٤] وقال أيضا فيما رواه تلاميذه عنه: «إن أول الوصايا كلها: اسمع يا إسرائيل الرب واحد. فأحببه من كل قلبك ومن كل قوتك» [٥] ففى هذه الوصية سائر وصايا الأنبياء، وقال فيما رواه عنه يوحنا التلميذ: «إلهى أنت الإله الحق، وحدك الذى أرسلت يسوع» [٦] وقال له إنسان: «يا معلم صالح. فقال لم تدعوننى صالحا؟«لا صالح إلا الله وحده» [٧] وقال: «أنا ذاهب إلى إلهي» [٨] وقال: «إلهى أعظم مني» [٩] وقال: «إلهى إلهى لِمَ تركتني» [١٠] ، وقال لوقا: «قال جبريل لمريم: إنك ستلدين ابناً يكون عظيماً،

---

(١) إشعياء ٤٤: ٦ .
(٢) إشعياء ١: ٣ .
(٣) المزمور المائة والرابع عشر .
(٤) يوحنا ١ : ١٨ .
(٥) متى ٢٢ : ٣٥ ـ ٣٧ راجع أيضًا التثنية ٦ : ٤ ـ ٩
(٦) يوحنا ١٧ : ١ ـ ٣ .
(٧) مرقس ١٠ : ١٨ .
(٨) يوحنا ٢٠ : ١٧ .
(٩) يوحنا ١٤ : ٢٨ .
(١٠) متى ٢٧ : ٤٦ .

يجلسه الرب على كـرسى أبيه داود» (١) فشهـد عن الله تعالى بأن المسيح هو ابن داود.

وقال بطرس الحوارى فى الفصل السـابع من رسالته الأولى: «إن الله هو إله النعمة كلها، وهو الذى دعـانا إلى مجده الدائم بالسيد المسيح، له التـسبيح والعز إلى دهر الداهرين» (٢)فهذا توحيد أنبياء الله تعالى لخالقهم، وتنزيههم له سبحانه مسطور مزبور فى كتبهم. قد نهـجوه لأتباعهم؛ فتلقوه عنهم، وكل ذلك تكذيب لهذه الأمـانة، ورد على من عقدها. فـإنها تقول: إنه إله، وإنه أتقن العـالم بيده وخلق كل شيء. وهذا جـبريل يُخبـر عن الله أنه ولد من الناس وأن والده داود، وهذا المسيح يخـبر عن نفسه بما سطرناه، فـلا التفات بعدها للمحـال المضمَّن فى هذه الأمانة، التى هى فى الحقيقة فساد الأمانة.

وقد قال داود فى المزامير(٣): «إن المسيح رجل قد فاق الناس جمالاً وشبهه برجل كـاهن(٤)، كان فى زمن إبراهيم الخليل خـادمًا للبيت المقدس، فـقال فى مزموره: «يا مسيح أقسم الرب أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملك الصادق».

فما بال داود لم يقل إن المسيح هو الإله الحق الذى أتقن بيده العوالم وخلق كل شيء، وإنه المولود من الله قـبل الدهور، كما هذوا به فى الأمـانة التى لهم؟ وكيف يقول نبى الله داود: إن المسيح رجل من الآدميين، يشبه كاهنا من الكهان؟

---

(١) لوقا ١ : ٣٢ .

(٢) بطرس الأولى ٥ : ١٠ ـ ١١ .

(٣) المزمور ٤٥ وسبق ذكره فى التعليقات بتمامه. وهو لمحمد ﷺ .

(٤) المزمور ١١٠ هو نبـوءة عن محمد ﷺ . وقـد شبه داود دوام شريعـته إلى يوم القيامـة بملكى صادق. والمؤلف أخطأ فى قـوله: إن عيسى هو المشـبه بملكى صادق؛ لأن عـيسى لم تكن له شـريعة. وفى النص أن يسحق رءوس أعدائه فى الحروب . وعـيسى لم يحارب. والنص هو: «قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شـعبك منتدب فى يوم قـوتك فى زينة مقـدسة من رحم الفجـر لك كل حداثتك. أقسم الرب ولن يندم. أنت كـاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صـادق الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا يدين بين الأمم. ملأ جثثا أرضا واسعة. سحق رؤوسها. من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس» [مزمور ١١٠].

لاحظ : «أنت كاهن» أى أن التشبيه فى الشريعة. وسيد داود ليس هو عيسى. كما بينا من قبل.

ويقول أصحاب الأمانة: كلا، ولكنه الإله الذى خلق الكاهن مَلَكى صادق وغيره.

فإن قالوا: قد أخبر جبريل مريم حين بشرها بأن الرب معها، فقال لها: «مريم ربنا معك» [١] قلنا: ليس كما ذهبتم إليه، وإنما أراد بالمعية ههنا: المعاضدة والمؤازرة وحسن الإرفاق والتعهد بالمعونة. والدليل عليه: قول الله فى التوراة لموسى: «اذهب برسالتى إلى فرعون، وأنا أكون معك، وراقبا للسانك» [٢] وقال ليوشع بعد وفاة موسى: «أنا أكون معك كما كنت مع عبدى موسى» [٣] وقال حملة الإنجيل «وكان الله مع الصبي» [٤] وقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم **﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾** وقد قال المسيح: إنه أفضل من يونس وأفضل من سليمان[٥]. وقال فولس: «إن يسوع أفضل من موسى»[٦]، وقال المعمدانى حين عمَّد المسيح: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعد وهو أقوى مني»[٧] فما نرى الحواريين ولا يوحنا ولا فولس قالوا كما قالت الأمانة: إن المسيح إله الحق وإنه خلق كل شيء.

---

(١) لوقا ١ : ٢٨ .

(٢) خروج ٤ : ١٢ .

(٣) يشوع ١ : ٥ .

(٤) لوقا ١ : ٦٦ .

(٥) قال المسيح: «رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه؛ لأنهم تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا» [متى ١٢ : ٤١] عمل مقارنة بين قوم يونس الذين تابوا لما دعاهم يونس، وبين اليهود الذين لم يتوبوا والمسيح يدعوهم إلى التوبة بقوله: «توبوا؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» أى مجيء محمد ﷺ . فلذلك سوف يخزى التائبون أمة اليهود فى يوم القيامة.
وعمل مقارنة بين حكمة امرأة هى ملكة اليمن وبين حكمة اليهود. وقال: إن المرأة كانت حكيمة ولذلك فى يوم القيامة ستخزى اليهود على عدم توبتهم «ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه؛ لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا أعظم من سليمان. ههنا» [متى ١٢ : ٤٣].

(٦) عبرانيين ٣ : ١ .

(٧) متى ٣ : ١١ ـ ١٦ .

والعجب من الـنصارى يخبـروننا أن المسيح كـان رجلا تجرى علـيه أحكام الآدميين، وأنه أقام مع الشـياطين أربعين يوما محصـورًا فى البرية، وهو يجره من مكان إلى مكان، وأنـه جـاع وعطش، وفـرح وحـزن، ولبس الشـيـاب، وركب الحمار، وبذل الجزية كسائر المستـضعفين. فكيف تقول الأمانة: إن المسيح هو الإله الذى أتقن العالم، وخلق كل شيء؟ هل ذلك إلا حمق ورعونة؟

فإن كانت الأمانة صـحيحة؛ فقد كذب الإنجيل، وإن كـان الإنجيل صادقا؛ فقد كذبت الأمانة وكذب من ألفها. فقد وضح: أن هذه الأمانة منتقضة فاسدة لا تثبت لأدنى نفخة من الحق.

ولنختم هذا الباب بإبطال التثليث المسطور فى هذه الأمانة:

فنقول للنصـارى: قد زعمـتم أن معبـودكم عبارة عـن ثلاثة أقانيم، وهى الوجود والحياة والعلم. فما دليلكم على حصرها فى هذا العدد؟ وبم تنكرون على من يرى أنها أربعة، ويزيد القدرة فيصير التثليث تربيعًا؟

فـإن قالوا: لا حـاجـة إلى ذلك. إذ فى أقنوم العلم مندوحـة عن إثبـات القـدرة. قلنا: لا نسلم لكم ذلـك. فمن أين يـلزم من حصـول العلم حـصـول القدرة؟ فقد يكون الواحد عالمًا ولا يكون قادرا، إذ حظّ العلم أنه يكشف المعلوم ومعرفـته على ما هو به. وحظ القدرة: الاخـتراع والإيجاد؛ فلا يلزم من مـعرفة الشيء إيجاده. ولو جـاز الاجتـزاء بالعلم عن القدرة؛ لجاز الاجـتزاء بالحـياة عن العلم. وكما لا يلزم من الحى أن يكون عالمًا؛ فكذلك لا يلزم من العالم أن يكون قادرًا وكـما أن العلم لا يُفـقد إلا ويخلفـه ضده وهو الجهل؛ فكـذلك القدرة لا يجوز أن تفقد إلا ويخلفها ضدها وهو العجز.

وقد أوجـد البارى تعـالى العالم بعد أن لم يكن. وذلـك أثر القدرة لا أثر العِلم، وإلا فقـد كان العلم حاصـلا لله تعالى قـبل الإيجاد. وهو التعلق، فـقد وجب وصفه تعالى بالقدرة ،وإذا ثبت وصفه بالقدرة؛ فقد وجب وصفه بالإرادة، إذ حظ القـدرة الاختـراع والإبداع،وحظ الإرادة التخـصيص بالمقـادير والأشكال

والأزمان والأحوال. فقد بطل القول بالتثليث ووجب وصفه تعالى بالجلال والكمال. وذلك يستدعى وصفه سبحانه وتعالى بأنه واحد حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم. وهذه الصفات الزائدة على الثالوث قد نطقت به صحف أهل الكتاب، وهى موجودة فى التوراة والإنجيل والزبور. ولو أردنا انتزاعها من كتبهم وإثباتها فى هذا المختصر؛ لما أعوزنا ذلك. ولكنا نؤثر الاختصار.

فقد ثبت بهذه الوجوه الخمسة عشر: بطلان الأمانة وانتقاضها وانتثار نظمها. وإذا بطلت شريعة الدين؛ بطل الدين المبنى عليها، ووجب الرجوع إلى أقوال الأنبياء فى توحيد الله سبحانه وإفراده بالربوبية ـ سبحانه لا إله غيره ولا ربَّ سواه ـ .

الباب التاسع

فى إثبات الواضح المشهود

من فضائح النصارى واليهود

نذكر فيه ما اشتملت عليه التوراة وأناجيل النصارى من الفضائح التى يأنف من إيرادها مجّان الصبيان، والمغفلون من النِّسوان.

ولنبدأ بذكر فضائح اليهود ونقدمهم هنا لتقدم كفرهم:

فضيحة:

عبدت قدماء اليهود عُزيرًا. وقالوا: إنه ابن الله. وساووا فى ذلك النصارى فى عبادتهم المسيح وقد أخبر الكتاب العزيز بالقصة.

والمتأخرون[١] من اليهود ينكرون ذلك ويجحدونه. وليس الأمر كما يظنون؛ بل قد صح أن تلك طائفة من أسلافهم يقال لها: المؤتمنية. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ فمن عبد المسيح وعَدَّه من الآدميين إنما تأسى بهم وتسبب بأسبابهم.

فضيحة أخرى:

عبدت قدماء اليهود الكواكب والزهرة. وقرَّبت لها القرابين، وقد أخبر بذلك نبى الله إرمياء[٢] فى نبوته. فقام إرمياء فيهم فوعظهم وخوَّفهم بأس الله

---

(٢) يريد أن يقول: لا يصح للمتأخرين إنكار أن الأولين قالوا: إن عزيرا ابن الله؛ فإن «المؤتمنية» كانت تقول بذلك. والحق: أن جميع اليهود من يوم الرجوع من سبى بابل إلى هذا اليوم يقولون: إن عزرا ابن الله. ليس على البنوة الطبيعية، وإنما على البنوة المجازية. ويمتاز عن غيره فيها. ولكن لا أحد منهم قد عبده واتخذه إلها من دون الله. والنصارى مثل اليهود فى شأن عزرا. ويقولون فى المسيح: إنه ابن طبيعى لله وهذا هو قول الكاثوليك والبروتستانت. وجميع المسيحيين يعبدون المسيح.

(٢) فى الأصحاح الرابع والأربعين من سفر إرمياء: «فأجاب إرمياء كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يُبخرن لآلهة أخرى، وكل النساء الواقفات. محفل كبير، وكل الشعب الساكن فى أرض مصر، فى فتروس قائلين: إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خارج من فمنا فنبخر لملكة السموات، ونسكب لها سكائب. كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا وفى

وسرعة بطشه وذكَّرهم بأيامه، وما صنعه من الآيات؛ فتواثب عليه الشعب بأسرهم، وقالوا: إنا لا نَدَع البخور للزهرة والكواكب، وهمُّوا بقتله.

فضيحة أخرى:

عبدت اليهود العجل فى حياة نبى الله موسى عليه السلام، وذلك حين ذهب عليه السلام إلى مناجاة ربه وترك هارون خليفة عندهم، وكانوا حين أنجاهم الله من الغرق وأصعدهم من البحر؛ رأوا قوما يعبدون أصناما على صُور البقر. فبقى ذلك فى نفوسهم. فلما استبطأوا موسى صنع لهم «السامري» من الذهب عجلا؛ فأقبلوا على عبادته، وتركوا عبادة الله الذى صنع لهم العجائب، وأراهم الآيات. فقام هارون فيهم خطيبا ووعظهم؛ فهمّوا أن يقتلوه. فاعتزلهم فى طائفة من قومه. وقد نطق بذلك الكتاب العزيز. قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة يقال لها الأشمعية، مشبهة مجسمة. يعتقدون أن خالقهم فى صورة شيخ أبيض الرأس واللحية. ويزعمون: أن له فى السماء الثالثة خليفة يسمّونه الله الأصغر، ويزعمون: أنه مُدبر العالم. وهم يقولون بالنَّسخ.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة يقال لهم: العنانية، وهم يوحّدون. ولكنهم يُحيلون النسخ

شوارع أورشليم؛ فشبعنا خبزا، وكنا بخير ولم نر شرا. ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السموات وسكب سكائب لها، احتجنا إلى كل وفنينا بالسيف والجوع. وإذا كنا نبخر لملكة السموات. ونسكب لها سكائب. فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكا؛ لنعبدها ونسكب لها السكائب؟ [إرمياء ٤٤: ١٥ ـ ١٩].

وهذا اعتراف من المؤلف بأن اليهود عبدوا الأصنام واستدل على عبادتهم للأصنام بالتوراة. فهل فى القرآن أن بنى إسماعيل عبدوا الأصنام؟ليس فيه أن العرب بنى إسماعيل قد عبدوا الأصنام. وفيه أن إبراهيم دعا الله أن يجنب بنيه عبادة الأصنام وأن يبعث فيهم رسولا منهم. ولم يكن لإبراهيم فى ذلك الوقت إلا إسماعيل. وكما استجيبت الدعوة فى بعث الرسول، تكون قد استجيبت فى تجنيبهم عبادة الأصنام. وفيه أن الله قد عهد إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام وليس فى القرآن أنهم نقضوا العهد.

من جهة العقل والسمع جميعا (١) .

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف بالأصبهانية. أصحاب أبي عيسى الأصبهاني. يزعمون: أن أبا عيسى كان نبيا مبعوثا قبل موسى. وذلك على خلاف رأى سائر اليهود. فليس تعتقد اليهود أنه كان قبل موسى نبى ألبتة. فينكرون (٢) نبوة شيث ونوح وإبراهيم وغيره. ويقولون: إن موسى هو مفتاح النبوة وبِكْر الرسالة. والتوراة التى بأيديهم تكذبهم؛ إذ هى مصرحة بأن أوامر الله قد وردت على من ذكرنا وانتهضوا دعاة إلى الله. وهذه نبوة دانيال تشهد بأن بختنصر حين غزا البيت المقدس حرق كتب الله المنزلة على إبراهيم وشيث وغيره. قال دانيال: وعدتها مائة كتاب وأربعة كتب. فمن زعم أنه لا نبى قبل موسى عليه السلام؛ فنبوة دانيال حجّة عليه.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف باليوزعانية مُشبهة. تزعم: أن المسيح هو يوزعان، وأنه قد جاء مرة وسيأتى مرة أخرى (٣) . وتقول: إن ما فى التوراة مما يظنه اليهود

---

(١) لما تجلى الله تعالى لموسى وبنى إسرائيل على جبل طور سيناء حال نزول التوراة؛ حدث رعد وبرق ودخان ونار وارتجف كل الجبل. فخاف بنو إسرائيل وطلبوا من موسى أن يكلم الله أن لا يحدث هذا المنظر المرعب مرة أخري. وإذا أراد أن يكلمهم فليكن عن طريق نبى له يسمعون ويطيعون. فوعدهم الله بنبى يكلمهم عن طريقه من بعد موسي. وهو محمد ﷺ فلو كانت التوراة أبدية لا تنسخ إلى يوم القيامة؛ لما كان ينبه على مجيء نبى من بعد موسى له يسمعون ويطيعون. ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا اعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا ادرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به... إلخ» .

(٢) معنى أن اليهود لا تعتقد أنه كان قبل موسى نبي: هو أنه لا تُوجد شرائع إلهية موعظة وتفصيلا لكل شيء مع نبى من قبل موسى. فالتحليل والتحريم من موسى. وقولهم صحيح. فإن من قبل موسى كانوا دعاة إلى مكارم الأخلاق، وأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحب لنفسه. وصحف إبراهيم وشيث وغيرهما لم يكن فيهم شرائع ألبتة. بل الدعوة إلى حُسن الخلق.

(٣) يقول المسيح لله تعالى: «ولستُ أنا بعدُ فى العالم. وأما هؤلاء فهم فى العالم، وأنا آتى إليك» أيو

على ظاهره كالسبت وغيره؛ إنما هى معان وأسرار تشير إلى مجيء مسيحهم «يوزعان» .

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تسمى البنيامية أصحابَ بنيامين. مُوحدة. غير أنها تعتقد أن لله تعالى مضادا يضاده. وهو فاعل الشر. غير أنه مخلوق من خلقه.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تسمى الملكية. يقولون بالتوحيد. غير أنهم يزعمون أن الذى خلق العالم ليس هو الله بل مَلَك من الملائكة، أقدره الله على ذلك. قالوا: وهذا الملك[1] هو الذى كلَّم موسى من الشجر وفلق له البحر. ورأس هذه الطائفة «مالك الصيدلاني» من أهل الرملة.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة يعرفون بأصحاب المغار، وإنما سموا بذلك لأنهم صنفوا كتبا وتركوها فى مغار وانقرضوا. فوجدت تلك الكتب، وفيها تأويلات تخالف ما عليه اليهود.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة أخرى تعرف بالفارحية أصحاب يوحنا بن فارح. وكان على زمن إرمياء. كانوا يعبدون صنما يقال له «بعل» ويقربون لنجوم السماء ـ كما هو مذكور فى نبوة إرمياء. ونزلوا أرض مصر، وتكلموا باللسان القبطي. والتوراةُ والنبوات عندهم مترجمة بالقبطي، ولا يعرفون شيئاً من العبرانى ألبتة.

١٧: ١١] والسبب فى قول المسيحيين: إن المسيح سيأتى مرة أخري: هو أن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ فيها أنه سيحارب وسينتصر ويفتح مدنًا ويملك على أهلها. ولما كان هذا غير متحقق فى المسيح وهم يريدون تطبيق النبوءات عليه. قالوا بمجيئه ثانية.

(١) فى التوراة السامرية: أن الذى كلم موسى على جبل طور سيناء وتجليّ له: هو ملك من الملائكة نيابة عن الله.

وقال الشهرستاني: يهود الروم على مذهب الأشمعية العراقيين.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف بالعيسوية. أصحاب أبى عيسى الأصبهاني. وهم يعترفون بنبوة عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ غير أنهم يقولون: لم يرسلا إلا لقومهما خاصة، ولم يؤمرا بنسخ شريعة موسى عليه السلام.

فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة السامرة. وهم طائفتان؛ طائفة تقر بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون لا غير، وتجحد نبوة من عداهم من النبيين. والطائفة الأخرى تعترف بنبوة كل من عدا عيسى ومحمد عليهما السلام وتزعم: أن المسيح لم يُبعث بعدُ. وأنه سيأتي. ولهم خطّ غير الخط العبراني، وآراء غير آراء اليهود، ويخالفون اليهود فى القِبلة، ولا يصلّون إلى صخرة بيت المقدس، ويتوجهون فى صلاتهم إلى جبل بالشام، وإليه يحجون. وهو قريب من «نابلس» وهم الذين يُقال لهم: ﴿ لا مِسَاسَ﴾ ويرون تحريم أكل ما مسَّه غيرهم. واليهود تزعم أنهم ليسوا من بنى إسرائيل.

وبالجملة: فقد ذكر العلماء أن عدة فرق اليهود إحدى وسبعون فرقة. وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى وتُبدِّعها. والمعروف الآن منهم أربع فرق، فرقة تعرف بالقرائين، وفرقة بالربانيين، وفرقة تعرف بالعيسوية، وفرقة تعرف بالسامرة. فأما هذه الفرق الأربع [1] فيزعمون أنهم أهل توحيد. لا يُذكر بينهم

---

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول: فأما هذه الفرق الأربع فيعتقدون أنهم أهل توحيد. وذلك لأن اليهود كلهم عبرانيون وسامريون يؤمنون بأن الله هو الخالق للعالم وحده. وهم لا يكفرون به، وإنما يكفرون بآيات الله لقوله فى القرآن عنهم: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله؟﴾ وتقسيم الفرق هو: من قبل عيسى عليه السلام كانوا فرقتين اثنتين هما العبرانيون والسامريون. والعبرانيون انقسموا إلى فريسيين وصدوقيين. ومن بعد الإسلام أخذ الفريسيون اسم الربانيين. وقابلتهم طائفة تسمى القرائين. وقد أخطأ المؤلف فى قوله فأما القراءون فمشبهة، وأما الربانيون فمعتزلة. والصحيح أن الربانى يأخذ بظواهر النصوص ولا يؤولها كالحنابلة فى الإسلام. والقرائى يؤول النصوص كما يفعل المعتزلة. والقراءون قد أخذوا التأويل عن المسيح عيسى عليه السلام وهذا واضح فى إنجيل برنابا.

اختلاف فى ذلك. فأما القراءون فمشبهة، وأما الربانيون فمعتزلة، وأما العيسوية فتقرُّ بنبوة عيسى ومحمد - عليهما السلام - وأما السامرة فهم طائفتان كما تقدم.

الكلام على اليهود

أما العيسوية المعترفون بنبوة محمد - عليه السلام - ورسالته إلى العرب خاصة. فنقول لهم: إذا صدقتم محمدا فى قوله: إنه نبي. لزمكم تصديقه فى كل ما أخبر به، ومن جملة ما أخبر به: أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فإن قالوا: ﴿النَّاسُ﴾ أهل مكة لا غير. إذ كل ما فى كتابه من تلك الآي؛ فهو مخاطب به أهل «مكة» وما كان منه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالمخاطب به أهل المدينة. قلنا: لا نُسلّم لكم هذا التأويل. بل الناس المذكورون بالألف واللام لاستغراق جميع الناس من بنى آدم. وقد أكّده بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «بعثتُ إلى الأحمر والأسود» (١) يريد: العربى والعجمي. وقد تواتر عنه - عليه السلام - أنه لم يختص بدعوته قوما دون قوم، وأنه أرسل رسله إلى ملوك الأطراف والنواحى يدعوهم إلى دينه. والتواتر لا سبيل إلى ردّه، فمن صدّقه عليه السلام فى بعض أقواله؛ لزمه تصديقه فى جميع أقواله. وقد قَتَل عليه السلام المخالفين لملته من اليهود. كما قتل موسى ويوشع وداود - عليهم السلام - من خالفهم من أهل الأديان.

فهذا قولنا للعيسوية.

فأما غير العيسوية: فإنهم أنكروا النسخ. فمنهم من أنكره عقلا، ومنهم من أنكره شرعا. فالذين أنكروه عقلاً قالوا: يستحيل فى العقل أن يتعبد الله عباده بشرع يأمرهم فيه بأمر فى وقت ثم يأمر بنقيضه فى وقت آخر. قالوا: وهذا هو البَدَاء

---

(١) البخارى ومسلم .

والبداء لا يجوز إلا من جاهل بعواقب الأمور. فأما البارى فلا يجوز منه ذلك؛ إذ الأمر الأول إن كان حقا وحكمة؛ فنقضه باطل وسفه. وذلك لا يليق بالحكيم - سبحانه - فالتزموا ردّ ما جاء من الناسخ بعد موسى عليه السلام ولزمهم إنكار شرع من كان قبله من شرائع الأنبياء؛ فالتزموه. قالوا: ليس قبل موسى نبى أصلا. فردوا نبوة شيث وإدريس ونوح وإبراهيم ولوط وغيرهم. وقالوا: أوّل الأنبياء موسى بن عمران - عليه السلام - وزعموا: أن الأنبياء أربعة وعشرون [(١)] نبيا أوّلهم موسى.

فيقال لهم: إذا كان إنما مستندكم تعاقل العقلاء وتعارفهم وقياس الغائب على الشاهد. فاعلموا: أن السيد قد يأمر عبده فى وقت بفعل وينهاه عنه فى وقت آخر؛ لعلمه بمصلحته فى إيقاع الفعل وتركه فى الوقتين جميعاً. وكذلك الوالد قد يأمر ولده فى أول نشوئه بتحصيل الفضائل، فإذا بلغ مبالغ الرجال واحتاج إلى مالابد له منه؛ أمره بالكَسْب، ونهاه عما كان يأمره به أولا لعلمه بمصلحته فى الحالتين. وكذلك الطبيب الماهر قد ينهى العليل فى وقت عن الأغذية المقوية للمادة، ويأمره باستعمال اللطيف الذى لا يخصب البدن ويزيده فى المادة فإذا نَقِه عاد فأمره بما كان ينهاه عنه؛ لمعرفته بما يصلحه فى الحالين، وقد علم أولاً أنه سينهاه عما أمره به، ويأمره بتناول ما نهاه عنه أولا. وإذا كان ذلك حسنا من الوالد فى ولده والطبيب فى سقيمه؛ فما المانع أن يتعبد الله عباده فى وقت بحكم يعلم أن مصلحتهم فى التكليف به، ويُطلق لهم الأمر من غير تقييد بمدة ليكون أدعى إلى المسارعة والامتثال، ثم يأمرهم فى وقت آخر بترك تلك التكاليف واستعمال غيرها؛ لعلمه بكونها مصلحة لهم فى ذلك الوقت؟ والشرائع مصالح للعباد، والله تعالى هو العالم بمصالح عباده على اختلاف أحوالهم وأوقاتهم. فما الذى جوّز ذلك للوالد والطبيب مع الجهل بالعاقبة؟ وأحاله من العالِم بعواقب الأمور الذى لا يخفى عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء المدبر لعباده كما يشاء ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

---

(١) عدد الأنبياء مذكور فى إنجيل برنابا.

واعلم: أن النسخ لا يدخل على الأخبار؛ لأن المخبَر عنه يصير كذبا، وإنما يدخل على الأحكام؛ لاختلاف المصالح باختلاف أحوال المكلّفين واختلاف الأوقات.

فهذا بيان جواز النسخ عقلا.

فأما جوازه شرعا: فيستدل عليه من توراتهم التى يعتقدون صحتها ليكون أفحم لهم وأقطع لعذرهم. ونحن نُثبت ما فيها من النسخ، والله الموفق والمعين.

فنقول: إن فى توراتهم عدة مواضع تدل على تبدل الأحكام، وذلك لاختلاف مصالح الأنام.

الموضع الأول: قالت التوراة فى السفر الأول الذى يُدعى سفر الخليقة: إن الله تعالى خلق آدم، وخلق من ضلعه حواء زوجه، وبارك عليهما وقال: «انميا وأكثرا واملأا الأرض وتسلطا على سمك البحور وطائر السماء والأنعام والدواب وكل شيء على وجه الأرض. وقال لهما سبحانه: «هاأنذا قد أعطيتكما كل ما على وجه الأرض من شجر ودواب وعشب وطير من البحر والبر؛ ليكون لمأكلكم»[1].

فهذا إخبار من الله أنه قد أباح لآدم وزوجه جميع الحيوان مطلقا لمأكلهم. فهل ما أباحه الله لآدم؛ مباح لكم فى شرع التوراة أو قد حُرم عليكم كثيرا من ذلك؟ وههنا لا يحيرون جوابا، ولايجدون إلى الانفصال سبيلا، فقد قال الله فى التوراة لموسى وهارون: «قولا لبنى إسرائيل: لا تأكلوا من الأنعام التى على وجه الأرض إلا ما شقّ ظلفه وهو يجتر. الجمل حرام عليكم، والخنزير حرام، ولا تأكلوا من طير السماء النسر والحدأة والغراب ولا أجناسهم، ولا البوم والعقعق والصعوة والرخمة وأجناسها ولا الهدهد والطاووس. فهذا كله، عليكم حرام»[2] ومعلوم عندكم: أن هذا مما أُبيح لآدم وحواء بنص أول التوراة. فهل النسخ إلا أن يبيح الله الشيء على لسان نبي، ثم يحرمه على لسان نبى آخر أو بالعكس؟ فكيف تقرأ اليهود ذلك ثم تكفر به؟ وإذا كفروا بما فى أيديهم من كتب الله، كيف يُطمع

(١) تكوين ١ .

(٢) لاويين ١١ .

فيهم أن يؤمنوا بما ليس فى أيديهم من عند الله؟

الموضع الثاني: قالت التوراة: كان آدم يزوج بنيه من بناته بإذن الله له فى ذلك[1]. وحُرّم بعد ذلك [فى شريعة موسى] وهذا نسخ لشرع آدم نفسه [2].

فإن قالوا: ذلك لضرورة عدم اتساع الخَلْق. قلنا: قد كان الله تعالى قادرا على أن يخلق لهم أزواجا ولا يحوجهم إلى وطء الأخوات.

الموضع الثالث: قالت التوراة: جمع إسرائيل بين أختين فى عصمته. وهما ليئا وراحيل ابنتا لابان [3]. وإسرائيل نبى ثابت العصمة وهو عند اليهود والنصارى من الصالحين لاغير، وهو إسرائيل الله، ومنصبه يَجلّ عن الإقدام على مالا يحل. ومن ظن به سوى ما ذكرناه؛ فقد قدح فيه. ثم قالت التوراة فى السفر الثالث منها: «لا تنكح المرأة على أختها فتغبطها وتجتلى عورتها فى حياتها، ولا تقترب من امرأة طامث فى حيضها. ومن فعل شيئا من هذه النجاسات منكم أو ممن يقبل إليّ ويسكن بينكم؛ فلتُبد تلك النفس» [4].

وهذا. فاعلموا تحريم ما كان مباحا لإسرائيل. ولا جواب لكم عن ذلك.

الموضع الرابع: قال الله تعالى فى التوراة: «إبراهيم. قال: ها أنذا يارب. قال: اذهب بابنك الذى تحبه. فقربه لى قربانا على أحد الجبال التى آمرك، فبكّر إبراهيم وذهب بالولد وبنى مذبحا وأوثق الولد ورفعه على المذبح وجذب السكين لينحره، فناداه الملك: إبراهيم إبراهيم لا تذبحن الصبي؛ فقد علم الله أنك تخشاه إذ لم تبخل عليه بولدك. ورفع إبراهيم بصره فرأى الكبش فذهب فأخذه ورفعه على المذبح»[5].

وهذا. فاعلموا أنه لا معنى له غير النّسخ. أفتقولون: ـ ويلكم ـ إن ذلك بداء من الله؟ ـ تعالى الله عن كفركم علوا كبيرا ـ .

(١) تكوين ٤ .
(٢) اللاويين ١٨ .
(٣) تكوين ٢٩ .
(٤) لاويين ١٨ .
(٥) تكوين ٢٢ .

الموضع الخامس: الجمع فى النكاح بين الحرة والأمة. قد كان جائزا فى شرع يعقوب. فجمع فى عصمته بين حُرتين وأمتين [١] . ثم نسخته التوراة بعد ذلك فلم تجزه.

الموضع السادس: قالت التوراة: قال الله تعالى لموسى: «اخرج أنت وشعبك من مصر ليرثوا الأرض المقدسة التى وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورثها نسله» [٣] فلما صار بهم موسى فى التيه قالت التوراة: قال الله تعالى: «لاتدخلوها أنتم لأنكم أغضبتموني» [٢] فلم يدخلوها هم ولا موسى وهارون، ولم يدخلها أحد ممن خرج من مصر، سوى رجلين: يوشع بن نون وكالاب بن يوفينا. وهذا نسخ لشرع موسى نفسه.

الموضع السابع: قالت التوراة: قال الله تعالى لموسى: «تنح عن هذا الشعب الخبيث القلوب القاسى الرقاب، فإنى أهلكه وأبيده عن جديد الأرض، وأبدلك شعبا خيرا منه. فلم يزل موسى يصلّى ويشفع فيهم؛ حتى عفا الله عنهم فلم يهلكهم ولم يبدهم [٣] وهذا نسخ.

الموضع الثامن: تحريم السبت. وقد أقام الناس من لدن آدم إلى زمن موسى لم يُتعبّدو بتحريم الأعمال فيه، بل كانت الأعمال فيه مباحة، ثم حُرِّمت على لسان موسى.

ولولا إيثار الاختصار؛ لتلونا عليكم من هذا الجنس كثيرا.

فهذه نصوص التوراة تصرخ بنسخ الأحكام، وتبديل الحرام حلالا والحلال حراما. فمن أشد كفرا وأبين ضلالا من قوم يقرءون التوراة ثم يكفرون بها بعد اعتقاد صحتها، وينسبون أنبياء الله إلى تعاطى المحرّمات واستباحة الفروج بغير أمر الله؟ومن قدح فى أنبياء الله؛ فقد كفر بالله.

---

(١) التكوين ٣٠ .

(٢) خروج ٣٣ .

(٣) عدد ١٤ وهذا الموضع غير حجة فى النسخ. لأن الإرث للشعب على طول الزمان إلى أن تظهر بركة إسماعيل عليه السلام.

ولو كان اليهود أُولى أحلام؛ لما رَدُّوا النسخ ، واعتلّوا بأنه بداء مع وصفهم الله تعالى بالندم والأسف. وذلك أشد شناعة من البداء.

فرووا فى السفر الأول من توراتهم: «أن الله رأى ظلم الناس وشرّهم قد كثر على وجه الأرض؛ فأسف الله. إذ خلق آدم على الأرض. فقال: لأزيلن ما على الأرض من البشر والأنعام والدواب وطير السماء؛ لأنى قد ندمتُ على خلقى إياهم[1] فوصفوا ربهم - تعالى - بالأسف والندم الدالين على غاية النقص والجهل بالعواقب، ثم أنكروا النسخ. وهو ضد البداء. إذ النسخ أمر بمصالح العباد فى أوقاتهم وأحوالهم.

وقد حكوا فى توراتهم ما هو أقبح من البداء صريحا: فرووا فى السِّفر الأول من التوراة «أنه لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهم ما أحبوا؛ قال الله: لا تسكن الروح بعدها فى شر، ولتكن أيامهم مائة وعشرين سنة» [2] فهذا إخبار من الله أنه لايُعمّر بشرا أكثر من مائة وعشرين سنة. ولايسكن الروح فى بشر. ثم نصت التوراة بعد هذا القول: أن أرفشخذ عاش من بعد ما وُلد له شالح أربعمائة وثلاث سنين وعاش رعو من بعد ما ولد ساروج مائتى سنة وسبع سنين وعاش إبراهيم مائة سنة وخمسا وسبعين سنة. وعاش إسحق مائة سنة وثمانى سنين، وجماعة كثيرة عُمّروا أعمارا تزيد على ما حكوه عن الله تعالى. وهذا أشد من البداء؛ لأنه كذب فى الأخبار، وإذا كان هذا جائزا عندكم معشر اليهود؛ فكيف تمنعون النسخ وتتعللون بأنه بداء من الله؟

وقد جاء [3] فى قصة حَزقيا ملك يهوذا أنه مرض فأوحى الله إلى إشعياء النبى عليه السلام أن قل لحزقيا يوصى فإنه ميت من علّته هذه. فدخل عليه إشعياء وأخبره بوحى الله إليه فى شأنه. فاستقبل حزقيا الجدار وبكى وتضرع إلى الله فنزل الوحى على إشعياء النبى قبل خروجه من الدار يقول له: إن حزقيا يقوم من علته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وأنه قد زيد فى عمره خمس عشرة سنة.

---

(١) خروج ٣٢ .

(٢) تكوين ٦: ٥ - ١٣ ويقول اليهود فى تفسير ذلك: إن التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم.

(٣) تكوين ٦: ١ - ٣ .

وإذا كانت كتب اليهود تشهد بمثل هذه الأشياء؛ فإنه لا يلتفت إليهم بعدها في ردّ النسخ.

هذا. وقد ابتدأ الله تعالى العالمَ بعد أن لم يكن، وفرض تكاليف بعد أن لم تَجِب وأحدث أمورا. ولم يدل ذلك على البداء، وقد نقل سبحانه عباده من حال إلى حال، ومن صحة إلى سقم، ومن حياة إلى موت. ولم يدل ذلك على البداء. وكذلك نقلهم من جنس من التكاليف إلى جنس آخر؛ لايدل على البداء. وكأنه سبحانه يأمر عباده بالأمر فيتمرنوا عليه المدة الطويلة حتى يصير عندهم من قبيل الاعتياد فيأمرهم بتركه والتزام سواه؛ اختبارا لهم وامتحانا لطاعتهم له. وهل امتثالهم لأمره طاعة محضة أو عادة مستحبة؟وكل ذلك منه حسن؛ فلا يدل شيء من ذلك على البداء والاستدراك. فإذا وردت العبارة مطلقة بلفظ يوهم التأبيد، ثم نُسخت. تَبيَّنا: أن المراد بها وقت دون وقت.

وقد تمسكت اليهود بقول التوراة: «تمسكوا بالسبت أبد الدهر» [٢] فظنوا أن ذلك للتأبيد، وأن لفظه نص لا يحتمل التأويل، وقالوا: أمرت التوراة بقتل من أحلّ السبت، وجوز فيه الأعمال [٣]. قالوا: وقد أحدث سلفنا في السبت حدثا؛ فمُسخوا.

واعلم: أنهم لما أُلزموا بما في التوراة والنبوات من الأحكام التي نُسخت وتجدد غيرها؛ عدلوا إلى هذه اللفظة. وليس كما ذهبوا إليه. إذ قوله: «تمسكوا بالسبت أبد الدهر» يحتمل صلة محذوفة وهي (ما لم يأتكم نبي يأمركم بحله) والدليل على هذا الاحتمال: أنه لو قرن بآخر الكلام وسيق معه؛ لم يتناقض ولم ينب عنه، وإذ كان الكلام يقبله حملناه عليه. إذ نبوة عيسى ومحمد لاسبيل إلى ردها.

وقول التوراة ـ إن صح ـ يمكن تخصيصه. فواجب أن يُخصَّ. لضرورة الجمع بين أقوال الصادقين، حتى لاتقع المعارضة بين الأدلة القطعية. فتحريم العمل في السبت حكم من جملةالأحكام التكليفية فنسخُه كنسخ سائر الأحكام. والدليل على

(١) إشعياء ٣٨ .

(٢) خروج ٣١ .

(٣) خروج ٣١:١٥ .

أن قوله «تمسكوا بالسبت أبد الدهر» ليس للتأبيد بل لدهر مخصوص وزمان مؤقت. قول التوراة: «قال الله تعالى لنوح لما كثرت خطايا البشر: لاتسكن روحى فى البشر إلى الدهر [(١)] ثم قال بعد ذلك لموسى عليه السلام: «يعمل لك قبة الزمان بصلئيل الذى من سبط يهوذا الذى ملأته روح الله بالعلم والحكمة» [(٢)] - وقال أيضا كذلك فى رفيقه الذى من سبط دان. وهما من البشر، فوضح أن لفظة الدهر؛ لاتقتضى التأبيد [(٣)] .

وفى نبوة حِزقيال أيضا: أن الله تعالى قال له: «تنبأ على هذه العظام وأنا أبثّ روحى فيهم فيحيون» [(٤)] ففعل. فقد سكنت روح الله فى البشر.

وفى التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم: «إن أرض الشام له ولذريته من بعده أبد الدهر» [(٥)] وفى عدة مواضع من التوراة. وذلك لا يتقاضى إلا دهرا مخصوصا. بدليل: خروجها من أيديهم فلم يرد سبحانه إلا المدة التى أقامت فى أيديهم.

وقالت التوراة: إن الله تعالى قال لموسى: «اصنع قبة الزمان» ومن صفتها كيت وكيت. وليلبس هارون ثيابا للتكهن. من صورتها كذا وكذا للدهر»[(٢)] وليس بقاء القبة ولا هارون مؤبدا.

---

(١) تكوين ٦:٣ .   (٢) خروج ٣٦:١ + و٣٥:٣٤ .

(٣) معنى أن لفظ الأبد فى التوراة محدد بمدة: هو أن موسى رسول الله ﷺ اخبر عن أمر الله فى التوراة أن نبيا مثله من إخوة بنى إسرائيل سيأتى ليكلمهم نيابة عن الله. فالأبد محدد بمدة هى من زمان موسى إلى مجيء هذا النبي. ويقول اليهود: إن المدة من موسى إلى مجيء المماثل له تسمى دهرا. فإذا جاء النبى انقضى الدهر، وجاء دهر جديد. وكل حكم مغيا بغاية فى التوراة يقولون عنه إلى الأبد أى إلى انتهاء غايته. ومثاله: أن العبد اليهودى يخدم ست سنين، وفى السنة السابعة يخرج حرا مجانا. فإن أبى الخروج وفضل العبودية على الحرية يأخذ سيده المخرز، ويجعله فى أذنه وفى باب المسجد؛ فيكون له عبدا مؤبدا [تثنية ١٥:١٢ +]
ويظل العبد المؤبد إلى سنة اليوبيل. وإذا جاءت يخرج العبد حرا من بيت السيد، ويرجع إلى أرض السبط الذى هو منه. فيكون التأبيد قد زال فى مجيء سنة اليوبيل [لاويين ٢٥ : ١٠ +] .

(٤) حزقيال ٣٧ .

(٥) وعد الله لإبراهيم بإرث ذريته أرض الشام، وهو وعد صحيح. وقد تحقق وبيان ذلك: أن الله قسم بركة إبراهيم على إسحق وإسماعيل. والبركة ملك ونبوة وقد ورثها بنو إسحاق على شريعة التوراة، وورثها بنو إسماعيل على شريعة القرآن. لقوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه

وقالت التوراة فى السِّفر الرابع منها لموسى: «اصنع قرنين من فضة تستعين بهما على الدعوة للرحلة، فإذا نفخ فيهما اجتمع بنو إسرائيل عند قبة الزمان، وبنو هارون هم الذين يُهلّلون بالقرون. ولتكن هذه سنّة لكم إلى الدهر» [١] وليس ذلك للتأبيد بل لدهر مخصوص.

فثبت بذلك: أن الذى وُعد به إبراهيم من تمليك ولده الأرض مخصوص به ولد يعقوب فى ذلك الدهر، الذى انقضى ومضي. ثم قد زالت من أيديهم وزال ملكهم عنها. إذ قد ثبت بهذه النصوص أن لفظ «الدهر» لايقتضى التأبيد فى سكنى روح الله فى البشر، ولا فى مُلك الأرض ولا فى لباس هارون الثياب، وضربه بالقرون للرحيل، بل لدهر مخصوص فى علم الله؛ فكذلك لفظ «الدهر» فى تحريم السبت. وهذا هو أقوى ماتمسك به اليهود فى تأبيد تحريم السبت. ولا جواب لهم عما ألزمناهم من نصوص توراتهم.

وأما احتجاجهم بمسخ من مُسخ من أسلافهم قردة وخنازير: فذلك لتعديهم فى السبت قبل نسخه. إذ كانوا مكلفين فى ترك الأعمال فيه. : فلما دلسوا على الله وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه مع بقاء حرمته؛ عاقبهم بالمسخ. فلما بعث الله نبيه المسيح ابن مريم عليه السلام نسخ السبت [٢]، وأباح الأعمال فيه، وغيّر كثيرا من الأحكام، وآمن طوائف من اليهود بالمسيح عليه السلام وتركوا السبت؛ فلن يُنسبوا بعد إلى عدوان ولم يمسخوا.

فقد ثبت جواز النسخ عقلا، ودللنا على وقوعه شرعا، وانقطعت معاذير اليهود والله ربنا المحمود.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: «أن روح الله قبل خلقه العالم كانت ترفرف على المياه» انظر - عفاك الله - إلى سوء هذا التعبير وسماجته. كأنهم يعتقدون أن حياة البارى تُزايله

نسلك» {تكوين ٢١: ١٢ - ١٣} {أيضا ١٧: ١٨ و ٥ - ٨} .

(١) الخروج ٢٥ ومعنى لبس هارون الثياب إلى الدهر: هو إلى انتهاء زمان شريعة موسى. ومجيء النبى المماثل له. وهو محمد ﷺ .

(٢) عدد ١٠: ١ - ٨ .

وتفارق ذاته. فإن قالوا: إنما عنينا أن المياه كانت مصونة بحفظه عن الضياع. قلنا لهم: فليس للمياه اختصاص بذلك؛ فهلا قلتم: وصان الله المياه وحفظها كي لاتضيع؟ولِمَ استعملتم هذا اللفظ الموهم الموجب للالتباس، القاضي بالفكر الرديء والوسواس؟

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الله تعالى حين أكمل خلقة العالم قال: «تعالوا حتى نخلق بشرا شبهنا ومثالنا. فخلق آدم» [1] فلذلك اعتقد كثير من اليهود التجسيم. فقال: إن الله فى صورة آدمي، وأنه شيخ أبيض الرأس واللحية، وإنه جالس على كرسى والملائكة قيام بين يديه والكتب تُقرأ بحضرته. والويل لليهود. من أين لله شبه ومثال؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن البارى لما خلق الخلق فى ستة أيام؛ استراح فى اليوم السابع[2]. واعتقدوا بغلظ أفهامهم: أن البارى يعتوره التعب والنصب. وربما نقل عن بعض اليهود أن البارى فى اليوم السابع استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى. وهذه الزيادة لم أقف عليها فى نسخ التوراة، غير أنها قد نُقلت عن بعضهم. ولست أبعد من عقولهم اعتقادها، والبوح بها.

---

(١) المؤلف يعتقد أن المسيح ابن مريم عليه السلام قد أتى بشريعة مغايرة لشريعة التوراة. وهذا خطأ. وذلك لأن المسيح ما نسخ أحكام التوراة، وإنما كان مصدقا لها، ومبشرا بمحمد ﷺ. وماأحله المسيح لليهود؛ هو ما كان علماء اليهود قد حرموه عليهم من تلقاء أنفسهم، وفى نهاية حياته على الأرض قال لأتباعه: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه» فقد أوصى بالحفظ وبالفعل.

(٢) تكوين ١: ٢٦ وفى الأحاديث النبوية: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن. والغرض: هو تقريب الله ذاته إلى عقول البشر؛ لا أنه جسما.

وفى سفر دانيال: أن دانيال رأى الله فى رؤيا. ولم يره فى اليقظة. ذلك قوله: «كنت أرى فى رؤى الليل... إلخ» [دانيال ٧: ١٣ - ١٤].

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى قال لآدم وحواء: «إنكما فى اليوم الذى تأكلان فيه من الشجرة التى نهيتكما عنها تموتان موتا»[(١)] ، وذلك من الكذب الفاحش على الله . فإن التوراة تشهد أنهما عاشا بعد الأكل دهرا حتى رزقا الأولاد، ورأيا فيهم البر والفاجر .

واليهود تزعم: أن الجنة لا أكل فيها ولا شراب . وهذا الموضع يكذبهم، وقد قررت ذلك فى مسألة مفردة أثبتُ فيها اشتمال الجنة على أصناف من الملاذ من الأكل والشراب والنكاح .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن نمرود[(٢)] لما بنى الصرح وشيَّده؛ نزل البارى إلى الأرض حتى هدمه وحال بين نمرود وبين ما أراد من ذلك . واليهود كثيرا ما يُطلقون فى توراتهم نزول الباري . فكأنما يعجّزون الله تعالى عن القدرة على ما أراد حتى يصفونه بالحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال . وذلك كله من صفات المحدثين، ويتعالى عن ذلك رب العالمين . أين هذا من ألفاظ الكتاب العزيز حيث يقول: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ ؟

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن إبراهيم[(٣)] حين مَرّت به الملائكة لهلاك سدوم وعامورا مدائن لوط عليه السلام أضافهم وأطعمهم خبزا ولحما وسقاهم سمنا ولبنا . ولما باتوا عند لوط؛ عشّاهم فطيرا، وذلك جهل عظيم . إذ اعتقدوا أن الملائكة شأنهم شأن الآدميين يتناولون ما يتناوله الآدميون من الأغذية . وتلك أجسام روحانية إنما غذاؤها وقوت أرواحها جنس آخر روحانى لا يعرفه اليهود .

---

(١) تكوين ٢ : ١ + .

(٢) تكوين ٢ : ١٧ والغرض من الموت: موت الخطيئة مجازا لأن العمل بالشريعة حياة . والمعصية موت .

(٣) تكوين ١١ .

وقد قال أهل الكتاب: إن المؤمنين فى الجنان لا يأكلون ولا يشربون، بل يكون حالهم عند الله كحال الملائكة. فكيف ناقضوا ههنا فزعموا: أن الملائكة أكلت الطعام وشربت الشراب؟ وبهذا التحريف وشبهه تعلم: أن أهل الكتاب ليس بأيديهم من كتب أنبيائهم إلا الرُّسوم. وقد قال الكتاب العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ وذلك كناية عن عدم الأكل ويشبه أن يكون الملائكة وضعوا أيديهم على الطعام، وتقدموا به إلى الفقراء وأبناء السبيل.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود ـ أبعدهم الله ـ أن نبى الله لوطا لما تقدم الله إليه بالخروج من تلك القرية الظالمة؛ لم يُسارع إلى الخروج [1] وتباطأ فى الامتثال. حتى جعل الملائكة يدفعون فى ظهره دفعا عنيفا حتى أخرجوه كرها. والأنبياء محاشون عن عوارض الشكوك فيما يأمر به الله ـ سبحانه ـ أعوذ بالله من القدح فى عصم الأنبياء، والتشبه بأمثال اليهود الأغبياء.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن نبى الله إبراهيم حين حضرته الوفاة، وأشرف على القدوم على الله تعالى، ورَّث ماله كله إسحق ولده، وحرم باقى أولاده [3]. فنسبوه ـ وهو خليل الله ـ إلى جهل وحيف، ينتزه عنه جهّال الصبيان. وقد قال خاتم

(١) تكوين ١٨ .

(٢) تكوين ١٩ وفيه «ولما توانى؛ أمسك الرجلان بيده... إلخ» .

(٣) إن إبراهيم عليه السلام أعطى لأولاده عطايا. وأعطى إسحق كل ما كان له ذلك قوله: «وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له. وأما بنو السرارى اللواتى كن لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حي» [تك ٢٥: ٥ ـ ٦] وهذا لايدل على أنه ورث إسحق فقط. لقوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» فإسماعيل وارث. وإسماعيل هو وحيد إبراهيم ووحيد سارة ووحيد هاجر. ولا يمكن إخراجه من الإرث بحسب شريعتهم [تك ١٦: ٢ +]وغرض الكاتب أن يقول: إن إبراهيم فرق أولاده على أماكن من الأرض، وأعطاهم عطايا. وجعل إسحق فى مدينة الخليل التى كان مالكا عليها ومقيما فيها. وأعطاه إبراهيم ما كان يخصه هو فيها. من دار الملك ودار الأسلحة وأماكن الجند، وأماكن حفظ القوت. وما شابه ذلك. لأن إسحق هو الذى سيتولى الملك من بعد أبيه فى مكانه.

النّبيين: «إنّا معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة» (١).

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن نبى الله يعقوب احتال على أبيه وقد كذب عليه قولا وفعلا وأوهمه أنه العيص (٢) ولده إذ كان إسحق يحب العيص أكثر من يعقوب، وأنه لبس حلّة أخيه العيص، وجعل على ذراعيه وعنقه جلد ماعز، حتى ذهب بدعوته إسحق التى ادّخرها للعيص. فتمّت حيلته على أبيه، ونجحت مكيدته، وأن إسحق لما عرف حقيقة الحال تعجب من ذلك. وقال: ليت شعرى من هذا الذى ذهب بدعوتي (٣). والأنبياء وأولادهم منّزهون عن الكذب والتدليس وسائر الكبائر، وعن كل ما يجر إليهم حرجا، أو يقتضى قدحا. والعجب أن اليهود يظنّون أن هذه حيلة على إسحق وهى فى الحقيقة على الله ـ عز وجل ـ .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الذبيح هو إسحق وليس هو إسماعيل. فأكذبهم التواتر، وسخر منهم البادى والحاضر. وذلك أن التواتر يشهد بأن الذبح والنحر إنما هو بمني. وهى موطن إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ ولم تزل قرون الكبش ـ كبش إسماعيل ـ معلقة فى جوف الكعبة إلى أيام ابن الزبير. فاحترقت فى فتنة الحجّاج بن يوسف.

والدليل على أن الذبيح إسماعيل، وأن القصة كانت قبل أن يولد إسحق: قول التوراة: إن إبراهيم لما أهوى بالسكين إلى نحر ولده ناداه الملك: «إبراهيم إبراهيم. قد علمت أنك تخشى الله حيث لم تمنعه ابنك وحيدك» (٤) وهذا من أدل

---

(١) الأنبياء بشر. ولا وجه ههنا للتمييز عن سائر البشر. بدليل: أن فاطمة رضى الله عنها طلبت ميراثها فى أبيها. ولو كانت تعلم وجها للتمييز؛ ماطلبت. وقد ورث سليمان أباه داود. وهما من الأنبياء.

(٢) العيص = عيسو .

(٣) تكوين ٢٧ .

(٤) تكوين ٢٢: ١٠ ـ ١٢ .

الدليل على أنه إسماعيل. فإن قالوا: فقد نصت التوراة على أنه إسحق. قلنا: ذلك من تحريفكم. والدليل على كذبكم: قوله «ابنك وحيدك» فلو قلنا: إنه إسحق؛ لكان قوله «وحيدك» باطلا. وكيف يكون إسحق واحده وابنه إسماعيل أكبر منه[١]؟ فليس واحده سوى إسماعيل. وقد نقلنا التواتر. ومن خالف المتواتر؛ فهو مخصوم به.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الله تعالى لما رأى معاصى بنى آدم قد كثُرت على الأرض. قال: لقد ندمتُ إذ خلقت آدم. فأرسل ماء الطوفان، وأباد ما على الأرض من الحيوان. وزعموا: أنه لما فعل ذلك؛ ندم أيضا. وقال: لا أعود أفعل ذلك. وذلك مذكور فى سفر الخليقة [٢] من توراتهم. فقبح الله هذه الأحلام، التى تترفع عن أمثالها الأنعام. وهل خفى عن علام الغيوب ما سيقترفه العباد، ويجرى فى مستقبل الزمان من الصلاح أو الفساد؟ وإنما يُتصور الندم والأسف من الجاهل بعواقب الأمور. والبارى تعالى عالم بالخفيات محيط بجزئيات ما فات، وما هو آت.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الذى وسوس لآدم وحواء حتى أكلا من الشجرة ليس هو إبليس، وإنما هى الحيّة. قالوا: وكانت أحكم الدواب. فأما إبليس فلا يعتقدون بوجوده، وليس له فى توراتهم ذكر ألبتة [٣]. والله تعالى يقول: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾. والنصارى وهم أفخاذ منهم يخالفونهم فى ذلك ويثبتونه ويعتقدون وجوده. وذكره فى الأناجيل كثير.

---

(١) فى إنجيل برنابا أن إسماعيل أكبر من إسحق بسبع سنين وفى التوراة بأربع عشرة سنة.

(٢) تكوين ٦ .

(٣) فى المزمور ١٠٩ : «فأقم أنت عليه شريرا، وليقف شيطان عن يمينه» .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن نوحا عليه السلام نام فى خيمته فكشف الريح عورته؛ فضحك منه ابنه حام. فدعا عليه وعلى عقبه[١]. وذلك من تُرّهات العوام وخرافات العجائز. فجعله اليهود قرآنا يتلى فى المحاريب.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود - أخزاهم الله - أن نبى الله لوط لما انجاه الله من عذاب سدوم؛ سكن كهف جبل ومعه ابنتاه اللتان سلمتا من أهله، فلما استقر بهم الحال قالت إحداهما للأخرى: هلمى نسقى أبانا الخمر حتى إذا سكر ضاجعناه وأقمنا من أبينا نسلا. وأنهما فعلتا ذلك فوطئهما لوط، فحملتا منه بولدين وهما مؤاب وعمّون.

أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن يبتلى الله من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم؟ فأيّ فائدة فى نشر هذه الفاحشة وتخليدها الكتب ليقرع بها الأنبياء قرنا بعد قرن وحقبا بعد حقب؟ انبياء الله أكرم من ذلك.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن رؤبيل بكر يعقوب من ولده، زنى بسرّية أبيه يعقوب وافترشها، وأن أباه يعقوب لما حضر أجله ودنت وفاته؛ قرّع رؤبيل ابنه بذلك وعيَّره بين إخوته وقال له: يا رؤبيل حقا لقد نجست فراشي وامتهنته؛ فلذلك لستُ أعطيك السهم الزائد[٢] قالوا: وكان من سنّة إبراهيم أن يرث الولد البكر سهمين

---

(١) تكوين ٩ .

(٢) معنى أنه لم يعطه السهم الزائد. هو أن التوراة معاد كتابتها بعد موسى. لأن اخذ البكر سهمين مذكور فى التوراة، ومن قبلها لم يكن مذكورا. والزنا محرم فى شريعة موسى. ومن قبلها لم تكن إلا

من الميراث، وغيره يرث سهما واحدا.

فأى فائدة وأى حكمة فى نقل هذه الفاحشة؛ يُعيّر بها سبط عظيم من الأسباط؟ ومآثر الآباء مفاخر الأبناء، وههنا حرف يتبيّن به كذب اليهود فى توريث إبراهيم إسحق ماله كله وحرمان إسماعيل وهو أن سُنَّة إبراهيم توريث البكر من الأولاد سهمين، فكيف حرموه الميراث؟هل ذلك من اليهود إلا غفلة وجهالة بما فى أيديهم من كتب الله؟!

فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن يهوذا بن يعقوب [١] زنى بِكنّتِّه ثامار ورهنها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه واشتهرت قصته وقصتها فى بنى إسرائيل، وصارا بذلك شهرة. هذا مع حظوته عند أبيه، ودعائه له بتخليد الملك والنبوة فى عقبه حتى يأتى محمد رسول الله ﷺ فأى فخر فى ذلك؟وأى فضل يودعوه التوراة ويعظّموه تعظيم الوحى والتنزيل جيلا بعد جيل؟

فضيحة أخرى:

زعم اليهود [٢]أن دينا ابنة يعقوب خرجت وهى عذراء فرآها مشرك من عبدة الأوثان وهو سحيم بن حمور رئيس القرية. فوقع عليها وافترعها وأزال

شريعة نوح التى تحرم القتل ظلما. [تكوين ٩] راجع فى زنا رأوبين: تكوين ٣٥: ٢٢ وفى السهم الزائد: تثنية ٢١: ١٧ .

(١) قوله زنى يدل على أن التوراة مكتوبة من بعد موسى بزمان طويل.

(٢) الغرض من وضع اليهود لقصة دينا فى التوراة: هو أن اليهود كانوا مكلفين من الله بفتح بلاد الوثنيين لنشر التوراة فيها، والملك على أهلها؛ لغرض عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. وقد استقر رأى اليهود وهم فى سبى بابل على عدم الجهاد فى سبيل الله. وقالوا: ليس علينا فى الأميين سبيل. ويقول الكاتب: لو فرض أننا رأينا مدينة فيها خيرات عظيمة. فكيف نأخذ خيراتها؟يقول: نحتال على أهلها بأننا هداة مهتدين، ونقنع أهلنا بأن يحاربوها تحت ستار الدين. فإذا فعلنا ذلك ودخلنا فاتحين؛ لانهديهم ولا نعلمهم

بكارتها وأنزل العار بأبيها نبى الله يعقوب، وأن حمور أباه جاء إلى بنى يعقوب وتنصل وآمن والتزم أحكامهم، هو وجميع أهل القرية. وأن بنى يعقوب قالوا لأهل القرية: «إن أحببتم الاستنان بسنتنا والدخول فى ديننا؛ فاختتنوا؛ لنصير شعبا واحدا» ومكروا بهم واحتالوا عليهم. فلما اختتن كل من فى القرية؛ دخلوا عليهم فوجا فوجا وهم بالسلاح، وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وانتهبوا أموالهم وحريمهم، وأن يعقوب لما انتهت إليه القصة قال لبنيه: «أنا رجل قليل العدد، الساعة يميل عليّ أهل هذه القرى والشعوب فيبيدوا حضرائي» وأنه اتخذ الليل جملا؛ فأصبح ولا أثر له بتلك البلاد.

فحكموا على أولاد نبى الله يعقوب بأنهم قتلوا المؤمنين، وأبادوا الموحّدين، وانتهبوا الأموال الحرام. ونحن نورّك على اليهود فى نقل هذه الأحاديث عن الأنبياء وأولاد الأنبياء.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود [1]: أن يعقوب عند منصرفه من حران طالبا بلاده؛ تصارع مع المَلَك؛ فغلبه يعقوبُ، وتألّم ورِك يعقوب حين دنا منه الملك، وأن الملك بقى فى يد يعقوب مقهورا حتى قال له: «دعنى وأباركك» فلهذا لا يأكل اليهود عرق الفخذ. وربما قال بعض جهال اليهود: إن الذى صارعه يعقوب هو الله ـ تعالى الله عن جهلهم علوا كبيرا وأستغفره من حكاية أقوالهم ـ .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى نزل إلى الجنة، ومشى فيها حين كلم آدم، وأنه تعالى نزل إلى الأرض حتى أنقذ بنى إسرائيل من سحرة فرعون، وأنه نزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العلّيق [1] وأنه نزل عندما كلّم إبراهيم وبشّره

= وإنما نقتلهم ونأخذ الخيرات العظيمة ونقيم فيها. انظر إلى القصة وهى فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين. وتجد فيها: «إن صرتم مثلنا نختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم، ونصير شعبا واحدا» وتجد فيها: «ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة».

(١) فى التوراة السامرية وفى سفر هوشع أن المصارع ملك من الملائكة {تكوين ٢٢} .

بالولد، وأنه نزل حتى بلبل ألسن نمرود وقومه ومن معهم من بناء الصرح. وكل ذلك جهل منهم بأن البارى يتقدس عن الحركات والتنقل فى الجهات، فظنوا: أن سماع آدم ونوح وإبراهيم وموسى كلام البارى من الجنة وشجرة العليق؛ يقتضى الحلول، أو يُوجب على البارى الصعود أو النزول.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن هارون ومريم أخته وقعا فى موسى وتناولاه، وجرى بينهم شرّ وتحاسد، وأن مريم عابت على موسى نكاحه امرأة سوداء. وأنهما قالا له: «أتظن أن الله تعالى إنما كلّمك وحدك؟كلمنا نحن أيضا». قال اليهود: «فنزل الله تعالى إلى قبة الزّمان، ودعا هارون ومريم وتوعّدهما، وبرّص مريم فصارت برصاء من ساعتها» (٢).

وكذِبُ اليهود هذا مالا يبتلى به أمثال هؤلاء الأعلام، إذ الحسد مراغمة لمقدور الله. وهو كبيرة لا تجوز على الأنبياء. وهارون نبى ثابت العصمة، مريم لا خلاف بين أهل الكتاب فى نبوتها. فصدور الكبائر منهم تخرم الثقة بهم والطمأنينة إليهم. فلعن الله اليهود. ماأكثر ما يتناولون أنبياء الله قتلا وقذفا.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن أسلافهم الذين شاهدوا الآيات مع موسى عندما خرجوا من البحر. قال لهم موسى: «ادخلوا الأرض المقدسة التى وعدكم الله بها على لسان أبيكم إبراهيم» وأنهم أبوا عليه وخالفوا أمره (٣). قال الله عز وجل حكاية عنهم: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ وقال بعضهم لبعض: هلم فلنولّ علينا ولاة، ويؤمّر كل سبط رجلا عليه، ونَدَع موسى ونرجع إلى مصر. فقد كان الموت بين يدى فرعون خيرا

(١) راجع: تكوين ٣ وتكوين ١٨ وتكوين ١١ وخروج ١٤و٣ ويقول علماء اليهود فى نزول الله: إن الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم ليقدروا على تصور ذاته.

(٢) العدد ١٢ .

(٣) العدد ١٣ + .

لنا من الدخول إلى الأرض التى وعدنا بها. وهذا مع ما شاهدوا من الآيات، وعاينوا من العبر والمعجزات. فإن صدقوا فى نقلهم؛ فبئس السلف سلفهم. وإن كذبوا عليهم؛ فبئس الخلف خلفهم.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى حين أراد قتل أبكار فرعون وجنوده قال لموسى: «مُرْ بنى إسرائيل أن يذبحوا حَمَلا وينضحون من دمه على أبواب دورهم، حتى إذا جُزت الليلة فى أرض مصر، ورأيت الدم؛ عرفتُ أبوابكم من أبواب المصريين؛ كيلا أهلككم معهم [(١)] .كأنهم يعتقدون أن البارى تعالى لا يرى إلا بإمارة، ولا يعلم إلا بإشارة ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ؟

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن موسى عليه السلام لما جاء لميقات ربه، واستخلف هارون على قومه، وأمره بإصلاح أحوالهم، ونهاه عن اتباع سبيل من أفسد منهم؛ خالف موسى فى ذلك واتخذ لهم عجلا وأمرهم بعبادته [(٢)] .وذلك مردود عليهم بما حكاه دانيال نبى الله فى نبوته إذ قال: إن الذى صنع العجل لبنى إسرائيل حتى عبدوه؛ هو ميخا السامرى [(٣)]، وكان آباؤه يعبدون البقر؛ فاستتابه موسى، ونفاه إلى الشام.

فالسامرة بالشام أكثر منهم بغيرها. وذلك موافق للكتاب العزيز حيث يقول:

---

(١) خروج ١٢ .

(٢) خروج ٣٢ .

(٣) اعلم: أن السامرى ليس اسما لرجل. وإنما هو لقب يضعه اليهود العبرانيون على أى رجل يضل الناس أو على أية امرأة تضل الناس. وذلك لأن السامريين فى اعتقادهم كفار، ولا يعاملونهم معاملة حسنة. وقد أطلقوا على المسيح عيسى عليه السلام لقب «سامري» بمعنى المضل للناس. فقوله تعالى ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ معناه: ما شأنك أيها المضل للناس بتقديمك العجل لهم ليعبدوه مكان الله. ففى إنجيل يوحنا: «لأن اليهود لا يعاملون السامريين» [يو ٤ :٩] «فأجاب اليهود وقالوا له: ألسنا نقول حسنا: إنك سامرى وبك شيطان؟ أجاب يسوع: أنا ليس بى شيطان. لكنى أكرم أبى وأنتم تهينونني» [يو ٨ :٤٨ ـ ٤٩].

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ .

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ وإلا فكيف يحسن بهرون نبى الله وخليفة موسى وصفيه؛ أن ينتدبه موسى للإصلاح فيدعو إلى الكفر الصراح؟

فضيحة أخرى:

عبدت اليهود الكواكب والأصنام، وقربوا لها القرابين وعاقروا الزنا. وموسى بين أظهرهم حي. فبينما هم مجتمعون إذ هجم زمرى رجل من قبيلة شمعون على بغى من البغايا يقال لها كسبى ابنة صور؛ ففجر بها بحضرة الجمع. فضربهم الله بموت الفجأة. فقتل منهم فى يوم واحد أربعة وعشرين ألفا. كما شهد بذلك الأصحاح الثامن عشر من السفر الرابع من توراتهم [١] .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن موسى عند خروجه ببنى إسرائيل من مصر قال لهم: «استعيروا حليّ المصريين؛ عارية» فلما فعلوا واستعاروا حلى المصريين وثيابهم؛ أمرهم موسى أن يهربوا بها ويغصبوها. وقال: «هذه أجرة سُخرتكم» فلبسوها وذهبوا ليلا [٢] .

ومعلوم: أنهم لا أجرة لهم على الأيتام والأرامل والمستضعفين من أهل مصر، بل على فرعون وذويه الذين استوفوا منافعهم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وقد هاجر رسول الله ﷺ من بين المشركين كما فعل موسى، غير أنه ترك من أهل بيته من أدّى الودائع إلى أربابها، ولم يخلّ بأمانته ﷺ .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى فى التوراة أمرهم بالربا من الأمم وأباحه

(١) العدد ٢٥ .

(٢) الخروج ١١ .

لهم. فلذلك استحلوه. وقالوا: «لم يحرم علينا إلا فيما بيننا فقط» [(١)] وقد أخبر الكتاب العزيز عنهم بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله ـ تعالى ـ أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها. فبنوها له على النعت الذى طلبه. قالوا: فكان موسى إذا أراد الرحيل قال: «انهض إلينا يا رب لنكبتَ شانئيك» قالوا: فكان البارى ـ جل اسمه ـ يظعن بظعنهم، ويقيم بإقامتهم وزعموا: أن الله تعالى أبى مرة أن يسير معهم. وقال: «اظعنوا أنتم؛ فإنى لا أظعن أنا، بل أنا أبعث معكم مَلَكاً يغفر ذنوبكم» [(٢)] .

وهذه الأقاويل تؤذن باستخفافهم بالله ـ عز وجل ـ .

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «إنْ بنى إسرائيل تُستعبد بأرض مصر أربعمائة سنة» [(٣)] وقد تضمنت توراتهم ذلك. ولا خلاف عند متأخريهم ومتقدميهم: أن بنى إسرائيل لم تُستعبد بمصر سوى مائتى سنة وخمس عشرة سنة.

ذكر ذلك محرور بن قسطنطين المنبجي. أسقف منبج. وذلك خُلْف عظيم.

إخبار الله تعالى بما يؤول أمر اليهود إليه من الكفر والعناد وسلوك سبل الضلال والفساد:

ذكرت التوراة فى أواخر السفر الخامس منها: أن الله تعالى قال لموسى: «أنت ميت ومنتقل إلى آبائك، وأن هذا الشعب ـ يعنى بنى إسرائيل ـ سيضلّ ويتبع آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى تُعبد من دوني، ويخالفني، ويترك عهدى الذى

(١) تثنية ٢٣: ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) العدد ١٠ والخروج ٣٣ .

(٣) تكوين ١٥: ١٣ أعمال ٦:٧ وقال بولس: «أربعمائة وثلاثين سنة» [غلاطية ٣: ١٧] .

عهدت؛ فيشتدُّ غضبى عليهم، وأخذُلهم وأُدير وجهى عنهم، وأجعلهم مأكلا لأعدائهم وأنزل بهم شرا شديدا وغما طويلا» (١) .

قال المؤلف: قد أخبر الله تعالى عنهم بذلك. فجاء الأمر كما أخبر ـ سبحانه ـ فكفروا وضلوا وعبدوا الأوثان والأصنام وقربوا القرابين للزهرة ونجوم السماء ونحروا لها النحور. فلما بعث الله إليهم إرمياء النبى ـ عليه السلام ـ قام فيهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم. وقال: «يا بنى إسرائيل لِمَ تعملون هذا الشر، وتلتوون عن طاعة الله، وتهلكون الرجال والنساء من آل إسرائيل، ولا تبقوا لكم بقية عند الله تعالى؟ بخّرتم للنجوم والأوثان فى أرض مصر وغيرها، حتى أراد أن يهلككم ربكم ويصيركم عارا بين الشعوب» فلما فرغ إرمياء من موعظته. أجابوه وقالوا: «أمّا ما قلت لنا عن الرب؛ فلا نقبله. ولكنا نفعل ما أحببنا وحسن فى أعيننا. وننحر ونبخر لنجوم السماء، ونقرب القرابين للزهرة، كما يفعل آباؤنا وأشرافنا فى قرى يهوذا. وكنا بخير، ولم نُعاين الشر. والآن فمذ تركنا البخور للزهرة، وأهملنا القرابين لها؛ أعوزتنا الأشياء وَجُعنا».

ثم تصايح الشعب كله على إرمياء وقالوا: «نحن لاندع البخور لنجوم السماء والقرابين لها، بل نفعل كما فعل آباؤنا».

فقال إرمياء عليه السلام: «اجتمعوا يا معشر اليهود، اسمعوا أقوال الرب إله إسرائيل. قال الرب. قد أقسمت باسمى العظيم أنه لا يذكر اسمى فى جميع أفواه اليهود الذين بأرض مصر؛ لأنى معجّل لهم الشر، ومهلكهم بالجوع والموت، وسيعلمون أى القولين أصدق؟ قولى أم قولهم؟».

وكذلك أخبر صَفَنْيا بن كوش النبى ـ عليه السلام ـ فى نبوته قال صفنيا: «قال الرب: لأزيلن إسرائيل عن وجه الأرض زوالا، ولأبيدن طير السماء وسمك البحور، ولأنزلن عذابى بالخطاة من بين إسرائيل، ولأصيرن أيامهم عبرة، ولأهلكنهم عن جديد الأرض، ولأرفعن يدى على يهوذا وسكان أورشليم، ولأهلكن كل من عبد بعلا الصنم، ولأعاقبن الذين يسجدون لنجوم السماء كما

(١) تثنية ٣١ .

فعلتُ بآبائهم الذين عبدوا الأصنام والنجوم والعجل»[(١)].

فالعجب من اليهود ينكرون إخبار الكتاب العزيز بعبادتهم عُزيرا. وهذه توراتهم ونبوات أنبيائهم تشهد عليهم بما هو أخبث من ذلك. وقد أخبر إلياس النبي في كتابه. وهو يشكو بني إسرائيل إلى الله تعالى: «فقال: يا رب إن بني إسرائيل قد كفروا وضلّوا، فقتلوا أنبياءك، وهدموا مذابحك، وهاهم يريدون قتلي»[(٢)].

فقد تضافرت شهادات أنبيائهم بالكفر والضلال وعبادة غير الله تعالى.

شهادة موسى عليه السلام على خيار أسلاف اليهود بالكفر والفسق، وارتكاب محارم الله، واستحقاقهم الخزي واللعن في الدنيا والعذاب في الأخرى:

لما قربت وفاة موسى ـ عليه السلام ـ قال لمن حضره من اليهود:[(٣)]« قد عرفت جفاكم وقسوة قلوبكم وما تصيرون إليه، وكيف لا تكونون كذلك، وقد أغضبتم الله وأنا حيّ بين أظهركم. فمن بعد موتي أحرى أن تفعلوا ذلك» ثم قال عليه السلام: «أخطأ أولاد الأنجاس. الجيل المعوج المتقلّب الجاهل الذي ليس بحكيم، الناسي ما صنع الله إلى من الإحسان وأراه من العجائب. شرب الخمر وملأ بطنه فتبطن وغلظ وشحم ونسي الإله العظيم الذي خلقه وبَعد من الله

---

(١) نص إرمياء في الأصحاح الرابع والأربعين«لماذا أنتم فاعلون شرا عظيما؟...» إلى أن قال:« فنبخر لملكة السموات، ونسكب لها سكائب...» الخ. وهذا يدل على أن اليهود عبدوا الأصنام، ونسبوا عبادتها إلى العرب بني إسماعيل. وهم من عبادتها برآء. فإن الله قد استجاب دعاء إبراهيم في نسل إسماعيل أن يجنبهم عبادة الأصنام. ولم يكن له وقت الدعوة ولد غيره. واستجاب دعاءه في أن يرسل منهم رسولا هو محمد ﷺ. وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام، ولم يذكر في القرآن أن نسله نقضوا العهد. وقال الله في القرآن: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾؟وفي التوراة أن اليهود وأدوا أولادهم وبناتهم للأوثان ففي المزمور السادس بعد المائة: وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء» ويقول تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ ﴾ وفي سفر إشعياء أن اليهود عبدوهم. وقد بينا ذلك في كتابنا «البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل».

(٢) الملوك الأول ١٩ .

(٣) هذا النص في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية. وهو نبوءة عن مجيء محمد ﷺ من العرب بني إسماعيل. وأن الأمم ستفرح مع بني إسماعيل بمجيئه، وأن الملائكة ستكون في نصرته.

مخلصه» ثم قال: «قال الله: أسخطونى بأوثانهم، وأغضبونى بأصنامهم، وذبحوا للشياطين ولم يقربوا لإله إبراهيم، ولم يعرفه الجيل الجديد، ونسى عهده. يا إسرائيل تركت الإله الذى أشبعك، ونسيته وأسخطته، لأصرفنّ وجهى عنك، ولأظهرنّ ما يكون من عاقبتك؛ لأنك جيل خبيث. أولاد من آسفنى بآلهته، وأسخطنى بأوثانه؛ لأبتلينه بأمّة جاهلة ضالة بعيدة عن الحكمة. لا تعقل ولا تفهم.

يقول الرب: هذا كله عندي، ومحفوظ فى خزانتى إلى يوم النقمة. أُجازيهم فى اليوم الذى تزلّ فيه أقدامهم؛ لأن يوم هلاكهم قريب، معدّ لهم. أنا الله الرب وليس غيري، أنا أُميت وأحيى وأسقم وأبرئ وليس هارب من يدي، أنا الذى أشحذ سيفي، وتجرى الأحكام بيدي، وأُجازى الأعداء بالنقمة وأسكر نُبلى من الدم، ويأكل سيفى لحوم الجرحي. أين هى آلهتهم التى توكلوا عليها وأكلت قرابينهم؟فلتقم الآن وتُغنى عنهم شيئا. والرب سبحانه يرحم شعبه، وعلى الصالحين من عباده يترأف».

فقد أخبر الله تعالى عن اليهود بما أخبر، وشهد عليهم الصادق موسى بما شهد. وصدق الله ورسوله، وتعين علينا وعلى كافة عباد الله بُغض اليهود ومقتهم وتكذيب أقوالهم ورد رواياتهم.

قال المؤلف ــ عفا الله عنه ـ :إنا لم نعتمد فيما نقلناه على تعليقات علمائنا ومؤلفاتهم، حتى طالعنا توراة اليهود وأناجيل النصارى ومزامير داود ونبوات الأنبياء مرة بعد أخرى، ونقلنا كما رأيناه واستنبطناه واستخرجناه مما وجدنا، فمنه ما نقلناه على نصه ومنه ما أوجزناه لركاكة نصّه. وإن ما نقلناه من فضائحهم؛ قليل من كثير ويسير من خطير.

والله الموفق.

فضائح النصارى

اعلم: أن جميع ما ذكرناه من فضائح اليهود؛ لازم للنصارى أيضا؛ لأن كلتا الطائفتين تعتقد حُرمة الكتب التى نقلنا منها وتعظّمها جدا. وما النصارى إلاّ فَخْذ من اليهود، خلا الروم وقوم من المشرق؛ فإنهم ليسوا من بنى إسرائيل. والذى يخص النصارى من الفضائح دون اليهود:

فمن ذلك:

فضيحة:

زعم كل النصارى: أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد امرأة عذراء وسكنت برحمها تسعة أشهر، تغتذى بفاضل قوتها، ثم خرجت من فرجها إنسانا فتردد فى الأرض بين الناس، وناله ما ينال الأطفال من الآلام والإعلال، وتقلبت به الأحوال إلى أن بلغ مبالغ الرجال. فلما شرع يُشهر نفسه، ويظهر قدسه؛ توثبت عليه طائفة من عبيده، فكذّبوا فمه، وسفكوا دمه. وقتلوه ظمآنا، وصلبوه عريانا.

فإذا قيل لهم: ما الذى أحوج الكلمة الأزلية، إلى تجشم هذه القضية الدّنية؟

قالوا: إنما فعل ذلك؛ ليخلصنا من الجحيم، ويخصصنا بالنعيم المقيم. تباً لهم. أيزعمون: أن البارى أوْ صفته عجز عن خلاص عباده حتى اعتضد بناسوت اكتسبه من امرأة منهم؟ وما نراه أيضا قدر على خلاصهم وهو معافي، بل جاء بخلاصهم؛ فعطب، ورام سلامتهم؛ فقتل وصلب. هذا لعمرك هو التلاعب بالدين. أعوذ بالله من الضلال، واعتقاد الربوبية فى الرجال.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن إلههم صُلب مع اللصوص ودفن فى المقابر بين الأموات، وقام فى اليوم الثالث إلى السماء، وجلس فيها. وذلك مما يأنف عن اعتقاده أهل الجنون وأرباب المجون. أسأل الله العافية.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن إبليس ـ لعنه الله ـ احتمل المسيح ورفعه على جبل عال. وأراه الدنيا بأسرها. وقال: «هذا كله لى وأنا أعطيكه إن خررت لى ساجدا» وهذا ينقض قولهم: إن المسيح رب إبليس، ورب كل شيء، وإذا كان إبليس عبدا للمسيح، فكيف يسومه السجود له؟

فضيحة أخرى:

روى النصارى: أن جبريل قال لمريم: «إنك ستلدين ولدا تسميه أيشوع المسيح، يكون عظيما ويجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب».

ثم رووا عن بطرس أن المسيح وأصحابه كانوا يبذلون الجزية لقيصر، أسوة بسائر المستضعفين. وذلك تناقض عجيب. والصحيح: ما أخبر به جبريل الأمين عن رب العالمين، وأما الرواية الثانية فيلزم من القول بصحتها تكذيب جبريل. ومن كان عدوا لجبريل الأمين، فهو عدو لله رب العالمين.

فضيحة أخرى:

عند النصارى ثلاثة آلهة قديمة أزلية، ورجل من بنى آدم. وعبّروا عن ذلك بالأب والابن والروح القدس. وعيسى ابن مريم على ما تشهد به صلواتهم الثماني. وذلك باطل وكفر. والدليل عليه: قول التوراة والإنجيل: إن الله خالق واحد لا شريك له. وأنه الإله الحق الذى لا رب غيره ولا معبود سواه ـ على ما تقدم ـ فمن أشرك مع الله غيره؛ فقد كفر بالتوراة والإنجيل.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن المسيح خلق آدم وذريته وسائر الخلق أجمعين.

فيقال لهم: فمريم من خلقها؟فإن قالوا: ليست من خلقه؛ نقضوا مقالهم. وإن زعموا أنه خلقها. فيقال لهم: يا نوكا كيف تلد المسيح وهو خالقها؟أم

كيف ترضعه وهو رازقها؟أسمعتم يا معشر العقلاء بامرأة ولدت خالقها وأرضعت ثديها رازقها؟

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن ربهم وإلههم أكل وشرب ومشى وركب وهُزِم وغُلب وصُلب وأكذبهم الإنجيل إذ يقول: إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد ولا رآه أحد قط إلا مات.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن معبودهم حين ولدته أمه في السَّفَر؛ لفته في الخرق وتركته في مذود من مذاود البقر، إذ لم تجد موضعا تجعله فيه تعالى الله رب الأرباب، أن تحويه معالف الدواب. بل لا تحويه الأقطار، ولا يحدّه المقدار. ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات.

فضيحة أخرى:

من مشايخ النصارى رجل يقال له أفرايم يُعظّمونه جدا ويرون فيه. وهو الذي يقول: «إن الأيدى التى جبلت طينة آدم هى التى سُمِّرت على الصليب. وإن الشِّبر التى مسحت السموات هى التى عُلقت على الخشبة». وهذا الرجل قد جمع إلى الكفر؛ الجنون ـ والجنون فنون ـ ومن يعتقد فيه خير فهو أجهل وأكفر منه.

فضيحة أخرى:

النصارى يعظمون غرغوريوس وهو القائل: «إن الذى لا يألم ولا يتجع صار متجعا، وإن الذى لا يحس صار محسوسا، وإن الذى لا يحد صار محدودا، وصار الخالق مخلوقا وإن من لا يقول إن مريم ولدت الله؛ فهو بعيد عن ولاية الله».

قال المؤلف: وهذا خلاف قول النصارى. وذلك أن عندهم إنما كان خاصية الاتحاد وثمرته أن يقع الفيض الإلهى على الشكل الإنسانى فتكسبه شرفا، فأما أن يقع الأمر بالعكس فيكتسب الإله خسة ونقيصة. فهذا مالا يقول به إلا جهلة القُبْط

من النصارى. فأما أذكياؤهم فيأنفون من القول به.

فضيحة أخرى على الطائفتين جميعا:

رووا عن توراتهم: أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه السلام: «إن ذريتك يُستعبدون بأرض مصر أربعمائة سنة».

قال مؤرخهم: إن هذا القول لم يتم بل أُخلف؛ لأن بنى إسرائيل لم يمكثوا بمصر أكثر من مائتين وثلاثين سنة، وقال المنبجى أسقف منبج: مائتى سنة وخمس عشرة سنة لا غير. ـ كما تقدم فى حاشية وعد خليله إبراهيم ـ على أنا لو أضفنا لهم إلى إقامتهم بمصر سنى التيه. وهى الأربعون لم يكمل لهم العدد. والله تعالى محاشى عن وقوع الخُلف فى خبره، بل قوله الحق ووعده الصدق. سبحانه وتعالى عما يشركون.

فضيحة أخرى:

النصارى إذا تقربوا فى الكنيس الذى لهم فأكلوا الخبز وشربوا الخمر قالوا: قد أكلنا جسد الرب وشربنا دمه. ورووا عن المسيح أنه أعطاهم خبزا وقال: «هذا دمى فاشربوه».

وهذا لعمرك إلى أن يعدّ جناية موجبة للعقاب، أقرب من تسميته قربة مستدعية للثواب. فليت شعرى أى شيء أبقوا لليهود ولم يبلغوا منه من النكاية إلى هذه الغاية. بل قالوا: إنهم اقتصروا على قتله وصلبه. فأما النصارى فكأنهم لم يرضوا له بهذا القدر حتى ترقّوا إلى تمزيق لحمه وشرب دمه. وهذا لم يُسمع به إلا من العدو المشاحن، وأرباب الأحقاد والضغائن.

قال المؤلف: صرح لى بهذا الحرف بعض النصارى، وكان معنا فى المجلس رجل من عقلائهم. فقطع عليه الكلام وانتهره حتى فهم القصة من حضر ذلك المجلس. فأى فائدة وأى فضل وفخر فى دعوى هذا المحال على عبد الله المسيح وجعله قرآناً يتلي؟! ولقباحة هذه الأقوال وسماجتها وبعدها من كلام الأنبياء؛ صار كثير من النصارى يُسْلم من غير أن يطّلع على محاسن دين الإسلام، ونظافته

من هذا الهذيان. بل تبرما وتطيرا من قباحة ما عليه النصارى لا غير.

فضيحة أخرى:

ترك طوائف من النصارى الاختتان وحرموه ورأوا أنه معصية، وأن إطالة القلف دين يُدان الله به وشرع لا يسع المكلف خلافه. فيجامع أحدهم امرأته وجلدة قلفته مستطيلة والأخرى عضوها بارز نابت كأنه عرف ديك فيكونان أقبح شيء وأسمجه.

وراغموا التوراة والإنجيل وسائر النبيين.

أما التوراة: فنصت أن إبراهيم الخليل أمره الله بالختان. فقال له: «هذه عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك أن يختتنوا غرلة كل ذكر منكم ومن عبدانكم ليكون عهدى ميْسَما فى أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد، وكل ذكر لا يختتن غرلته، فلتهلك تلك النفس من شعبها؛ لأنها أبطلت عهدي. فعمد إبراهيم فاختتن وهو إذ ذاك شيخ كبير وختن أولاده وعبدانه» (١). فإذا كان هذا نص التوراة، أنه واجب إلى الأبد وأن تاركه يقتل؛ فقد وضح كفر من خالفه من النصارى، وغيرهم. وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان.

وأما الإنجيل فقد اختتن المسيح وتلاميذه (٢). والعجب من النصارى. منهم من يجبّ مذكيره ويخصى نفسه. وآخرون يحلقون لحاهم. ولم يأت ذلك فى شرع ولا نزل به كتاب، ويتركون الختان. ولم يزل النصارى يختتنون بعد رفع المسيح. إلى أن أتاهم رجل يُدعى عندهم فولس بعد المسيح بمدة متطاولة. فقال لهم: «إن الختان ليس بشيء وإن الغُرلَة ليس بشيء» وما أعلم على النصارى أشأم من هذا الرجل ـ أعنى فولس ـ فإنه حلّهم من الدين بلطيف خَدْعه. فحلهم من

---

(١) النص فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين باختصار.

(٢) إن الله لما أمر إبراهيم بالجهاد فى سبيله، جعل للجهاد علامة. وهى الختان. وذلك لأن المقتول فى الحرب من المسلمين، يتميز بالختان. فلما انفصل المسيحيون عن اليهود، وأبطلوا الجهاد فى سبيل الله، لم يعد للختان من فائدة، فلذلك ألغوه، ووضعوا المعمودية مكانه. وفى الشريعة الإسلامية لم ينص الله تعالى على الختان فى القرآن. وذلك لأن المسلمين إذا خرجوا للحرب. فإنهم قد يحاربون اليهود. واليهود مختونون فلا يحصل التمييز. وهذا هو السبب فى عدم النص عليه فى الشريعة الإسلامية.

سنّة الختان، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يُلقى إليها.

فضيحة أخرى:

للنصارى كنيسة ببعض البلاد يحجّون إليها ويعظمونها. ويزعمون: أن يد الله تخرج إليهم من وراء ستر منها؛ فتصافحهم. وذلك فى يوم من السنة. فبلغ ذلك بعض رؤساء دولتهم. وقيل له: ألا تعجب من يد الله كيف تظهر للناس ويرونها؟ فمضى ذلك الرئيس إلى الكنيسة فى ذلك اليوم، فلما ظهرت اليد قرّبه الأقسّاء إليها ليقبلها. فلما رآها وضع يده فيها والتزمها. فصاحوا به وقالوا: الساعة تخسف بنا الأرض، أو تسقط علينا السماء أو ترسل الصواعق؛ فنهلك. فقال: دعوا عنكم هذا. فإنى والله لا أدع هذه اليد من يدى حتى أرى وجه صاحبها. فلما شاهدوا منه التصميم. قالوا له: أرجعت عن دين النصرانية وهو دين آبائك وأسلافك؟ قال: لا. ولكنى أردتُ الوقوف على سرّ ذلك. قالوا: فإنها يد أسقف من أصحابنا وراء هذا الستر. فلما رآه وشاهده؛ أرسل يده وخرج من تلك الكنيسة فلم يعد بَعدُ. واشتهرت القصة. قال المؤلف: سمعت ذلك من كثير من أصحابنا المغاربة، ثم شاهدت القصة مسطورة فى تصنيف لبعض المغاربة.

فضيحة أخرى:

للنصارى صليب من حديد معلّق فى قبة كنيسة لهم بالمغرب، قد وقف فى الهواء بغير علاقة ولا دعامة. والناس يحجّون إليها ليشاهدوا الصليب، ويتعجبون من تلك الآية. فأكثر التعجب من ذلك بعض ملوكهم. فقال لكاتب كان عنده من اليهود: ألا تعجب يا فلان من هذه الآية العظيمة التى فى هذا الصليب؟ فذكر له اليهودى أن فى جهات الصليب المذكورة حجارة المغناطيس العظام مخبأة فى الجدران وفى مايوازيه من سقف القبة وأرض الكنيسة. فهى التى أوجبت قيامه، ومنعته من السقوط. فحضر الملك إلى الكنيسة المذكورة فى وقت خلوة وتقدم بالكشف عن الحجارة من بعض الجدران من الصليب، فاضطرب الصليب حتى خافوا أن يسقط. فعرف حقيقة الحال وانصرف.

فضيحة أخرى:

للنصارى فى بلد من بلاد المغرب أيضا كنيسة فيها ثُريا معلّقة نحو تعليق الصليب، ينزل إليها نور من فوق؛ فتتقد ليوم فى وقت من السنة. فهم يعظّمون ذلك اليوم ويفخّمونه. فأطرق بها بعض ولاتهم فصار إليها. فعرف حقيقة الحال وذلك أنهم مَدُّوا من الجدار قصبة حديد مجوفة وأبرزوا لها أنبوبا دقيقا على وزان طرف الذبالة. فإذا كان ذلك الوقت المخصوص؛ أرسلوا نار النفط فى تيك القصبة، فتخرجُ بسرعة فتتقد للوقت. فلما عرف وجه هذه الحيلة؛ أمر بصفع السدنة وانصرف.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن مريم أم المسيح تنزل من السماء على الأرض فى دار المطران بطليطلة فى يوم معروف من السنة بكسوة تلبسها له. وهم لا يشكّون فى صحة هذا ببلادهم. قال بعض من نقلها: ياليت شعرى هل نزولها بغير إذن الأب أو بإذنه؟ فإن كان ذلك بإذنه؛ فكيف لم يُرسل بعض ملائكته ورسله ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبى عنها؟ وإن كانت تنزل بغير إذنه مستبدة برأيها، فكيف يجوز من الأب أن يصطفى لنفسه خائنة تخونه وتخرج من بيته بغير إذنه إلى رجل بكسوة تكسوه وتزينه بها؟ أترون الأب لا يعلم خيانتها وترددها إلى من ليس لها بمحرم؟ أو ترونها قد عشقت المطران فهى تتردد إليه شغفا به؟ فما بالها لا تولى ذلك غيرها من خدمها حتى تتجشم هى بنفسها؟

فضيحة أخرى:

للنصارى عيد ببيت المقدس مشهور يُعرف بعيد النور يحجون إليه فى يوم من السنة، وإذا اجتمعوا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذبالة القنديل فيتقد بسرعة، فتكثرُ الأصوات وتعجّ بالدعاء والابتهال؛ فلا يشك الغِرّ ولا يرتاب الغمر أن تلك آية نزلت من السماء، دالة على صحة دينهم. ووجه الحيلة فى ذلك: أن رجلا يختبئ فى إفريز القبة من داخل وهى غلسة جدا، فإذا كان ذلك الوقت الذى يُكمل فيه اجتماعهم، وقُرأ الإنجيل والكتب؛ أرسل الرجل قَبَسا من

نار النفط؛ فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان؛ فتبتدر الذبالة فتتقد. فيجأرون حينئذ بالأدعية.

قال علماؤنا: وقد تفطن لذلك بعض ولاة «بيت المقدس» فصار إليهم فى ذلك العيد، وأراد أن يفضحهم بكشف القصّة. فبذلوا له مالا. فقنع به منهم وانصرف. ومعلوم: أن ذلك لو كان نوراً لم تتقد منه المصابيح. إذ صفة النار الإحراق، وصفة النور الإشراق فقط. ولو كان ذلك نازلا من السماء ـ كما يدّعى النصارى ـ لرؤئى خارج القبة. والدليل على كذبهم: أن تلك البقعة ظلت فى أيدى اليهود مدة طويلة، ثم جاء الله بالإسلام ولم يُرَ شيء من هذا الجنس.

فضيحة أخرى:

النصارى يُصلّون إلى مشرق الشمس ويتخذونها قبلتهم[1]، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلّى إلى قبلة «بيت المقدس» قبلة موسى بن عمران والأنبياء وقال: «إنى لم آت لأنقض التوراة بل لأكمّلها، وإن السماء والأرض ليزولان وكلمة واحدة من الناموس لا تزول حتى يتم بأسره». غير أن النصارى خالفوا المسيح والأنبياء، واعتذروا فى توجههم إلى المشرق بأنه الجهة التى صُلب إليها ربهم، وقُتل فيها إلههم. فيقال لهم: يا حمقى لو كنتم أولى الباب لمقتّم جهة المشرق وأبغضتموها وتطيّرتم بها ورفضتموها فى أمور العادة، فضلا عن العبادة. وذلك لأنها الجهة التى لم يصلّ إليها المسيح، ولا الأناجيل شهدت له بأنه صلّى إليها ولا نبى من الأنبياء ألبتة. ثم إنها الجهة التى تشتت بها شملكم، وبُددت كلمتكم وفُرقت جموعكم. فتعظيمكم لهذه الجهة وهى أشأم الجهات عليكم؛ أمر يقتضى السخرية بكم والإزراء عليكم. وكان الأوْلى بكم أن لا تتحولوا عن جهة «بيت المقدس» لقول الإنجيل: «إن امرأة سامرية من اليهود قالت

---

(١) اعلم: أن الله تعالى لم يحدد لبنى إسرائيل جهة قبلة. فكانوا يتجهون إلى أية جهة. وكانوا يستحسنون التوجه إلى جهة الكعبة فى مكة المكرمة. على أنها جهة. وكان الأنبياء يتجهون إليها. وبعد رجوع اليهود من سبى بابل، حددوا لأنفسهم على سبيل الإلزام جهة فلسطين. العبرانيون إلى أورشليم والسامريون إلى نابلس. ولما ظهر عيسى عليه السلام أخبر بأن القبلة التى حددوها لأنفسهم ستنزع من المكانين [يوحنا ٤] وقد ظهر محمد ﷺ وجعل القبلة إلزاما إلى جهة الكعبة عن أمر الله تعالى.

للمسيح: يا سيد، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل للأب، فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟ فقال لها: أيتها المرأة أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم»[1].

فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبلة يُصلى إليها إلا بيت المقدس الذى هو أورشليم. أفأنتم أعرف وأعلم من المسيح بما يحب الله تعالى؟ إنا لله وإنا إليه راجعون على عقولكم. لقد رُميتم فيها بداهية.

فضيحة أخرى:

الروم من النصارى على كثرة طوائفها لا يرون وجوب الاستنجاء. فيبول أحدهم ويغوط ويقوم من فوره إلى مصلاّه. وهو متضمخ ببوله. وذلك مما أحدثوه بعد المسيح. وإلا فشرائع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قد وردت أن العبد لا يقوم إلى الصلاة إلا وهو على أكمل أحواله. فيجتمع لهم فى الصلاة أمور قبيحة؛ منها: أن يقوموا بغير طهارة. ومنها: استدبارهم قبلة المسيح التى كان يُصلى إليها. ومنها: دعواهم وتضرعهم إلى رجل من بنى آدم أن يغفر لهم خطاياهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، وربما سألوه بحق المسامير التى سُمّر بها فى يديه وبالخشبة التى صُلب عليها بزعمهم على ما أذكر منه طرفا فى آخر فضائحهم.

فضيحة أخرى:

من النصارى من لا يقبل التوبة للمذنب مالم يعترف له بذنوبه. ويقر له بإجرامه، ويشرح ما فعله فى طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل وفعل كيت وكيت ويعدّد الخاسر ما ستره الله عليه ويُبدى عورته لهم؛ فيجد أكابرهم الوسيلة إلى التحكّم فى ماله والتبسط فيما حواه من دنياه. فيطوفون حوله ويوظفون عليه ما رأوه لائقا بماله واتساع حاله، ويبقى المتكَل فى أيديهم وفى قبضتهم طوال عمره؛ وقد أُرِّخت عليه سيئاته وخُلّدت فى دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن غيرهم، وعُير بها أولاده وعقبه من بعده جيلا بعد جيل وقرنا

---

(١) يوحنا ٤ ويرنابا.

بعد قرن.

ولقد بلغنى عمن لا أشك فى صدقه وثَبْته: أن النصارى عندنا بمصر أرادوا نصب رجل من أفضلهم بطريكا عليهم فبينما هم على ذلك إذ جاء آخر من أكابرهم وذوى الهيبة فيهم؛ فاعترف أنه وهذا المرشح للبتركة قد فعل كل واحد بصاحبه الفعل المحذور أيام الحداثة. وتصادقا على ذلك. فأفسدوا على النصارى ما راموا من نصب الرجل وتوليته عليهم. وهذا أمر لا أصل له فى شريعة ولا نص عليه ناموس. ولكنه شيء اختلقه الجهلة من مشايخ النصارى اختلاقا، وابتدعوه بعقولهم ابتداعا.

فضيحة أخرى:

زاد النصارى فى صومهم الكبير جمعة يصومونها لهرقل ملك «بيت المقدس» وسبب ذلك: أن الفُرس لما استولوا على «بيت المقدس» وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس؛ أعانهم اليهود على ذلك وكانوا أشد فتكا فى النصارى من الفُرس. فلما توجه هرقل إلى «بيت المقدس» تلقاه اليهود بالهدايا، وسألوه الأمان. فكتب لهم كتابا يُؤمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم. فلما دخل «بيت المقدس» شكا إليه النصارى مالقوا من اليهود، وكيف مالأوا عليهم الفرس. وسألوه قتل اليهود فقال: كيف أقتلهم بعد أن أمنّتهم؟فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة فى أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم فى الصوم ما دامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونُعيِّره ونكتب به إلى الآفاق غفرانا لذنبك. فأجابهم إلى مسألتهم وملتمسهم وقتل اليهود قتلا ذريعا. فصاموا له جمعة فى أول الصوم. وكتبوا بذلك إلى سائر البلاد وأهل «بيت المقدس» و«مصر»يصومونها وبقية أهل الشام لا يأكلون اللحم فيها، ويصومون الأربعاء والجمعة. ولا شك أن هذا وشِبهه من باب التلاعب بالدين. وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقا. أليس هم الذين عمدوا إلى إنسان قد تربّى بينهم طفلا ونشأ حتى صار كهلا؛ فاتخذوه إلَها، وأعلنوا بعبادته سفاها، وخاطبوه بالربوبية شفاها؟نعوذ بالله من الضلال، وأن نشرك مع الله الرجال.

فضيحة أخرى:

للنصارى عيد يقال له «عيد ميكائيل» ليس له أصل فى شرعهم ألبتة، بل هو ممن أحدثوه وابتدعوه. وسبب إحداثه على ما ذكر أهل العلم: أنه كان بالإسكندرية صنم وكان أهل الإسكندرية ومصر يُعيِّدون له عيدا عظيما، ويذبحون له الذبائح. فولى بطركة «الإسكندرية» رجل يقال له «الأكسيدروس» فرام إبطال هذا العيد وتعطيل الصنم؛ فلم يقدر من عوام النصارى. فقال: إن تعبدكم لصنم لا يضر ولا ينفع؛ لضلال وكفر. فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل المَلَك وذبحتم له الذبائح؛ لكان يشفع لكم عند الله. وذلك خير لكم من هذا الصنم. فأجابوه إلى ذلك؛ فكسر ذلك الصنم، واتخذ منه صلبانا. وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» وتحول العيد فصار لميكائيل إلى اليوم، بمصر وتخومها. ولا أصل له فى زمن المسيح ولا فى زمن الحواريين. والشيء الضعيف لا يزيده الأمر الباطل إلا ضعفا. والحقّ مستغن بنفسه عن أن يَقْوى بأمثال هذه التُّرهات.

فضيحة أخرى:

للنصارى عيد يعرف بـ «عيد الصليب» لا أصل له ألبتة. وهو مما أحدثوه بعد رفع المسيح. كعيد ميكائيل وعيد النور وغيره.

قال العلماء: من ميلاد المسيح إلى أن وجُد الصليب ثلاثمائة سنة وثمانى عشرة سنة. وسبب إحداثه: أن اليهود اتخذوا المقبرة التى دُفن فيها الشَّبَّه مزبلة يطرحون فيها الكناسات والأوساخ، تحقيرا لشأن المصلوب وتصغيراً لقدره. فأقامت مزبلة نحوا من ثلاثمائة سنة، إلى أن جاءت أم قسطنطين الملك، فأمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا فيها ثلاثة صلُب. وهم صليب اللصين والشبه. فقالت: كيف لنا أن نَعْلَم خشبة ربنا التى صُلب عليها؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الموت، فأمرت فوضع عليه الصليب فلم يقم، فأمسّته الثانى فلم يقم، فأمسته الثالث فقام وبرأ من علّته كأن لم يكن به بأس. قال النصارى:

فعلمتْ أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك وإذا كان هذا إنما جرى بعد المسيح بهذه المدة، فكيف يعدّ مأخوذا عن المسيح؟وهذه الأعياد لو كانت معتبرة لكان الأوْلى أن تكون مسطورة فى الإنجيل ومأخوذة عن التلاميذ. ولو بعث الله التلاميذ الآن لم يعرفوا منها ولا مما عليه النصارى شيئا. إذ ما فى أيديهم شيء مما كان عليه المسيح وأصحابه.

ونحن - يرحمك الله - نسأل النصارى فنقول: أخبرونا بماذا استحق الصليب عندكم هذا التعظيم والتفخيم، حتى صرتم تُقبلونه وتمرونه على أعينكم وتصلبون به على وجوهكم. فمنكم من يصلّب على وجه بإصبع واحد وهم القبط، ومنكم من يصلب بإصبعين وهم الروم، ومنكم من يصلب بالخمسة وبالعشرة وهم الفرنج؟

أفهذا دين نقلتموه عن الأنبياء وأخذتموه من شرائع الرسل؟فأرونا ذلك فى توراة موسى ونبوات إشعياء وإرمياء ومزامير داود، وأنَّى تجدون ذلك فى هذه الكتب وهى مشحونة بالتوحيد كما قد بيناه؟وقد كان من حُكْم الصليب لو كنتم ألبَّاء عقلاء أن تمقتوه وتلعنوه وتميتوا ذكره وتخفوه فلا تعلنوه.

فإن قالوا: إنما عظمناه؛ لأنه شَرُفَ بصعود المسيح عليه ونحن نقبله ونعظمه لذلك.

قلنا: فهلاً تعظموا الحُمُر وتقبلوها وتسجدوا لها لأن لوقا وغيره قد أخبر أن المسيح ركب حمارا عند دخوله المدينة والصبيان بين يديه ينادون: «مبارك الآتى باسم الرب» (١) فكان ركوبه الحمار فى حال تعظيمه وكرامته، وركوبه الصليب فى حال تصغيره وإهانته. فهلاً تعظمون الحمير، وتضخمونها بالعبير، وتقبلونها فإنها أفضل من الصليب بكثير فشتان بين مركوب بالرئاسة مخصوص، ومركوب قرنه باللصوص. فلو عقل النصارى لأسقطوا ذكر الصليب ورفضوه، ولعنوا ذكره وأبغضوه. فإن ذكره يُعَرِّض بربهم، وينُوِّه بثلبهم.

---

(١) مزمور ١١٨ متى ٢١ والمبارك الآتى هو محمد ﷺ .

فضيحة أخرى:

النصارى مختلفون فى السجود للصور، فمنهم من يؤثره ويهواه، ومنهم من كان يكرهه ويأباه، وأكثرهم على المذهب الأول. بدليل: أن كنائسهم لا تكاد تخلو من الصور. وهذا مما أحدثوه بعد المسيح وأصحابه. وهذه الأناجيل الأربعة فى أيدينا ليس فيها شيء يدل على انتحال ذلك ألبتة، بل قد صرحت بالتوحيد فى غير موضع ـ كما قدمناه ـ وأيُّ فرق بين السجود للصورة والسجود للوثن والصنم؟ولو كان ذلك من الدين لكان أولى بالصور المسيح وأولى الناس بالسجود لها الحواريون. وقد بقوا بعد المسيح حتى اخترموا ولم يؤثر عنهم شيء من هذا القبيل. وقد ذكرنا: أن التوراة قد شددت وغلّظت على من يفعل شيئا من ذلك. والمسيح عليه السلام قد قال فى إنجيله: إنه لم يأت لنقض التوراة بل جاء لإكمالها.

فهذه التوراة مصرحة بتكفير عابد الصور. وهذا الإنجيل ليس فيه لها ذكر، وهذه كنائس النصارى مملوءة بها، فلم يبق إلا المجاهرة والعناد وعبادة الأنداد.

فضيحة أخرى:

للروم كنيسة ببعض بلادهم يحجّون إليها فى يوم من السنة فيشاهدون صنما بها، إذا قُرئ الإنجيل بين يديه درّت ثدياه وخرج منه اللبن فيشاهده من حضر ويتحدث فيه من غاب ويعدّها آية بينة، ودلالة على الدين ليست بالهينة. ويحصل للسدنة بسبب ذلك مال عظيم. فبحث ملكهم عن ذلك فوجد القيّم قد ثقب من وراء الجدار طاقة لطيفة وهندمها حتى أوصلها بثدى الصنم، وجعل فيها أنبوب من نحاس وأصلحها بالجير وأخفى أمرها. فإذا كان يوم العيد فتحها وصبّ فيها لبنا فيخرج من ثدى الصنم، ويسقط نقطة نقطة على تدريج. فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل وبركة العيد. فلما انكشف له وجه هذه الحيلة؛ ضرب عنق القيّم وعزم أن لا يبقى فى الكنائس ببلده صورة. فوقع بينهم اختلاف بذلك وكفّر بعضهم بعضا وبَدَّعه وتبرأ منه.

فضيحة أخرى:

للنصارى صنم بالقسطنطينية له عيد فى السنة تحج إليه النصارى من كل وجه فى يوم مشهود، فإذا تُلى الإنجيل بين يديه بكى بالدموع الغزار، فيشاهد ذلك من حضر ويكثرون الابتهال والدعاء ويعجون بالبكاء. فاجتمع عنده مال، واحتاج الملك إلى قرض. فرام اقتراض ذلك وأخذه.

فأبى عليه القَيِّم فحضر الملك إلى الكنيسة بنفسه. وقال للأسقف: اقرأ الإنجيل الساعة حتى نرى كيف يبكى الصنم. فقال: إنما يبكى فى يوم واحد من السنة. فاستشعر الملك أن تلك مخرقة فتقدم يحفر ما تحت الصنم فوجد حفرة مصنوعة والصنم مُجَوّف من أسفله تجويفاً ضيقاً. فإذا كان ذلك اليوم وضع الأسقف فى تلك الحفرة قربة ماء وجعل فيها أنبوب مستطيل رقيقة متصلة برأس الصنم وستر الحفرة ستراً محكما، فإذا مسَّها ماس، وأضغطها صعد الماء فى الأنبوب إلى رأس الصنم وقد حشى رأسه بالقطن فإذا تشرب القطن الماء سالت منه دمعات وسقطت من عينى الصنم على تدريج، بأمر قد أُحكم، وحيلة قد أُتقنت، فلما اطَّلع الملك على ذلك؛ أمر بالصنم فأخرج وأخذ ما وجد بالكنيسة من المال وأدَّب القَوَمَة وشردهم.

فضيحة أخرى:

افترقت النصارى فرقا كثيرة. وتقاطعوا وتدابروا وكَفَّر بعضهم بعضا وضلله. والكل ضلال، فمنهم اليعقوبية ومنهم الملكية ومنهم النسطورية ـ وقد تقدم ذكرهم ـ ومنهم الآريوسية أصحاب آريوس. واعتقادهم: أن المسيح مخلوق جسمه وروحه، وأنه ليس بإله ولا رب غير أن له سلطانا على السماء وأنه قد قُتل وصلب. واتفق النصارى بـ «نيقية» على لعنه والتبرى منه. وبسببه عقدوا الأمانة التى أوضحنا فسادها وجهل من ألّفها.

ومن النصارى فرقة تُعرف بالليانية شاركت السوفسطائية فى السيلان فى المسيح خاصة. فقالت: إن الذى تراه العين من المسيح ليس هو المسيح، وإنما هو خيال. وإلا فالمسيح ليس يُتصور أى يرى. وفى نفس دعواهم هذه ما يقضى بِرَدِّها إذ يقال لهم: إذا كان المسيح لا يُرى وإنما هو خيال. فمن أين لكم أن الذى أثبتموه

خيالا للمسيح أنه هو المسيح؟ولعل الذى رأيتموه خيالا ليس بخيال أيضا، ولعل أحدكم حمار أو كلب أو حيوان آخر، وإن كان آدميا فى رأى العين. وذلك قلب للحقائق.

ومن النصارى من يقول: إن مريم لم تلد إنسانا وإنما ولدت جسداً. وجاءت الكلمة فاتحدت به، فصار بها إنسانا كاملا. ومن النصارى من يعتقد أن المسيح مولود من الأب والروح. وأن الروح قوة تحل على الصالحين كما حَلَّت على يوحنا. وهى التى تحلّ على القُربان فتُبارك فيه. وأنها إذاً من إرث الأنبياء أتتهم فى صورة إنسان حسن الصورة. ومن النصارى فرقة تسمى القافرونية تزعم أن أورشليم ليست بيت المقدس وإنما هى قافرون بإفرنجة، ويزعمون أن المسيح تراءى لهم فى تلك المدينة. وهم يتخذون القسيسين من النساء. ومن النصارى فرقة تعرف بالمريمية يزعمون: أن مريم حين ولدت المسيح لم تكن عذراء، وأنها كانت ولدت قبله عدة أولاد من يوسف.

ومن النصارى فرقة تخالف سائرهم فى أمرين: أحدهما يقول: إن مُلْكَ المسيح على الأرض لا غير. والآخر يقول: إن فى الجنة طعاماً وشراباً لكنه لا يبقى أكثر من ألف سنة. ومن النصارى فرقة لا يدخلون الكنائس إلا عُراة ويحرمون النكاح. ومن النصارى فرقة يعبدون حَيَّة، ويعظمونها كتعظيم المسيح. ومن النصارى فرقة يزعمون أن المسيح جاء معه بجسد من السماء وجرى من مريم مجرى الماء فى الميزاب.

ومن النصارى فرقة تعرف بالوغانية ينكرون إنجيل يوحنا التلميذ ولا يعترفون به ألبتة ويقولون: ليس المسيح إلهـا غير أنا قد أمرنا بعبادته. ومن النصارى فرقة تقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار أُخذت من شعلة نار لم تنقص بالأخذ.

وقد بقيت من النصارى فرق لو ذكرناها لأطلنا وخرجنا عن شرطنا فى الاختصار. وقد ذكر العلماء أن عدة فرق النصارى اثنتان وسبعون فرقة.

فضيحة أخرى:

تَرَكَ طوائف من النصارى أكل اللحم فى صيامهم وحرموه، وذلك مما أحدثوه بالرأى بعد المسيح وتلاميذه. فانتحلوا مذهب المانوية أصحاب مانى الزنديق.

قال الشاعر فى المانوية:

تركنا اللحم للإفلاس	والقلة والضيق
فقالوا منويين	بقول غير تحقيق
ولو مَرَّ بنا مانى	أكلناه على الريق

وبعد؛ فقد أكل الأنبياء والنجباء من عباد الله اللحم، واغتذوا به. فلو كان لذلك أصل؛ لكان مذكورا فى نبواتهم، ومأثورا عنهم.

فضيحة أخرى:

جوَّز النصارى على البارى تعالى النزول والصعود والحركة والسكون. وتلك أدلة حَدَث العالم عند المحققين. فإذا وصفوا البارى بذلك فقد أبطلوا الدلالة على حدث العالم. وذلك يمنع من إثبات الصانع. فكأنهم يحاولون إثبات الربوبية بما يستدعى نفيها وإبطالها.

فضيحة أخرى عظيمة:

أكل النصارى لحوم الخنازير وأحلوه. وذلك مما أحدثوه بعد المسيح. وقد رفع الله المسيح وإن الخنزير لحرام. فراغموا التوراة والأنجيل. أما التوراة: فقال الله فيها: «الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه» (١) .

وهذا نص لا يحتمل التأويل. وأما الإنجيل فقد حكى مرقس فى إنجيله: «إن المسيح أتلف الخنازير وغرّق منهم فى البحر قطيعاً كبيرا» (٢) وقال لتلاميذه: «لا تُعطوا القدس للكلاب، ولا تلقوا جواهركم قُدَّام الخنازير» (٣) فقرنها بالكلاب.

(١) لاويين ١١: ٧ .

(٢) مرقس ٥: ١ ـ ١٤ .

(٣) متى ٧: ٦ .

فمن أحلّ الخنزير فقد كفر بموسى والمسيح. فإن قالوا: إن بطرس رأى فى النوم صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات وصور الخنزير. وقيل له: يا بطرس كل منها ما أحببت [١].

قلنا لهم: الشرايع والأحكام لا تُنسخ بالمنام والأحلام. ونحن نحاشى بطرس أن يخالف التوراة والإنجيل بمنام رآه، والتوريك على من نقل ذلك عنه أولى من رفع القواعد الثابتة بالرؤى والأحلام.

فضيحة أخرى:

اعترض النصارى على قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ** ﴾ [٢] قالوا: إنما عنى بأهل الذكر: حملة التوراة والكتب العتيقة. وقد قال أهل الذكر: إن الله قد بعث أنبياء من النساء. منهن مريم أخت موسى وخلدى ورفقا وأستار.

فافتضح النصارى لما حققوا جريان الآية على سَبَب: وهو أن مشركى العرب أَنفَتْ أن يأتيها برسالة الله رجل منهم. وودّت أن لو كان الرسول إليهم مَلَكاً من مَلائكة السماء. فقالوا ما أخبر الله به فى كتابه: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ فقال الله: ﴿ **وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾ .

ثم قال سبحانه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً** ﴾ولم نرسل الملائكة بل لم نبعث إلى البشر إلا من جنسهم. فقل لمن تَعَنَّد: فليسأل أهل الكتاب هل بعث الله قط الرسل إلى الناس إلا من جنسهم؛ فإنهم سيخبرونهم بصحة ذلك. والنزاع لم يكن بين النبى عليه السلام وبين العرب فى إرسال النساء أو الرجال بل فى إرسال الملائكة والآدميين. هذا إن سلمنا لهم ما ادَّعوه من نبوة هؤلاء النسوة. ونحن لم نصدقهم فيما لم تقم عليه حجة ولا دَلَّ عليه دليل، ولم نتجاوز بهم القدر اللائق بهم والمشهود به على لسان إرمياء وإشعياء ـ عليهم السلام ـ من لعنهم وخزيهم ومقتهم. ولنا فى ذلك أسوة حسنة بمن تقدمنا من أنبياء الله. فقد قال إشعياء

---

(١) أعمال ١٠ .

(٢) الغرض: اسألوا أهل الذكر عن إرسال الرجال هل حصل أو لم يحصل لا عن إرسال الرجال والنساء.

فيهم: «عرف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل» ومن لا يعرف ربه فالأولى أن لا يعرف نبيه، ومن جهل المرسِل جهل الرسول لا محالة، ومن غلط فأخرج من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم وإسرائيل، فغير عجيب منه إثباتها للنسوة المجاهيل.

فضيحة أخرى:

ترك طوائف من النصارى النكاح المباح ورفضوا النساء ولم يروا بالتناسل وإبراز الذرية الصالحة إلى الوجود. وهذا شيء لو مالأهم الناس عليه لانقطع التناسل وانقرض جنس الآدميين. وهذا ـ فاعلم ـ مما أحدثوه بعد المسيح وكأنهم نَحَوا فيه نَحْوَ المتفلسفين من الطبائعيين.

فإن تمسكوا بقوله فى الإنجيل [1]: «من ترك زوجة من أجلي؛ فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة».

قلنا: فى الفصل كلام أسقطتموه. وهو قوله: «من ترك بنين وبنات أو حقولا؛ فإنه يُعطى» وذلك مما لا نُصححه عن المسيح إذ لا يجوز إجراء هذا الكلام على ظاهره؛ فإن الفرار عن الأولاد والأطفال وتركهم بلا كافل يكفلهم ومنفق ينفق عليهم؛ مما لا يجوز. ومن نسب المسيح إلى الجهل بذلك؛ فقد كفر بالمسيح. ثم ذلك على تقدير صحته؛ معارض [2] بنصين عن المسيح. أحدهما: قوله فى جواب

(١) كلام المسيح عليه السلام فى الحث على الدعوة إلى ملكوت السموات. وهو ملكوت محمد ﷺ. يريد أن يقول: إن من لا يتزوج ليتفرغ للدعوة، ومن يترك زينة الدنيا من البنين والممتلكات ليتفرغ للدعوة. سوف يأخذ عوضا عن ذلك فى الدار الآخرة. ذلك قوله: «فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده؛ تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر. وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا ، من أجل اسمي؛ يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرين أولين، يكونون آخرين. وآخرين أولين. فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه؛ فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم، وأحملهم إلى كرمه... إلخ» [متى ١٩و٢٠] .

(٢) المعارضة التى ذكرها المؤلف لا وجه لها. وذلك لأن التوراة تبيح الطلاق بأى سبب والمسيح مصدق لها. ولأن المسيح ينصح بأن يكون الطلاق لسبب قوي، لا لأى سبب حتى لا تتعرض المطلقة لأن تزني. ومن ينصح ليس كمن يشرع.

والنص الأول الذى ذكره موجود فى متى ١٩: ٦ والنص الآخر فى متى ١٩: ٩ .

الزنادقة الذين جاءوا متعنتين له«إن الذى زَوَّجه الله لا يقدر أحد على تفريقه». والآخر قوله عليه السلام: «إن من طلق زوجته باطلاً؛ فقد عرضها للزنا ومن تزوج بمطلقة؛ فقد زنى بها».

ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء، وخواص الأولياء، ودأب النجباء والأقوياء. وقد امتن الله على إبراهيم وإسرائيل وزكريا ومريم وغيرهم بنعمة الأولاد - كما هو مزبور فى كتبهم - ومن رغب عن سنة الأنبياء، التحق بالأغبياء. وقد قال فولس فى الرسالة الثانية عشرة: «إن القسيس [1] محقوق أن يكون غير ملزم فإنه وكيل الله غير حقود، ولا يستبد برأيه. ولا مجاوزاً للقصد فى الخمر، ولا يسرع بيده إلى الضرب، وأن يكون محباً للغرباء والأعمال الصالحات، وأن يكون عفيفاً باراً ضابطاً لنفسه عن الشهوات، عنيا بالعلم والتعليم، ويكون له زوجة واحدة وبنون صالحون».

فمن رفض النكاح ومنع منه؛ فقد خالف من ذكرنا من الأعلام والقدوة.

فضيحة أخرى:

مع غلبة الجهل على النصارى؛ فهم أشد الناس دعاوى وأوسعهم تخرصا على الله. يزعمون أن فيهم اليوم من يمشى على الماء ويحيى الموتى ويفعل العجائب، ويدَّعون أن بفارس بيعة لهم كانت على قمة جبل ولها مرتقى صعب، وأن واحداً منهم دعا إلهه الذى صلبته اليهود فحطها له من أعلى الجبل حتى جعلها على وجه الأرض.

ويزعمون: أن كنيسة بالسوس كانت بأعلى تل ولها بئر فى أسفله، وأن القيِّم بالكنيسة كبر وعجز عن النزول، فدعا ربه المصلوب، وتوسل إليه وأقسم عليه بالخشبة التى صُلب عليها. فرفع البئر إليه، فيدعى ذلك اليعقوبى على النسطوري، والنسطورى على الملكي.

(١) «لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله، غير معجب بنفسه... إلخ» [تيطوس ١ : ٧ +].

فضيحة أخرى:

النصارى أنزل الناس لما فى كتبهم ولما نص عليه المسيح من التواضع واللطف والإيثار. وذلك أن القتال لم يكن من سنة المسيح ولا من طريق تلاميذه الذين صحبوه، بل كان مذهبهم الذى جاء به المسيح الاستسلام إذا عجزوا، والعفو إذا قدروا. وهم الذين رووا عنه فى الإنجيل: «من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل له الآخر، ومن نازعك ثوبك؛ فزده رداءك، ومن سَخَّرك مِيلاً فامض معه اثنين» [(١)] وهم الذين حكوا عنه فى الإنجيل: «أحبوا مبغضيكم، وصلّوا على لاعنيكم، وأعطوا من حرمكم، وصِلُوا من قطعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم» [(٢)] .

وقالت أوائلهم: لو أراد المسيح نصب الحروب؛ لم يستسلم فنحن لا نخالف سيدنا المسيح. وقد قال المسيح: «طوبى للذين يرحمون وأن الرحمة تكون لهم، طوبى للذين يصلحون بين الناس، أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم» [(٣)] . فهم مع كونهم يروون ذلك عن المسيح؛ أنزل الناس له، وأبعدهم منه. وقد قال فولس فى الرسالة الحادية عشرة: [(٤)]« اهرب من جميع الشهوات، وَاسْعَ للرب وللإيمان والود والسلم، وتنكب المنازعات؛ فإنها تولد القتال، وليس يحل لعبد من عبيد الله أن يقاتل» فأمر فولس بترك ما يؤدى إلى القتال سدّاً للذريعة، فكيف خالفه النصارى وشرعوا الحروب وسفكوا الدماء الحرام؟

فضيحة أخرى:

أخصت الحبشة من النصارى أولادهم، وكذلك بعض الروم. والخصى أشد المثلة وأفظع الذنوب. ثم هم يفعلون ذلك بأطفال لادفاع عندهم، وتلك قسوة عظيمة وغلظة جسيمة، وقد قال المسيح عليه السلام: «طوبى للرحماء» ثم هم يخصونهم ويبيعونهم فيأكلون أثمانهم وهذه مَعَرَّة لو وافقتهم عليها الناس لذهب

---

(١) متى ٥: ٣٩ .

(٢) متى ٥: ٤٤ .

(٣) متى ٥: ٧ ـ ١٠ .

(٤) تيموثاوس الثانية ٢: ٢٢ ـ ٢٤

بنو آدم ومُحى جنس البشر. ثم هم يتصرفون فى وجوههم ولحاهم بالحلق والنتف والكشط فيصيرون مع عوج ألسنتهم أسمج شيء خَلَق الله. وهذه كتب الأنبياء لم تأمر بشيء من هذا الجنس.

فضيحة أخرى:

ليس بين النصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها فى المعاملات والمناكحات. والأناجيل التى بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح، وأكاذيب كثيرة لم يصدقهم عليها أحد من الأمم. وأكثر ما يفزعون إلى أحكام المسلمين؛ لخلو أكابرهم عن معرفة الحلال والحرام، وأى شيء استحسنوه بعقولهم شَرَّعُوه وحكموا به. فمن نازعهم من أهل ملتهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس. فيحكمون فيهم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

قال أبو الطاهر بن عوف رحمه الله: وليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف، وليست مأخوذة عن المسيح.

فضيحة أخرى:

زعم النصارى أن يوحنا أحد مُدَوِّنى الإنجيل جلس بأفسس بلدة من بلاد الروم يكتب إنجيله، فوقع مطر، محا بعض ما كتب. فغضب يوحنا، ورفع وجهه إلى السماء. وقال: أما تستحى أن تمحو اسم ابن إلـهك؟ قالت النصارى: فلم تمطر تلك القرية من بين سائر البلاد.

فليت شعرى ما طريق تصحيح هذه الدعوي؟ وهل البلدة تمطر اليوم أولا؟ وإن كانت قد مَحِلت، فهل كان ذلك بسبب غضب يوحنا على ربه وتخطئته لخالقه أولا؟

وبعد؛ فلعلّ فى بلاد الله بلادا وبقاعا كثيرة لا تمطر، وأخرى لا تخلو من المطر.

وقد حكى النصارى أن بين هذه القرية وبين «القسطنطينية» نحوا من ألف فرسخ. وهذا دأبهم فيما يستشهدون به على أباطيلهم؛ فإنهم يبعدون شاهدهم غاية

البعد؛ ليعسر على الممتحن مراجعته. وليت شعرى هل كان يعدو أمر ذلك المطر: إما أن يكون الله هو الذى ساقه، أو مَلَك من قِبَل الله، أو سحابة سخرها الله. فإن كان إنما انتهر الغيم والسحاب؛ فهذا سخيف العقل. إذ وبّخ من لا يعقل ولا يفهم ولا ذنب له. وإن كان إنما وبخ الملك المتولى سوقها؛ فهو جاهل إذ الملك إنما يصدر عن أمر الله تعالي. وإن كان إنما خاطب الله؛ فقد زعم أن لله إلـها فوقه.

وبالجملة: ففى إنجيل يوحنا هذا أمور. انفرد بها عن أصحابه، ولم يوافقوه عليها. والنصارى يكاتمونا اختلافهم، ولا يبوحون به لنا لأنه اختلاف فى الإله نفسه، وليس هو فى الفروع؛ فيغتفر.

فضيحة أخرى:

قال النصارى: إن المسيح لم يتكلم فى المهد، ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيرا بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه ولد زنا.

فلزم على سياق قولهم: أنه لم تلقَ أمٌ بسبب ولدها من الشر ما لقيت مريم من المسيح؛ لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا ولم يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود. وهو قادر على ذلك. ثم إنه كَلَّفها عبادته. فأوجب عليها الصوم والصلاة، وألزمها ترك الشهوات ومخالفة الهوي؛ فهى ملتزمة لذلك إما خوفا من عقابه أو رجاءً لثوابه، ثم قضى عليها الموت وجَرَّعها غصصه وسلط على جسدها البلى. وهذا شيء لم يُعرف فى بِرِّ الأولاد وما سمعنا بعاقّ بلغ هذا المبلغ من أمه. فبمقتضى قولهم: يقال إنه كان مشؤوما عليها. والله تعالى يقول فى حقه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ .

فضيحة أخرى:

رُبَما عَرَّض بعض النصارى بردّة ابن أبى السرح [1] عن الإسلام. وقال: كيف

---

(١) ابن أبى السرح كما قال الرواة كان من كتاب الوحي. وارتد عن الإسلام؛ فأهدر النبى دمه يوم فتح مكة. فشفع فيه عثمان بن عفان. ثم أسلم وفتح مصر مع عمرو بن العاص. وغرض النصارى من ردته بعد كتابته للقرآن أنه ربما وضع فى القرآن من عنده كلاما كثيرا. والحق: أن قصة ارتداده باطلة.

يكون نبيا يـوحى إليه، ولا يعلم بحال من يرشحـه ويختاره لكتابة الوحي. فـيقال له: يا أخرق. النبـى لا يعلم من المغيبـات إلا القدر الذى أعلمـه الله به، وكونه لا يعلم بفساد نيـة من يصحبه؛ لا يقدح ذلك فى نبـوته. فإن أبيتَ إلا القول بذلك؛ فارغب بنفـسك عن اتِّباع المسـيح؛ فإنك رويت وروى أصحـابك وأهل دينك: أن المسيح اختار رجلا من تلاميذه الاثنى عشر الذين شهد لهم بإدانة بنى إسرائيل يوم القيـامة وَوَلاَّه صندوق مال الصـدقات، وقدمـه على غيـره من أصحابه ورشَّـحه لأمانته - وهو يهوذا الأسخريوطى - كفر وفجر وواطأ اليهود على المسيح، وارتشى منهم على المسـيح ثلاثين درهـما، وزاد على «ابـن أبى السرح» بـأن قتل نفـسه كافرا. فأمـا ابن أبى السرح فإنه راجع الإسلام ومات مؤمنا. فإذاً كُـفْر مَنْ كفر من أتباع النبي؛ لا يقـدح فى نبوته. بدليل: أن اليهود كـفروا بعد موسى، وفى حـياته عبدوا العجل. ولم يقدح ذلك فى نبوة موسى وصحة رسالته.

فضيحة أخرى:

عاب النصـارى قول ربنا: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ ونظائـرها فى إثبات الخيـر والشر من الله تعالى وقـالوا: لا يفعل الله سوى الخيـر المحض، فأما الشر فهو من الشيطان لا من الله، فالتزموا مذهب الثنوية [1] القائلين بأن الخير من النور، وأن الشـر من الظلمة؛ فلـزمهم أن يكون مـراد الله أقل وقوعـا وأن إرادة الشيطان أنفذ من إرادة الباري. وكذلك يلـزمهم من عُزوّ الشرور إلى النفوس - ممن ينكر وجـود الشيـاطين من اليهـود وغيـرهم - أن يكون سلطان النفوس أنفـذ من سلطان الله.

ولو عقل النصارى واليهود لعرفـوا فى كتبهم ما أنكروا علينا: إذ هو مسطور فى صحفهم ولكن لا يهتدون إليه سبيلا، قال الله تعالى فى التوراة لموسي: «امض إلى فرعون وقل له: أرسل شعبى يعبـدنى وأنا أقسى قلب فرعون فلا يرسلهم» [2]

---

(١) مذهب الثنوية هو نفـسه مذهب اليهود. فـإنهم يقولون بإلهين اثنين أحدهما الله عـز وجل والآخر الهوى وحب المال والشهوة. وقال الله عنهم: ﴿الذين يجعلون مع الله إلها آخر﴾ وفى المزمور السادس عشر لداود عليه السلام: «تكثر أوجاعهم الذين أسرعـوا وراء آخر» وفى الإنجيل يقول المسيح: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» إلى أن قال: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» [متى ٦ : ٢٤ +] .

(٢) خروج ٩ .

ثم قالت التوراة عقيب كل آية صنعها موسى بحضرة فرعون: «وقسّى الله قلب فرعون فلم يؤمن. كما قال الرب» (١) وهذا تصريح من الله لا جَمْجمة بأنه سبحانه هو الذى يقذف فى قلبه القسوة والكفر. وهذا بعينه هو قول المسلمين إن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، ولأنه تعالى لو أراد هداية فرعون؛ لشرح صدره للإيمان، ولم يقسّ قلبه. كما قال تعالي: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ .

ولما أخرج الصواع من رَحْلِ بنيامين؛ جزع إخوته وقالوا: «من عند الله نزلت هذه الخطيئة» (٢) كما نطقت به التوراة. وهذا دليل على أنهم كانوا يعتقدون صدور الخير والشر من الله تعالى. وهذا الجنس فى التوراة كثير. وقال بلعام بن بعور لما قال له الملك: العن لنا بنى إسرائيل. فقال: «إنى لا أستطيع أن أفعل خيرا ولا شرا من قبل نفسي، وإنما أقول ما أمرنى به الرب» (٣) ذكرت التوراة ذلك.

وقد قال المسيح فى الإنجيل: «إنى لم آت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلني» (٤) وهذا نظير قوله تعالي: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقالت التوراة فى عدة مواضع: «وقَسَّى الله قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل» (٥) وذلك نظير قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ وضرب المسيح مثلاً فى الإنجيل: فقال: «إنّ ملكا عمل وليمة ودعا إليها أهل مملكته وأمر ألا يتخلف عنها أحد فلما جلس ولم ير إلا بعض القوم قال: المدعوون كثير والحاضرون قليل» (٦) فبيَّن عليه السلام عموم الدعوة وخصوص الهداية. وذلك معنى قوله تعالي: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . فبيّن الله تعالي: أن دعاء الأنبياء

(١) خروج ٩ .
(٢) تك ٤٤ .
(٣) عدد ٢٢ .
(٤) يوحنا ٦ .
(٥) خروج ١٠ .
(٦) متى ٢٢ وهذا مثل لملكوت السموات.

عموم وهداية الله خصوص. فلا يُستنكر قول الإسلام إن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء. فلم ترد شريعة ولم ينزل كتاب إلا وهو متضمن ذلك. وبذلك يتحقق أن أصول الشرائع ومقاصدها واحدة، وإن اختلفت الأحكام التكليفية لاختلاف مصالح المكلفين.

الكذب فى التوراة

فضيحة أخرى:

لازمة للنصارى واليهود وهى ما اشتملت عليه كتبهم من الاختلاف والتكاذب. وقد ذكرنا فيما تقدم نُبذاً من ذلك ليستدل بها من وقف عليها على قلة ضبطهم لدينهم.

ولنذكر ههنا ما وقع فى التوراة من التكاذب.

فمن ذلك:

ما وقع فى تاريخ عمر آدم وأعمار مشاهير أولاده. ففى نسخة من نسخ التوراة: أن آدم عاش مائة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولد فسماه شيت، وفى نسخة أخرى: أنه لم يرزق شيت حتى صار له من العمر مائتان وخمسون سنة. وعاش آدم بعد أن ولد له شيت ثمانمائة سنة، فولد له بنين وبنات. ثم مات وكان جميع عمر آدم تسعمائة سنة، وفى نسخة: ألف وثلاثون سنة.

ثم عاش شيت مائة وخمس سنوات فولد له أنوش، وعاش من بعد ما ولد أنوش تسعمائة واثنتى عشرة سنة ثم مات وفى نسخة تسعمائة وسبع سنين. ثم رأيت هذا التناقض والتكاذب جارياً فى أعمار مشاهير أولاد آدم إلى نوح عليه السلام، فلم تكد نسخة توافق أخرى. وإذا كان هذا ضبطهم للتوراة. وهى أُسُّ دينهم. فكيف يوثق بهم فيما عداها؟

وليس يمكن إضافة هذا التحريف إلى سواهم. فإن التوراة لم ينقلها من اللسان السريانى إلى غيره إلا اليهود. وذلك يشعر بتهاونهم بأمور دينهم، وإلا فكيف يحسن أن يخبر عن شخص أن عمره مائة سنة، وأن عمره خمسين سنة ويكون الخبران صدقا؟

وإذا كان هذا تحريفهم لما لا يتعلق به غرض. فما ظنك بتحريفهم لما يتحققون به الدلالة على نقض أصولهم. وذلك من مرغوبات النفس وحب الانتصار والتعصب القاضى بعمى البصيرة؟ولن يتخلص من ذلك إلا موفق قد أعانه الله على قمع هواه. وجعل الحق مطلوبه، والانقياد إليه مراده ومقصوده. فهو ينقاد إليه. حيث دعاه لبَّاه، ولو على لسان عدوه. وبذلك وعد الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فضيحة أخرى:

زعم النصارى أن المسيح أراد بقتل نفسه تطهيرهم من خطاياهم، فيقال لهم: تطهير من آمن به واتبعه أو تطهير من كفر به وخالفه؟فإن قالوا: تطهير من كفر به. قلنا لهم: كيف يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم، وما هذا إلا بمثابة من غسل البول بالعذرة يريد تطهيره. فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، وعلى هذا ينبغى أن يكون اليهود الذين قتلوه وصلبوه والأسخريوطى الذى نَمَّ عليه ونمرود وفرعون قد طهروا من خطاياهم، وكذلك الهنود والمجوس وكل كافر على وجه البسيطة. وإن قالوا: إنما أراد تطهير من آمن به واتبعه. قلنا: فكيف تكون معصية العدو طُهرة للولي؟وإنما يُطهِّر الإنسانَ عمله الصالح وتوبته الصادقة دون كُفر من كَفر. ثم إن كانوا قد آمنوا بالمسيح؛ فإيمانهم يطهرهم. فلا حاجة إلى قتل المسيح وصلبه.

وإن قالوا: إنما أراد تطهير الحواريين. فيقال: وما هذا الذنب الذى لا يطهره إلا قتل الله وصلبه؟وينبغى أن يكون الحواريون شرار خلق الله. إذ كان لا يطهرهم إلا هذا الغسل الذى لا يشابهه غسل. فليت شعرى أيُّ ذنب لقوم عند النصارى خير من جبريل وميكائيل وسائر النبيين والمرسلين؟

وإن قالوا: إنما أراد بتسليمه نفسه ليتهذَّب الخَلْق ويتعلموا الصبر على الشدائد والمحن ولا يضطربوا تحت مجارى الأقدار ليفوزوا بأجور الصابرين. قلنا: فإصلاحه لقلوبهم بخلق الصبر فيها والاحتمال، مع بقاء جلاله وعظمته كان أليق بالربوبية. فإن كان إلَها قادرا فهلا أصلح قلوبهم، وهذَّب نفوسهم. من غير أن

يتلبس بما وصفتم من الصفع والضرب والقتل والصلب ليصلحهم.

ثم أى صلاح يظهر فى العالم بقتله؟وأى فساد زال؟أليس العالم على ما كان عليه قبل مجيئه؟السارق يسرق، والفاسق يفسق، والقاتل يقتل، والظالم يظلم، وأسواق الشرور قائمة، وعيون الشياطين عن إغواء الآدميين غير نائمة، بل قد زادت الشرور بما ذكرتم زيادة كثيرة، لأن أهل العالم بزعمكم قتلوه وصلبوه ونكلوا به وبتلاميذه الذين هم عندكم أفضل من الأنبياء والمرسلين. فقد تفاقمت الشرور ، واتسعت بمصرعه دائرة المحذور. وقد كان أهل العالم قبل مجيئه يعبدون الله تعالي، وإن عُبد صنم ففى العقول السليمة مندوحة عن المتابعة عليه، فلما جاء هذا الذى زعمتم أنه قتل وصلب، عُبد مع الله غيره.

وإن كابرتم وقلتم: إن الخطيئة قد ارتفعت بمجيء المسيح وقتله؛ صرتم ضحكة بين العقلاء. على أنكم قد تأنّستم بإزراء العقّلاء بكم، وتمرنتم على السخرية منكم. ألستم الذين تقرءون بعد الفطر بجمعتين التسبيحة المشهورة عندكم وهي: «بصلبوت ربنا يسوع المسيح، بطل الموت وانطفأت فِتَن ودرست آثارها»؟ألستم تقرءون يوم الأحد من الصوم التسبيحة المشهورة عندكم وهي: «إن المسيح هو الذى أنقذ رعيته من الفتن والكفر وغلب بصومه الموت والخطيئة»؟ألستم الذين تقرءون بعد كل قربان: «يا ربنا يسوع الذى غلب بوجعه الموت الطاغي»؟كذلك قولكم فى ثانى جمعة من الفطير: «إن فخرنا إنما هو بالصليب الذى بطل به سلطان الموت، وصرنا إلى الأمل والنجاة بسببه».

وفى هذه التسابيح التى كم ما يُضحك مَنْ تأملها. إذ يحسن منه أن يقول: كيف بطل الموت بصلب المسيح وموته؟ألسنا نرى الموت فاغرا فاه. لا يشبع والشيطان مستمرا على الإضلال والإغواء لا يقلع؟وأنَّى يغلب الموت من قد مات وغُلب، ويقهر الشيطان من قد قُهر وصلب؟

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى الصلاة الأولى وهى التى يسمونها صلاة السَّحر وصلاة الفجر: «تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا. أيها الرب خروف الله. ارحمنا، أنت

وحدك القدوس المتعالي. أيها المسيح الرب إنا بكل كل يوم إلى الأبد».

واعلم: أن هذه الصلاة للمسيح خاصة. وقد صرحوا فيها بأن المسيح هو الله الرب، وأنه وحده المتعالى المبارك إلى الأبد. وهو كما ترى الكفر الصراح الذى لا غبار عليه. وهو باطل بالتوراة والإنجيل والنبوات والمزامير. فأما التوراة فليس فيها شيء من هذه النجاسات ألبتة، بل هى مشحونة بتوحيد البارى إله إبراهيم وتنزيهه وإفراده بالربوبية. وقد قال فى السفر الخامس منها: «الرب واحد فى السماء والأرض وليس غيره» [1] وقال سبحانه فى العشر الكلمات: «أنا الله الذى أخرجتك من مصر؛ لا يكن لك إله غيري» [2] وقال الله تعالى فى التوراة: «لا تتخذوا أصناما ولا أشباها. مما فى السماء فوق ولا فى الأرض أسفل ولا فى البحر تحت، ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها. أنا الله إله غيور» [3] وقد كلم الله فى التوراة آدم ونوحا وإبراهيم ويعقوب وموسى وهارون وأمرهم ونهاهم. وكذلك يقول: «أنا الله وحدي» وقال الله لموسي: «أنا الله إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. لا يكن لك إله غيري» [4].

فحذرهم من الإشراك واتخاذ إله آخر. وذلك من أدل الدليل على كفر النصارى وأما الإنجيل. فقال المسيح: «لا يقدر أحد أن يعبد ربَّين» [5] وقال: «لا صالح إلا الله الواحد» [6] وقال: «أول الوصايا كلها فى الناموس: اسمع يا إسرائيل الرب الإله واحد هو. فأحببه من كل قلبك [7]. وقال المسيح لليهود: «أنتم تمجدون نفوسكم ولا تمجدون الله» [8] وسئل عن القيامة [9] فقال: «لا يعرفها إلا الله

(١) تث ٤:٣٩ .
(٢) خر ٢٠:٢ ـ ٣ .
(٣) تث ٥:٦ ـ ٩ .
(٤) خر ٢٠:٢ ـ ٣ .
(٥) متى ٤:١٠ .
(٦) متى ١٩:١٧ .
(٧) مر ١٢:٢٩ .
(٨) لو ١٦:١٥ ـ ١٦ .
(٩) هو سئل عن فتح المسلمين لفلسطين [متى ٢٤].

وحده» [١] ورفع وجهه إلى السماء وقال: «أنت الإلّه الحق وحدك» [٢] .

وأما المزامير والنبوات. فكلها توحيد أيضا وليس فيها من كفر النصارى شيء البتة. قال داود فى المزمور السابع عشر: «اللـه لا ريب فى سبله، كلام الرب مختبر، وهو منجى من توكل عليه. لا إله إلا الرب، لا عزيز مثله» [٣] وقال فى المزمور التاسع عشر: «الرب يستجيب لك، فى يوم شدتك، إله يعقوب ينصرك، ويرسل لك عونا من قدسه، ومن صهيون يعضدك سؤلك، هؤلاء بالخيل وهؤلاء بالمراكب، ونحن باسم إلّهنا ندعو» [٤] .

فقد وضح لك: أن هذه الصلاة التى للنصارى مقصورة على عبادة رجل من بنى آدم، وأنها باطلة بما نصت عليه كتب الله المنزلة.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الساعة الأولي: «المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعى الكل إلى الخلاص» هذه الصلاة من النمط الأول. وهى باطلة بشهادة المسيح. إذ نطق الإنجيل بأن إنسانا قال: «يا معلم صالح ما أعمل من الصلاح؟ فقال: أتدعونى صالحا؟ لا صالح إلا الله وحده» [٥] وإذا لم يرض المسيح أن يكون معلما صالحا، بل أنكر ذلك وأولى الصلاح لله وحده. فكيف تخطى النصارى أمره وزادوا حتى سموه الإله الصالح؟ وإذا أنكر عليه السلام القول الأول فالأوْلى أن ينكر هذه الصلاة وهذه القراءة، ثم قول النصارى: «المسيح الإلّه الصالح» وتخصيصه بذلك دون الآب والروح القدس؛ فيه إبطال لمذهبهم فى الثالوث. إذ لا خلاف عندهم: أن التعبد لأقنوم الكلمة على تجردها ليس بجائز، إى الإله المحقوق بالعبادة هو عبارة عن ثلاثة أقانيم. وهى الأب والابن والروح القدس.

---

(١) متى ٢٤ : ٢٦ .
(٢) يوحنا ١٧ : ٣ .
(٣) مزمور ١٨ : ٣٠ ـ ٣١ .
(٤) مزمور ٢٠ : ١ + .
(٥) متى ١٩ : ١٧ .

فما لم يتوجه المكلف بالعبادة إلى هؤلاء الثلاثة؛ لم تعتبر عبادته. فإذا قصدوا المسيح بهذه الصلاة؛ فإنما قصدوا أقنوما واحدا. والمسيح عندهم ما اتحد به، سوى العلم. فأما الأب والروح فما اتحدا به. ثم هذه القراءة منهم تشعر بأن المسيح أصلح الثلاثة. ثم لا يخلو أن يقصدوا بهذا القول لاهوت المسيح أو ناسوته. فإن قصدوا ناسوته؛ ـ لزمهم أن يكون الجسد المخلوق إلها خالقا. وذلك جهل. وإن قصدوا لاهوته ـ وهى صفة العلم ـ لزمهم أن تكون صفات الله من العلم والقدرة آلهة معه. وذلك لا يقول به عاقل.

وأما قولهم «الطويل الروح» فإن عنوا به الروح التى زعموا أنها جاءته عند المعمودية؛ فتلك إن كانت قديمة لم يصح وصفها بطول ولا قصر. إذ كل ما دخله المساحة وكان له طول وعرض وعمق؛ فهو جسم مخلوق حادث؛ وإن عنوا به روح الإنسان على معنى أن المسيح صبر فى زعمهم على إهانة اليهود مع قدرته على الانتصار؛ فقد ناقضوا قولهم: إنه الإله الصالح. إذ الإله هو الذى لا تمتد إليه الأيدي، وهو الذى يأمر عباده بالصلاح. وأما من يشرّع الفساد فلا يستحق اسم الصلاح. وأما قولهم: «الداعى الكل إلى الخلاص» فنقول: أدعاهم وأراد هدايتهم أم دعاهم ولم يرد ذلك؟ فإن كان قد دعاهم ولم يرد هدايتهم؛ فقد ظلمهم بعدم إرادة هدايتهم. وقد فعل الشر وضد الصلاح. وهذا يهدم أصول النصارى فى القول بالتحسين والتقبيح، وإن زعموا أنهم قد اهتدوا بدعائه أكذبهم شاهد الوجود.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الساعة الثالثة: «يا والدة الإله السماوى أنت هى الكرمة الحقّانية الحاملة ثمرة الحياة. إليك نتضرع لترحمى نفوسنا. يا والدة الإله السماوى افتحى لنا أبواب رحمتك».

أول ما نبدأ به: أن نقول للنصاري: أخبرونا هل هذا القول منكم من أصول العقائد التى لا يسع المكلف جهله أوْ لا؟ فإن زعموا أنه لابد للمكلفين من اعتقاده والصلاة به وأنه لارخصة لعبد حتى يعتقد أن لله والداً ولده، وأمّا حملته وأرضعته.

فإن قالوا: لا يسع مؤمنا إلا ذاك. قلنا لهم: أخرجتم آدم وإبراهيم وموسى ومن بينهم من المؤمنين عن الإيمان إذ لم يعرفوا ذلك ولا اعتقدوه ولا سمعوا به، ولو كان ذلك إيمانا وتوحيداً لم يجهلوه. وإن زعموا أن موسى وإبراهيم ومَن بينهم كانوا يعتقدون أن لله والدة حملت به ووالداً ولده. قلنا لهم: أرونا ذلك فى توراة موسى ونبوات الأنبياء وأنَّى يجدون إلى ذلك سبيلا.

ثم نقول لهم: ما قولكم فيمن خرج عن دين المسيح وخالقه من طبقات بنى آدم؟ أكفارٌ هم أم مؤمنون؟

فإن قالوا: إنهم كفار فجار قد هلكوا بتكذيبهم المسيح. قلنا: فقولهم فى أم المسيح: «إنها حملت ثمرة الحياة» كذب وزور وإفك ومَيْن. إذ الذين هلكوا بانتهاك عرضها وقذفها من اليهود وغيرهم أكثر من أن يحصوا. فقد كذبتم فى قولكم: «إنها لكرمة الحاملة ثمرة الحياة» وصارت بمقتضى ما ذكرتم حاملة الهلاك. كما قال ولدها فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى جئت لألقى على الأرض سلاما. ما جئت لألقى عليها سلاما لكن سيفا وأوقد بها نارا» [(١)] . وإذا كان هذا قول المسيح وهو الثمرة التى ذكرتم، فما صدقتم فى تسميته فى صلاتكم «ثمرة الحياة» .

واعلم: أن هذه الصلاة أيضا مقصورة على عبادة مريم ـ عليها السلام ـ وهى خارجة عن أصول النصارى؛ لأن جسد مريم لم يتحد به شيء عند كافة النصارى، بل جسدها كسائر أجساد بنى آدم. فلو جاز أن تُعبد مريم، لكونها حملت بالمسيح عن عدّة الله؛ لجاز أن تُعبد اليصابات وسارة وهاجر. إذ حملوا عن عدّة الله تعالى. فقد زاد النصارى على الثالوث إلها رابعا وخالفوا أهل ملتهم من القدماء.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة السادسة: «يا من سُمِّرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التى تجرأ عليها آدم، خرّق العهدة المكتوب فيها خطايانا وخلصنا. يا

(١) متى ١٠ : ٣٤ .

من سُمِّر على الصليب، وبقى حتى لصق على الخشبة بدمه قد أحببت الممات لموتك، أسألك بالمسامير التى سُمرت بها، نجنى يا ألله» هذه القراءة وإن كانت تصلح لتعاليق المجان ومن يعتنى بالأضاحيك؛ فلابد أن نبين مراد النصارى بها. ومرادهم: أن آدم أُبيح له كل شجر الجنة. وقيل له: «كُلْ مَا أحببت خلا شجرة معرفة الخير والشر فإنك فى اليوم الذى تأكل تموت موتا» قالوا: فلما أكل وخالف أمر ربه، وجب فى حكم الله تعالى أن يميته موت الخطيئة لا موت الطبيعة. إذ سبق فى علم الله أنه لا يفرغ العالم من نسله. فلما ورد عليه العتاب والتوبيخ؛ أسف وندم على ما فعل، وأنه تعالى تاب عليه وبقى فى عهدة قوله السابق. فلطف له وبعث المسيح فصام بدلا من توسع آدم فى تناول الشجرة، وصلب على خشبة بدلا من تيك الشجرة، وسمرت يداه بالجذع، لامتدادها إلى الثمرة المنهى عنها، وسقى المرار لالتذاذ آدم بحلاوة ما أكله من الجنة، ومات بدلا عن الموت الذى كان الله يهدد به آدم. وهذه دعوى لا برهان لهم عليها. ولو ادعاها بعض الناس لبعض من صلب فى الدنيا قَبْل المسيح أو بعده؛ لما وجد النصارى إلى رد ذلك سبيلا، وليس ـ وعزة الله ـ لما لفقوه من ذلك أصل فى كتاب الله. لا فى العتيقة ولا فى الجديدة.

وقولهم: «خرق العهدة التى كتبت فيها خطايانا وخلصنا» وذلك أنهم يعتقدون أن خطيئة آدم التى جناها على نفسه قد شمل وزرها وتبعتها سائر ولده حقبا بعد حقب، وقرنا بعد قرن إلى مجيء المسيح. وقد أبطلنا ذلك فيما تقدم وتلونا ما ورد فى التوراة والإنجيل والمزامير مما يكذب هذه الدعوى.

وقد قالت التوراة: إن الله قال لقابيل بن آدم: «إن أحسنت تقبلتُ منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك. أنت تقبل إليها وهى تتسلط عليك» (١). فقد أخبرت التوراة أن فى إحسان المحسن وقبول البر من الرجل البار مندوحة عن قتل المسيح وغيره. وقالت التوراة أيضا: «أما هابيل فإنه يُجزى للواحد سبعة» (٢) وفى ذلك مندوحة عن القتل والصلب. إذ الجزاء خلاص وزيادة. وقال الله تعالى فى

(١) تكوين ٤: ٦ ـ ٧.
(٢) تكوين ٤: ١٥.

المزامير: «طوبى للرجل الذى لم يتبع رأى المنافقين ولم يقف فى طريق المستهزئين ولم يجالس الخاطئين لكن فى ناموس الرب هواه، يدرس ليلا ونهارا» (١) فقد شهد المزمور: أن الاشتغال بقراءة كلام الله وعبادته مخلِّص لصاحبه، وأن الطوبى له، فلا حاجة إلى الخلاص بشيء آخر، وإلاّ فيلزم تكذيب داود فى خبره عن الله تعالى. وقد قال التلاميذ للمسيح وسألوه: من العظيم فى ملكوت الله تعالى؟ فقال: «من تواضع مثل الصبيان. فهو العظيم فى ملكوت الله» (٢).

فقد أخبر المسيح أنه لا حاجة إلى قتل وصلب، بل من تواضع لله ولم يتكبر؛ كفاه ذلك وخلّصه. والعجب كيف تحكَّم النصارى بصحة توبة آدم ويقولون: إن ذريته مأخوذة بجريرته، وقد رووا فى بعض نبوات أنبيائهم عن الله: «لا آخذ الولد بذنب والده، ولا الوالد بذنب ولده. طهارة الطاهر؛ له تكون. وخطيئة الخاطيء عليه تكون»(٣) وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والعجب كيف يثبتون عند سماع هذه القراءة ولا يستغربون ضحكا، ولعمرى ما بلغ أعداؤهم منهم ما بلغوا من أنفسهم فى جعل مثل هذا السخف قرآنا يتلى.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الساعة التاسعة: «يا من ذاق الموت من أجلنا فى الساعة التاسعة. إليك ابتهالنا. يا من سلَّم نفسه إلى الأب لـمَّا علق على الصليب لا تغفل عنا. يا مَنْ من أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت؛ لا تخيب من خلقتَ بيديك واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولاتنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحق ويعقوب» وفى هذه الصلاة يقرءون أيضا: «لما رأت الوالدة الحمل والراعى ومخلّص العالم على الصليب قالت وهى باكية: أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عندما أنظر إلى صلبوتك يا بني».

---

(١) المزمور الأول وقد أشار الله إليه فى القرآن بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا... إلخ﴾ .

(٢) متى ١٨ : ١ ـ ٤ .

(٣) حزقيال ١٨ : ٢٠ تثنية ٢٤ : ١٦ .

والغيُّ قولهم: «يامن ذاق الموت من أجلنا» قد بينا خُلُو هذه الدعوى عن الفائدة، وأن القتل والصلب وقع باطلاً. إذ الخلاص الذى قُتل لأجله لم يعرفوا له حقيقة ولا وقفوا من أمره على نبأ إلى الساعة. وما هو إلا عنقاء مغرب يُسمع به ولا يُرى. على أن هذه القراءة مع أنها سبَّةٌ على قارئها فيها تناقض لا يخفى على من تأمله. وذلك: أن أولها يشهد بأنه قتل وصلب وذاق الموت من أجل خلاصهم، وقد سمته أمه بزعمهم: «مخلّص العالم» فما حاجتهم إلى التضرع إليه الا يخيبهم ولا يغفل عنهم وأن يمدوا إليه بشفاعة والدته؟أهم شاكون فى خلاصهم بقتله وصلبه؟أم يقولون إن الأب لم يَفِ له فخسر نفسه ولم يحصل لهم خلاص؟

وأما قولهم: «ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحق ويعقوب» فذلك غلط من النصارى إذ ما عاهد إبراهيمُ وإسحقُ ويعقوبُ الأبَ. وقد قال المسيح: « الله لم يره أحد قط» [1] وعلى مقتضى هذه الصلاة المدبرة يكون المصلوب المُسَمَّر اليدين بالمسامير هو الأب الذى عاهد إبراهيم وإسحق ويعقوب. والذى غلَّط النصارى ههنا قول أفرايم ـ من جهال سلفهم ـ : «إن اليدين التى جَبَلت طينة آدم هى التى علقت على الصليب، وإن الشبر الذى مَسَحت السماء هى التى سمرت فى الخشبة» فأستغفر الله من حكاية أقوال هؤلاء الضلال.

وأما قولهم: «إن والدة إلَه إبراهيم وإسحق ويعقوب واقفة تبكى تحت خشبته وتناديه: يا بنى وإلَهي. أحشائى تحترق لصلبك» فلو سمعه بعض المجان لاتخذه من أظرف ما يمجن به؛ لأن حاصله: أن ابنها إلَهها الذى ولدته، وخالقها هو ولدها الذى أرضعته.

ولاشتمال صلوات النصارى على هذا السخف، يبالغون فى ستر أحوالهم ولا يُعجبهم أن يحضر بِيَعهم أحد غيرهم.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الغروب: «يا والدة الإلَه العذراء إسعى فى خلاصنا، وافرحى يا والدة الإله. مباركة أنت فى النساء ومبارك ثمرة بطنك؛ لأنك

(١) يوحنا ١:١٨ .

ولدت لنا مخلصا، يا والدة الإله لا تُغفلى عن وسائلنا ونجنا من المعاطب» وفى هذه الصلاة: «يا صابغ المسيح يوحنا اذكر جماعتنا ونجنا».

قولهم«يا والدة الإله» اعلم: أن الألوهية عندهم تكون حقيقة وتكون مجازا، فالإله الحقيقي: هو الله الأب عندهم. والإله المجازى هو المعظّم فى الدين الذى يدعو إلى الله ويعلّم الناس أوامر الله، ويبين لهم أحكامه، فإن عنوا ههنا الإله الحقيقي؛ سقطت مكالمتهم، لبيان جنونهم. وإن عنوا القسم الثانى وهو الإله الذى هو مُعظم فى الدّين كقول الله فى التوراة لموسى عليه السلام: «أخوك هارون يكون لك مترجماً وأنت تكون له إلهاً ومدبراً» [1] وكقول داود لعلماء بنى إسرائيل فى المزامير: «أنا قلت: إنكم آلهة وبنى العلى كلكم تدعون» [2] وكقول حَبَقُّوق النبي: «إله يأتى من التيمن ومقدس من جبال فاران» [3] يصف نبيا يخرج من الحجاز ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فإذا قال النصارى فى صلواتهم: «يا والدة الإله» لَمْ يُعلم من هى المَدْعُوَّة؟أهى أُمُّ إبراهيم؛ فإنه فى التوراة عظيم الله، أَمْ أُمُّ إسرائيل؛ فإنه فى التوراة بكر الله، أَمْ والدة موسى؛ فإنه فى التوراة «إله ومدبر» أَمْ إحدى أمهات أصحاب داود؛ فإنهم فى المزامير آلهة؟وإذا كان هؤلاء يُدْعَوْن آلهة؛ فقد صار اللفظ مجملا، فمن التى دعوها لتنجيهم من المعاطب وتسعى فى خلاصهم؟

وقد زادوا فى هذه الصلاة إلها سادساً. وهو يوحنا إذ قالوا: «يا يوحنا صابغ المسيح؛ نجنا من المعاطب» فصارت الآلهة ستة: الأب والابن وروح القدس والمسيح ومريم والمعمداني. وفى دعائهم يوحنا وطلبهم النجاة منه تكذيب لهم فى دعوى الخلاص بقتل المسيح؛ إذ لو كانوا قد خلصوا بالمسيح؛ لم يفتقروا إلى دعاء غيره، وحيث احتاجوا إلى الغير؛ دل أنهم ما خلصوا، وصار ما ادّعوه من قتل المسيح خاليا عن الفائدة.

---

(١) خروج ٧:١ .

(٢) مزمور ٨٢:٦ .

(٣) حبقوق ٣:٣ .

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة النوم: «الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة؛ لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة، ثالوث واحد».

أما قولهم إن الملائكة يعتقدون الثالوث الذى يقولون به؛ فبهت قبيح وكذب صريح، بَنَوْهُ على فاسد معتقدهم. وإلا فمن أين علموا أن اعتقاد الملائكة ما حكوه عنهم؟ والدليل على تخرص ذلك على الملائكة: التوراة والإنجيل والمزامير؛ فإنها شاهدة بالتوحيد وتنزيه البارى عن الثانى والثالث. فقد قال لوقا: إن جبريل حين خاطب مريم وسلّم عليها؛ ارتاعت منه، وقالت: «ما هذا السلام؟ فقال لها جبريل: اعلمى أنى أنا جبريل الواقف قدَّام الله؛ جئتك أبشرك». وقد أكثرنا من ذكر الشواهد على التوحيد مما يقضى ببطلان هذه القراءة، وتبين تخرّص من ألّفها.

وفى قول النصارى ههنا: «لأنك قبل الكل لم تزل» يدل على حَدْث الابن والروح القدس، لتأخرهما عن الأب فى الوجود. إذ لو كانا قديمين لم يكونا مسبوقين. فإن عبر النصارى عن صفتى العلم والحياة بالابن والروح. قلنا لهم: فالصفتان قديمتان أيضاً، فكيف يكون الأب قبل الكل، والصفة لا تتأخر عن موصوفها؟ فالقراءة على ذلك باطلة. فنحن نسألهم عن الابن والروح أهما إلٓهان أزليان أو مخلوقان حادثان؟

فإن كانا حادثين مخلوقين؛ فقد أبطلوا القول بألوهيتهما، وأبطلوا القول بالتثليث. وإن كانا إلٓهين خالقين؛ بطل أن يكون الأب سابقا لهما. وفسدت هذه التلاوة.

وأما قولهم: «ثالوثا واحدا» فلا تظن أنهم يعتقدون أنها صفات للذات بل مرادهم أن الآلهة ثلاثة فقط بغير رابع. والدليل عليه: إفراد كل واحد منهم بالذكر والتعبد والسؤال ـ كما شهدت به الصلوات والأمانة التى لهم والتسابيح ـ ولو كانوا يردّون ذلك إلى أنهم صفات للذات لاقتصروا على إفراد الله تعالى بالذكر كما أفرد موسى وعيسى والأنبياء ـ عليهما السلام ـ فهل تجدون فى التوراة

والنبوات للتثليث ذكرا ألبتة؟على أن النصارى قد عبدوا بنى آدم ألا تراهم كيف يقرءون فى الصلاة الأولى: «تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا» والمسيح هو المولود الذى ولدته مريم ـ عليها السلام ـ.

فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة نصف الليل. وهى الثامنة«تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالى إلى الدهر، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح وفوق المتعالى إلى الدهر، أنت فوق المسيح وفوق المتعالى إلى الدهر» وكرروا هذه الفوقية فى هذه الصلاة دفعات، فوصفوا الله تعالى بأنه فوق المسيح وفوق من هو أعلى من المسيح. وذلك مناقض لما قرءوه فى صلاة النوم إذ قالوا فيها: «إن المسيح نظير الله فى الابتداء، وإن روح القدس مساويه فى الكرامة» فإن كان الله فوق المسيح؛ بطل قولهم إنه نظيره، وإن كان المسيح نظيره؛ بطل أن يكون فوقه. فلابد من إبطال أحد القراءتين ضرورة الوفاء بالأخرى.

ثم نقول لهم: أليس أقنوم الوجود وأقنوم الحياة وأقنوم العلم، متساوية فى الأزلية والقِدَم واستحقاق الربوبية؟فما الذى خصص أحدهم بالفوقية دون الآخرين وليس متقدما عليهم؟فإن أبيتم إلا إثبات الفوقية له عليهما؛ فقد أثبتم أنهما دونه. وذلك تشويش للثالوث، وإن وفيتم بالثالوث؛ أبطلتم هذه القراءة. ولا سبيل إلى إبطالها؛ فإن التوراة والإنجيل والنبوات شاهد بالصحة. إذ خصصت البارى بالألوهية ووصفته بأنه المتعالى فوق المسيح وفوق كل شيء ـ جل وعلا وتقدس عما يقول الجاحدون علواً كبيراً ـ .

فهذه بهذيكم ثمانى صلوات قد اشتملت على الكفر والبهت والفجر وقلة الحياء. وذلك أن أحدهم يقوم مضمخا ببوله؛ فيتوجه إلى مشرق الشمس ـ وهى جهة كان المسيح وغيره من الأنبياء يتنكبها فى صلاته؛ فيناجى رجلا من بنى آدم فيقول فى قراءته: «يامن قتله اليهود وصلبوه، وسمروا يديه على خشبة وتركوه على جذعة بين اللصوص حتى أسالت الشمس دمه وحتى لصق بالخشبة جسده. بحرمة المسامير التى سمرت بها يديك؛ارحم من خلقت بيديك. يا

الله». وهذا ـ حوشيتم ـ لو خوطب به زعيم قرية أو رئيس محلة لتطيَّر من سماعه وعجل العقوبة لقائله. فكيف بمن يناجي بذلك إلهه وربه جل وعلا؟

سؤال على النصارى:

نقول للنصارى: أخبرونا ما الذى صنعه الله أيشوع حتى صار ابنا له. إذ لم تقولوا بالبنوة المعروفة المتحدة من الزوجة والمملوكة؟

فإن قالوا: مسحه فصار بمسحه له مسيحا وابنا. قلنا: أبينوا لنا: هل مسحه بدهن؟ فإن قالوا: نعم، ساووا بينه وبين داود وغيره. إذ قال داود فى مزاميره: «صبيا كنت فى غنم أبي؛ فأخذنى ربى ومسحنى بدهن مسيحه» [1] وقال داود فى مزمور آخر: «ائتمر الشعوب على الرب وعلى مسيحه» [2] يعنى نفسه [3]. وقال الله تعالى فى السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة: إن الحبر المسموح من أولاد هارون هو الذى يتولّى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح [4]. وذلك مشهور عندهم. فالمسيح هو المسموح. فما زادوا أن وصفوه بوصف كاهن. وفى الأصحاح الخامس من هذا السفر «قال الله لموسى: اعمد إلى هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن المسيحين الذى يمسح به الأحبار وخذ الجماعة كلها إلى باب قبة الأمد، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة وكلله بأكليل من ذهب، وصب على رأسه من دهن المسيحين وامسحه وقدسه ففعل موسى ذلك بهارون» [5].

فما نرى المسيح له مَزِيَّة على داود وهارون فى ذلك، وما نراه نسج له إلا على منوال من تقدم من صفوة الله تعالى.

وقد حكوا فى إنجيل لوقا: أن جبريل بشّر مريم بأن ولدها المسيح ابن داود يجلسه الرب على كرسى أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب. وذلك يتقاضى أن يكون أفضل منه أو معه فى رتبة الفضل. فيالله العجب. جبريل يخبر عن الله أن

---

(١) صبيا كنت فى غنم أبي: هذا فى المزمور المائة وواحد وخمسين ويوجد فى النسخة القبطية.

(٢) المزمور الثاني.

(٣) داود لا يعنى نفسه. وإنما يعنى محمدا ﷺ.

(٤) لاويين ٤: ٥ ـ ٦.

(٥) خروج ٨.

المسيح هو ابن داود، وأنتم تقولون كلا. ولكنه رب داود. لقد تباعد ما بينكم وبين جبريل. ومن كان عدوا لجبريل الأمين؛ فهو لاشك عدو لله رب العالمين.

وإن قالوا: إنما جعله مسيحاً وابنا بتسمية سماه بها وسمى نفسه ابنا له. قلنا: وكذلك يعقوب إذ حكيتم لنا في التوراة. أن الله تعالى قال لموسى: «ابنى بكرى إسرائيل» [١] والبكر أَجَلُّ قَدراً عند والده من غير البكر، على ما لا يخفي. والتوراة تشهد بأن للولد الأكبر سهمين فى الميراث ولغيره سهم واحد ثم هو جَدُّ المسيح، وعامة الأنبياء من نسله. فهلا عبدتموه واتخذتموه إلّهاً؟

وإن زعموا: أن المسيح إنما سماه الله ابنا للتربية وحسن التأديب. فلعمرى لئن كان الله قد غَذَّاه بغير رضاع وقوّاه بسوى الطعام المألوف، وألبسه غير الثياب المعهودة، وبعث إليه مَلَكا يؤدبه، واختلفت الملائكة إلى بيت أمه لزيارته وامتثال أوامره ليخالف بينه وبين سائر الناس؛ إن ذلك لموضع شبهة. فأما وأمره فى جميع أحواله على ما يُعهد من الناس ولم تظهر له آية فى صباه ولم يتكلم فى المهد كما زعموا ولا زاد إلى أن بلغ ثلاثين سنة على رجل من بنى آدم، فما وجه ادعاء ربوبيته وألوهيته؟

ولو أن النصارى قالوا: إنه تكلم فى المهد، وخلق من الطين كهيئة الطير كما يقول فيه المسلمون؛ لوجدوا شعبا يستريحون إليه ساعة وساعة.

وإن قالوا: إنه إنما صار مسيحاً وابناً بمعمودية يوحنا. فقد اعترفوا بأن مريم لم تلد الابن المسيح فى الحقيقة وإنما هى امرأة ولدت طفلاً من أطفال بنى آدم، وحينئذ تكون بنوة المسيح مجرد تسمية لاغير، ويستوى حاله وحال من تَقَدَّمه فى هذه التسمية من بنى إسرائيل. وإن قالوا: إنما اتخذه الله مسيحاً وابنا لأنه أطاع الله طاعة لم يطعها أحد قبله، وعبده عبادة لا يتصور أن يبلغها أحد. فنقول: كيف ذلك وإنما أطاع الله تعالى منذ عقل وبلغ مبالغ الرجال وذلك دون العشرين سنة، وأنتم حكيتم لنا فى التوراة: أن موسى عليه السلام عَمَّر مائة وعشرين سنة [٢] فإذا طرحنا سِنَّ الصبا، كان عمر المسيح خُمسَ عمر موسى. وإذا كان الأمر كذلك؛

(١) خروج ٤: ٢٢ .
(٢) تثنية ٣٤: ٧ .

فقد زادت أعمال موسى وطاعته وأَرْبَت على طاعة المسيح. وقد حكيتم لنا: أن موسى مَلَك جانباً كبيرا من الأرض وقاتل الجبابرة وجاهد العمالقة وأباد الفراعنة وقتل عوجا مبارزة وواصل لله أربعين يوما وأربعين ليلة، لا يذوق طعاما. وابتلى بخلاف قومه وكثرة تلونهم وتعنتهم بالجهل المركوز فى طباعهم فصبر عليهم ورفق بهم وساسهم وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحيب، فلم يهب جباراً وإن عَظُم قَدْرُه، ولا نكل عن عدو وإن تفاقم أمره. حتى فتح الشام ودوّخ البلاد. ولما دنا حِمامه وزمّه من المقدور زمامه؛ تقدم إلى خادم كان له يقال له يوشع بن نون ليفتح باقى بلاد الشام، وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمته ما شَدَّد شكيمته وأَيَّد نحيزته. فقاتل أربعة وعشرين مَلِكاً وأبادهم عن جديد الأرض. وهذه عبادات لم تتفق للمسيح - عليه السلام - مع نزول سنه. وأنتم أخبرتمونا فى الإنجيل أن المسيح كان مذ بلغ الحلم إلى أن ناهز الثلاثين مشتغلاً بتعلم التوراة واقتباس العلم من أتباع موسى، فلم يكن يُحَارب ولا يُحَارَب ولا امتحن بما امتحن به موسى. فقد كذبتم فى قولكم إنه اتخذ ابنا لتقدمه فى الطاعات على غيره.

وكيف تستقيم لكم هذه الدعوى والمزامير تشهد بخلافها. قال داود عليه السلام متنبئا على المسيح: «أقسَم الرب ولا يكذب أنك أنت الكاهن المؤيد تشبه ملكى صادق»[1] فشبه المسيح برجل كاهن كان فى زمن إبراهيم الخليل وأقصى درجات الشبه: أن يساوى المشبه فى الفضل. وهذا الكلام من داود يفضى بانحطاط درجة المسيح عن درجة إبراهيم موسى - عليهما السلام - إذ لا خلاف بين أهل الكتاب أن إبراهيم وموسى أفضل من ملكى صادق هذا الذى شُبه به المسيح. فاعلم ذلك.

وإن قالوا: إنه كان له من النية مالم يكن لموسى ولا غيره - والأعمال بالنيات - قلنا: لو عكس عليكم الأمر وقيل لكم: بل نية موسى كانت أعظم، وقصده كان أتم وأفخم. فبماذا كنتم تجيبون؟ فإن من كان له من أنواع العبادات والقُربات ما وصفنا؛ فهو أحق بأن يقال: إن نيته أعظم من نية غيره. فقد بطل جميع ما تمسك

(١) مزمور ١١٠: ٤.

النصارى به فى بنوة المسيح، واستوى حاله وحال أحبار بنى إسرائيل فى المسيحية والبنوة.

وإنما أوردنا ما أوردنا من ذلك؛ كسراً لحجج النصارى وهدما لأباطيلهم. ونحن والحمد لله أسلم قلوبا لأنبياء الله وأحسن قولا منهم وأجمل اعتقادا ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

الباب العاشر

في

البشائر الإلهية بالعزّة المحمدية

وتشتمل على قسمين:

نذكر في القسم الأول: ما نصت عليه الأنبياء من لدن إبراهيم إلى المسيح عليهم السلام مما يشهد بنبوة محمد رسول الله ﷺ ويحقق رسالته، وأنه عليه السلام أفضل النبيين والمرسلين، فلو لم يبعث محمد ﷺ لاختلفت أقوال الأنبياء، ورُدّت شهاداتهم، وعكّر ذلك على نبواتهم بالإبطال، وقد بالغوا - عليهم السلام - في التنصيص على اسمه ونعته وحِلْيته وذكر أرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمّته، وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، وأن دعوته تدوم إلى قيام القيامة.

والقسم الثاني نذكر فيه: ما جاء به من الآيات البينات، والخوارق الباهرات مما تضمّنه الكتاب العزيز، واشتملت عليه السنة الطاهرة. فأوجب الله به الحجة، وأنار المحجة. وأقام منار الأبرار، ومحى بذلك آثار الكفار.

ولتقع البداءة بما في التوراة من ذلك.

القسم الأول
من هذا الباب
فى البشارة بالنبى فى التوراة والإنجيل

البشرى الأولى:

قالت التوراة فى الفصل العاشر من السفر الأول منها: إن الله تعالى قال لإبراهيم: «إن فى هذا العام يُولد لك ولد. اسمه إسحق. فقال إبراهيم: ليت إسماعيل هذا يحيا بين يديك، يُمجدك. فقال الله تعالى: قد استجبت لك فى إسماعيل وإنى أباركه وأُنَمِّيه وأعظّمه جداً جداً. بما قد استجبتُ فيه. وأُصيِّره لأمة كبيرة، وأُعطيه شعباً جليلاً. وسيلد اثنى عشر عظيما» (١) .

قلت: قد علم الموالف والمخالف والموافق والمفارق: أنه لم يكن فى ذرية إسماعيل من ظهرت بركته ونمت أُمّته وأعطى الشعب الجليل سوى محمد رسول الله ﷺ فلقد ملأوا الأرض برحبها وطبقوا من شرق الدنيا إلى غربها. ودوخوا الآفاق، وأربوا فى العدد على أولاد إسحق. وهم ـ والحمد لله ـ لا يزدادون على مر الأيام إلا نماءً وكثرةً. وهذا بالغ فى شرف إسماعيل. إذ فخر الولد يكسب الوالد فخرا، ويرفعه دنيا وأخري. وناهيك بمن يصفه الله بالعظَم والبركة واليُمن والجلالة. وبأقل من هذه الوعود، يثبتُ الفضل على سائر المخلوقات. إذ اليسير من الله؛ عظيم. والعظيم منه؛ فلا شيء أعظم منه.

البشرى الثانية:

قالت التوراة فى الفصل التاسع من السفر الأول: إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة. فقال: «يا هاجر من أين أقلبت؟ وإلى أين تريدين؟» فلما شرحت له الحال قال: «ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحصون. وها أنت تحبلين وتلدين ابنا تسمينه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك. ولدك يكون وحشيّ الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم

(١) التكوين ١٧: ١٦ ـ ٢٠ .

جميع إخوته» (١) .

فهذه بشارة شافه الله تعالى بها هاجر على لسان مَلَكه، وأخبرها أنه جاعل يد ابنها العليا ويد من سواه السفلي. ولم تتم هذه البشرى إلا بمبعث محمد ﷺ .

البشرى الثالثة:

قالت التوراة فى الفصل الثالث عشر من السفر الأول أيضا: قال الله لإبراهيم: «إنى جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة؛ لأنه من زرعك» (٢) .

البشرى الرابعة:

قالت التوراة فى الفصل العشرين من السفر الخامس: قال موسى: «أقبل الله من سيناء، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبال فاران. معه رِبْوات الأطهار عن يمينه» (٣) .

فسيناء: الجبل الذى كلم الله فيه موسى. وساعير: هو جبل الخليل بالشام. وكان المسيح يتعبد فيه ويناجى ربه. وفاران: جبل بنى هاشم الذى كان رسول الله ﷺ يتحنّث فيه ويتعبد. وقد خصت التوراة نبينا محمد ﷺ بزيادة على موسى وعيسى. فقالت: «معه رِبوات الأطهار عن يمينه» وذلك كناية عن أصحاب رسول الله ﷺ يعنى بالربوات. الجماعات من الأكابر، والمعظمين فى الدين. على مذهب تسمية العظيم القَدْر: ربا. فجمعوا الرب (٤) ربوات. ولم يقولوا: أرباب؛ لفساد التعبير وسوء الترجمة. كما قال فولس مفسرهم: «إن جبل فاران متصلا ببلاد أرابيا» (٥) يريد بلاد العرب.

ويحتمل: أن يكون أراد بالربوات جماعة الملائكة. وهو الأقرب؛ لأن الربوات: الجماعات. واحدها: ربوة. قال داود فى المزمور الثالث: «الرب ناصري. لا

---

(١) تكوين ١٦: ٧ + .

(٢) تكوين ٢١: ١٢ ـ ١٣ .

(٣) تثنية ٣٣: ١ + .

(٤) الربوة: الجماعة العظيمة من الناس.

(٥) غلاطية ٤: ٢٥ .

أخاف من ربوات الشعوب المحيطين بي» (١) فيكون ذلك كناية عن تأييد الله نبيه محمد ﷺ بالملائكة فى حروبه وغزواته، وترددهم إليه بالوحى والتنزيل. وفى التوراة: أن إسماعيل سكن بَرِّيَة فاران، ونشأ بها وتعلّم الرمي» (٢) وذلك كله بمكة. وإذا كان ذلك كذلك؛ فلم يأت من جبال فاران من دعا إلى الله وأظهر أحكامه، ونشر أعلامه، وشرع الدين القويم، ونهج للأمم الطريق المستقيم، ومهد الحاج، وعمر الأندية، وعمر رءوس الجبال، وبطون الأودية بالتلبية سوى محمد رسول الله ﷺ.

البشرى الخامسة:

قالت التوراة فى الفصل الحادى عشر من السِّفر الخامس: يا موسى «إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم، مثلك، أجعل كلامى فى فيه، ويقول لهم ما آمره به، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمي؛ أنا أنتقم منه ومن سِبْطه» (٣).

قلت: هذه آثار النقمة على من فارقه لائحة، وآثار النعمة على من وافقه واضحة. واعلم: أن إخوة بنى إسرائيل هم ولد إسماعيل. ولا يجوز أن يكون هذا النبى المذكور من بنى إسرائيل. ألبتة؛ لأن الله تعالى يقول لموسى نبى مثلك ولم يبعث من بنى إسرائيل نبى مثل موسى جاء بكتاب منزل وشرع مبتدأ. فوجب أن يكون من ولد إسماعيل. ولم يقم من ولد إسماعيل من يمكن تنزيل هذا الوعد الحق عليه سوى رسول الله. فلو لم يبعث محمد ﷺ لأخلفته أقوال التوراة. وخبر الله تعالى محاشى عن الخُلْف، بل قوله الحق ووعده الصدق سبحانه وتعالى.

البشرى السادسة:

قالت التوراة فى هذا السفر: قال موسى لبنى إسرائيل: «لا تطيعوا العَرّافين

(١) معنى كلام داود: هو الجماعات العظيمة، لا الملائكة والنص فى المزمور الثالث.
(٢) تكوين ٢١: ٢٠ - ٢١ .
(٣) تثنية ١٨: ١٨ - ١٩ أيضا سفر الأعمال ٣: ٢٢ + .

ولا المنجمين؛ فسيُقيم لكم الرب نبيا من إخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي» (١).

فإن قيل: فلعل هذا الموعود به بنو إسرائيل: هو هارون أخو موسى ووزيره أو يوشع خادمه ومشيره.

قلنا: التوراة تأبى ذلك. إذ قد أخبرت أن هارون توفى فى حياة موسى وعاش موسى بعده. وأما يوشع بن نون فهو من بنى إسرائيل والله تعالى يقول: «من إخوتهم» ولم يقل من أنفسهم. والتوراة أيضا قد سدت هذا الباب فقالت فى آخر ورقة فيها من السفر الخامس: «ومات موسى. فكان بنو إسرائيل يسمعون من يوشع ويطيعونه. ولم يقم من بنى إسرائيل بعد موسى مثل موسى الذى عَرَف الله وجهاً قِبَل وجه. وصنع الآيات والعجائب» (٢) ثم هارون ويوشع قد كانا أُقيما للنبوة قبل صدور هذا الخطاب من الله.

ولا يصح أن يُنَزَّل على المسيح. بإجماع الأمم. أما اليهود فهو عندهم كذَّاب أشِر، وأنه ما أحيا ميتاً قط، ولا أبرأ أبرصا. وأما النصارى فهم يزعمون أنه الرب الذى بعث الأنبياء، وأرسل الرسل، وأنه الذى خلق الخلق، وأتقن العالم. فإن رجعوا القهقرى وقالوا: إن المسيح مثل موسى؛ فقد تناقض قولهم، وخبطوا عشوي. وأما المسلمون فالمسيح عندهم نبى كريم غير أنه من بنى إسرائيل، والله تعالى يقول: «من إخوتهم» ولم يقل من أنفسهم؛ فبطل أن يكون المسيح أو غيره. وتعيّن أن يكون محمداً (٣) ﷺ ضرورة الوفاء بقول الله تعالى.

البشرى السابعة:

قالت التوراة: لما حضرت إسرائيل الوفاة وهو بمصر عند يوسف؛ دعا أولاده. فحضروا بين يديه. فباركهم واحداً واحداً، ودعا لهم. ولما انتهت النوبة إلى ابنه يَهُوذا قال فيه: «لا يَعْدم سبط يهوذا ملكا مُسلَّطا وأفخاذه نبيا مرسلا؛ حتى يأتى الذى له الكل» (٤). وإنما عنى بذلك رسول الله ﷺ وقد ثبت ذلك فيما تقدم.

---

(١) هى نفسها البشارة الخامسة والنص فى التثنية ١٨: ٩ + .

(٢) تثنية ٣٤: ٥ + .

(٣) تعين أن يكون محمدا؛ لنص البركة فى إسماعيل وللكلام الذى ذكره المؤلف.

(٤) تكوين ٤٩: ١٠ والمعني: يكون الملك فى اليهود جميعا، لا فى سبط يهوذا وحده. وتكون الشريعة فيهم إلى أن يأتى الذى له الكل. ويكون من إسماعيل لأن لإسماعيل بركة.

فهذه سبع بشائر من التوراة باقية خالدة قد صانها الله عن التحريف، وحماها عن التغيير والتصحيف. ولو غسل الخاطر من وضر الهموم، وانجاب عن القلب غيوم الغموم. حتى تطهر النفس، ويضيء الحس. ويصفو دهن الذهن؛ لتوسعتُ فى استخراج جميع ما فى التوراة من أعلام نبينا محمد ﷺ وفى هذا القدر بلاغ وكفاية.

البشرى الثامنة من مزامير داود:

فى مزمور له: «سبحوا الله تسبيحا جديدا، وليفرح بالخالق؛ من اصطفى الله له أُمَّته وأعطاه النصر، وسدّد الصالحين منهم بالكرامة. يُسبّحونه على مضاجعهم، ويكبِّرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين؛ لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه» (١) .

فقوله: «يكبرون الله بأصوات مرتفعة» إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية. وهذه كلها صفات النبى محمد وأمته.

البشرى التاسعة:

قال داود النبى عليه السلام: «من أجل هذه بارك الله عليك إلى الأبد، فتقلّد أيها الجبار السيف؛ لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك. اركب كلمة الحق وسَمْت التأله؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك» (٢) .

ليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى نبينا عليه السلام وهو الذى خرَّت الأمم تحته وقُرنت شرائعه بالهيبة. فإما القبول وإما الجزية وإما السيف. وتصديقه: قوله ﷺ: «نُصرت بالرعب» فإن قالوا: سماه المزمور جبارا. قلنا: لا يمتنع أن يكون النبى جبارا على الكافرين، رحيما بالمؤمنين. كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقد شهد المزمور له بالنبوة

(١) المزمور ١٤٩ .

(٢) المزمور ٤٥ .

صريحا. إذ أخبر أن له ناموسا وشرائع كنواميس الأنبياء وشرائعهم. وقال إن دينه يظهر على كل دين؛ فلم يُخْرِم ما أخبر به.

البشرى العاشرة:

قال داود فى مزمور له «إن ربنا عظيم محمود جداً، وفى قرية إلهنا قدوس. ومحمد قد عَمَّ الأرض كلها فرحا» (١) .

فقد نص داود على اسم محمد وبلده وسماه قرية الله تعالى، وأخبر: أن كلمته تعم أهل الأرض.

البشرى الحادية عشرة:

قال داود فى مزمور له: «إن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً» (٢) .

(١) فى المزمور الثامن والأربعين: «عظيم هو الرب، وحميد جدا. فى مدينة إلهنا جبل قدسه. جميل الارتفاع، فرح كل الأرض جبل صهيون، فرح أقاصى الشمال مدينة الملك العظيم. الله فى قصورها، يُعرف ملجأ. لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعا. لما رأوا بهتوا. ارتاعوا فروا. أخذتهم الرعدة هناك، والمخاض كوالدة. بريح شرقية تكسر سفن ترشيش. كما سمعنا هكذا، رأينا فى مدينة رب الجنود، وفى مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد. سلاه. ذكرنا يا ألله رحمتك. فى وسط هيكلك. نظير اسمك يا ألله تسبيحك إلى أقاصى الأرض. يمينك ملآنة برا. يفرح جبل صهيون، تبتهج بنات يهوذا. من أجل أحكامك. طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارسها. تأملوا قصورها؛ لكى تحدثوا بها جيلا آخر؛ لأن هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت» [مزمور ٤٨] .

لاحظ:

١ ـ وحميد جدا. ٢ ـ وصف محمدا بالانتصار على أعدائه «أخذتهم الرعدة» ٣ ـ شريعة محمد إلى الأبد «الله يثبتها إلى الأبد» ٤ ـ من هو نظير اسم الله فى الحمد؟ ٥ ـ شريعة محمد عالمية «يا ألله تسبيحك إلى أقاصى الأرض» ٦ ـ كثرة الخيرات فى زمن شريعة محمد «يمينك ملآنة برا» ٧ ـ الجيل الآخر ٨ ـ الله سيهدى بشريعة على يد النبى الآتى.

(٢) قول المؤلف: «إن الله أظهر من صهيون إكليلا محمودا» المزمور ١٣٢ :١٨ والمزمور ١٣٣ وجاء الإكليل أيضا فى المزمور الحادى والعشرين على النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وعبر عنه داود بالملك ووصفه بالانتصار على أعدائه. فقال: «يارب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جدا. شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لا تمنعه. سلاه. لأنك تتقدمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجا من إبريز. حياة سألك فأعطيته. طوال الأيام إلى الدهر والأبد. عظيم مجده بخلاصك. جلالا وبهاء تضع عليه؛ لأن جعلته بركات إلى الأبد. تفرحه ابتهاجا أمامك؛ لأن الملك يتوكل على الرب. وبنعمة العلى لا يتزعزع. . . إلخ»

وفى المزمور العشرين يقول عنه داود: «ليستجب لك الرب فى يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب=.

فهذا داود قد أكثر فى مزاميره من ذكر سيدنا محمد رسول الله ﷺ فهو محمود وأحمد والمحمود. ووصف داود له بأنه «إكليل» يشير إلى أنه رئيس الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إذ الإكليل هو الذى يُجعل على الرأس.

البشرى الثانية عشرة:

قال إشعياء: [(١)]« لترتاح البوادى وقراها، ولتصر أرض قِيدار مروجا ولتسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه فى الجزائر».

فليت شعرى لمن البوادى من الأمم سوى أمة محمد؟ومن قِيدار سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ﷺ ؟ومَنْ سكن الكهوف وقلل الجبال سوى العرب؟

البشرى الثالثة عشرة:

فى صفة رسول الله ﷺ قال داود فى مزمور له: «ويجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض. تخرّ أهل الجزائر بين يديه، وتلحس أعداؤه التراب. وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلّص المضطر البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء. ويُصَلى عليه ويُبارك فى كل حين» [(٢)] .

وهذه صفات محمد رسول الله ﷺ فلقد جرت الملوك بين يدى أصحابه، وأسروا ملوك الفرس والروم، ودانت له ولأمته الأمم، ولحسوا التراب وصُلِّى عليه على توالى الأيام.

=ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك» إلى أن قال: «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه» والمسيح ـ بحسب لسانهم ـ هو محمد ﷺ وفى المزمور الخمسين: «إله الآلهة الرب تكلم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. ومن صهيون كمال الجمال، الله أشرق» والمحرف يذكر صهيون. بدل «مكة المكرمة» لا حظ «شهوة قلبه؛ أعطيته، وملتمس شفتيه لا تمنعه» وفى القرآن الكريم: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ .

(١) فى الأصل قال داود فى مزمور: «لترتاح..» والنص فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر إشعياء.

(٢) النص فى المزمور الثانى والسبعين. وفى القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ وفى هذه النبوءة: «ويُصلَّى عليه» .

البشرى الرابعة عشرة:

قال داود فى مزمور تنبأ على نبينا عليه السلام: «دامت شكايتي، ونزلتُ فى مساكن قِيدار، وكثيرا ثَوت نفسى مع الذين يبغضون السلم. وبالسلم كنتُ أتكلم فيهم. وهم كانوا يحاربونني» (١) .

فهذا تنويه بأن الساكن مساكن قيدار هو رسول الله. وإلا فمتى فارق داود البيت المقدس ونزل بمكة فى منازل قيدار ابن إسماعيل؟

البشرى الخامسة عشرة:

قال داود فى مزمور له وتنبأ به على كثرة أمة محمد ﷺ ودوام شرعه إلى الأبد ووجوب النبوة له قبل خلق العالم: «ثماره مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض كالذى يطلع من لبنان، ويدوم ذكره إلى الأبد. وإن اسمه لموجود قبل الشمس، وكل الأمم يتبركون به ويحمدونه» (٢) .

وهذه كلها صفاته وصفات أمته. وقد أخبر داود بتأبيد شرعه وتأييده. وأنه لا نبى بعده، وأنه خاتم الأنبياء.

البشرى السادسة عشرة:

قال داود فى المزمورالثانى له، وتنبأ له على اتساع خُطّة الإسلام: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقطار الأرض، ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم» (٣) .

قال مؤلفه: اعلم: أنه لا يُتصور من عارف صرف هذا المزمور عن سيدنا

---

(١) بدء المزمور المائة والعشرين: «إلى الرب فى ضيقى صرختُ، فاستجاب لي» ومعناه: أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وهو محمد رسول الله سيحاربه أعداؤه بقوة، وسيصرخ إلى الله طالبا منه النصر عليهم. وأن الله سينصره. والمزمور يبين أن أعداءه من اليهود؛ لقوله: «يارب نج نفسى من شفاه الكذب. ومن لسان غش» ثم يقول عن نفسه: «أنا سلام» ويقول عن أعدائه «فهم للحرب» ويقول عن مكان ظهوره: «ويل لغربتى فى ماشك، لسكنى فى خيام قيدار» وقيدار هو ابن إسماعيل عليه السلام.

(٢) نص البشرى الخامسة عشرة؛ هو نفسه نص البشرى الثالثة عشرة.

(٣) هذه النبوءة أصل أقنوم الابن عند النصاري. وهى نبوءة عن محمد ﷺ وقد طبقها عليه المسيح فى إنجيل برنابا والشيخ ابن تيمية الحرانى والإمام القرافي.

محمد رسول الله ﷺ لأنه عليه السلام هو الذى ورث الشعوب كلها، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، ورعى الأمم وأحاطهم بسيفه. ولا يمكن صرف هذا المزمور إلى داود؛ لأنه لم يرث سائر الشعوب، ولا بلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، إذ ما ملك سوى ناحية من الأرض، وهي «بيت المقدس» ثم خرجت من بعده إلى أمة هذا النبى والأقطار والنواحى وقد بلغ سلطان محمد عليه السلام جوانب الدنيا وأطراف العالم ففتح الله عليه الحجاز واليمن والحبشة والنوبة والهند والسند إلى الصين، ودوخت أمته الشام والعراق وفارس إلى الترك، وافتتحوا أرض مصر والمغرب الأقصى إلى بحر طنجة. فقد ورث محمد سائر الشعوب، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض؛ فصار هذا المزمور مُضاهيا لبشرى يعقوب فى التوراة بمحمد ﷺ الذى نقلناه [١] .

فأما قوله فى أول المزمور: «أنت ابني» فجرى فيه داود على عادتهم فى إطلاق لفظة البنوة على النبى والمطيع لله. فقد قال فى التوراة: «إسرائيل ابنى بكري» [٢] وقال المسيح فى الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم» [٣] .

البشرى السابعة عشرة:

قال داود فى مزمور له مخاطبا ربه ومتنبئا على رسوله ﷺ : «إلهى من الرجل الذى ذكرته، والإنسان الذى أمرته، وألبسته الكرامات والمجد، وملكته على خلقك» [٤] .

البشرى الثامنة عشرة:

من نبوات نبى الله إشعياء:

قال إشعياء مبشرا برسول الله ﷺ : [٥] «قيل لى : قم نظارا. فانظر ماذا

(١) يقصد نبوءة «شيلون» فى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين.

(٢) خروج ٤ : ٢٢ .

(٣) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٤) المزمور ١٤٤ وفيه يقول النبى محمد عن نفسه: «مبارك الرب صخرتى الذى يعلم يدى القتال . . إلخ ويحكى داود كلامه بظهر الغيب.

(٥) هذا النص فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر إشعياء وقد تكلمنا عنه فى التقديم لهذا الكتاب.

تري؟ فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر» فراكب الحمار هو المسيح ابن مريم ،وراكب الجمل هو محمد ﷺ وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار. وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل.

البشرى التاسعة عشرة منه أيضاً:

قال إشعياء النبى عليه السلام متنبئا على مكة - شرفها الله تعالى - : «ارفعى ما حولك بصرك فتبتهجين وتفرحين من أجل أن الله يُصيِّر إليك ذخائر البحرين، ويحجّ إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، وتأتيك أهل سبأ، وتسير إليك أغنام فاران، وتخدمك رجال «نبايوت»[١].

يريد سدنة الكعبة وهم أولاد نَبايوت ابن إسماعيل. وهذه الصفات كلها حصلت بمكة، فحملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران للهدايا والأضاحي.

البشرى العشرون [٢] :

قال إشعياء النبى والمراد مكة: [٣]« أيتها المتغلفة فى الهموم التى لم تنل حظوة إنى جاعل حجرك بَلُّور، ومُونّق أساسك بالحجر الإسمانجوني، ومزيّن حيطانك باللازورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة، وأعم أبنائك بالسِّلم، وأُزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره وأجعلك آمنة. ومن انبعث إلى فإليك قصده وفيك حلوله، وتصيرين ملجأ ووزرا لقاطنيك وسكانك» [٤] .

---

(١) النص فى الأصحاح الستين من سفر إشعياء.

(٢) فى الأصل التاسعة عشرة.

(٣) النص فى الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء. وقد استدل به المسيح نفسه على محمد ، طبقا لرواية إنجيل يوحنا فى الأصحاح السادس. يقول إشعياء: «أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنذا أبنى بالإثمد حجارتك. . . الخ».

(٤) ليس الغرض من الوصف الظاهري. وإنما الغرض هو الكناية عن اتساع ملك بنى إسماعيل فى العالم بشريعة محمد ﷺ .

وهذه صفات مكة والكعبة والمسجد الحرام؛ لأن مهدى بنى العباس والملوك قبله وبعده قد تأنقوا فى بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللازورد، وحُملت تيجان الملوك وذخائرهم فحُليت بها الكعبة. ولقد شاهدتُ سقوف الحرم وهى تكاد تلمع البصر حسنا. فمن رام صرف كلام النبى إشعياء هذا إلى غير مكة من البلاد أكدّ خاطره، وأكدى سعيه. ولم يظفر ببيت آخر، وحرم آخر، ينزل ذلك عليه. ولا يمكن تنزيل ذلك على «بيت المقدس» لأنه لم يكن متغلغلا فى الهموم ولا ساقط الحظوة بل هذه صفة الكعبة. فاعلم ذلك.

البشرى الحادية والعشرون:

قال إشعياء يُخاطب الناس عن محمد رسول الله ﷺ: «تفهّمى أيتها الأمم إن الرب أهاب بى من بعيد، وذكر اسمى وأنا فى الرحم، وجعل لسانى كالسيف الصارم، وأنا فى البطن، وحاطنى بظل يمينه، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته، وخزننى لسره. وقال لي: أنت عبدي. فصر فى وعد لى حقا؛ قدام الرب وأعمالى بين يدى إلهي، وصرت محمدا عند الرب. فبإلهى حولى وقوتي» [1].

---

(١) النص فى الأصحاح التاسع والأربعين من إشعياء هكذا: «اسمعى لى أيتها الجزائر، واصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعانك، من أحشاء أمي؛ ذكر اسمي، وجعل فمى كسيف حاد. فى ظل يده؛ خبأني. وجعلنى سهما مبريا. فى كنانته أخفاني، وقال لي: أنت عبدي. إسرائيل الذى به أتمجد. أما أنا فقلت عبثا، تعبث باطلا وفارغا. أفنيت قدرتي. لكن حقى عند الرب. وعملى عند إلهي. والآن. قال الرب جابلى من البطن عبدا له. لإرجاع يعقوب إليه؛ فينضم إليه إسرائيل؛ فأتمجد فى عينى الرب، وإلهى يصير قوتي. فقال: قليل أن تكون لى عبدا لإقامة أسباط يعقوب، ورد محفوظى إسرائيل. فقد جعلتك نورا للأمم؛ لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادى إسرائيل. قدّوسه. للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين. ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون. لأجل الرب الذى هو أمين وقدوس إسرائيل الذى قد اختارك».

هكذا قال الرب. فى وقت القبول استجبتك، وفى يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البراري. قائلا للأسري: اخرجوا. للذين فى الظلام: اظهروا. على الطريق يرعون، وفى كل الهضاب مرعاهم. لا يجوعون ولا يعطشون، ولا يضربهم حر ولا شمس؛ لأن الذى يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم... الخ» [إش ٤٨و٤٩].

لاحظ: ١ ـ أن اليهود أشرار. وقبل هذه النبوءة: «لا سلام قال الرب للأشرار» فيكون الهلاك لليهود على يد النبى الآتى الذى يقول: «اسمعى أيتها الجزائر... إلخ» فلا يكون النبى الآتى منهم. ووصف نفسه بالأمية «جعل فمي» وقال إن الله عرف العالم باسمه من قبل أن يولد «من أحشاء أمى ذكر اسمي» واليهود وضعوا بدل اسم محمد كلمة «بماد ماد» فى سفر التكوين ١٧ : ٢٠ وهذا هو المعنى الذى ترجم به=

فهذا نبى الله إشعياء قد صرح باسم نبينا. ولم يجمجم، وأعرب عنه ولم يُعجم، فلا حاجة بنا مع بيان إشعياء عليه السلام إلى مترجم. وقوله: «إن الرب أهاب بى من بعيد» يريد أنه لم يكن من بنى إسرائيل ولا من بلدهم بل من غيرهم، فليرونا آخر اسمه محمد جاء بشريعة جديدة داعية إلى الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب حتى تنصرف هذه البشارات إليه.

البشرى الثانية والعشرون:

قال إشعياء النبي. والمراد هاجر أم العرب:[1]« سبحى أيتها النزور الرقوب واغتبطى بالحمد. لقد زاد ولد الفارغة المَجفُوَّة على ولد المَشْغُولة المَحْظِيَّة» وقال لها الرب: «أوسعى مواضع خيامك ومُدِّى مضاربك وطَوِّلى أطنابك واستوثقى من أوتادك؛ فإنك ستنبسطين وتنتشرين فى الأرض يمينا وشمالا، ويرث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة البنيان».

فهل بقى بعد هذا البيان بيان؟ وهل تليق النبوة بغير هاجر ونسلها أو الكعبة شرفها الله تعالى؟

البشرى الثالثة والعشرون:

قال إشعياء نبوة على محمد رسول الله ﷺ: «عبدى الذى يرضى نفسي، أعطيه كلامي، فيُظهر فى الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يصخب، يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيى القلوب الميتة، وما

=المؤلف فقال: «وصرت محمدا عند الرب» ووصف نفسه بالانتصار على أعدائه، لأن الله معه «فى كنانته اخفاني».

لاحظ: أن «لا سلام. قال الرب للأشرار» لا تتطابق مع «أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد» لأن الله قد رفض اليهود من السير أمامه [إشعياء ٥٠: ١] فتكون العبارة مقحمة للتحريف.

لاحظ: أن النبى الآتى سيُرجع يعقوب إلى الله. لينضم إسرائيل إلى شعب النبى الآتي. فيكون فى العالم شعبان عند ظهور محمد. أولهما شعبه، وثانيهما: التائبون من بنى إسرائيل.

وصف النبى الآتى بأنه نور للأمم، وبأن شريعته عالمية.

لاحظ: «قد اختارك» ومعناها: أن بنى إسماعيل مكروهون عند اليهود. والله سيختاره من المكروهين. ولذلك يتعجب الملوك ويسجدون له. أى يخضعون لشريعته.

لاحظ: كثرة الخيرات فى زمن شريعة هذا النبى «لا يجوعون ولا يعطشون...».

(١) هذه البشارة هى نفسها البشارة العشرون وهى نبوءة العاقر فى إشعياء ٥٤ .

أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا، يأتى من أفضل الأرض، فتفرح به البرية وسكانها، ويوحّدون الله على كل شُرف، ويعظمونه على كل رابية. لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف بل يُقوى الصديقين المتواضعين. وهو نور الله الذى لا يُطفأ. أثر سلطانه على كتفه» [1] .

فهذا إشعياء نبى الله قد أعلن باسم رسول الله ﷺ كما أعلنت به الأنبياء، وهذا الكلام من إشعياء إبانة واضحة لمن كان مطلبه الحق والهدي، ولم يمل به التعصب والهوى إلى الاعتداء.

البشرى الرابعة والعشرون:

قال نبى الله إشعياء مُنَوِّها باسم رسول الله ﷺ : «لتفرح البادية العطشاء، ولتبتهج البرارى والفلوات، ولتزهو، فإنها ستعطى بأحمد أحسن محاسن لبنان حتى تصير كالدساكر والرياض. وسيرون جلال الله وبهاء إلّهنا» [2] .

فذكر البرارى القفار أنها تصير بأحمد ﷺ مأهولة معمورة محجوجا إليها. أفلا يستحى من يُحجم عن الإسلام من نبى الله إشعياء أن يرد قوله؟ وكيف يصح الإيمان بإشعياء مع إبطال أقواله، ورد أخباره وتكذيب شهادته والقدح فى رواياته؟ وأيُّ شك فى صدر لبيب بعد سماعه إشعياء ينصّ على اسم نبينا واسم أرضه؟

البشرى الخامسة والعشرون:

قال إشعياء: «هتف هاتف فى البدو. وقالوا: خلّوا طريق الرب، وسهّلوا لإلّهنا السبيل فى القفر فستمتلىء البادية مياها وتفيض فيضا، وتصير الآكام دكادك والوعر سهلا، وتظهر كرامة الرب. الرب يقول ذلك» [3] .

وذلك كله إشارة إلى ما مهد الله برسوله محمد عليه السلام والصلاة.

---

(١) إشعياء ٤٢ وفى القرآن الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ .

(٢) الخامس والثلاثون من إشعياء.

(٣) إشعياء ٤٠ : ٣ + وهى نبوءة الكلمة.

البشرى السادسة والعشرون:

قال إشعياء: «يا آل إبراهيم خليلى الذى قويته ودعوته من أقاصى الأرض، لا تخف ولا ترهب. فأنا معك، ويدى العزيزة مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد تدق ما يأتى عليه دقا، وتسحقه سحقا حتى تجعله هشيما، تلوى به هوج الرياح، وأنت تبتهج وترتاح وتكون محمدا» (١).

ألا ترى هذا النبى الكريم الذكر العظيم القدر لا يكاد يخلى كلامه من التبرك باسم سيد المرسلين، حتى كان ذلك عليه ضربة لازب وحتم واجب. فهؤلاء الأنبياء الأطهار والأصفياء الأبرار يُصرحون باسم محمد؛ فلا حاجة بنا بعدها إلى الاستنباط والاستخراج.

البشرى السابعة والعشرون:

قال إشعياء النبى عليه السلام معلنا باسم رسول الله ﷺ: «إنى جعلت اسمك محمدا. يا محمد يا قدوس الرب. اسمك موجود من الأبد» (٢).

فهل بقى بعد ذلك لزائغ مقال، أو لطاعن مجال. وقول إشعياء إن اسم محمد موجود من الأبد؛ موافق لقول داود الذى حكيناه: «إن اسمه موجود قبل الشمس»(٣). وقوله «يا قدوس الرب» يعنى يا مَنْ طَهَّره الرب وخلّصه من شوائب بشريته، واصطفاه لنفسه.

---

(١) النص فى الأصحاح الحادى والأربعين من سفر إشعياء والمؤلف يترجم «عبدي» بمحمد. ففى النص: «وقلت لك: أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك، لا تخف لأنى معك».

(٢) هذا النص موجود فى الأصحاح السابع والخمسين من سفر إشعياء. وهو: «أما المتوكل عليّ؛ فيملك الأرض ويرث جبل قدسي. ويقول: أعدوا. أعدوا. هيئوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبي؛ لأنه هكذا قال العليّ المرتفع ساكن الأبد. القدوس اسمه. فى الموضع المرتفع المقدس؛ اسكن. ومع المنسحق والمتواضع الروح؛ لأحيى روح المتواضعين، ولأحيى قلب المنسحقين» إلى أن قال: «ليس سلام قال إلهى للأشرار».
وقبل هذا النص يتكلم عن هلاك اليهود. فيقول: «أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة، نسل الفاسق والزانية» ووصفهم بعبادة الأصنام، وقتل أولادهم شركاؤهم. فقال: «المتوقدون إلى الأصنام، تحت كل شجرة خضراء، القاتلون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعاقل...».
وبعدها تكلم عن هلاكهم. ابتداء فى الحديث عن النبى الأمى الآتى فقال: «أما المتوكل عليّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسي...» وقد ترجم المؤلف المتوكل على الله بمحمد ﷺ لأنه هو.

(٣) مزمور ٧٢.

البشرى الثامنة والعشرون:

وشهد إشعياء لهذه الأمة بالصلاح والديانة فقال: «سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً، فيصفر لهم من أقاصى الأرض فيأتون سراعا» (١) .

فالنداء: هو ما جاء به النبى عليه السلام من التلبية فى الحج. وهم الذين جعلوا لله الكرامة فوحّدوه وعبدوه وأفردوه بالربوبية وكسروا الأصنام وعطلوا الأوثان، والعلم المرفوع هو النبوة، وصفيره: هو دعاؤهم إلى بيته ومشاعره؛ فيأتون سامعين مطيعين.

البشرى التاسعة والعشرون:

قال إشعياء النبى والمراد مكة شرفها الله: «سُرِّى واهتزى أيتها العاقر التى لم تلد، وانطقى بالتسبيح، وافرحى إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» (٢) .

يعنى بأهله بيت المقدس، ويعنى بالعاقر: مكة شرفها الله؛ لأنها لم تلد قبل نبينا عليه السلام نبيا، ولا يجوز أن يريد بالعاقر: بيت المقدس؛ لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي؛ فلم تزل تلك البقعة وَلاَّدة.

البشرى الثلاثون:

قال إشعياء النبى ـ ونص على خاتم النبوة ـ «يولد لنا غلام يكون عجبا ومشيرا. والشامة على كتفه. أركون السلام، إله جبار، سلطانه سلطان السلامة، وهو ابن عالمه، يجلس على كرسى داود» (٣) .

قال المؤلف: الأركون: هو العظيم بلغة الإنجيل. والأراكنة: المعُظَّمون؛ فإنه لما أبرأ المسيح مجنونا من جنونه قالت اليهود: «إن هذا لا يُخرج الشياطين من

---

(١) إشعياء الأصحاح الخامس.

(٢) إشعياء ٥٤ وهذه البشارة مكررة مرتين. لأن المؤلف قسم النبوءة الواحدة ثلاثة أقسام. وهذا هو القسم الثالث.

(٣) المؤلف دمج نبوءتين فى نبوءة واحدة. فإن نبوءة يولد لنا ولد. ونعطى ابنا فى الأصحاح التاسع من إشعياء. والعذراء باللغة العبرانية «علمه» وهى الامرأة الشابة، سواء أكانت بكرا أم ثيبا. والمؤلف قال وهو ابن عالمه. ودل بما قاله على أنه دمج النبوءتين.

الآدميين إلا بأركون الشياطين» (١) يعنون عظيمهم.

وقال المسيح أيضا فى الإنجيل: «إن أركون هذا يُدان»(٢) يريد إما إبليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين. وسماه إلها على نحو قول التوراة: «إن الله جعل موسى إلها لفرعون» (٣) أى حاكما عليه ومتصرفا فيه. وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه: «إنكم آلهة» (٤) فقد شهد إشعياء بصحة أمر محمد رسول الله ووصفه بأخصّ علاماته وأوضحها وهى شامته. فلعمرى لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح. وقد وصفه بالجلوس على كرسى داود. يعني: أنه سيرث بنى إسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رئاستهم.

البشرى الحادية والثلاثون:

قال إشعياء ووصف أمة محمد عليه السلام: «ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قِيدار، يسبحون من رءوس الجبال ينادون. هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه فى البر والبحر» (٥) .

البشرى الثانية والثلاثون:

وقال إشعياء والمراد هاجر أو مكة: « أنا رسمتك على كفي، وستأتيك أولادك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخزيك، فارفعى بصرك إلى ما حولك؛ فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك، قسما باسمى إنى أنا الحى لتلبسى الحلل وتزينى بالأكاليل. مثل العروس، ولتضيقن خزاباتك من كثرة سكانك والراغبين فيك، ولينهزمن كل من يناوؤك، ولتكثرن أولادك حتى تقولي: من رزقنى هؤلاء كلهم وأنا وحيدة فريدة نزور رقوب؟ فمن ربَّى لى هؤلاء ومن تكفل لى بهم» (٦) .

---

(١) متى ٩: ٣٤ .

(٢) يوحنا ١٦ : ١١ والمراد: إبليس.

(٣) خروج ٧: ١ .

(٤) مزمور ٨٢: ٦ .

(٥) الثانى والأربعون من إشعياء ١١ ـ ١٢ .

(٦) «هو ذا على كفى نقشتك. . .» إشعياء ٤٩: ١٦ + .

وذلك إفصاح من إشعياء بشأن الكعبة. فهى التى ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة، ووكّل بخدمتها الخلفاء والملوك. ومكة هى التى ربّى الله لها الأولاد من حجاجها والقاطنين بها. فالحمد لله الذى أوضح لنا الدين، وقمع الملحدين.

البشرى الثالثة والثلاثون:

قال إشعياء: «مثل الريح العقيم يأتى من التيمن، والظالم يظلم، والمنتهب ينتهب» (١).

التيمن: تهامة، وشبّه رسول الله ﷺ بالريح العقيم فى تدميره الكافرين، وأنه عليه السلام يبعث فى زمن جاهلية يظلم بعضها بعضا وينتهبه. فجاء الأمر كما تنبأ به إشعياء عليه السلام.

البشرى الرابعة والثلاثون:

قال إشعياء ونبّه على انتشار العِلم من الحجاز إلى أقطار الأرض: «يا سكان التيمن اسقوا العطاش الماء، وقوّتوهم بخبزكم» (٢) فالماء ههنا كناية عن العلم. قال المسيح فى الإنجيل: «من شرب من هذا الماء يعطش، ومن شرب من الماء الذى أسقيه؛ لا يعطش أبدا، بل تنبع من بطنه عين ماء الحياة» (٣)، يريد بالماء: العلم والحكمة. وذلك إخبار من إشعياء عن ظهور كتاب الله وسنة نبيه. وكذلك قوله: «قوتوهم بخبزكم» على نحو قول المسيح فى الإنجيل: «أنا هو خبز الحياة الذى من أكل منه لم يمت» (٤) وهذه كلها كلمات متروكة الظاهر مؤوّلة.

البشرى الخامسة والثلاثون:

قال إشعياء حاكيا عن الله تعالى: «اشكر حبيبى وابنى أحمد» (٥).

(١) إشعياء واحد وعشرون .

(٢) إشعياء واحد وعشرون. وهو رمز للهجرة.

(٣) يوحنا ٧: ٣٧ ـ ٣٨ .

(٤) يوحنا ٦: ٣٥ .

(٥) نص إشعياء هو: «لأنشدنّ عن حبيبي، نشيد محبى لكرمه» [إش ٥ : ١] وقبله نبوءة. بأن مملكة المسيح المنتظر. الذى هو محمد رسول الله ـ بحسب لسانهم ـ تكون ملجأ فى الشدائد «فى ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض فخرا» ومن عادة المؤلف ترجمة عبد الرب بمحمد وحبيب الرب وما شابه ذلك. لأن نبوءات التوراة كلها تتحدث عنه. واسمه معروف من التكوين ١٧ : ٢٠ فإن المحرف رفع=

فسماه الله حبيبا، وسماه ابنا. على اصطلاح اللسان العبراني. كتسمية إسرائيل ابنا، غير أنه خصّه عليهم بمزية فقال: «حبيبى ابني. أشكره» فَتَعَبَّدَ مثل إشعياء بشكر محمد ﷺ ووضعه عليه وعلى قومه شكره وإجلاله؛ لتبيين قدره ومنزلته عنده. وتلك منقبة لم يؤتها غيره من المرسلين.

البشرى السادسة والثلاثون:

قال إشعياء: «إن الأمة التى كانت فى الظلمات رأت نوراً باهراً، والذين كانوا فى الدجى وتحت ظلال الموت؛ سطع عليهم الضوء. فلقد أكثرت من الأتباع والأحزاب لم تستكثر للاغتباط بهم. فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد وعند اقتسام الغنائم، لأنك فككت النير أيضا الذى كان أذلّهم والعصا التى كانت على أعناقهم، وكسرت القضيب الذى كان يستعبدهم مثل كسرك من كسرت فى يوم مدين»[١] .

وذلك موافق لقول الله تعالى فى نعت نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ وبرسول الله ﷺ زالت ظلمة الشرك، وحصل ضوء الإيمان؛ فكسّر الأصنام، وأباد الأوثان، وأعلن بالقرآن، وعُبِد الرحمن.

البشرى السابعة والثلاثون:

قال إشعياء: «إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»[٢] .

=اسم محمد ووضع بدله بماد ماد، بحساب الجمل. وهذه النبوءة لها صلة بنبوءة المزمور الثامن. وقد ذكرها المؤلف. وبدؤه: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض. . .» ثم تكلم الله عن نزع الملكوت من بنى إسرائيل وإعطائه لأمة أخرى. ورمز للملكوت بالكرمة. راجع: إشعياء ٢٧: ٢ وإرمياء ٢: ٢١ ومتى ٢١ ومرقس ١٢ ولوقا ٢٠

وقال المسيح بعد ذكر مثل الكرامين الأردياء لليهود: «إن ملكوت الله ينزع منكم؛ ويعطى لأمة تعمل أثماره».

(١) إشعياء ـ تسعة.

(٢) النص فى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر إشعياء. وهو: «من أطراف الأرض سمعنا ترنيمةمجدا للبارّ» ومن عادة المؤلف ترجمة صفة محمد باسمه.

كما سبق بيانه فى التعليقات. وهنا ترجم «البارّ» باسم محمد ﷺ .

وهذا إفصاح وليس بجمجمة وإعراب من إشعياء باسم رسول الله ﷺ فليُرنا أهل الكتاب نبيا نصّت الأنبياء على اسمه صريحا سوى رسول الله ﷺ .

البشرى الثامنة والثلاثون:

قال إشعياء ـ وسمى رسول الله ﷺ ربا وإلها . كتسمية موسى فى التوراة ـ: «إن الرب الإله سيظهر بالعزّ والحول والقوة . أجره معه وعمله أمامه . فهو كالراعى الذى يحوط غنمه ويذودهم عن مراتع الهلاك» (١) .

والدليل على ما قلناه: أنه جعل «الرب الإله» المذكور هو إنسان، له أجر وعمل. وقوله «أجره معه» يشير به إلى الغنائم التى أُحلت له وصفاياها . وقد وصفه إشعياء بالجهاد فى سبيل الله واستيلائه على أعدائه بالحول والقوة والعز . وكذلك كان عليه السلام . وهو وأمته الذين قهروا الجبابرة، وكسروا الأكاسرة، وأبادوا الفراعنة والقياصرة، واستولوا على ممالك العالم . وهابتهم طبقات بنى آدم . ومن شَدا طَرَفا من مغازيهم، عرف صحة ما قلناه .

البشرى التاسعة والثلاثون:

قال إشعياء وذكر ما امتنّ الله به على أهل الحجاز واليمن، من أهل ملّة محمد ﷺ : «إن المساكين والضعفاء والذين جفّت ألسنتهم من الظمأ؛ سأسقيهم ماء حيث لا ماء لهم؛ أنا الرب أُجيب دعوتهم ولن أهملهم، بل أفجر لهم فى الجبال الأنهار، وأجرى بين القفار العيون، وأجعل فى البدو آجاما، وأجرى فى الأرض العطشى معينا، أُنبت فى القفار غروسا؛ ليعلم الناس أن يد الرب فعلت ذلك، وقدوس إسرائيل ابتدعه» (٢) .

فقد نص على أرض رسول الله ﷺ ووصفها بصفاتها وما فجر بها من الأنهار وأجرى العيون وأنبت من الخيرات لأهلها . وذكر أن يده هى التى فعلت ذلك . وقد أكثر إشعياء عليه السلام من ذكر محمد وأحمد ووصف أرضه وبلاده وبيته ومنازل أبيه إسماعيل . فلم يبق لجاحد عِلّة ولا لمنكر ريبة .

---

(١) إشعياء ـ الأصحاح الأربعون . وهو تكملة ـ نص نبوءة سبق للمؤلف ذكره . وهو نبوءة الكلمة .
(٢) إشعياء ٤١ : ١٧ + .

البشرى الأربعون:

قال إشعياء أيضا: «لتسبحنى وتحمدنى حيوانات البّر من بنات آوى حتى الأنعام؛ لأنى أجريت الماء فى البدو لتشرب منها أمتى المصطفاة التى اصطفيتها»(١) .

هذا يصدّقه قول رسول الله ﷺ وقد ولّى على أهل مكة عتاب بن أُسيد فقال له: «يا عتاب أتدرى على ما وليتك؟وليتك على أهل الله» قالها مرتين أو ثلاثا. وكنَّى عن أهل الحجاز والبرارى ببنات آوى والأنعام؛ لسكنى الفيافى والقفار. وأخبر إشعياء أن الله تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم.

البشرى الحادية والأربعون:

قال إشعياء: «أنا الرب ولا إله غيري، أنا الذى لا يخفى عليه خافية، بل يخبر العباد بمالم يكن قبل أن يكون، وأكشف لهم الحوادث والغيوب، وأُتِم مشيئتى كلها إنى سأدعو طائراً من البدو البعيد الشاسع» (٢) .

والطائر المدعو البعيد الشاسع: هو محمد رسول الله ﷺ .

البشرى الثانية والأربعون:

قال إشعياء متنبئا على ما شرحه الكتاب العزيز من نعيم أهل الجنة: «يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس معه فضة فليذهب وليمتار ويأكل ويشرب من الخمر واللبن مجانا بلا ثمن» (٣) .

ذلك تصديق لقوله تعالى: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ وفى ذلك تكذيب للنصارى واليهود وطائفة من أهل الأهواء إذ قالوا: ليس فى الجنة شيء من هذه الملاذ (٤) .

---

(١) إشعياء ٤٣ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) إشعياء ٤٦ : ٩ ـ ١١ .

(٣) إشعياء ٥٥ : ١ + .

(٤) والنص كناية عن كثرة الخيرات فى مدة شريعة محمد .

البشرى الثالثة والأربعون:

قال إشعياء على دعاء محمد رسول الله ﷺ الكافة، وأخبر أن رسالته عامة إلى الناس أجمعين: «إنى أقمتك شاهدا للشعوب، ومدبرا وسلطانا للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشدا. من أجل الرب إلهك، قدوس إسرائيل هو الذى أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب واستجيبوا له، وليرجع الخاطيء عن خطيئته والفاجر عن فجوره وليتب إلىّ لأرحمه» (١) .

فهذه نبوة مفصحة وبشرى مصرحة باسم أحمد ﷺ وكأن كلماتها قد جمعها إشعياء من الكتاب العزيز والسنة الطاهرة.

البشرى الرابعة والأربعون:

وقال إشعياء: «إن الله سبحانه نظر فى الناس فلم يرَ من يعين على الحق. فأنكر ذلك وبعث وليه فأنفذه بذراعه ومهّد له بفضله، فاستلأم العفاف والبر كالدرع، ووضع على رأسه إكليل الإغاثة والفلح. ولبس الخلاص لينتقم من المبغضين له المعادين، ويجزى أهل الجزائر (٢) جزاءهم أجمعين، ليدوم اسم الله فى مغارب الأرض وليخشع فى مشارقها لجلاله سبحانه» (٣) .

فقد استلأم عليه السلام بالبر التقى ولبسه والتحفه وارتدى، وخلص أولياءه وانتقم من أعدائه، وأعلن باسم الله فى مشارق الأرض ومغاربها.

فهذه نبوءات ظاهرة وبشارات متضافرة، يؤمن بها من قضى الله له التوفيق، ويجحدها من عدل به عن نهج الطريق.

البشرى الخامسة والأربعون:

قال إشعياء وتنبأ على مكة: (٤)«قومى وأزهرى مصباحك. فقد دنا وقتك،

---

(١) هذا النص تكملة للنص السابق ٥٥: ٤ + .

(٢) إشعياء ٥٩: ١٦ + .

(٣) فى نص النبوءة الجزائر.

(٤) المؤلف غفل عن موضع الشاهد فى هذه النبوءة ولم يكتبه. وهو «ويأتى الفادى إلى صهيون» والفادي: هو

وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام، وغطّى على الأمم كلها الضباب، يُشرق عليك إشراقا، ويظهر عليك كرامته، فتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك. إنهم سيأتونك ويحجّون إليك من البلد البعيد، ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك» [١] .

وهذه نبوءة على تخصيص مكة بشد الرحال إليها وتمليك أهلها وظهور الإيمان بالله منها، وإزالة ظلم الجهل بمصباح العلم المأخوذ عن أولادها. فمن أبى من المخالفين تنزيل هذا الكلام على مكة والكعبة فليرنا كعبة أخرى فى الأرض شرقاً وغرباً وشريعة هادية من الضلال، وملة ثابتة خالدة على مر الأحوال.

البشرى السادسة والأربعون:

وقال إشعياء باسم الكعبة وحجّها وتعظيمها: «إنه سيرد عليك أبناؤك من بلد بعيد، ومعهم فضّتهم وذهبهم من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذى أحمدك، وتبنى أبناء الغرباء سورك، وتخدمك ملوكهم، وتفتح أبوابك آناء الليل والنهار؛ فلا تُغلق، وتدخل إليك أرسال الأمم، وتُقاد إليك ملوكهم أذلة، وكل أمة لا تخضع لك تتبدد تبديدا، والشعوب التى لا تخدمك تصطلم اصطلاما، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن الأبهل لتبخر به بيتى وموضع قدمى ومستقر كرامتى. والقوم الذين كانوا يذلّونك يأتون لتقبيل آثار أقدامك، وأجعلك كرامة إلى الأبد وغبطة وفرحا إلى دهر الداهرين.

سترضعين ألبان الشعوب، وتصيبين من ذخائر الملوك وتعلمى أنى أنا الرب مخلّصك، والذى يجعل مصابحك تزهر إلى الأبد» [٢] .

فهذا إشعياء قد نصّ فصرح، وحقق أمر بيت الله العتيق وأفصح. فليوجد لنا

=النبى المنتظر. وتكملة النص نصٌ فى أن النبى المنتظر هو محمد ﷺ وهو: «ويأتى الفادى إلى صهيون، وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب. يقول الرب. أما أنا فهذا عهدى معهم. قال الرب. روحى الذى عليك، وكلامى الذى وضعته فى فمك، لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك. قال الرب. من الآن وإلى الأبد».

(١) إشعياء ٦٠ : ١ + .

(٢) هذا النص تكملة للنص السابق ٦٠ : ٩ + .

المخالف بيتا لله تعالى موصوفا بهذه الصفات، مخصوصا بهذه الكرامات. مشتملا على قدم إبراهيم، مقبلا مقبولا فى الغداة والأصيل.

البشرى السابعة والأربعون:

قال إشعياء مخاطبا للنبى محمد ﷺ: «هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل: ستقوم لك الملوك إذا رأوك، وتسجد لك السلاطين؛ لأن وعد الله حق. وأنا الذى انتخبتك واخترتك وفى شدائدك أعنتك. لنفسى اجتبيتك، جعلتك ميثاقا للشعوب ونوراً للأمم؛ لترث الأرض وتطلق الأسرى المسجونين وتؤمنهم، وتجعل الجبال طرقا مذللة، وتوافيك الأقوام من بلاد شاسعة، فسبحى أيتها السماء واهتزى أيتها الأرض فرحا وابتهجى أيتها الجبال بالحمد؛ فقد تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه»(١).

اعلم: أن هذه النبوة لا تليق بغير رسول الله ﷺ فهو مختار الله ومجتباه ومنتخبه من خلقه، الذى أعانه على شدائده، وهو رجل واحد بغير أعوان، ولا معتضد بأنصار. حتى قهر الملوك فدانوا بدينه، والتزموا شرعه وتقيدوا بأحكامه وأخذوا بسنته طوعا وكرها واختيارا وجبرا، وورث الأرض وفتحها هو وأمته شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وقيد الملوك والطغاة، وفك الأسرى والمسجونين، وأمن الجبال الوعرة ودكّها؛ فصارت شرائع وطرقا مسلوكة. وقد كانت العرب قبل مبعثه ﷺ محبوسة بأرضها لا يتجاوزونها من خوف فارس وكسرى وقيصر وغيرهما من الملوك، وأطلقها الله برسوله من سجنها، وأورثهم أرض فارس وقيصر وغيرهما وملكهم أموالهم فاستخرجوا ذخائرهم وحازوا معاقلهم وتملكوا عقائلهم.

فإن قيل: ما معنى قول إشعياء فى أول هذه البشارات: «يا قدوس إسرائيل».

قلنا: هو إنما يخاطب فى أيامه بنى إسرائيل، وبنو إسرائيل إذا دعوا الله قالوا: «يا قدوس إسرائيل» افعل بنا كذا وكذا. فاحتاج أن يخاطبهم بما يفهمون.

(١) إشعياء ٤٩: ٧ + وهو تكملة البشارة رقم ٢١ .

البشرى الثامنة والأربعون:

قال إشعياء وتنبأ على الكعبة والركن الأسود: «هكذا يقول الرب: هأنذا ناصب للأمم علماً وراية، وهى أنهم يأتونك بأبنائهم وبناتهم على أيديهم وأكتافهم وتكون الملوك ظؤورتك وعقائل نسائهم مرضعاتك ويخرون على وجوههم سجدا لك ويلحسون تراب أقدامك. فتعلمين حينئذ أنى أنا الرب الذى لا يخزى الراجون لدي»(١) .

الظؤورة جمع ظئر وهي: الداية والمزيِّنة والمرضعة، يُشير إلى ما سيقوم به الملوك ونساء الملوك من خدمة المسجد الحرام وتحلية الكعبة وتزيينها بالديباج والذهب والفضة وتغليفها بالمسك وغسلها بالماورد، المفتوق فيه الطيب الفاخر، وتذللهم حولها وخضوعهم لأهلها وتطوافهم حولها وتقبيلهم حجرها، حفاة الأقدام حسر الرءوس مبتذلين متواضعين. فأى بيان أبين من هذا البيان لمن نور الله قلبه وجوهر لبه، وأراد به الخير وحماه من الهوى؟

البشرى التاسعة والأربعون:

قال هوشع النبى وتنبأ على محمد رسول الله ﷺ: «قال الرب: أنا الرب الإله الذى رعيتك فى البدو، وفى أرض قفر خراب غير مأهول، وفى أرض لا أنيس بها»(٢) .

وما يُعرف من هذا حاله سوى محمد رسول الله ﷺ أو أبوه إسماعيل عليه السلام.

البشرى الخمسون:

قال يوئيل (٣) متنبأ على أمة محمد عليه السلام: «قال الله: إنها أمة جليلة

(١) إشعياء ٤٩: ٢٢ + وهو تكملة لنص البشارة السابقة والبشارة ٢١ .

(٢) هوشع ١٣: ٤ + والنص فى وصف أحوال اليهود.

(٣) فى الأصل هوشع. والنص فى الأصحاح الثانى من سفر يوئيل. وهو عن «يوم الرب» يوم هلاك اليهود على يد المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. يوم فتح المسلمين لفلسطين. وفيه يقول: «شعب كثير وقوي، لم يكن له نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضا بعده إلى سنى دور فدور. قدامه نار تأكل، وخلفه لهيب يحرق الأرض قدامه كجنة عدن، وخلفه قفر خرب. ولا تكون منه نجاة...» [يوئيل ٢: ٢ -].

عزيزة لم يكن مثلها قط ولا تكون، النار تحرق من أمامها ومن خلفها».

وتلك أمة النبى محمد ﷺ وهى التى لا تقوم لها بشيء من الأمم. كأنها النار فى إحراقها، وقد وصفها الله بالجلالة والعزة وأنه لم يكن فى العالم مثلها. ولا يكون أبداً. وتلك تزكية ومدحة جليلة وثناء فخم من الله لهذه الأمة، وهو دليل محبته لها؛ لأنه تعالى إذا أحب شيئا فخّمه وعظمه، فلله ربنا الحمد السرمد والمدح المؤبد.

البشرى الحادية والخمسون:

قال هوشع النبى على محمد رسول الله ﷺ: «قد بلغ وقت النعمة ودنا ميقات الجزاء؛ فليعرف بنو إسرائيل الجهلة النبى السفير وليتبينوا شأنه، فإنه لا خفاء بالرجل الذى عليه روح السفارة، وإن كثرة إثمهم وخطاياهم هى التى حملتهم على الخبث»[1].

قوله «قد بلغ وقت النعمة» يعنى بذلك محمد ﷺ فشهد هوشع: أنه نعمة على العالمين. نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

البشرى الثانية والخمسون:

قال هوشع وهو أحد الاثنى عشر، وتنبأ على أمة محمد عليه السلام: «إن إفرام قد اكتفى بالكذب والفرية، وبنو إسرائيل ويهوذا قد عنوا بالكذب والخيانة، حتى نزلت أمة الله الأمة المقدسة المؤمنة»[2] .

وهذه صفة أمة محمد ﷺ .

البشرى الثالثة والخمسون:

قال ميخا النبى وتنبأ على بيت الله الحرام وما يحجه من الناس: «إنه يكون

---

(١) المؤلف يترجم بالمعني. وبدء النص: «جاءت أيام العقاب» وليس فيه «قد بلغ وقت النعمة» وهى تعرف من فحوى الكلام؛ لأن العقاب هو لرفض النعمة. والنعمة هى ظهور النبى ﷺ ومحرف النص كأنه وضع نقطا؛ ليلغز المعني. هكذا: «جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل. النبى أحمق. إنسان الروح مجنونٌ من كثرة إثمِكَ، وكثرة الحقد. أفرايم مُتتظَر عند إلهي. النبى فَخُّ صيادٍ على جميع طرقه. حقد فى بيت إلهه. قد توغلوا فسدوا كأيام جِبعة. سيذكر إثمهم. سيُعاقب خطاياهم» [هو ٩ : ٧ - ٩].

(٢) هوشع ١١ : ١٢ .

فى آخر الأيام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال، وفى أرفع رءوس العوالي؛ يأتيه جميع الأمم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب» [١] .

وذلك كله صفات البيت العتيق وجبل عرفة. فإن زعم أهل الكتاب: أن ذلك بيت المقدس؛ لم يصح قوله: «إن ذلك إنما يكون فى آخر الأيام» وبيت المقدس قد كان موجودا معظما فى زمن ميخا قائل هذه النبوءة. والنبى إنما يتنبأ على شيء لم يأت، ولا يتنبأ على ما هو حاضر عنده.

البشرى الرابعة والخمسون:

قال حَبَقُّوق. وسمى محمدا رسول الله مرتين فى نبوته: [٢]«إن الله جاء من التيمان، والقدوس من جبل فاران. لقد أضاءت السماء من بهاء محمد [٣] ، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزّة، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده. قام فمسح الأرض. فتضعضعت له الجبال القديمة، وانخفضت الروابي، وتزعزعت ستور أهل مدين. ولقد حاز المساعى القديمة».

ثم قال: «زجرك فى الأنهار واحتدام أصواتك فى البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ، وستترع فى قسيك إغراقا وترعا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السيل، ونعرت المهاوى نعيرا ورعبا، ورفعت أيديها وجَلا وخوفا، وسارت العساكر فى بريق سهامك ولمعان نيازكك. تدوخ الأرض غضبا وتدوس الأمم زجرا؛ لأنك ظهرت بخلاص أُمّتك، وإنقاذ تراث آبائك».

---

(١) ميخا ٤: ١ + .

(٢) حبقوق ٣: ٣ + .

(٣) النص: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران» يريد أن يقول: إن النبى المنتظر سيأتى إلى فلسطين من جهة الجنوب، جهة اليمن. وهذا النبى مولده جبل فاران «جلاله غطى السموات» الضمير يعود إلى محمد، الموصوف بالقدوس. والمعنى كثرة جيشه تدل على مجده. ومن عادة المؤلف ترجمة الصفة بالاسم كما سبق أن بينا. وهو هنا يترجم القدوس بمحمد وفى النص «خرجت لخلاص شعبك، لخلاص مسيحك» والمسيح بلسانهم هو محمد. ولذلك ترجم المؤلف المسيح بمحمد فقال: «وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء».

اعلم: أنه من رام صرف نبوءة حبقوق هذه عن محمد ﷺ فقد رام ستر النهار وحبس الأنهار. وأنَّى يقدر على ذلك وقد سماه باسمه مرتين وأخبره بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم. وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ولا تصلح إلا له ولا تُنزَّل إلا عليه. فمن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعا.

البشرى الخامسة والخمسون:

قال صَفَنْيا النبى عليه السلام وتنبأ على كلمة التوحيد وهى شهادة أن لا إله إلا الله: «أيها الناس تَرَجّوا اليوم الذى أقوم فيه للشهادة. فقد حان أن أُظهر حكمى لحشر الأمم كلها. هنالك أُجدد لهم اللغة المختارة؛ ليعلنوا باسم الرب جميعا ويعبدوه فى ربقة واحدة، ويأتون بالذبائح فى تلك الأيام من معابر أنهار كوش»[1].

واللغة المختارة: هى لغة العرب، وهى التى طبقت الأرض وملأت الدنيا وتكلم بها غير أهلها وهجروا لغاتهم؛ لخفّتها. ومعابر أنهار كوش: هى نواحى اليمن والحجاز. وهى التى تُساق منها الأغنام والهدى إلى بيت الله الحرام. فمن ظن أن «كوش» تحمل أغنامه وذبائحه إلى الشام وبيت المقدس؛ فقد ظن عجزا.

البشرى السادسة والخمسون:

قال زكريا النبى وتنبأ أيضا على جمع كلمة التوحيد وصيرورة الدين دينا واحدا: «إنه يكون الرب يومئذ ربا واحداً ويكون اسمه اسما واحدا» [2].

وقد صار الأمر كذلك بمحمد رسول الله ﷺ شرقا وغربا فجنوبا وشمالا. فمن شَذَّ عن ذلك فإلى النار.

البشرى السابعة والخمسون:

قال زكريا أيضا: «وفى ذلك اليوم يكون اسم الرب القدوس على كل شيء حتى على لجام الفرس» [3].

(١) صفنيا ٣: ٨ + .

(٢) زكريا ١٤: ٩ .

(٣) زكريا ١٤: ٢٠ .

فقد تمت هذه النبوة ببعثة محمد ﷺ وصار اسم الله على كل شيء، من ثوب ودار وسلاح وذهب وفضة وغير ذلك، وذلك شيء لم يكن يعرف قبل بعثة رسول الله ﷺ .

البشرى الثامنة والخمسون:

قال إرمياء النبى عليه السلام وخاطب بها محمدا ـ صلى الله عليهما ـ حاكيا عن الله: «من قبل أن أصورّك فى الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من الرحم قدستك، وجعلتك نبيا للأمم؛ لأنك بكل ما آمرك تصدع وإلى كل من أرسلتك تتوجه، وأنا معك لخلاصك. يقول الرب: أفرغتُ كلامى فى فمك إفراغا، فانظر فقد سلطتك اليوم على الأمم والممالك لتنسف وتهدم وتبتر وتسحق وتغرس وتبنى ما رأيت» (١) .

قال المؤلف: قول إرمياء: «أفرغت كلامى فى فمك إفراغا» نظير لقول الله تعالى فى التوراة: «أجعل كلامى فى فمه» (٢) يعنى النبى ـ عليه السلام ـ وهذه نبوات متضافرة ودلالات متظاهرة، فسبحان من بخس اليهود والنصارى حظّهم من الإيمان بها والتمسك بسببها.

البشرى التاسعة والخمسون:

قال إرمياء أيضا وتنبأ على نصر الأمة المحمدية على اليهود والنصارى وغيرهم: «إنى مُهيِّج عليكم يا بنى إسرائيل من البُعد أمة عزيزة، أمة قديمة، أمة لاتفقهون لسانها وكلها مجرب جبار» (٣) .

فهذه هى الأمة الحنيفية العربية التى سلّطها الله على كل من كفر به، وعبد معه عجلاًووثنا، واتخذ من دونه آلهة أخرى. وقد صدق الله فى خبره، ووفى بقوله سبحانه وتعالى.

---

(١) إرمياء ١: ٤ + .

(٢) تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢ .

(٣) إرمياء ٥: ١٥ + .

البشرى الستون:

وقال إرمياء متنبئا على أمة محمد ﷺ: «إني جاعل شريعتي في أفواههم وأكتبها في قلوبهم، وأكون لهم إلها ويكونون لي شعبا، ولا يحتاج الرجل أن يتعلم من غيره الدين والملة ومعرفة الله، بل يصير الكل عارفين بالله. صغيرهم وكبيرهم، وأنا أغفر حينئذ ذنوبهم ولا أقرعهم بخطاياهم» (١).

هذه النبوة الجليلة القدر شاهدة بأن هذه الأمة هي أمة الله، وأن هذا الشعب الطاهر شعبه، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً. فلا نعلم أمة تقرأ كتابًا ولها عن ظهر قلب من المَلِك إلى الأتوني سوى هذه الأمة المحمدية. فأما من عداها من الأمم فإنما يقرءون من الصحف، ويسمعون من غيرهم.

البشرى الحادية والستون:

قال إرمياء أيضا وتنبأ على إزالة مُلك الفُرس وهلاك فارس بالمسلمين من أمة محمد ﷺ: «يقول الرب: إني كاسر قوس عيلام. رأس عزّهم وجبروتهم، وإني أغرى بعيلام أربعة رياح من أربع جهات السماء، وأبدد أهلها في تلك الجهات، وأفض عيلام قدام أعدائهم فضًا، وأفُلُّهم قدام طالبي أنفسهم فلا، وأُنزل عليهم البلاء والرجز الأليم حتى أفنيهم، ثم أنصب كرسيي بعيلام وأبيد مَنْ هناك من الملوك» (٢).

عيلام: هي العراق. والملوك الذين كانوا بها هم ملوك الفرس. ونزوله تعالى: هو نزول الأمة المحمدية التي ذكر في النبوة المتقدمة أنها شعبه وأمته. ونصب كرسيه بها: هو إقامة الخلفاء من أهل بيته بها وبناؤهم بها المساجد والجوامع والمدارس لإقراء كلامه وسنن رسله. ولا خفاء أن ذلك كله لم يتحقق إلا بمحمد وأمته.

البشرى الثانية والستون:

قال إرمياء وشافه بها محمدا رسول الله ﷺ: «أعد آلات الحرب؛ فإني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها والمراكب وركبانها، وأبدد بك الطغاة

---

(١) إرمياء ٣١: ٣٣ + .

(٢) إرمياء ٤٩: ٣٥ + .

لتجارى الكذابين بأوزارهم التى ارتكبوها. هذا قول الرب» [١] .

فقد صدق الله ورسله، وبدَّد برسول الله ﷺ شعوب المشركين وخيلها وفرسانها ومراكبها وركبانها، وانتقم به وبأمته من الكذابين من الفرس والديلم والروم وأهل الكتاب. فكذّب الفُرس أنهم أناطوا الألوهية والربوبية بالنار. واليهود أنهم قذفوا أنبياءهم وحكموا بأن معبودهم جسم من الأجسام. وكذب النصارى لاعتقادهم أن ربهم الذى خلقهم ورزقهم هو رجل من بنى آدم. وكذب اليهود إناطتهم الربوبية بالأنداد من الحجارة والخشب، وكذب الصابئة وغيرهم إناطتهم الربوبية بالكواكب ونجوم السماء. فسلط الله عليهم رسوله محمدا ﷺ فأباد أبدادهم، وأخمد نيرانهم، وكسّر صلبانهم، ومحق أوثانهم، وأفنى فرسانهم.

البشرى الثالثة والستون:

قال حِزقيال النبى متنبئا على هذه الأمة العربية المحمدية: «إن كرمة أخرجت ثمارها وأغصانها، فأشرفت على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت وبسقت أفنانها، فلم تلبث تلك الكرمة أن قُلعت بالسخط، ورمى بها على الأرض فأحرقت السماء ثمارها وتفرقت قواها ويبس عصى عزّها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس غرس فى البدو وفى الأرض المهملة المعطلة العطشى وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية ولا قضيب ينهض بأمر السلطان» [٢] .

يريد بالغرس الأول: ملل النصارى واليهود وسائر الطوائف. وكيف سخط الله عليهم وأباد جموعهم واجتثت أصولهم وفروعهم، ويريد بالغرس الجديد الذى غرسه فى البدو والأرض العطشى: هذه الأمة العربية والشريعة المحمدية واستيلائها على ممالك من تقدم حتى لم يدع لهم عزا ولا سلطانا إلا احتوت عليه وأكلته. وهذه نبوءة واضحة وبشارة صادقة.

البشرى الرابعة والستون:

وقال حِزقيال أيضا وهو يتهدد اليهود ويصف أمة محمد ﷺ: «وأن الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا، ومنزل عليهم كتابا، ومملكهم رقابكم

---

(١) إرمياء ٥١: ٢٠ + . (٢) حزقيال ١٩: ١٠ + .

فيقـهرونكم ويذلونكم بالحق، وتخرج رجال بنى قـيدار فى جماعـات الشعوب، معـهم ملائكة على خـيل بيض متسلحـين فيحـيطون بكم، وتكون عاقـبتكم إلى النار»[١] . نعوذ بالله من النار.

البشرى الخامسة والستون:

قال حبـقوق [٢] النبى عليه السلام وذكر محـمدا رسول الله ﷺ باسمه فقال: «ستنزع فى قسيك إغراقا، ترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء».

فهذا تصريـح بغير تعريض وتصحيح ليس فـيه تمريض، فإن نازع فى ذلك منازع فليوجد لنا آخر اسمه محمد. له سهام تنزع، وأمر مطاع لا يُدفع.

البشرى السادسة والستون:

قال دانيـال عليه السلام: «طوبى لمن أدرك أيام الألف والثـلاثمائة والخمـسة والثلاثين» [٣] .

(١) في الأصحاح الثـالث والعشرين من سفر حزقـيال . يتحدث عن قلة حيـاء اليهود من الله ويبين أن الله سينزع منهم الملك بعد عقاب أليم. ومؤلف الكتاب اختصر المعنى الذي سمعه مشافهة وأتى بكلمات تدل على موضـع النص من السفـر. فقال: على خـيل. أي «كلهم راكبـون الخيل» وقـال : «في جمـاعات الشعـوب» أي «وبجماعـة شعوب يقـيمون عليك التّـرس والمجنّ والخوذة من حولك» وهذا مـعنى قوله «مـتسلحين» وقـال المؤلف : «وتكون عـاقبـتكم إلى النار» وفي النص: « وتؤكل بقـيتك بالنار» وقـال: «ويذلونكم بالحق» وفي النـص: « فـيحكمون عليك بـأحكامهم» وقـال «مظهـرهم عليكم» وفي النص: «وأسلّم لهم الحكم فيحكمـون عليك بأحكامهم» وقال: «فيقهـرونكم ويذلونكم» وفي النص: «يقطعون انفك وأذنيك وبقيتك تسقط بالسيف. يأخذون بنيك وبناتك».

وليس في هذا الموضع من النص قيدار كما ذكر المؤلف. وإنما هو في موضع آخر من السفر.

وهذا هو النص: «. . . كلهم رؤساء مـركبات وشُـهراء. كلهم راكبـون الخيل. فـيأتون عليك بأسلحة. مركـبات وعجلات. وبجـماعة شـعوب يقـيمون عليك الترس والمجنّ والخـوذة من حولك. وأسلم لهم الحكم؛ فـيحكمـون عليك بأحكامهم، وأجـعل غيـرتي عليك؛ فـيعـاملونك بالسخط. يقطعـون أنفك وأذنيك، وبقيتك تسقط بالسيف. يأخذون بنيك وبناتك وتؤكل بقيتك بالنار».

(٢) فى الأصل دانيال. والنص الذى سيذكره المؤلف سبق له ذكره فى البشرى الرابعة والخمسين.

(٣) النص فى الأصحاح الثانى عشر من سفـر دانيال. والغرض منه: هو أن الله تعالى فى القرآن الكريم قضى على بنى إسرائيل بأن يفسدوا فى أرض فلسطين مـرتين. والنص على المرة الأولى فى الأصحاح الثامن من سفـر دانيال. وتتم بعد ألفـين وثلاثمائة سنة. ولما كان الإسكندر الأكـبر قد دخـل فلسطين فاتحا. والسـفر مكتوب فى سنة دخوله وقد كان فى سنة ثلثمائة وثلاثة وثلاثين. فإنك لو طرحت ٣٣٣ من ٢٣٠٠ يتبقى ١٩٦٧ وهى السنة التى تمت فيها المرة الأولى. ثم إن المسلمين يهزمون اليهـود وبعد هزيمتهم يتجمع اليهود للمرة الآخرة فى فلسطين ويهـزمون المسلمين. ومن بعد الهزيمة ينتصـر المسلمون عليهم. والنص على المرة الآخرة مـذكور فى الأصحاح الـثانى عشر من سـفر دانيال. وبعـده: «طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف=

وقد اعتـبر العلماء العارفون بأيام الناس وتواريخـهم؛ فلم يجدوا ذلك ينزل على واقعة بعد أيام دانيال سـوى عدد من كان من المسلمين مع رسول الله ﷺ فى عام الحديبية. وهى مقدمات الفتح.

البشرى السابعة والستون:

قال دانيال [١] النبى عليه السلام حين سأله بختنصر عن تأويل رؤيا رآها. ثم نَسِيها: «رأيتَ أيهـا الملك صنما عظيما قائما بين يـديك. رأسه من ذهب، وساعداه من الفضة، وبطنه وفـخذاه من النحاس، وساقاه من حـديد، ورجلاه من خزف، ورأيت حجرا لم يقطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتا، ثم نسفتـه الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر؛ فصار جبلا عـظيما حتى ملأ الأرض كلها.

هذا ما رأيت أيها الملك.

فقال بختنصر: صدقت فما تأويلها؟

قال دانيـال: أنت الرأس الذى رأيته من الذهب، ويقـوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة. وهم دونك. ويقوم بعدهما مملكة أخري. وهى دونهما. وهى التى تُشبه النحـاس، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحـديد الذى يدق كل شيء. فأما الرِّجلان التى رأيت من خزف: فمملكة ضـعيفة وكلمتها متشتـتة. وأما الحجر الذى رأيت قد صَكَّ ذلك الصنم العظيم ففـتته: فهو نبى يقيمـه الله إلَه السماء والأرض من قبيلة شـريفة قوية، فيدق جمـيع ملوك الأرض وأممها حتى تمتليء منه الأرض ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا.

فهذا تعبير رؤياك أيها الملك» .

فقـد أخبـر دانيال عن الله تعالى: أن نبـينا هو خاتم الأنبـياء ودولتـه خاتمة الدول، وصدّق بنبوءته هذه على جميع النبوءات الواردة فى رسول الله ﷺ .

البشرى الثامنة والستون:

قـال دانيـال النبى أيضـا : «رأيتُ فى نومي: كـأن الرياح الأربع قـد هاجت

=والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوما» أى سنة.

والعلم عند الله. والواقع هو الذى سيظهر الحساب الصحيح.

(١) النص فى الأصحاح الثانى من سفر دانيال.

ويموج بها البحر، واعتلج اعتلاجا شديدا، ثم صعد منه أربعة حيوانات عظام مختلفة الصور. الأول: مثل الأسد وله أجنحة نسر. والحيوان الثاني: مثل الدبّ وفي فمه ثلاثة أضلاع. وسمعت قائلاً يقول له: قم فكل من اللحم واستكثر منه. والحيوان الثالث: مثل النمر وفي جبينه أربع أجنحة وله أربعة رءوس وقد أعطى قوة. والحيوان الرابع: عظيم قوي جداً. وله أسنان من حديد عظام؛ فهو يأكل ويدق برجليه ما بقي. ورأيته مخالفا لتلك الحيوانات، وكانت له عشرة قرون فلم يلبث أن نجم له قرن صغير من بين تلك القرون، ثم صار لذلك القرن عيون ثم عظم القرن الصغير جدا أكثر من سائر القرون. فسمعته يتكلم كلاماً عجيباً وكان ينازع القديسين ويقاومهم».

قال دانيال: «فقال لي الرب: تأويل الحيوان الرابع: مملكة رابعة تكون في آخر الممالك وهي أفضلها وأجلّها تستولي على جميع الممالك وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً».

وقال دانيال: «وكنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء. مثل ابن البشر؛ أتى وجاء إلى الله؛ فقدموه إليه. وأعطاه سلطاناً ومجدا وملكا؛ لتتعبد له كل الأمم. وسلطانه دائم إلى نهاية الزمان».

وقال دانيال عن ابن البشر: «والمملكة تعطى لشعب رجال الله. وملكه ملك دائم وجميع الملوك تطيعه».

فقد شهد دانيال النبي عليه السلام وأخبر عن الله: أن أمتنا أمة ابن البشر هي الدائمة إلى الأبد، وأن ملّتنا هي التي لا يقاومها أحد وهي التي ستبقى بإذن الله إلى الأبد. ووعدُه الحق، وخبره الصدق. فهل بقي بيان أبين من بيان الله تعالى على ألسن أنبيائه الأطهار؟

وقد قال من فسّر كتب أهل الكتاب: إن الحيوان الأول: هو دولة أهل بابل. والحيوان الثاني: هو دولة أهل فارس. والحيوان الثالث: هو دولة اليونان. والحيوان الرابع: هو دولة رومية. وابن البشر: هو نبي صادق وفي ذلك تصديق قول الله في التوراة لإبراهيم عليه السلام: «إني أبارك إسماعيل ولدك وأعظمه جدا جدا».

ومن تولّى الله تعالى تعظيمه وتفخيمه وبركته، كيف لا يكون كذلك؟

البشرى التاسعة والستون:

قال دانيال [١]: «سألتُ الله وتضرعتُ إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم مُلكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك فى غيرهم؟

قال دانيال عليه السلام: فظهر لى المَلَك فى صورة شاب حسن الوجه. فقال: السلام عليك يا دانيال. إن الله يقول: إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا علىَّ وعبدوا من دونى آلهة أخرى، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب؛ فسلطتُ عليهم بختنصر. فقتل رجالهم وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرق كتبهم. وكذلك فعل من بعده بهم. وأنا غير راض عنهم ولا مُقيلهم عثرتهم؛ فلا يزالون فى سُخطى حتى أبعث مسيحى وهو نبى بنى إسماعيل الذى بشرتُ به هاجر وأرسلتُ إليها ملاكى فبشرتها؛ فأُوحى إلى ذلك النبى وأعلّمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصّه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، أُسرى به إلىّ، وأُرقيه من سماءإلى سماء حتى يعلو فأُدنيه وأُسلّم عليه، وأُوحى إليه. ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة، حافظا لما استودَع، صادعا بما أمر، يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظّ ولا غليظ، ولاصخّاب فى الأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه. فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي».

قال المؤلف ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفا حرفا مما أملاه عليه المَلَك حتى وصل إلى آخر أيام أمة بنى إسرائيل، وهلاكهم على يديه.

ونبوته كبيرة. وهى الآن فى أيدى النصارى واليهود يقرءونها ، وفيها ما وصفنا من إشادة الله بذكر هذه الأمة، وذكر نبيها، وأنها باقية إلى يوم القيامة. ولكن الحسد وفساد المَرْبي؛ صار قتّارا عن السعادة. والله الموفق.

---

(١) المؤلف ذكر النص بالمعنى وهو فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال.

البشرى السبعون:

قال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي؛ هو يعلّمكم كل شيء».

والفارقليط هو محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد «المسيح» وهو الذي علّم الناس كل شيء. قال يهودي لرجل من الصحابة: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. فقال: أجل. لقد نهى أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط[1]. وقد سماه المسيح «روح الحق» وذلك غاية المِدْحة وأعلى درجات المنحة.

واعلم: أن النصارى اختلفوا في تفسير لفظة «الفارقليط» على أقوال: فقيل: إنه الحماد، وقيل الحامد، وقيل المُعزِّي وأكثر النصارى على أنه المخلِّص.

فإن فرّعنا عليه. فلا خفاء بكون محمد رسول الله ﷺ مخلّصا للناس من الكفر والمعاصي والجهل، ومنقذهم من دركات الهلاك بإرشادهم إلى توحيد الله وعبادته. قال عليه السلام: «إني آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون في النار» [2] وبذلك سمّى المسيح نفسه في الإنجيل إذا قال فيه: «إني لم آت لأدين العالم بل لأخلّص العالم» [3] والنصارى يقرءون في صلاتهم: «يا والدة الإله لقد ولدت لنا مخلصا» وإذا كان المسيح مخلصا ولابد من مخلّص آخر لأمته.

فأما على بقية الأقوال: فليس لفظ أقرب إلى محمد من الحامد والحماد.

فقد وضح أن «الفارقليط» هو محمد عليه السلام.

البشرى الحادية والسبعون:

قال يوحنا التلميذ أيضا لتلاميذه: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا [4] آخر يثبتُ معكم إلى الأبد، روح الحق

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) يوحنا ١٢ : ٤٧ .

(٤) كلمة «بيركليتوس» كلمة يونانية هي «أحمد» في اللغة العربية. Periqlytos والنصارى يعترفون بذلك، =

الذى لم يُطق العالم أن يقبلوه؛ لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاما لأنى سآتيكم عن قريب».

قد نقلنا تفسيرهم لـ «الفارقليط وأنه على صحيح أقوالهم «المخلص» وقد ذكر المسيح أنه لابد من «فارقليط»آخر يثبت إلى الأبد. وثبوت النبى إلى الأبد ممتنع، فلم يبق إلا حمل الكلام على الشريعة التى جاء بها النبي. وهذه شريعة نبينا ﷺ باقية على أسّ قويم، ومنهج من الحق مستقيم، لا تنقض بوفاته ولا تنقرض، ولا يتخلل الخلل خلالها ولا يعترض. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾وقوله ﷺ: «لا نبى بعدي» فالنصارى فى ذلك بين أمرين: وهو إما أن يقولوا: إنه محمد رسول الله. وإما أن يقولوا: إن المسيح أخلف قوله ولم يفِ بوعده وتركهم أيتاماً بغير نبى يتكفل بأمورهم ولم يأتهم عن قريب كما وعد. بل إنما أراد هذا النبى المخلص هو الذى يأتيهم عن قريب.

ولم أر أحداً من النصارى يحسن تحقيق مجيء هذا «الفارقليط» الموعود به، إذ بعضهم يزعم أنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ. ففعلوا الآيات والعجائب. وذلك خلاف ما أخبر به المسيح، إذ المسيح ذكر «فارقليطا» آخر وذلك يشير إلى أول تقدّم لهم. وهذه الألسن لم يتقدم مجيئها ولم تُعرف أولا، ثم ذلك كذب من قائله. إذ سِيَر التلاميذ تشهد بأنهم بعد المسيح امتهنوا وقُتّلوا تقتيلا، وعذبوا بأنواع العذاب. وذلك تكذيب لمن زعم أنه نزل عليهم من السماء ألسن من نار تؤيدهم على أعدائهم. ثم المسيح يقول: إن هذا «الفارقليط» الآخر يأتى بعده ويدوم مع الناس إلى الأبد ويعلّم الخلائق كل شيء وأنه قد سمى روح الحق. فكيف تقول النصارى: إنه هو هذا الذى يزعمون أنه ألسنة من نار نزلت ثم

= ويعترفون أن الكلمة العبرانية الأصلية يمكن. أن تنطق بيراكليت أو باركليت. لأن حروف العلة لم تكن موجودة قبل القرن الخامس. وباراكليت صفة. وباركليت. نصّ فى الاسم. والنصوص التى ذكرها المؤلف عن اسم أحمد موجودة كلها فى إنجيل يوحنا من الأصحاح الرابع عشر فما بعده.

وقد لغا النصارى فى حقيقة البيراكليت لغوين؛ اللغو الأول: أنهم نطقوا الكلمة بفتح الباء. والصحيح: أنها بالكسر. واللغو الآخر: أنهم قالوا: إن الباراكليت هو روح الله عز وجل وجعلوه أقنوما إلهيا ثالثا. وكتبوا أنه نزل من السماء فى عيد الحصاد ـ عيد الخمسين ـ وبلبل ألسنة التلاميذ، وارتفع عنهم إلى السماء [أعمال الرسل ٢: ١ ـ ٤] والنصوص لا تساعدهم على هذا اللغو.

انقضت ومضت ولم تدم إلى الأبد ولم تعلم أحداً شيئاً؟هل هذا إلا جهل من قائله، وحملٌ لكلام الأنبياءوالرسل على الخلف والكذب؟

فقد وضح أن هذا الموعود به على لسان المسيح إنما هو محمد رسول الله ﷺ وقد وصفه المسيح بأنه لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه. يريد: أنه يأتي في زمنٍ الغالب على أهله عبادة الأوثان، وتعظيم الصلبان، وسجر النيران. قد نبتت على ذلك أجسادهم، وثبتت عليه آباؤهم وأجدادهم. فما راعهم إلا رسول قد جاءهم من التوحيد بما لم يعرفوه، وهاجم جمعهم بفطم ما ألفوه. فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾؟فلذلك لم يقبلوه. والنبي على الحقيقة لا يعرفه إلا من فاض عليه من فيضه، وارتاض في فسيح روضه.

البشرى الثانية والسبعون:

قال يوحنا: «قال المسيح: من يحبني يحفظ كلمتي، وأبي يحبه وإليه نأتي، وعنده نتخذ المنزل، كلمتكم بهذا؛ لأني عندكم مقيم، والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم. أستودعكم سلامي. لا تقلق قلوبكم ولا تجزع؛ فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبونني كنتم تفرحون بمضيي إلى الأب، فإن أنتم ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم؛ كان لكم كل ما تريدون. وبهذا يمجّد أبي».

فقد شهد المسيح عليه السلام بأن محمدا هو «روح القدس» كما شهد أولاً بأنه روح الله، وأن الله أرسله، وأنه يعلّم الناس كل ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم. وأخبر تلاميذه أنهم إن ثبتوا على وصيته في تعظيم أمر هذا المخلّص الثاني والتزام أوامره واجتناب نواهيه والحث على اتباعه؛ كان لهم ما أرادوا. نظير ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

قال المؤلف: إنه لما قربت مدة المسيح وانتهاء مقامه في الأرض، ودنا رفعه

منها؛ حمَّل أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم. وكذلك فعل سائر الأنبياء والرسل ـ كما نقلنا عنهم.

ولهم في ذلك مقاصد:

أحدها: أن يقوموا لله تعالى بما وجب من حقه في تعظيم من عظَّم من أهل صفوته، فقد قال الله تعالى في التوراة لإبراهيم: «إني سأعظمه جداً جداً» [1] قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ .

والثاني: أن يحصلوا لأممهم على أجرين، أجر الإيمان بنبي حاضر، ونبي كريم مرتقب ودليله قوله ﷺ: «ثلاث يؤتون أجرهم مرتين» وذكر منهم: «رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدركه وآمن به» [2] .

والثالث: دفع الشكوك عن ضعفاء أتباع هذا النبي. فإنه إذا اتصل بهم أن الأنبياء من المتقدمين قد تنبؤوا عليه وذكروه باسمه ووصفوا بلده وأرضه وقومه وميزته؛ زالت عنهم عوارض الشكوك فثبتوا فيهم. لذلك قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ وعزّ من قائل: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال سبحانه ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ .

البشرى الثالثة والسبعون:

قال المسيح وتنبأ بذلك على شهادة الرسول له بالنبوة والرسالة، وتكذيب

---

(١) في التوراة عن إسماعيل عليه السلام: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها انا أباركه واثمره واكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا؛ يلد. وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧ : ٢٠] قوله «كثيراً جدا» في العبرانية «بماد ماد» وقوله «أمة كبيرة» في العبرانية «لجوى جدول» وقد حذف المحرف اسم محمد، ووضع بدله في سياق بركة إسماعيل ما يدل على اسمه بحساب الجمل هكذا:
ب=٢ / م=٤٠ / أ=١ / د=٤ / م=٤٠ / أ=١ / د=٤ المجموع ٩٢ .
أيضا: ل=٣٠ / ج=٣ / و=٦ / ي=١٠ / ج=٣ / د=٤ / و=٦ / ل=٣٠ المجموع ٩٢ ومحمد =٩٢ هكذا: م=٤٠ / ح=٨ / م=٤٠ / د=٤ المجموع = ٩٢ .

(٢) رواه البخاري.

اليهود فيما رموه به من الكذب والزور، ونسبوه إلى أمه الطاهرة من الفجور. قال فيما حكاه يوحنا عنه: «إذا جاء الفارقليط الذى أبى أرسله، روح الحق الذى من أبى هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكّوا فيه».

تدبروا - أتمّ الله علينا وعليكم نعمة الإسلام ووفقنا وإياكم لشكر متابعته عليه السلام - ما اشتملت عليه فصول «الفارقليط» من الإفصاح بشأن رسول الله ﷺ.

واعلموا: أن رسول الله ﷺ قد شهد للمسيح فى غير موضع من الكتاب العزيز بالنبوة والرسالة، وصدقه فيما جاء به من عند الله. كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وقد أكذب اليهود فى فريتهم على المسيح وعلى أمه إذ نسبوه إلى بنوة الزنا. وقالوا: إن به شيطانا يتخبطه ويغويه، وزعموا: أن «بَعْلَ زَبُول» رئيس الشياطين[1]. هو الذى يُعينه على الآيات والعجائب. كما شهد بذلك الإنجيل. فلهذا استشهد المسيح بمحمد رسول الله ﷺ فقال: «روح الحق الذى أبى أرسله هو يشهد لي» وقول المسيح هذا يُشعر بتقدم رسالة محمد رسول الله ﷺ لأن المسيح عليه السلام ذكر ذلك بلفظ الماضى فقال: «الله أرسله» ولم يقل: إنه يرسله. ويؤيد ذلك: قول محمد رسول الله ﷺ وقد سُئل: متى وجبت لك النبوة؟ فقال عليه السلام: «كنت نبيا وإن آدم لمجندل فى طينته» [2]، وقول المسيح للتلاميذ: «ذكرتُ لكم هذا قبل أن يكون حتى إذا كان؛ لا تشكُّوا» تحريض لهم على متابعته، والمسارعة إلى مبايعته. والكلامُ وإن كان مع من كان حاضرا من التلاميذ. والمطلوب منه ما قدمناه من المقاصد الثلاثة.

وقد روى: أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أدرك بعض الحواريين وهو سلمان الفارسي. وبوصية ذلك الحوارى أسلم سلمان [3]. ولا جرم أن طائفة من

---

(١) متى ١٢: ٢٢ + .

(٢) راجع إنجيل برنابا فى معنى هذا الحديث وراجع كتابنا البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل - فصل المسيا المنتظر.

(٣) مسند ابن حنبل.

النصارى عند مبعثه ابتدرت إلى الإيمان كنصارى نَجران، و هلم جرا الداخلون فى دين محمد ﷺ من النصارى واليهود أكثر من الخارجين منه، فما يحصى من أسلم منهم من علمائهم، وصنفوا الكتب فى معائب ما كانوا عليه ومحاسن ما صاروا إليه. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. وحقَّ القول على آخرين فلم يستنيروا بنور الهدى، وصدف بهم عن وصايا المسيح ما حق عليهم من الارتكاس فى مهاوى الردى. فهم المرادون بقول الكتاب العزيز: ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى النَّارِ**﴾؟ ويقول إشعياء النبى عليه السلام: «عرف الثور والحمار ربَّه، وجهل ذلك بنو إسرائيل»[1] ولقد بكَّتهم بطرس صاحب المسيح فى الفصل الثالث من رسالته الثانية فقال: «لقد كان خيرا لهم ألا يعرفوا طريق الحق من أن يعرفوه، ثم ينصرفوا إلى خلافه ولنوكهم الظاهرة أنالتهم الأمثال الصادقة القائلة: إنهم كالكلب العائد فى قيئه، والخنزير الذى اغتسل ثم تمرغ فى الحمأة»[2].

البشرى الرابعة والسبعون:

قال المسيح فيما رواه يوحنا أيضا: «إن خيراً لكم أن أنطلق؛ لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلتهُ إليكم، فإذا جاء فهو يُوبّخ العالمَ على الخطيئة، وإن لى كلاما كثيراً أُريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق. ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب».

قال المؤلف: فى هذا الفصل عدة معانى فليتدبرها اللبيب:

منها: أن المسيح عليه السلام اعترف بأن هذا «الفارقليط» الآتى أفضل منه. إذ قال: «إن الخيرة لهم فى انطلاقه ومجيء الفارقليط الآخر».

ومنها: قوله« فإذا انطلقت أرسلته» وهذا صحيح المعنى من حيث أن مجيء المصطفى موقوف على ذهاب المسيح.

ومنها: أنه أخبر: «أن هذا الآتى هو الذى يوبخ العالم على الخطيئة» وقد فعل

---

(١) إشعياء ١:٣.

(٢) بطرس الثانية ٢:٢١ ـ ٢٢.

ذلك رسول الله ووبخ العالم على خطاياهم. المجوس على عبادة النار، ووبخ اليهود على عبادة عُزير والعجل، ووبخ النصارى على عبادة الثالوث، ووبخ الصابئة على عبادة الكواكب، ووبخ العرب والهنود على عبادة الأصنام والأنداد[1]. فكان أمره في ذلك مصححا لما نطق به المسيح من أنه إذا جاء عليه السلام وبّخ الأُمم على الخطيئة.

ومنها: أن المسيح أخبر أن هذا «الفارقليط الآخر الآتى هو الذى يخبرنا بكل ما يأتي، ويعرفنا كل شيء للأب» وهذا حال محمد رسول الله ﷺ فإن أبوا ذلك فليخبرونا من هو الذى جاء مخلّصا «فارقليط» آخر بعد المسيح. فوبخ العالم على الخطيئة، وأرشد الخلق إلى عبادة الله وطاعته، وحذّرهم من عصيانه ووبال مخالفته، وعرفهم مالله تعالى عليهم من الحقوق فى أنفسهم وأموالهم، ودامت شريعته واستمرت مع الناس إلى الأبد؟

وقد قال المسيح فى الفصل الأول: إن هذا الرجل الآتى بعده يعلّم الناس كل شيء وإنه يدوم معهم إلى الأبد. فليوجدوا ذلك، وإلاّ فليكذبوا قول المسيح هذا، ويردوا صحته. فقد دار أمرهم فيه بين الإسلام أو تكذيب المسيح فى خبره. فإن رجعوا القهقرى وزعموا أنها الألسن النارية التى يزعمون أنها نزلت من السماء على التلاميذ وانقضت ومضت. قلنا: الويل لكم. ألم يقل المسيح: «إن هذا الفارقليط شيء واحد»؟ فكيف يقولون: إنها عدة وجماعة نزلت؟ وقال: «إنه يدوم إلى الأبد» عندكم. فكيف تزعمون أنه أقام أياما قلائل ثم ذهب؟ لقد كاد الله هذه العقول، وحاد بها عن سواء السبيل.

وفى هذا الفصل من كلام المسيح دلالة على أن كل ما ينطق به محمد ﷺ من آية مبرورة، وسنة مأثورة. وموعظة وأدب، ونهى وطلب؛ فهو متلقى بالقبول، إذ يقول: «إنه لا يتكلم من عنده بل بما يسمع» نظيره: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ .

---

(١) سبق أن بينا أن العرب لم يكونوا كافرين. والذين كفروا هم اليهود وهم الذين وأدوا البنات كما هو مبين فى المزمور المائة وستة.

البشرى الخامسة والسبعون:

قال المسيح فيما حكاه يوحنا التلميذ عنه: «قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح: يا سيد آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم؟ فقال المسيح: يا هذه آمنى فإنه ستأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للأب».

قال المؤلف: وهذا القول من المسيح تنويه بأمر الكعبة، فإن التوجه إليها على يد محمد ﷺ نَسَخ ما عداها. وصار السجود لله تعالى. لا فى أورشليم ولا فى غيرها، بل إلى جهة الكعبة لا غير.

البشرى السادسة والسبعون:

قال المسيح لمن حضره: [1]« الحق أقول لكم: إنه سيأتى قوم من المشرق والمغرب فيتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، وتخرج بنو الملكوت إلى الظلمة

(١) النص فى متى ٨ ولاحظ: «بنو الملكوت» ومعناها: أن كل من يعبد الله فإنه يكون فى ملك لله. أى ملكوته. وأن كل من يعبد الشيطان فإنه يكون فى ملك الله. أى ملكوته. والداعون إلى ملك الله هم بنو إسرائيل بشريعة موسي. ثم إنهم استكبروا وعتوا عتوا كبيرا، وقالوا ليس علينا فى الأميين سبيل، وامتنعوا عن الدعوة. فمن يدعو من بعدهم غيرهم؟ يقول المسيح: بنو إسماعيل بشريعة محمد ﷺ. وسينضم إليهم جميع الأمم؛ فيكونون مملكة لله. وفى أيام المسيح كان اليهود لا يؤمنون ولا يدعون. إلا قليلا. وقد بين لهم أن الأمم إذا دعوا إلى الله فإنهم يعبدون الله أكثر منهم. يقول متى: «ولما دخل يسوع كفر ناحوم، جاء إليه قائد مائة، يطلب إليه ويقول يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجًا متعذبًا جدا. فقال له يسوع: أنا آتى وأشفيه. فأجاب قائد المائة وقال: يا سيد. لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي؛ لأنى أنا أيضا إنسان تحت سلطان. لى جند تحت يدي. أقول لهذا: اذهب، فيذهب، ولآخر: ايت فيأتي، ولعبدي: افعل. فيفعل. فلما سمع يسوع تعجب. وقال للذين يتبعونه: الحق أقول لكم: لم أجد ولا فى إسرائيل إيمانا بمقدار هذا. وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المائة: اذهب، وكما آمنت؛ ليكن لك فبرأ غلامه فى تلك الساعة».

{متى ٨: ١ - ١٣}.

لاحظ: تواضع قائد المئة. وهو من الأمم وليس من اليهود. ولاحظ: أن الأمم سيدخلون فى الملكوت الجديد، ولن يدخل اليهود. وكل الداخلين فيه هم شبه الأنبياء الذين آمنوا بالله فى الدنيا. شبههم فى الإيمان. وإذا ماتوا فإنهم من بعد الموت سيكونون كلهم فى مملكة واحدة عند الله، كما كانوا فى مملكة واحدة فى الحياة الدنيا.

البرّانية خارجا، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان».

قال المؤلف: وذلك القول من المسيح تنويه بأمة محمد إذ ليسوا من الذين خاطبهم المسيح بهذا الكلام. فهم الذين يكونون فى رفقة إبراهيم وإسحق ويعقوب. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

البشرى السابعة والسبعون:

قال متى التلميذ: «سأل التلاميذ المسيح فقالوا: يا معلم لماذا تقول الكتبة إن إيلياء يأتي؟ فقال عليه السلام، إن إيلياء يأتى ويعلمكم كل شيء: وأقول لكم إن إيلياء قد جاء فلم يعرفوه، بل فعلوا به كالذى أرادوا» (١) .

وقد فسروا إيلياء بأنه نبي، وقد ذكر: «أن إيلياء قد أتى ولم يعرفوا قدره» فلابد من الوفاء بقول المسيح أن إيلياء يأتى ويعلّم الناس كل شيء. ولم يأتِ بعد المسيح من علّم الناس كل شيء من أمر الدنيا والآخرة، سوى محمد رسول الله ﷺ .

البشرى الثامنة والسبعون:

قال يوحنا الحواري: «قال المسيح إن أُركون العالم سيأتى وليس له فيّ شيء» (٢)

قال المؤلف: «الأركون» بلغتهم: العظيم القدر، و«الأركنة» هم العظماء. وقد قال إشعياء فى وصف محمد رسول الله ﷺ : «أركون السلام» (٣) يعنى عظيم الخير والبِرّ. ومعنى: إن أركون العالم سيأتي، وليس له فيّ شيء: يشير إلى «الشيطان» بمعنى: أننى بلغت للناس اسم محمد وأوصافه. فإذا جاء الشيطان فى وقت بعثته ليصرفهم عن الإيمان به؛ فإنه لا يكون عليّ لوم فى أننى قصرت فى البلاغ.

---

(١) متى ١٧ : ١٠ + ومتى ١١ : ١ + .

(٢) هذا فى نبوءة بيراكليت والمراد بأركون العالم: الشيطان.

(٣) إشعياء ٩ : ٦

وقول المسيح عليه السلام: «إن أركون العالم؛ يدان»[1] يعنى به: أن الشيطان سيحاسب أشد المحاسبة، إذا صرف الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ.

البشرى التاسعة والسبعون:

قال يحيى بن زكريا - عليهما السلام - لأصحابه: «إن الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى وأنا لا أستحق أحل معقد خفّه».

وما ذلك إلا محمد عليه السلام. ولا يليق أن يكون المسيح أصلا؛ لأن المسيح جاء مع يحيى لا بعده. فيحيى أكبر منه بستة أشهر لا غير، كما نطق به الإنجيل.

البشرى الثمانون:

قال متى التلميذ: [2]«قال المسيح: ألم تقرءوا أن الحجر الذى أرذله البناءون

---

(١) فى الأصل: يعنى عظيم الخير والبر. وقال المسيح عليه السلام: «إن أركون العالم؛ يُدان» يشير إلى السلطان الظالم. والإدانة: هى شدة المحاسبة. فقول المسيح: إن أركون العالم سيأتى وليس لى شيء. يريد أن الفارقليط الذى قدمنا ذكره يأتى ويستولى على سائر الملك، وينسخ كل شرع، فلا يبقى مع شرعه شرع معتبر ولا حكم مقرر.

(٢) فى الأصحاح السابع من سفر دانيال:
أن أربع ممالك تقوم على أرض فلسطين، هى بابل وفارس واليونان والرومان. ثم يظهر نبي؛ فيطرد الرومان. ويؤسس لله تعالى ملكا قائما على شريعة من الله. وقد عبر دانيال عن هذا النبى بلقب «ابن الإنسان» لأنه رأى ما رأى فى حلم ليل. وكان اليهود ينتظرون هذا النبي، الملقب بابن الإنسان. ويطلقون على مملكته «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات» وفى أيام المسيح عيسى عليه السلام ابتدأ دعوته فى بنى إسرائيل باقتراب «ملكوت الله» ففى إنجيل مرقس: «وبعدما أُسلم يوحنا؛ جاء يسوع إلى الجليل يكْرز ببشارة ملكوت الله. ويقول: «قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل» [مر ١: ١٤ - ١٥] وفى إنجيل متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدانى يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السمّوات» [متى٣: ١].

«من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز، ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧]
وقد ضرب المسيح مثلا للأمة الإسلامية فقال: «بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة خردل، متى زُرعت فى الأرض؛ فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض. ولكن متى زُرعت؛ تطلعُ وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصانا كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» [مر ٤: ٣٠ - ٣٢].
مثل الكرامين الأردياء:
ثم ضرب المسيح مثلا لانتقال الملكوت من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل. فقال: «كان إنسان رب بيت=

صار رأسا للزاوية؟من عند الله كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا. ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرته. ومن سقط على هذا الحجر؛ يتشدّخ، وكل من سقط عليه؛ يمحقه».

فليت شعرى من هى هذه الأمة التى دُفع لها ملكوت الله فأكلت ثمرته بعد المسيح غير أمة محمد؟ومن هو الذى كل من غزاه؛انشدخ، وكل من تولّى هو غزوه وقتاله؛ محقه. سوى محمد ﷺ وأمته؟

فإن زعم النصارى أنه عنى بالحجر نفسه.

قلنا لهم: ما هكذا أخبرتمونا عنه بل الذى حكيتم لنا: أن شرذمة من اليهود وقعوا عليه فمحقوه وقتلوه وصلبوه، وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم ولا نُقل إلينا إلا عنكم. وإذا قلتم: إن أراذل اليهود ظهروا عليه وشدخوه؛ بطل قولكم أن

=غرس كرما، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجا، وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن. قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب: «الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا».
لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضّض، ومن سقط هو عليه؛ يسحقه»[متى٢١: ٣٣ ـ ٤٤].
لاحظ:

١ ـ انتقال الملكوت من اليهود إلى أمة أخرى.
٢ ـ والأمة الأخرى مرموز لها بالحجر المرفوض من البناءين؛وهذا كناية عن أن النبى الآتى سيكون من نسل هاجر، المحتقر فى أعين اليهود.
٣ ـ وأن داود قد تنبأ عن هذا النبى الآتى من النسل المحتقر فى المزمور المائة والثامن عشر.

ومثل الأمة الإسلامية فى التوراة هو:
«هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة. تسبيحته فى جماعة الأتقياء؛ ليفرح إسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم. ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود. ليرغوا له؛ لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرغوا على مضاجعهم. تنويهات الله فى أفواههم، وسيف ذو حدّين فى يدهم. ليصنعوا نقمة فى الأمم، وتأديبات فى الشعوب. لأسر ملوكهم بقيو، وشرفائهم بكبول من حديد؛ ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا».

المسيح عنى بالمثل نفسه، فإن أبيتم إلا أن يكون المسيح هو رأس الزاوية؛ فقد أكذبتم نفوسكم فى القتل والصلب والإهانة؛ لأن الرأس من الناس والرئيس منهم هو الذى يرتفع ويجلّ عن امتداد يد الهوان إليه. فإن تبتّم على دعوى القتل والصلب والإهانة؛ تعيّن صرف المثل المذكور إلى من جاء بعد المسيح.

ولم يأت بعده من صيرهّ الله رأسا للعالم وأوتيت أمته ثمرة الملكوت فأكلتها سوى محمد وأمته. وقد أخبر المسيح عليه السلام بأن اليهود والنصارى يُسلبون الملك والرئاسة. ويصير ذلك إلى المسلمين. إذ يقول: «إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرته».

والمسيح عليه السلام صادق فى قوله، محق فى خبره. ولم يأت بعد أمة المسيح من صار إليها الملك والرئاسة والشريعة القائمة والكلمة القاهرة؛ سوى هذه الأمة العربية التى تنبأ بها الأنبياء قبل المسيح ـ كما قدمنا.

فهذا ما بقى فى الإنجيل من البشرى برسول الله مما حماه الله عن أيدى الأعادي.

البشرى الحادية والثمانون:

قال يوحنا التلميذ فى كتاب رسائل التلاميذ المسمى فراكسيس: «يا أحبائى إياكم أن تؤمنوا بكل روح، مَيّزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها، واعلموا: أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيا؛ فهى من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيا؛ فليست من عند الله. بل من المسيح الكذاب الذى سمعتم به. وهو الآن فى العالم» (١) .

فقد شهد الحوارى بأن محمداً من عند الله؛ لأن محمداً قد آمن أن المسيح قد جاء وكان جسدانيا. فأما اليهود فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذاك الزمان. واليهود إلى الآن فى انتظار مسيح آخر. ولا مسيح يأتى سوى المسيح الدجال الكذاب الذى حذرت منه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فهذا الحوارى يوحنا قد

---

(١) يوحنا الأولى ٤: ١ ـ ٣ .

شهد بصدق محمد وأمته، وأن اعتقادهم فى المسيح هو الاعتقاد الحق. وقد أكذب النصارى بقوله هذا فى دعوى ربوبية المسيح، إذ فرق فى قوله بين الله وبين المسيح، وشهد أن الله غيره وأنه غير الله.

البشرى الثانية والثمانون:

قال شمعون الصفَّا - رئيس الحواريين - فى كتاب فراكسيس: «إنه قد حان أن يبتدأ الحكم من بيت الله ابتداء» (١) .

فبيت الله الذى ذكره الحوارى هو الكعبة - شرفها الله - ومنها: كان ابتداء الحكم الجديد، ولا يحسنُ تنزيل هذا الكلام على بيت المقدس لأن حكم ذاك كان مستمرا عند صدور هذ الكلام من شمعون، ولا يليق إلا بشرع جديد مبتدأ. ولا يقال فيما كان مستمراً أنه حان أن يبتدأ.

البشرى الثالثة والثمانون:

قال فُولُس - الذى يسمونه فولس الرسول - فى رسالة من رسائله. وهى الرابعة إلى بعض إخوانه: «إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أَمَة والآخر من حرة. فأما ابن الأمة فكان مولده كمولد سائر البشر، وأما ابن الحرة فإنه ولد بالعَدَة من الله. وهما شبيهان بالناموسين والغرضين، أما هاجر فشبيهة بجبل سيناء الذى فى بلاد أرابيا الذى هو نظير أورشليم هذه. وأما سارة فهى نظير أورشليم التى فى السماء» (٢) .

فقد أفاد قول فُولُس هذا أمورا:

منها: أن إسماعيل وأمه هاجر قد كانا أُوطنا أرض العرب - أرابيا - لأن عُجمة فولس تسمى العرب «الأرب» فنقل العين همزة.

ومنها: أن جبل سيناء متصل بوادى العرب التى هى «أرابيا» وهو الذى قالت عنه التوراة: «جاء الله من سيناء».

ومنها: أن بيت مكة نظير بيت المقدس، بشهادة فولس.

(١) بطرس الأولى ٤: ١٧ .

(٢) غلاطية ٤: ٢٢ - ٢٦ .

ومنها: أن كلا الولدين صاحب ناموس وشريعة وأحكام وفرائض. قد تعصب فولس هذا على إسماعيل وأمه فى موضعين من هذا الكلام. وهما قوله: إن إسماعيل مولده كمولد سائر البشر وتشبيهه هاجر بالكعبة التى فى الحجاز، وسارة بالكعبة التى فى السماء. وقد غلط فولس فيهما جميعا.

أما قوله «إن إسماعيل لم يولد بعِدَة من الله تعالى» فليس الأمر كما ذكر بل ما ولد إسماعيل إلا بعد أن مَنَّ الله على إبراهيم به ـ على ما بينتُه من التوراة.

أما قوله «إن هاجر شبيهة بسيناء» فَمِنْ غَلَطِه أيضا، وسوء استنباطه واستخراجه. وذلك أن هذا التشبيه الذى صار إليه ليس منصوصا عليه. لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى شيء من النبوات ألبتة. ولم يتقدم إلى القول به أحد من الحواريين، فلم بشق الإنجيل فولس هذا «إن الحرة فى الجملة أفضل من الأمة»؟فشبَّه الأمة ببيت الله فى الأرض، وشَبَّه الحرة ببيت له فى السماء؛ استحسانا لذلك بعقله. وذلك شيء لا اعتبار له ولا تعويل عليه.

وتحكيم العقل فى كل مورد ومصدر؛ جهل وخرق من فاعله، فالفاضل فى الحقيقة من كان عند الله فاضلاً أو شهدت له نبوة نبى بالفضل.

وقد اعتبرنا ـ رحمك الله ـ شهادات التوراة والنبوات والأناجيل الأربعة؛ فلم نجد لما ذكره هذا الرجل من تفضيل سارة وابنها على هاجر وابنها أصلا يتمسك به، بل قد وجدنا التوراة خاصة تشير إلى تفضيل هاجر وابنها. وذلك فى عدة مواضع:

منها: أنا وجدنا التوراة تنطق صريحا أن الله ارتضى هاجر لبكر إبراهيم، ورأينا التوراة فضلت البكر من الأولاد فى الميراث وحسن الثناء؛ فجعلت للبكر سهمين من الميراث، ولمن سواه سهما واحدا. وقالت فى حق بعضهم: «ابنى بكرى أرسله يعبدني»[1] فمن ولدت البكر لإبراهيم أفضل ممن لم تلده؛ لأن الشجرة إنما يُعرف فضلها من ثمرتها. وقد أثمرت هاجر بكرا طيبا.

ومنها: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «دع أَمَتَك وابنك ولا يهمنك أمرهما» [2]

(١) خروج ٤: ٢٢ + .

(٢) تكوين ٢١: ١٢ +

وتكفل الله بهما وتولاهما. وإنما يتولى الله الصالحين من عباده، فتسلمهما سبحانه من يد إبراهيم خليله وكان خير كافل لهما.

ومنها: ظهور الملك لهاجر ومكالمتها من غير حجاب ورأفته بهما وقوله لها: «شدّي يديك بهذا الصبي؛ فإن الله تعالى قد سمع تضرعك، وأن ولدك هذا يعظمه الله جدا جدا» [١] وهذا لم يتفق لسارة أصلا.

ومنها: تفجير الله لها عين ماء من أرض صلد وبرية معطشة موحشة. كل ذلك قد شهدت به التوراة، فمن رام غضًا من هاجر وابنها من اليهود والنصارى؛ فقد أزرى على نفسه وكشف عورته بيده، وأبان عن جهله بالتوراة والنبوات.

ومنها: جعل بيتها [٢] ومسكنها وضريحها بيتا مقدسا محجوجا إليه تُعفِّر الملوك والأكابر جباهها بترابه ويطوفون به كما يُطاف بعرش الرحمن. لا مندوحة لمن استطاع إليه سبيلا عن إتيانه وحجّه.

ومنها: سلامة نسلها من المسخ. فلم يمسخ أحد من أولاد هاجر قردة ولا خنازير، ولم يلعن صريحا كما لعن بنو إسرائيل على لسان موسى وإشعياء وداود وعيسى ابن مريم فى نبواتهم وصحفهم - على ما تشهد به التوراة وكتب الأنبياء .

ومنها: تنبؤ الأنبياء - عليهم السلام - عليها، وعلى نسلها، وموضع سكنها. وشهادتهم بدوام مملكتهم، وقيام شريعتهم، ولزوم أحكامهم إلى قيام القيامة.

فليوجد لنا فولس هذا المتعصب على أبوينا اللذين كانا فى كفالة الله واحدا من هذه الفضائل لمن تعصب له ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

البشرى الرابعة والثمانون:

قال موسى فى السفر الأول من التوراة: «قال إبراهيم: يا رب ها أنا ميت وليس لى ولد وإنما يرثنى غلامى أليعازر الدمشقي، فقال الله: كلا. لا يرثك هذا

(١) تكوين ٢١: ١٧ + .

(٢) المراد بجعل بيتها: الكعبة البيت الحرام ليس على أنها مدفونة فيه بعد موتها بل على معنى أن بولس يجعل سارة رمزا للمسجد الأقصى، وأورشليم. ويقول إنه هو بيتها.

بل ابنك الذى يخرج من صلبك هو الذى يرثك، فاخرج وانظر إلى نجوم السماء. فإن كنت مُحصيها فإنك ستحصى ولدك أيضا» (١) .

وما نعلم الآن من طبق الأرض وملأ أكناف الدنيا من ولد إبراهيم سوى ولد إسماعيل. فأما اليهود من ولد إسحق فهم خول وذمّة لبنى إسماعيل فى سائر الأرض كلها، وإنما ورد ذلك مورد الامتنان والإنعام على إبراهيم، ولم يكن الله تعالى ليمتن على خليله بالأولاد الدبرى الممسوخين قردة وخنازير وعباد العجول.

وأما النصارى من ولد إسحق فمشردون. شَرَّدهم بنو إسماعيل خَلْف منقطع البحور وفى أطراف مغرب الأرض.

فهذه نبوة ظاهرة، وآية قاهرة لا يقدر مخالف على جحدها وردّها.

البشرى الخامسة والثمانون:

وفى هذا السفر الأول من التوراة قال موسى عليه السلام: «فلما أصبح إبراهيم أخرج هاجر وولدها إسماعيل، ودفع لها زادا ومزادا، وانتهى فى أمرهما إلى ما أمره به ربه تعالى، فحملت الصبى على كتفها وشخصت فوصلت إلى برية سبع؛ فنفد ماؤها، فوضعت الصبى تحت شجرة شيح وانتبذت عنه قدر رمية حَجَر. قالت: لا أشاهد موته.

فبينا هى تبكى إذ سمع الله صوت الصبي. فنادى مَلَك الله هاجر من السماء فقال: ما بالك يا هاجر. ليفرج كربك وروعك. فقد سمع الله صوت الصبي. قومى فاحمليه وتمسكى به؛ فإن الله جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جداً جداً. وأن الله فتح عينيها فرأت بئر ماء؛ فدنت وملأت المزادة وشربت وسقت الصبي، وكان الله معها ومع الصبي، حتى تربَّى، وكان مسكنه فى برية فاران».

فهذه خمس وثمانون بشارة عن الأنبياء وأتباع الأنبياء. وقد تضمنتها كتب الله المنزلة من لدن إبراهيم الخليل إلى أتباع المسيح منوّهة باسم محمد صريحا، واسم أرضه التى يخرج منها، وبلده التى نشأ بها. مصرحة بتعظيم شأنه، وتفخيم أمره. شاهدة بأنه عليه السلام خاتم الأنبياء، وأنه حبيب الله وروحه، ومختاره من

(١) تكوين ١٥ : ٢٠ + .

عبـاده. مُعَرِّفَـة العباد بعظم خطره عند الـله، وزلفته لديه، وأن دينه خـير الأديان وشريعته خـير شريعة. وملّته أفضـل ملّة، وأمته أصدق أمّة، وأن شريعـته ناسخة لجميع الشرائع، وأنها لا تُنسخ بل تبقى ما بقيت الدنيا.

قال المؤلف: وإنما نقلت قليلاً من كـثير ،ويسيراً من خطير، ولو استوعبتُ . جـميع مـا في كـتب الله من الإشـادة بذكـر المصـطفى ﷺ وذكـر أمتـه؛ لأطـلت الكتاب، وخرجت إلى حد الإسهاب.

فهذا هو القسم الأول من هذا الباب.

والله الموفق

القسم الثاني من هذا الباب
فى آيات رسول الله ﷺ
وإثبات معجزاته الباهرة للعقول الخارقة للعادة

واعلم: أنه قد كان فى الأنبياء - عليهم السلام - من له الآية والنبوءة معا. مثل: موسى والمسيح. وقد ذهبت آياتهما بذهابهما. فلم يبق فى أيدى الناس منها إلاّ ذكرها. ومنهم: من كانت له آية، وليست له نبوءة مذكورة مثل اليسَعَ؛ فإنه أحيا ميتا فى حياته بعد وفاته. ولم ينقل عنه أنه تنبأ نبوءة ألبتة. ومنهم من كانت له نبوءة ولم يكن له آية. مثل حِزقيال النبى وهُوشَع ومنهم من لم تكن له آية ولا نبوءة وهو معدود فى الأنبياء. مثل ملاخِى وناحُوم.

وقد أثبت أهل الكتاب نبوة جماعة من النِّسوان. مثل مريم وحَنَّة وخلدى واستار ورفقا. ولم يكن لواحدة منهن كتاب ولا آية. وهن معدودات فى زمرة الأنبياء عندهم.

فأما سيدنا محمد ﷺ فقد جمع الله له النبوة والآية والتنبؤ. فتنبأ به الأنبياء، وأخبروا بمجيئه قبل كونه - على ما تقدم فى القسم الأول من هذا الباب.

وأما النبوءة فأخبر ﷺ بذلك، وأنبأ وعَرَّف بأشياء كثيرة من المغيبات التى لا يُتصور الوقوف على عِلمها إلا بتوقيف من الله تعالى، وإنباء منه سبحانه. وكان ذلك يصدر منه على أنواع:

فمنه: ما أخبر به ﷺ مما وقع واتفق وسلم فى الأزمان الماضية، والعصور المتفرقة. من عظائم الأمور، ومهام الخطوب، من مبتدأ خلق الله للعالمَ إلى قيام القيامة. فذكر شأن آدم وحواء، وشأن مشاهير بنى آدم مثل شِيث وإدريس ونوح وإبراهيم والأسباط ويوسف وموسى والمسيح. وسرد قصصهم ومجرياتهم، وذكر مشاهير سير الملوك والجبابرة والفراعنة وما اتفق للأنبياء والأصفياء معهم.

هذا مع القطع بأميته[1] عليه الصلاة والسلام وأنه كان عربيا لا يُحسن الخطّ، ولا قرأ ولا سمع كتابا قط. بل إنما نشأ بأرض قِفار بين أجبُل وسباسب منقطعة الأطراف عن العمران. فوافق خبره ما فى صحف الأولين لم يخرم منه حرفا.

ومنه: ما أخبر به أصحابه وحوارييه وأهل بيته. فوقع فى زمانه، واتفق فى أيامه. ومن أخبر إنسانا فى نفسه بما لم يلفظ به، لم يُمتر فى أنه صادق مُحق.

ومنه: ما أخبرنا به أنه سيقع بعد موته بزمان. فوقع كما أخبر عليه السلام ولم يغادر منه حرفا واحدا. وذلك مُودع فى كتابه الذى جاء به من عند الله وفى سنّته الصادقة التى نقلها إلينا نَقَلة هذا الكتاب. فلو تطرق التكشيك إليها؛ لتطرق إلى الكتاب العزيز. وقد ثبت نقل الكتاب بأقوالهم وصح؛ فكذلك ثبتت السنة بأقوالهم أيضا. والحكم فيهما واحد من حيث لزوم العمل. قال عليه الصلاة والسلام: «أوتيت القرآن ومثله معه».

ولو قال قائل من اليهود والنصارى: لعلّ أصحاب هذا النبى تمالؤوا على دعوى هذه المغيبات والآيات لنبيهم. وقيَّدوها فى كتابه وسننه ترويجا وإفكا؛ لقوبلوا بمثل ذلك فيمن ينتمون إليه. فما أجابوا به عن أنفسهم؛ كان جواباً مِنَّا لَهم. وكل سؤال انقلب على سائله، سقط جوابه عن المسئول.

فهذا ما يتعلق بإنبائه عن الغيب الذى لا يدخل تحت مقدرة البشر.

وأما آياته عليه الصلاة والسلام وخوارقه ومعجزاته: فكثيرة جداً. وقد صنّف

---

(١) إعجاز القرآن فى اللفظ والمعنى. ومعانى القرآن كثيرة وهى فى قصص الأولين، وأحوال الأنبياء والصالحين، وأطوار الإنسان وهو جنين. وتكوين الأفلاك ودورانها، وابتدائها وانتهائها. والتنبؤ بالغيب الذى سيكون فى الدنيا وفى الآخرة. والإشارة إلى ما سيوجده الله من العلوم فى الذرة والفلك والطب والهندسة. وما شابه ذلك. وكل ذلك ناطق به أمى ما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان. وما كان يكتب، ولا يقرأ. ولم يختلف إلى معلم أو مؤدب، ولم يخالط أهل العلم ولم يجتمع بهم. فإذا قال قائل: إن إعجاز القرآن فى نوع كذا، دون نوع كذا من المعاني. أو قال قائل: إن إعجاز القرآن بالفصاحة والبلاغة لا غير، أو قال قائل إن إعجازه بجودة النظم وحلاوة السبك بالتئام الحروف وعدم التنافر فى ترتيب الحروف فى الكلمة الواحدة، ويسكت عن الكلام فى المعاني؛ ليوهم القارئ أو السامع أن الإعجاز فى اللفظ فقط؛ فإن ذلك يكون جهلا بوجوه الإعجاز، أو لغواً فيه.

العلماء وأرباب السير فيها التصانيف الكثيرة. ونحن نقتصر فى هذا المختصر منها على لُمعة تُحصل الغرض. والمعونة من الله سبحانه:

معجزة القرآن:

قد اشتهر عند أهل التواتر: أن محمداً ﷺ كان أميا عربيا ناشئا بأرض لا علوم بها ولا معارف ولا كتب تتضمن معرفة أخبار المتقدمين. يعرفون ذلك من حاله ضرورة، فلم يفجأهم أن تلى عليهم كتابا من الله فيه مائة وأربع عشرة سورة. وقال لهم: هذه آية صدقي، وإن من جاء منكم بمثل هذا الكتاب أو بعَشْر سُور من مثله أو بسورة واحدة من مثله؛ فلست صادقا فى أن الله أرسلنى إليكم. فأحجموا ولم يُقدموا، وأصمتوا ولم يتكلموا [١]. هذا مع تقريعهم، وعيب

(١) تثبت نبوة محمد ﷺ بالقرآن لا غير. ولا تثبت له النبوة بالمعجزات الحسية. وذلك لأن القرآن ينفيها عن النبى ﷺ بصريح اللفظ. وما ينفيه الله لا يصح لإنسان أن يثبته. والذين أثبتوا المعجزات الحسية محجوجون بالقرآن نفسه. فيكونون بإثباتها رادّين للنبوة لا مثبتين لها. ففى القرآن عن جماعة من الناس هم اليهود لا العرب، أنهم طلبوا معجزات حسية كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام. وردّ عليهم بأنه قادر على أن يعطيها للنبى ﷺ ولكن لعدم الفائدة فى إعطائها له؛ منعها عنه.
والدليل على عدم فائدتها فى الإيمان: أنه أعطاها لأنبياء من قبله، ورآها أممهم، ولم تصرفهم عن الكفر بهم فأى فائدة فى إعطائها لمحمد عليه السلام؟ يقول تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.
ويقول المثبتون للمعجزات الحسية من أهل الإسلام: إن الممتنع هو المعجزات الحسية التى طلبتها قريش خاصة. وهي: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ ... الخ. وفى آيات القرآن ما يدل على أن الطالبين هم اليهود. وذلك لأن السائلين ﴿ عَنِ الرُّوحِ ﴾ هم اليهود. وقد رد عليهم بقوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أى ما أوتيتم من عيسى عليه السلام من العلم إلا قليلا؛ لأنه قال لكم فى الإنجيل عن «البيرقليط الروح القدس» وهو «أح مد» بلسانهم: إنه متى جاء «يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» وهذا هو النص من أعلام النبوة للماوردي: «إن البارقليط روح الحق الذى يرسله باسمي. هو يعلمكم كل شيء. إنى سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر؛ يكون معكم إلى الأبد. وهو يعلمكم كل شيء» وموضع الشاهد فى الترجمة الحديثة هو: «وأما المعزّى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يوحنا ١٤: ٢٦].
ثم حكى عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ ... الخ وقولهم هذا فى كتبهم، فى سفر إشعياء وغيره.
وما رد الله به على اليهود؛ يرد به على العالم أجمع؛ لأن القرآن للعالم أجمع. وقد رد بالمنع فقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾؟ =

آلهتهم، وانتقاص أوثانهم وأصنامهم، وتسفيه أخلاقهم وإظهار تعجيزهم على رءوس الملأ نيفا وعشرين سنة بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

فأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ولا يفعلونه أبدا. فكان كما جزم وحتم. وقال تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ وكلما زادهم تقريعا ازدادوا خضوعا. هذا وهم أهل البراعة فى النظم والنثر والخطب. يرتجلون ذلك ارتجالا ويتنافسون فيه تنافساً ويتناقشون عليه مناقشة. فما عدلوا إلى الحرب إلا والذى دُعوا إليه من المعارضة أشق عليهم وأصعب.

فمن وجوه إعجازه: حُسن تأليفه، ورقة ترصيفه وفصاحته وبلاغته الخارقة لعادة أهل البيان. حتى قال البلغاء منهم حين سمعوه: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ثم هو فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون الماضية التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ـ آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض، والتام سرده، وتناسب وجوهه. مع نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب. المباين لأساليب كلام الفصحاء، ومناهج نثرها ونظمها.

ومن وجوه إعجازه: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات مما لم يكن فوقع على الوجه الذى أخبر به. كقوله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلى آخرها. فدخل الناس فى دين الله أفواجا، ودخلوا المسجد الحرام آمنين كما قال عليه السلام. واستخلف الله أصحابه وأمته فى الأرض، ومكّن لهم

=وفي سورة العنكبوت يحكى عن اهل الكتاب فيقول﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ ثم يحكى عنهم ما حكاه عنهم في سورة الإسراء وهو: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ورد عليهم بالمنع فقال: ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾؟ فلماذا يقول الرواة إن الطالبين هم أهل مكة؟ولماذا يقول المثبتون إن الممتنع هو المعجزات المقترحة لا غير؟.

دينهم وملّكهم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، حتى دوّخوا البلاد وملأوا أقطار العالم. كما قال عليه السلام: «زُويت لى الأرض فأُوريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أمتى ما زوى لى منها وتلا عليهم ذلك وأخبرهم به. وهم فى حالة لا يستطيع أحدهم أن يذهب بقضاء الحاجة. فكان كما أخبر ﷺ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فهو محفوظ من تغيير الأعداء والمخالفين وتبديلهم إلى قيام الساعة. هذا مع اشتماله على هتك أستارهم وإبداء عُوارهم، وأنَّى يقدرون ويستطيعون إضاعة ما تكفل الله بحفظه؟

ومن وجوه إعجازه: ما اشتمل عليه من تقريع اليهود والنصارى والمنافقين، بما اشتملت عليه كتبهم وصحفهم، بتكذيب من كذبوا من الرسل وقتل من قتلوا من الأنبياء وعبادتهم العجل وعُزيرا والمسيحَ وأمه. فلا جرم أن كثيراً منهم لما عرفوا ذلك، وأدركته السعادة وساعده التوفيق؛ أسلم من فوره، وصدّق بنبوته وآمن برسالته. فسعد فى دنياه وأُخراه. ومنهم من غلبت عليه شقاوته، وأدركته النفاسة وخشى أن يستلب الرئاسة؛ فاستمر على غيّه، وانهمك فى بغيه حتى هلك، وسكن من الجحيم فى أسفل درك. ثم هو فيما اشتمل عليه من توحيد البارى وتنزيهه وتقديسه وتحميده وتمجيده وتسبيحه وتهليله وترغيبه وترهيبه، ووصف البارى تعالى بسعة الرحمة والمغفرة والرضوان والحلم والصفح، وما أعد لعباده من البر والنعيم وإكرام النزل إن صاروا إليه؛ آية من الآيات. يعرفها ويقر بها من وقف على ذلك، وقابل به ما اشتملت عليه الكتب المتقدمة والصحف المتقدمة والصحف الدّارِسة - كما بيناه فيما مضى من هذا المختصر - فلو لم يأت رسول الله ﷺ بآية وخارق سوى واحدة من هذا الكتاب العزيز؛ لاستقلت ونهضت بإثبات النبوة. فكيف وقد أتى عليه السلام بخوارق عظام، وآيات طوال؟

المعجزات الحسية:

معجزة انشقاق القمر:

قال ابن مسعود: واستدل رسول الله ﷺ على صدق نبوته بانشقاق القمر فرقتين. وقال ابن مسعود: لقد رأيتُ الجبل بين فرقتى القمر. فقال عليه السلام: «اشهدوا» فقالت كفار قريش: سحركم ابن أبى كبشة. فقال رجل: إن كان

سحر؛ فإنه لا يبلغ الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا ذلك؟ فجاء الناس من الآفاق فأخبروا بمثل ذلك فقال الكفار: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ ورواه خلق كثير من أعيان الصحابة وخيار المسلمين كأنس بن مالك وابن عباس وابن عمر وعلى بن أبى طالب وجبير بن مطعم. فى خلق كثير. ورواه عن هؤلاء أعلام التابعين ووجوه الأمة. وقد تضمنها الكتاب العزيز. قال الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ فلا التفات بعد ذلك إلى قول مخذول. ولو جاز رد هذه الآية؛ لجاز رد آية موسى وعيسى - عليهما السلام - والطريق فى النقل واحد [١] وإذا كان إنما اعتماد المتأخر على نقل من تقدم . فمَن

---

(١) يقول مؤلف أعلام النبوة: إن المعجزات الحسية واردة عن طريق رواية الواحد عن الواحد عن الواحد. فهى واردة عن طريق أحاديث الآحاد. ولما كان من المعلوم رد رواية الواحد، وقبول رواية الاثنين من أهل الصدق فصاعدا. اضطر إلى تقسيم أخبار الآحاد. فقال ما نصه:

وأما أخبار الآحاد. فضربان:

أحدهما: أن يقترن بها ما يوجب العلم بمضمونها. وقد يكون ذلك من خمسة أوجه: أحدها: أن يُصدق عليه من يُقطع بصدقه. كالرسول أو من أخبر الرسول بصدقه؛ فيُعلم به صدق المخبر وصحة الخبر. والثاني: أن تجتمع الأمة على صدقه؛ فيعلم بإجماعهم أنه صادق فى خبره. الثالث: أن يُجمعوا على قبوله، والعمل به؛ فيكون دليلا على صدق خبره. الرابع: أن يكون الخبر مضافا إلى حال. قد شاهدها عدد كثير، وسمعوا رواية الخبر؛ فلم ينكروه على المخبر. فيدل على صحة الخبر، وصدق المخبر. الخامس: أن تقترن بالخبر دلائل العقول. فإن كان مضافا إليها؛ كان صدقا لازما؛ لأن ما وافقتها لا يكون إلا حقا. وإن كان مضافا إلى غيرها لم تدل موافقتها على صدق الخبر، وإن أوجب صحة ما تضمنه الخبر.

والضرب الثاني: أن ينفرد خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه. فهى أمارة تُوجب عليه الظن. ولا تقتضى العلم. يقوى إذا تطاول به الزمان، فلم يُعارض بردّ ولا مخالفة. وإن تكرر فى معناها ما يُوافقها؛ صار جميعها متواتراً، وإن كان أفرادها آحاداً» ا هـ.

البيان:

الوجه الأول من الضرب الأول. منتف عن المعجزات الحسية؛ لأن من يُقطع بصدقه وهو الرسول ﷺ قال فى حقها: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ فتكذيب الأولين بها، هو السبب فى منعها. وعليه ينبغى ألا تكون دليلا فى إثبات النبوة.

والوجه الثانى منتف أيضا. فإن الأمة مختلفة فى عدالة الرواة الذين نقلوها. والوجه الثالث منتف بأن الأمة مختلفة فى قبولها أو ردها. والوجه الرابع منتف بأن الذين نقلوا أحوال المشاهدين مختلف فى عدالتهم. والوجه الخامس منتف بأن دلائل العقول لا ترد صريح القرآن بالمنع.

والضرب الثانى منتف. وذلك لأن نصوص القرآن الدالة على ظاهرها بإثبات المعجزة الحسية؛ هى أيضا تدل بطريق الكناية على نفيها. وعليه لا قرينة ولا أمارة.

ومن الشواهد على ذلك:

أصارهم بتصحيح أخبارهم أولى من غيرهم؟هذا وهم ينقلون عن أسلافهم المنكر والمستحيل، ونحن إنما نقل مُجَوزات العقول.

وإن طعن في آية انشقاق القمر يهودي. قلنا له: ما دليلك على انشقاق البحر لموسى؟

وإن شكك في ذلك نصراني. قلنا له: ما حجتك على انشقاق حجاب الهيكل عند صلب الشَّبَه الذى أشركته مع الله في الربوبية؟فإذا قالا: النقل الصحيح والخبر الصحيح. قلنا: مَنْ أصار عبّاد الصلبان والعجول أولى بالقبول. من أخبار الموحدين العدول؟!

معجزة حبس الشمس لرسول الله ﷺ ووقوفها عن جريانها:

خَرَّج الطحاوى في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها: أن النبى ﷺ كان يُوحى إليه ورأسه فى حجر عَلَيّ فلم يصلِّ على العصر حتى غربت الشمس. فقال عليه السلام: «أصليت العصر يا عليّ؟»قال: لا. فقال عليه السلام: «اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك؛ فاردد عليه الشمس». قالت أسماء: فرأيتها غربت. ثم رأيتُها طلعت بعدما غربت، ووقفت على

=١ ـ يقول تعالى: ﴿وانشق القمر﴾ إما أنه انشق وإما أنه لم ينشق وسينشق فى المستقبل. وهذا على ظاهر اللفظ. وإما أنه كناية عن وضوح أمر الإسلام كوضوح نور القمر. وكل ذلك فى تفسير القرطبى رحمه الله.

٢ ـ فى حديث البراء بن عازب بفتح الخندق: فيه ميمون أبو عبد الله. وثّقه ابن حبان، وضعفه جماعة.

٣ ـ فى حديث قول النبى لعتبة بن أبى لهب: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» يعنى الأسد: فى إسناده ضعف.

٤ ـ فى حديث قول النبى ﷺ لرجل: «قبح الله شعرك» فصلع مكانه: انفرد به أبو نُعيم.

٥ ـ حديث: دخل رسول الله ﷺ بمارية القبطية فى بيت حفصة بنت عمر.

وقد روى أبو سلمة: «فوجدتها معه تضاحكه»... إلخ قال أهل الحديث: هذا خبر باطل لا يصح ولا يثبت. فى إسناده موسى بن جعفر وخبره ساقط. وذكر الذهبى إسناده إلى العقيلي. ثم قال: هذا باطل.

٦ ـ حديث قول النبى لعثمان: «تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة» فى إسناده أحمد بن عبد الحميد الجعفي. وهو المتهم به. أى هو واضع هذا الحديث من قبله، ونسبه إلى النبي.

٧ ـ قول النبى عن استشهاد طلحة بن عبيد الله: فى سنده صاحب مناكير. وهو سليمان بن أيوب.

٨ ـ خبر النبى عن قتل الحسين: من وضع الرافضة وهم الشيعة.

هذا وفى كتاب أعلام النبوة ـ تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمن العك؛ أمثلة كثيرة.

الجبال. وذلك بالصهباء بخيبر.

قال العلماء: لا ينبغى لمن سبيله العلم؛ التخلُّف عن حديث أسماء؛ فإنه عَلَم من أعلام النبوة.

وروى يونس بن بكير عن ابن إسحق لما أسرى بالنبى ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير. قالوا: متى تصل؟فقال: يوم الأربعاء. فلما كان يوم الأربعاء؛ أشرفت قريش ينظرون وقد ولَّى النهار ولم تصل بعد. فدعا، فزيد له فى النهار ساعة، ووقفت الشمس عن جريانها وسيرها حتى وصلت العِير فشاهدوها.

وإن اعترض على ما شهدت أسماء - رضى الله عنها - مُخالف من النصارى. قيل له: ألم ترووا عن مريم المجدلانية التى أبرأها المسيح من الجنون؛ أمورا عِظاما من أمور المسيح؟[1] فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: ما الذى جعل امرأة حديثة عهد بجنون أولى بالصدق والعدالة من امرأة لبيبة عاقلة؟

وإن قدح فى ذلك يهودي. قيل له: ألم تحكوا عن مريم أخت موسى وهارون أمورا جمة من أعلام موسى؟فإذا كانت أخت الإنسان مؤتمنة على ما تحكيه من أعلام أخيها - وعِزِّه؛عِزٌّ لها. فأسماء أولى بذلك. وهى أجنبية[2].

معجزة نبع الماء العذب من بين أصابع رسول الله ﷺ:

والروايات فيه كثيرة. وأمره مشهور منشور بين أصحاب رسول الله ﷺ رواه جمع كثير من الصحابة. منهم: أنس وجابر وابن مسعود. قال أنس وغيره: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأُتيَ عليه السلام بوضوء، فوضع يده فى الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه. قال أنس: فرأيتُ الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ فتوضأوا من عند آخره. قيل

(١) من المأثور عن مريم المجدلية: «قال لها يسوع: يا مريم. فالتفت تلك. وقالت له: ربُّونى الذى تفسيره يا مُعلم. قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأنى لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبى إلى إخوتي وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ» [يوحنا ٢٠: ١٦ - ١٨].

(٢) من المأثور عن مريم أخت موسى وهرون: «فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم: رغوا للرب؛ فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما فى البحر» [خروج ١٥: ٢٠ - ٢١].

له: فكم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة رجل. وذلك بالسوق عند الزوراء.

وفى الصحيح: عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ بينما نحن مع رسول الله ﷺ ما معنا ماء، فأُتى بماء فصبّه فى إناء، ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ.

وفى الصحيح أيضا: عن جابر بن عبد الله عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه فقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك هذه. فوضع عليه الصلاة والسلام يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من أصابعه كأمثال العيون قال: فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف؛ لكفانا. كنا خمس عشرة مائة.

روى ذلك جمع كثير من الصحابة.

وعن عبادة بن الصامت فى حديث مسلم الطويل فى غزوة بواط. قال: قال رسول الله ﷺ: «يا جابر نادِ الوضوء» وذكر الحديث بطوله ولم يجد سوى قطرة فى عزْلاء شَجْب فأتى به النبيَ عليه السلام فغمزه بيده وتكلم بشيء لا أدرى ما هو، وقال: «ناد بجفنة الركْب» فأتيت بها فوضعتها بين يديه فبسط يده فى الجفنة وفَرَّق أصابعه، وصب جابر عليه وقال: «بسم الله» قال: فرأيتُ الماء يفور من بين أصابعه. ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء؛ فاستقوا حتى رووا. فقلت: هل بقى أحد له حاجة؟ فرفع عليه السلام يده من الجفنة وهى ملأى.

وبالجملة. فحديث نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام متواتر مستفيض. وقد روى مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل فى غزوة تبوك أنهم وردوا العين وهى تَبِضُّ بشيء من ماء مثل الشِّراك. فغرفوا بأيديهم من العين فى إناء حتى اجتمع منه شيء، ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس.

قال ابن إسحاق: فانخرق من الماء وله حسٌّ كحس الصواعق.

وروى البراء وسلمة بن الأكوع فى قصة الحديبية أنه عليه السلام أتى بئرا ما

تروى خمسين شاة. قال: فنزحناه فلم ندع فيها ماء، فجلس عليه السلام على جانبها، وأتى بدلو فتفل فيها ودعا الله، فجاشت البئر بالماء، فارتووا وأرووا ركابهم.

وقيل: بل غرز عليه السلام سهما من كنانته فى قعر البئر فروى الناس حتى ضربوا بعطن وكان عدتهم أربع عشرة مائة.

وروى أبو قتادة قال: اشتكى الناس إلى رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره العطش فدعا بميضأة ثم التقم فمها. فالله أعلم أنفث فيها أم لا. فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم، فَخُيِّل إليّ أنها كما أخذها مني.

وروى مثله عن عمران بن الحصين.

وفى كتاب مسلم: أنه عليه السلام قال لأبى قتادة: «احفظ عليّ ميضأتك، فإنه سيكون لها نبأ». فكان ما ذكرت.

وعن عمران بن حصين: أنه ﷺ وأصحابه أصابهم عطش فى بعض أسفاره. فبعث رجلين وقال: ستجدون امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان فأتيا بها. فذهبا إلى حيث ذكر رسول الله ﷺ فوجداها فأتيا بها النبى عليه السلام فجعل فى إناء من مزادتيها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء فى المزادتين، ثم فتحت عِزَالَيْها وأمر الناس فملأوا أسقيتهم كلها حتى ملأوا كل إناء معهم.

قال عمران: وتخيّل إليّ أن المزادتين لم يزدادا إلا امتلاءً. ثم أمر عليه السلام فجمع لها من الأزواد حتى ملأوا ثوبها. وقال: «اذهبى فإنا لم نرزأ من مائك شيئا ولكن الله هو الذى سقانا» الحديث بطوله.

فرجعت إلى قومها فكان ذلك سبب إسلامهم.

وقال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء»؟ فجاء رجل بإداوة فيها نطفة من ماء فأفرغها فى قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة، حتى تطهرنا عن آخرنا. فكنا أربع عشرة مائة.

وفى حديث عمر ـ وذكر ما أصابهم فى جيش العُسرة من العطش حتى إن

الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه - رغب أبو بكر إلى النبى ﷺ فى الدعاء. فرفع يده فلم يُرجعهما حتى أسكبت السماء؛ فملأوا ما معهم من آنية. فلم تجاوز السحابة العسكر.

وعن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال للنبى عليه السلام وهو رديفه بذى المجاز: عطشت وليس عندى ماء. فنزل نبى الله ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء. فقال: «اشرب».

وقيل له فى سنة من السنين: هلك الناس من العطش. فاستسقى عليه السلام فلم يفرغ من دعائه حتى سقى الناس.

وجاءه أهل العوالم يشكون كثرة المطر. فقال عليه السلام: «اللهم حوالينا ولا علينا».

قال المؤلف عفا الله عنه: هذه عدة من المعجزات تتعلق بهذا الفن، وفيها ما هو مساوٍ لآية موسى عليه السلام، وفيها ما هو أبهر للعقول من فعل موسى، إذ نبع الماء من الأرض والحجر معتاد لا عجب، فأما نبع الماء من أصابع يد آدمى فإنه هو العجب.

فإن نازع فى هذه الآيات المتعلقة بسقى الخلق الكثير فى المعاطش من بين أصابعه عليه السلام منازع من اليهود قيل له: من أين لك أن موسى عليه السلام سقى [(١)] بنى إسرائيل فى التيه ماءً عذباً من حجر الصوّان؟ أذلك شيء عاينته أم هو الخبر والنقل والرواية؟ فإنه يفزع فى ذلك إلى نقل اليهود. إذ لا طريق له سواه. فيقال له عند ذلك: ما الذى جعل عبّاد العجل وبَعْلَز بول الصنم والزهرة [(٢)]

(١) سقى موسى فى التيه مذكور فى الأصحاح العشرين من سفر العدد «وكلم الرب موسى قائلا: خذ العصا، واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك، وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها. فتخرج لهم ماء من الصخرة، وتسقى الجماعة ومواشيهم. فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمر، وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة، فقال لهم: اسمعوا أيها المردة: أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماءغزير؛ فشربت الجماعة ومواشيها» [عدد ٢٠: ٧ - ١١] .

(٢) الزهرة هى المسماة بالعزّى. وعبادة اليهود لصنم البعل مذكورة فى قصة إلياس عليه السلام فى سفر الملوك الأول ١٨ وأما «بعلزبول» فإنه اسم لرئيس الشياطين فى الإنجيل وقد اتهم علماءُ اليهود المسيحَ بأنه يخرج الشياطين من أجساد الناس بواسطته [متى ١٢: ٢٤] وفى سفر إشعياء: «أما أنتم الذين تركوا الرب، ونسوا =

أولى بالعدالة من عباد الله المؤمنين المخلصين له؟

وإن نازع فى ذلك نصراني. قيل له: ألم ترووا أن المسيح عليه السلام لما قرب من أورشليم قال لرجلين من تلاميذه: «اذهبا إلى القرية التى أمامكما فإنكما ستجدان أتانا وجحشا فأتيانى بهما. ففعلا وأتيا بالأتان والجحش» فما دليلكم على تصحيح ذلك عن المسيح؟ أذلك مما يمكن اليوم معرفته دون الرواية؟ فما الذى جعلكم أحق بما تروون منا بما نروى عن ثقاتنا؟ وقد بعث نبينا رجلين ووصف لهما المرأة والماء الذى معها، وذلك أعجب من قول المسيح فى الأتان والجحش [1] .

معجزة تكثير الطعام ببركته ﷺ :

روى جابر بن عبد الله قال: سأل رجل رسول الله ﷺ طعاما. فأعطاه يسيراً من شعير. فما زال الرجل يأكل منه وأهله وضيفه حتى كَالَه بعد حين. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم».

وقال أبو طلحة فى حديثه المشهور: أطعم رسول الله ﷺ ثمانين رجلا من أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه.

=جبل قدسي، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة؛ فإنى أعينكم للسيف. . . إلخ» [إش ٦٥: ١١ +] فى بعض التراجم «مناة» .

(١) اعلم: أن زكريا تنبأ عن محمد ﷺ بأنه سيكون متواضعا، وسيفتح بلاد اليهود ويملك عليها، ولن يكون لليهود قوة من بعد ظهوره، وكنّى عن تواضعه وتواضع أصحابه بركوب الحمار والجحش. ومحرفو الأناجيل وضعوا نبوءة زكريا على المسيح. وكتبوا: أنه دخل أورشليم راكبا عليهما، وملك على اليهود. كيف وهو لم يحارب حال دخوله؟ ففى الأصحاح التاسع من سفر زكريا: «ابتهجى جدا يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت أورشليم. هو ذا ملكك من أفرايم، والفرس من أورشليم، وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم. وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض».
[تك ٩: ٩ ـ ١٠] .

وكتب محرف الإنجيل: «ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما: اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة، وجحشا معها؛ فحلاهما وأتيانى بهما، وإن قال لكما أحد شيئا. فقولا: الرب محتاج إليهما. فللوقت يرسلهما. فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل: «قولا لابنة صهيون: هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان» فذهب التلميذان. . . إلخ» [متى ٢١: ١ +]

يريد أن يطبق نبوءة زكريا على عيسى عليه السلام وهى لا تنطبق عليه؛ لأن المركبة من أفرايم لم تقطع به. كناية عن إضعاف اليهود السامريين. ولأن الفرس لم يقطع من أورشليم. كناية عن إضعاف اليهود العبرانيين. ولم يمتد للمسيح سلطان من البحر أو من النهر.

وقال جابر بن عبد الله: أطعم رسول الله ﷺ يوم الخندق من صاع شعير وعناق ألف رجل حتى تركوه وانحرفوا، وإن البرمة لتغط كما هى وإن العجين ليخبز.

وقال أبو أيوب: صنعت لرسول الله ﷺ ولصاحبيه أبى بكر وعمر قدر ما يكفيهما من الطعام. فقال النبى عليه السلام: «ادع لى ثلاثين رجلا من أشراف الأنصار» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. ثم قال عليه السلام: «ادع لى ستين رجلا» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. ثم قال عليه السلام: «ادع لى سبعين رجلا» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. فلم يخرجوا حتى أسلموا وبايعوا. قال أبو أيوب فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا.

وقال سمرة بن جندب: أُتى عليه السلام بقصعة فيها لحم؛ فتعاقبوها من غُدوة إلى الليل، يقوم قوم، ويقعد آخرون.

وقال عبد الرحمن بن أبى عمرة وسلمة بن الأكوع وأبو هريرة وعمر بن الخطاب: أصاب الناس مخمصة مع النبى ﷺ فى بعض مغازيه. فدعا ببقية الأزواد. فجاء الرجل بالقبضة من الطعام. وفوق ذلك. فجمعه على نطع. قال سلمة: فحزرته كَرَبْضَة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم، فلم يبق فى الجيش وعاء إلا ملأوه، ثم فضلت فضلة عن ذلك.

وقال أبو هريرة: أمرنى النبى ﷺ أن أدعو له أهل الصفّة. فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا قصعة فأكلنا ما شئنا وفرغنا. وهى مثل ما كانت حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه: جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ومنهم من يأكل الجذعة، ويشرب الفرق؛ فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعُسّ فشربوا حتى رووا، وبقى العس كأنه لم يشرب منه.

وقال أنس: بنى عليه السلام بزينب وأمرنى أن أدعو من لقيتُ. فدعوت من لقيت. فقدَّم إليهم مُداً من تمر جُعل حيسا فتناولوا منه حتى شبعوا وعدتهم زهاء

ثلاثمائة رجل. ثم قال لي: ارفع. فرفعت فما أدرى أكان حين وضع أكثر أم حين رفع؟

وقال عمر: أمرنى النبى ﷺ أن أزود أربعمائة راكب من أحمس. فقلت: ما عندنا إلا آصع من تمر. فقال عليه السلام: «اذهب وزودهم» فذهبت فزودتهم منه وكأنه بحاله.

ذكر هذه الآية جمع كبير من الصحابة.

وقال جابر فى حديث وفاء دين أبيه بعد موته: بذلت لغرماء أبى من اليهود كل ماله. فلم يرضوا به. وكان مال أبى تمرا. ولم يكن فى ثمره سنتين ما يفى بدينهم. فجاء رسول الله ﷺ بعد جداد الثمرة وهى فى البيادر فمشى بينها ودعا الله. قال جابر: فوفيتُ منه غرمائي، وفضل لنا مثل ما نجد فى كل سنة. فتعجبت اليهود من ذلك.

وقال أبو هريرة: أصاب الناس مخمصة. فقال لى رسول الله ﷺ: «هل من شيء؟» فقلت: نعم شيء من تمر فى مزود. قال: «فأتنى به» فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم دعا بالبركة. ثم قال: «ادع عشرة» فدعوتهم. فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: «ادع عشرة» فأكلوا حتى أكل الجيش كله وشبعوا. فقال عليه السلام: «خذ ما جئت به» فأكلتُ منه حياة رسول الله وأبى بكر وعمر وجهّزت منه كذا وكذا وسقاً فى سبيل الله. قال أبو هريرة: وكان عدّة ذلك التمر بضع عشرة تمرة.

وحديث أبى هريرة أيضا حين أصابه الجوع: فاستتبعه النبى ﷺ فوجد قدحا من لبن. قد أُهدى إلى رسول الله ﷺ فأمره عليه السلام أن يدعو أهل الصّفة قال: فقلت فى نفسي: ما هذا القدح فيهم. كنت محتاجا أن أصيب منه شَربة أتقوّى بها؟ فدعوتهم فقال: اسقهم. فشربوا حتى رووا من عند آخرهم. ثم قال عليه السلام: «بقيتُ أنا وأنت يا أبا هريرة. اقعد فاشرب» فما زلت أشرب ورسول الله ﷺ يقول: «اشرب» حتى قلتُ: والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا. فأخذ القدح وسمّى الله تعالى وشرب الفضلة.

روى هذا الحديث: الجم الغفير، والخلق الكثير من أصحاب رسول

الله ﷺ ثم تلقى ذلك التابعون بإحسان، ثم أخذ ذلك عنهم أكابرهم الأعلام من المسلمين.

فمن نازع في هذه الآيات البينات وتوقف في شيء منها أحد من أهل الكتاب. قلنا له: بأي وجه [1] ثبت عندك أن موسى أطعم قومه في البرية منًّا وسلوى وأطعم المسيح أصحابه ومن حضر إليه من أهل القرى خبزاً وسمكاً. وهم الجمع الكبير من سمك وخبز يسير. فأشبعهم وفضلت فضلة كبيرة. وبارك إلياس على دقيق الإسرائيلية فقام بها وبأقربائها ثلاث سنين؟ فإذا فزع إلى الروايات والأخبار الصحيحة عنده. قيل له: قد أجبتَ نفسك عنا وكفيتنا مؤنة الجواب! فإن رام قدحا في أخبارنا؛ لم ينفك من عكس ذلك عليه.

ومن معجزاته ﷺ كلام الحجر والشجر وشهادتهما له بالنبوة وإجابة داعيه ﷺ:

قال ابن عمر: كنا معه في سفر، فدنا أعرابي فقال: «يا أعرابي إلى أين تريد؟» فقال: إلى أهلي. قال: «هل أدلك على خير»؟ قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» قال: مَن يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السَّمُرة التي بشاطيء الوادي» فأقبلت السَّمُرة تخد الأرض حتى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلاثا فشهدت لله ولرسوله، ثم رجعت إلى مكانها.

وقال بريدة: سأل أعرابي رسول الله ﷺ آية. فقال: «قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك» قال: ففعل. فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها

(١) قد تغنى داود في مزاميره بالمن والسلوى. ولأنه طعام غير مألوف، سماه خبز الملائكة؛ لأن كل مالا يُعرف له سبب ينسبونه إلى الله «وامطر عليهم منّا للأكل، وبُرّ السماء اعطاهم. أكل الإنسان خبز الملائكة... إلخ» [مزمور ٧٨].

وإطعام المسيح مذكور في الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا. وكانوا خمسة آلاف. وأكلوا وشبعوا من خمسة أرغفة شعير وسمكتان. وهي المائدة المذكورة في القرآن بمعنى البركة في الطعام «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم. وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده» يريد أن يقول: إن الناس ظنوا أن عيسى هو النبي المماثل لموسى [تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢]. ومن أوصافه أن يكون ملكا «له تسمعون» ولما رأى منهم هذا الظن. انصرف إلى الجبل ورفض الملك ليبين لهم أنه ليس هو النبي الآتي على مثال موسى. وهو محمد ﷺ ومعجزة كف الدقيق لإلياس مذكورة في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول. وظل الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص لمدة ثلاث سنين [أمل ١٨: ١] .

وخلفهـا، ثم جـاءت تخـدّ الأرض حـتى وقـفت بين يدى رسـول الله ﷺ فـقـالت: السـلام عليـك يا رسـول الله. فـقـال الأعـرابي: مُـرهـا فلتـرجع إلى موضعها. فأمرها فرجعت حتى استوت بمكانها كما كانت. فقال الأعرابي: مرنى أن أسـجد لك فـأبى عليـه السلام فـقـال: ائذن لى فى تقبـيل يدك ورجليك. فـأذن له ﷺ.

وفى الصحـيح عن جابر بن عبـد الله فى حديثه الـطويل: ذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فلم يجد شيئا يسـتر به. فإذا بشجرتين بشاطيء الوادى فأخذ بغصن من إحدى الشجرتين. وقال: «إنقادى بإذن الله» فانقادت معه كالبعير الذلول وفعل بالأخـرى مثل ذلك. ثم قـال: «التئـما عليّ بإذن الله» فـالتأمـتا. وفى رواية أخرى، قال: «يا جـابر اذهب لهذه الشجرة تلحق بصاحـبتها». فخـرجت الشجرة حتى لحقت بأختها. فجلس خلفها فقضى حاجته.

وكذلك حكى أسامة بن زيد عن النخلات والحجارة، وأنه دعاها إلى رسول الله ﷺ فأقبلن يتعادين حتى قضى عليـه السلام حاجته، ثم رجعن يتعادين إلى أماكنهن.

وقال يـعلى بن مرة: رأيتُ شـجرة من الطلح جـاءت فأطافت برسـول الله ﷺ ثم رجعت إلى منبتها. فقال عليه السلام: «إنها استأذنت فى السلام عليّ».

روى هذه المعجـزات جماعة من علمـاء الصحابة وزهادهم. كعـبد الله بن عمـر وبريدة وجابر وابن مسعـود ويعلى بن مرة وأسامـة بن زيد وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب وابن عبـاس وغيرهم. وتلقّى ذلك عنهم الجم الغـفير والخلق الكثير من التابعين.

قال الأستاذ الإمام ابن فورك رحمة الله عليه: «بينما رسول الله ﷺ سائر ليلا اعترضت له سـدرة، فانفرجت له نصفين فدخل بينهمـا، ومرّ وبقيت السدرة على حـالهـا إلى يوم الناس هذا. وذلك بالطائف. وهى الآن تعـرف بسـدرة النبى ﷺ يحترمها الناس.

فإن ارتاب بشيء من هذه الآيات يهودى أو نصرانى يُقال له: ألستَ زعمتَ:

أن موسى عليه السلام أقام عصاه فى قبة الزمان بين عصى قومه فاخضرت وذلت أغصانا وورقا وأثمرت لوزا؟ [١] ألست زعمت فى إنجيلك: أن المسيح أتى شجرة تين وهو وأصحابه ليصيبوا منها فلما لم يجد فيها ثمرة؛ دعا عليها فيبست وجفّت لوقتها وساعتها وصارت جذعا يابسا [٢]؟ فما طريقك فى تصحيح ما ادعيته بعد ألفى عام؟ فإنه كلما رضى جوابا؛ خُصِم به.

ومن معجزاته عليه السلام حنين الجذع:

وهو مشهور وحديثه متواتر. قد خرّجه أهل الصحيح ورواه الأكابر من أصحابه منهم أُبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة قال الترمذي: وحديث أنس صحيح. قال جابر: كان فى المسجد جذع من النخل كان عليه السلام يقوم إليه فى خطبته، فلما اتخذ له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العِشار. وفى رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره. فكثر بكاء الناس لما رأوه. وفى رواية المطلب: حتى تصدع وانشق. فجاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكت. فقال عليه السلام، «إن هذا بكى لما فقد من الذكر. فوالذى نفسى بيده لولا ما التزمته لم يزل هكذا» تحزنا على رسول الله ﷺ فأمر به ﷺ فدفن تحت المنبر.

وحكى الإسفراييني: أن رسول الله ﷺ دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض فالتزمه. ثم أمره فعاد إلى مكانه.

وكان الحسن البصرى إذا حدّث بحديث الجذع بكى. وقال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وروى حديث الجذع عالم كبير من أصحاب رسول الله ﷺ وتلقاه التابعون بإحسان. وهو من الأحاديث الصحيحة المستفيضة.

---

(١) العدد ١٧ .

(٢) متى ٢١ .

ومن معجزاته عليه السلام تسبيح الطعام بين يديه ﷺ:

قال الصحابة: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام بين يدى رسول الله ﷺ وهو يؤكل.

ومن معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده:

قال أنس: أخذ رسول الله ﷺ كفا من حصى؛ فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبى بكر فسبحن.

وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها. فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وقال جابر بن عبد الله: لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ﷺ.

وفى حديث العباس: إذ اشتمل عليه النبى ﷺ وعلى أهل بيته بملاءة ودعا لهم بالستر من الناس كستره إياهم بملاءته، فأمّنت أسكفة الباب وجدران البيت آمين آمين.

ومن معجزاته ﷺ اضطراب الجبل لهيبته وسكونه بأمره:

عن أنس صعد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم. فقال عليه السلام: «اثبت أُحد. فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان». فقتل عُمر وعثمان.

ومثل ذلك عن أبى هريرة فى حراء وطلحة والزبير فقال عليه السلام: «اسكن حراء فإنما عليك نبى أو صديق أو شهيد».

شاهد ذلك ورواه: جماعة من أعيان الصحابة ومشاهير الأمة.

معجزة:

قال ابن عمر: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثم قال: «يمجد الجبار نفسه. فيقول: أنا الجبار أنا الكبير المتعال» فرجف المنبر حتى قلنا: ليخرّن عنه.

ومن معجزاته ﷺ سقوط الأوثان بإشارته:

قال ابن عباس: كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مثبتة الأرجل بالرصاص، فلما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح جعل يشير إليها بقضيب كان

فى يده ولا يمسّها ويقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلى وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم.

ومثله فى حديث ابن مسعود.

ومن معجزاته ﷺ سجود الأشياء له:

قال بحيرا الراهب حين رأى رسول الله ﷺ: هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعباد، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك بذلك يا بحيرا؟ فقال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا سجد له، وخَرَّ بين يديه ولا يسجد إلا لنبي.

ومن معجزاته ﷺ إظلاله بالغمام:

ففى الحديث: أنه عليه السلام أقبل وغمامة تظله من الشمس. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجر. فلما جلس مال الفيء إليه.

ورأت خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ حين قدم مع ميسرة غلامها من الشام وغمامة تُظله من حرّ الشمس.

ومن أنكر ذلك من اليهود والنصارى أورد عليهم مثله فى غمام موسى (١) وعيسى (٢) واضطرتهم الحال إلى التصديق وإلا شوّشوا قواعدهم. إذ طريق الثبوت واحد.

معجزة:

قالت عائشة: كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرَّ وثبت مكانه؛ فلم يجيء ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب.

ومن معجزاته عليه السلام كلام العجماء وشهادتها له بالنبوة والرسالة:

قال عمر: إن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى ومعه ضبّ قد صاده. فقال: من هذا؟ قالوا: نبى الله. فقال: واللات والعزّى لا آمنت

(١) غمام موسى «ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب» [خروج ١٩: ٩].
(٢) غمام عيسى «إذا سحابة نير ظللتهم» [متى ١٧: ١ ـ ٨].

بك حتى يؤمن بك هذا الضب. وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ فقال النبى عليه السلام: «يا ضب» فأجابه بلسان مبين: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال: «من تعبد؟» قال: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه. قال: «فمن أنا»؟ قال: رسول الله وخاتم النبيين. قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

وهذا أعجب من كلام الأخرس للمسيح، إذ كلام جنس الآدمى غير بعيد بخلاف الحيوان البهيم.

ومن معجزاته عليه السلام: كلام الذئب وقد جرى ذلك مرارا:

قال أبو سعيد الخدري: بينا راع يرعى غنما له إذ عرض الذئب لشاة فانتزعها الراعى منه. فأقعى الذئب. وقال للراعي: حلت بينى وبين رزقي. فقال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الآدميين. فقال الذئب: الا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فجاء الراعى فأسلم، وحدث الناس بذلك.

وفى طريق آخر: أنت أعجب مني. أقمتَ فى غنمك وتركتَ نبيا لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه. قد فُتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها ينظرون إليه وإلى أصحابه . فأسلم الراعى لذلك.

وقال صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب: رأينا ذئبا يطرد ظبيا. فدخل الظبى الحرم. فانصرف الذئب. قال فعجبنا من ذلك. فقال الذئب: أعجب من ذلك: محمد ابن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللات والعزى لإن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا.

معجزة:

قال أنس بن مالك: دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر حائط رجل من الأنصار، وفيه غنم. فسجدت لرسول الله ﷺ فقال أبو بكر: نحن أحق بالسجود لك منها يا رسول الله.

وقال أبو هريرة: دخل رسول الله حائطا؛ فجاء بعير فسجد له.

وقال ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن أبى أوفى: كان ببعض حيطان المدينة جمل لا يدخل أحد الحائط إلا شدّ عليه الجمل، فلما دخل رسول الله ﷺ دعاه فوضع الجمل مشفره فى الأرض وبرك بين يديه؛ فخطمه. وقال: «ما بين السماء والأرض شيء إلا ويعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس».

معجزة:

روى الإسفراييني: أن العَضبَاء ناقة رسول الله ﷺ بعد وفاته لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت غما عليه ﷺ.

وروى: أن يَعفور - حماره - بعد وفاته جاء إلى بئر فردّى نفسه فيه، فهلك.

معجزة:

روى ابن وهب: أن حمام الحرم أظلت رسول الله عام الفتح عند دخوله مكة، فدعا لها بالبركة.

معجزة:

وعن عبد الله بن قرط قال: قُرِّب إلى رسول الله ﷺ بدنات خمس أوست فى يوم عيد لينحرهن فادلفن إليه بأيهن يبدأ ﷺ.

معجزة:

قالت أم سلمة: بينا رسول الله فى صحراء إذ نادته ظبية: يا رسول الله. قال: ما حاجتك؟ قالت: صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل أُرضعهما وأرجع. قال: أو تفعلين؟ قالت نعم. فأطلقها فذهبت ورجعت. فانتبه الأعرابى وأسلم وخلّى عن الظبية. فخرجت تعدو فى الصحراء وهى تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ومن معجزاته تسخير السباع لغلمانه:

قال سفينة مولى رسول الله ﷺ: أرسلنى عليه السلام إلى معاذ باليمن فانكسرت بى السفينة. فطلعتُ إلى جزيرة فاستقبلنى الأسد. فقلت: أنا مولى رسول

الله ﷺ ومعي كتابه. فهمهم وجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق. فلما رجعتُ من اليمن لقيتُ الأسد أيضا فهمهم بشيء فقصصتُ ذلك على رسول الله ﷺ فقال: إنه يقول: «سَلِّم على رسول الله ﷺ» وكذلك جرى لسفينة في فتوح الشام.

حكاه الواقدي.

معجزة:

وأخذ رسول الله ﷺ بأذن شاة لعبد القيس بين أصابعه، ثم خلاها. فصار ذلك مِيسما وبقى فيها وفى نسلها بعد.

معجزة:

أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه عطشًا فى بعض أسفاره وكانوا ثلاثمائة رجل فجاءته عنز فحلبها عليه السلام فأروى الجند وهم على غير ماء. ثم قال لرافع: «املكها وما أراك تقدر» فربطها فوجدها قد ذهبت. فقال عليه السلام: «إن الذى جاء بها هو الذى ذهب بها». رواه ابن قانع وغيره.

قال المؤلف: هذه الآية نظير آية صالح عليه السلام.

معجزة:

روى الواقدي: أن النبى عليه السلام أرسل رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الدين والإيمان بالله عز وجل. فخرجوا متوجهين فأصبحوا فى يوم واحد، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين أُرسل إليهم [(١)] .

قال المؤلف: هذه الآية مضاهية لما حكاه أهل الإنجيل عن أصحاب المسيح الذين أرسلهم. فإن قَدَحوا فيها، ومنعوا صحّتها؛ لم يسلموا من مقابلتهم بمثل

(١) فى الأصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت. كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أع ٢ : ١ ـ ٤] وهذا النص موضوع للغو فى حقيقة «بيركليت الروح القدس» الذى هو «أحمد» ﷺ [راجع البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل].

ذلك فيما نقلوه. إذ طريق الثبوت واحد.

معجزة:

قال أبو هريرة: أهدت يهودية للنبى عليه السلام بخيبر شاة مسمومة. فأكل وأكل القوم. فقال عليه السلام: «ارفعوا أيديكم إن الذراع تخبرنى أنها مسمومة» (١) ثم قال لليهودية: «ما حملك على ذلك»؟ قالت: قلتُ إن كان نبيا لم يضره، وإن كان ملكا أرحت الناس منه. فقال عليه السلام: «ما كان الله ليسلِّطكِ عَلَيَّ».

روى ذلك جابر بن عبد الله، والحسن، وأبو سلمة، وأنس، وأبو هريرة وأبو سعيد. قال ابن عباس: فدفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها.

وقد خُرِّج حديث الشاة فى الصحيح.

معجزة:

روى فهد بن عطية قال: أُتى رسول الله ﷺ بصبى وقد شَبَّ ولم يتكلم قط. فقال له: «من أنا»؟ فقال: أنت رسول الله.

وهذه الآية مضاهية لآية المسيح فى كلامه المجنون الأخرس (٢). وكما لا يقدح تكذيب اليهود إليه؛ لا يقدح تكذيب النصارى لآية محمد عليه السلام.

معجزة:

قال مُعرِّض بن مُعيقب: رأيت النبى ﷺ فرأيت عجبا، أُتى بصبى يوم ولد. فقال له: «صدقت بارك الله فيك». وذلك فى حجة الوداع بمكة. فهو مبارك اليمامة. صدق الله ورسوله.

معجزة:

قال الحسن: أتى رجل رسول الله ﷺ فذكر أنه طرح بُنَيَّة له فى وادى

---

(١) من أوصاف محمد ﷺ فى التوراة: أنه لا يُقتل بيد أعدائه [تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢] وقد ذكر المؤلف هذا النص فى نهاية الكتاب. وهو: «فأما الذى يقول مالم آمره به، أو يدعو باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك قتلا» ومحمد لم يقتل؛ فيكون هو.

(٢) شفاء المسيح للمجنون فى الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس. وشفاؤه للمجنون الأخرس فى الأصحاح التاسع من إنجيل متى.

كذا. فمضى معه إلى الوادى وناداها باسمها: «يا فلانة أجيبى بإذن الله» فخرجت وهى تقول: لبيك وسعديك. فقال لها: «إن أبويك قد أسلما فإن أحببتِ أن أردّك إليهما» فقالت: لا حاجة لى بهما. وجدتُ الله خيرا لى منهما.

ومن معجزاته: حياة الشاب الأنصارى بعد موته:

قال أنس: توفى شاب من الأنصار وله أم عجوز عمياء. قال أنس: فسجّيناه وعزّيناها. فقالت: أمات ولدي؟ قلنا: نعم. فقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نبيك، رجاء أن تعيننى على كل شدة؛ فلا تحملن عليّ هذه المصيبة. قال أنس: فما برحنا حتى كَشَفَ الثوب عن وجهه. فطعم وطعمنا.

قال المؤلف: قال نقلة الإنجيل: إن المسيح أحيا ابن الأرملة [١] . وهذه الآية أعظم شأنا منها، إذ هى جرت على يد امرأة ضعيفة من أتباع نبينا محمد ﷺ ببركة هجرتها إليه ﷺ فكما لا يضر رد اليهود لآية المسيح؛ فكذلك لا يضرّ رد النصارى لآية محمد ﷺ .

معجزة:

عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن الشماس. وكان قتل باليمامة. فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم. فنظرنا فإذا هو ميت.

معجزة أخرى من جنسها:

قال النعمان بن بشير: بينا زيد بن خارجة مارا فى بعض سكك المدينة إذ خَرَّ ميتا فرفع وسُجِّى فسمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا. وحسر عن وجهه وقال: محمد رسول الله النبى الأمى خاتم النبيين كان

---

(١) إحياء المسيح لابن أرملة نايين فى الأصحاح السابع من إنجيل لوقا «وفى اليوم التالى ذهب إلى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميّت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة... إلخ».
وفى الأصحاح الحادى عشر من يوحنا أنه أحيا رجلا اسمه «لَعازر» وفى الأصحاح التاسع من إنجيل متى أنه أحيا ابنة بايروس.

ذلك في الكتاب الأول. ثم قال: صدق صدق. ثم قال: السلام عليك يا رسول الله. ثم خرّ ميتا كما كان.

معجزة:

قال سعد بن أبى وقاص وجماعة من الصحابة: لما كان يوم أُحد أصيبت عين قتادة حتى وقعت على وجنته. فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه.

قال المؤلف: هذا أغرب مما نقلته التوراة عن يوسف الصِّديق ـ عليه السلام ـ فى عينى أبيه [١]. فقد جمع الله لنبينا محمد ﷺ ما تفرق من آيات الرسل والأنبياء وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء.

معجزة:

تفل رسول الله ﷺ على إثر سَهْم فى وجه أبى قتادة الأنصارى فى يوم ذى قَار. قال أبو قتادة: فما ضرب على ولا قاح.

معجزة:

روى النسائى عن عثمان بن حنيف قال: جاء أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى بصري. قال: «انطلق. فتوضأ، ثم صلّ ركعتين. ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة. يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري. اللهم شفعه فِيَّ».

قال: فرجع الأعمى. وقد كشف الله عن بصره.

قال المؤلف: هذه الآية تُومه [٢] آية الإنجيل، وتؤمه آية اليَسَع فى نُعمان الآرامي. وقد حكيناهما فيما تقدم.

ومن معجزاته عليه السلام إبراء علة الاستسقاء:

مرض ابن مُلاعب الأسنة بالاستسقاء. فبعث إلى رسول الله ﷺ رسولا، فأخذ عليه السلام قبضة من الأرض فتفل عليها، ثم أعطاها رسوله فأخذها

(١) «ويضع يوسف يده على عينيك» [تكوين ٤٦ : ٤].

(٢) شفاء المسيح للأكمه فى يوحنا ٩ وشفاء اليسع لنعمان السرياني (الآرامي) فى الملوك الثانى ٥ .

متعجبا، يرى أنه هزئ به. فأتاه بها. وهو على شفا. فشربها الرجل. فشفاه الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله: حكت التوراة [١] أن موسى أمر قومه أن يسقوا من اتهمها زوجها بالزنا من طين يكون أسفل المذبح مخلوط [٢] بماء فإن كانت المرأة قد فجرت؛ أسفح بطنها وفخذاها، وإن كانت بريئة؛ سلمت من ذلك وحملت بزرع[٣]. وهذه الآية أنزل منها.

معجزة:

روى العقيلي عن حبيب بن فديك: أن أباه ابيضّت عيناه فكان لا يبصر بها شيئا. فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر فرأيته بعدُ يُدخل الخيط في الإبرة. وهو ابن ثمانين سنة.

معجزة:

لما تعسّر فتح خيبر قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فلما أصبح دعا عليّا ـ رضوان الله عليه ـ وكان أرمد، فجيء به. يُقاد. فتفل في عينيه. فبرأ لوقته وتقدم بالراية.

وفي هذه القصة عدة من الآيات: شفاء عينيه، والإخبار عن دوام حياته، وحياة الرسول إلى الغد، وأن خيبر قبل الغد مع كونها محصورة، وأن عليا ـ رضوان الله عليه ـ محبوب الله، وأن الفتح يكون على يده.

معجزة:

ورُمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره. فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرأ.

وتفل على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر؛ فبرأت.

---

(١) حكم اللعان مذكور في الأصحاح الخامس من سفر العدد ويسمى بشريعة الغيرة. ويأخذ الكاهن ماء مقدسا ويضع فيه من الغبار الذي في أرض المسكن، ويستحلفها الكاهن ويهددها بأن يجعل الرب فخذها ساقطة وبطنها وارما. وإن كانت بريئة «تتبرأ وتحبل بزرع».

(٢) في الأصل: مخلوط برماد بقرة.

(٣) في الأصل: وحملت بذكر.

وأصاب السيف رِجل زيد بن معاذ؛ فتفل عليها رسول الله ﷺ؛ فصحت وبرأت.

معجزة:

انكسرت ساق عليّ بن الحكم يوم الخندق. فتفل عليها رسول الله ﷺ فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه.

معجزة:

اشتكى عليّ وجعا. فركله برجله وقال: اللهم اشفه، فما اشتكى ذلك الوجع بعد.

معجزة:

قطع أبو جهل يوم بدر، يد معوّذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ وألصقها فلصقت وصحت مثل أختها.

رواه ابن وهب.

قال المؤلف: هذه والله أبهر للعقول من آية الإنجيل فى اليد اليابسة [١]، وفى أُذُن العبد مَلخُس ليلة الفزع [٢]. فالويل لمن كذّب بشيء من ذلك.

معجزة:

أصيب شق خبيب بن يساف يوم بدر، حتى مال. فردّه رسول الله ﷺ بيده ونفث عليه، فبرأ وصح.

قال المؤلف: هذا نظير ما حكوه من شفاء المخلّع فى الإنجيل [٣].

معجزة:

جاءت امرأة من خَثعم إلى رسول الله ﷺ بصبى لها لم يتكلم، فأخذ عليه السلام ماء فتمضمض به وغسل يديه، فأعطاها إياه وأمر بسقيه الصبي. ففعلت. فبرأ الغلام [٤] وعقل عقلا يفضلُ عقول الناس، وتكلم.

---

(١) متى ١٢: ٩ ـ ١٣.

(٢) يوحنا ١٨: ١٠.

(٣) شفاء المفلوج فى متى ٩: ١ ـ ٢.

(٤) يا سيد غلامى مطروح فى البيت [متى ٨: ٥ ـ ١٣].

وهذه نظيرة آية الإنجيل وأبهر منها.

معجزة:

قال ابن عباس رضى الله عنه: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بابن لها، به جنون. فمسح صدر الصبي. فثعّ ثعة. فخرج منه مثل الجرو الأسود. فذهب وعُوفى الغلام.

قال المؤلف: من نازعنا فى هذه الآية وما يشاكلها قلنا له: ما دليلك على أن المسيح أخرج الجنى من ابن الرجل الذى سأله، ومن مريم خادمته (١)؟ فما أجاب به؛ فهو جواب لنا.

معجزة:

كان فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة. فشكاها إلى رسول الله ﷺ فما زال عليه السلام يمسحها بكفه المباركة حتى رفع كفه. وقد زالت ولم يبق أثر.

معجزة:

سألت جارية رسول الله ﷺ طعاما. وهو يأكل فأعطاها من بين يديه. وكانت قليلة الحياء. فقالت: إنما أريد من الذى فى فيك. فناولها من فيه. ولم يكن عليه السلام يُسأل شيئا فيمنعه. فلما استقر فى جوفها أُلقى عليها من الحياء مالم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها ببركة رسول الله ﷺ.

ومن معجزاته ﷺ إجابة دعائه:

وهذا باب متسع جدا. وإجابة دعائه ﷺ متواتر معلوم ضرورة. فكان إذا دعا لرجل؛ أدركت الدعوة ولده وولد ولده. قال أنس: قالت أمي: يا رسول الله خُويدمك أنس. ادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته» قال أنس: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدي؛ ليُعادُّون اليوم على نحو المائة. وما أعلم أحدا أصاب من رفيع العيش ما أصبتُ، ولقد دفنت بيديّ هاتين

(١) متى ١٧ ولوقا ٨ وكان فى مريم سبعة شياطين.

مائة من ولدي، ولا أقول سقطا ولا ولد ولد». ودعا ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة. قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا. ومات عبد الرحمن فحفر الذهب فى تركته بالفؤوس حتى مَجَلَت منه أيدى الرجال. وكان له أربع زوجات فأخذت كل زوجة فى ربع الثُّمن مائة ألف درهم. وقيل: بل صُولحت مطلقته فى مرضه على ثمانين ألف. وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألفا بعد صدقاته الماشية فى حال صحته وعوارفه الكثيرة، وأعتق يوما ثلاثين عبدا، وتصدق فى مجلس واحد بقافلة فيها سبعمائة جمل بما عليها من البر والبضاعة، حتى أقتابها وأحلاسها ـ رضى الله عنه ـ كل ذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ.

ودعا عليه السلام لسعد بن أبى وقاص أن يجيب الله دعوته. فما دعا قط إلا استجيب له. فكانت دعوته مشهورة.

ودعا عليه السلام أن يُعزّ الله الإسلام بعمر. فاستجيب له وعَزّ به الإسلام. قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وأصاب أهل الإسلام عطش فقال عمر: يا رسول الله ادعُ لنا أن يسقينا. فدعا عليه السلام فجاءت سحابة فسقت الناس حاجتهم، ثم أقلعت.

ودعا عليه السلام فى الاستسقاء. فسقوا، فجاءه أهل العَوَالى يشكون كثرة المطر وتهديم الدور؛ فدعا ﷺ برفعه؛ فأقلع.

وقال عليه السلام لأبى قتادة: «أفلح وجهك. اللهم بارك له فى شعره وبشره» فعاش سبعين سنة. وكأنه ابن خمس عشرة سنة.

وقال للنابغة الجعدي: «لا يفضض الله فاك» قال: فعاش مائة وعشرين سنة، وقيل: أكثر من ذلك. فما سقطت له سنّ.

وقال لابن عباس: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» فسمى بَعدُ الحَبر وترجمان القرآن. وقال لعبد الله: «اللهم بارك له فى صفقة يمينه» فما اشترى قط إلا ربح فيه.

ودعا ـ عليه السلام ـ للمقداد بالبركة. فصارت عنده غرائر من المال.

ودعا بمثل ذلك لعروة بن أبى الجعد. فقال عروة: لقد صرت أقوم فى السوق؛ فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا. وقال البخارى فى حديثه: فكان لو اشترى التراب؛ لربح فيه، وندّت له ناقة؛ فدعا الله فجاءه بها إعصار ريح، حتى ردّها عليه ﷺ.

ودعا عليه السلام لأم أبى هريرة وقد كانت نالت منه. فأسلمت من ساعتها وقصتها مشهورة. ودعا لعلى رضوان الله عليه أن يُكفى الحر والبرد، فكان عليّ بعدها يلبس لباس الصيف فى الشتاء، ولباس الشتاء فى الصيف. ولا يصيبه حر ولا برد.

ودعا لفاطمة ـ سلام الله عليها ـ ألاَّ يجيعها. قالت: فما جعتُ قط بعدها.

وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه. فقال: «اللهم نوّر له» فسطع نور بين عينيه. فقال الطفيل: اللهم فى غير وجهي. فإنى أخاف أن يقولوا مُثْلة فتحوّل النور إلى طرف سوطه. كالقنديل، فكان يضيء فى الليلة المظلمة. فسمى ذا النور.

ودعا عليه السلام على مضر. فأُقحطوا حتى استعطفته قريش. فدعا لهم فسقوا وأخصبوا.

ودعا عليه السلام على كسرى أن يمزق الله ملكه ففعل الله ذلك وقتله ابنه شِيرُوَيْه ولم يقم بعدها للفرس قائمة. وأخبر عليه السلام فيروز عامل كسرى فى الليلة التى قُتل فيها وهو بالمدينة. فكان الأمر كما أخبر. فأسلم فيروز ومن معه.

وقطع عليه إنسان صلاته. فدعا عليه أن يقطع الله أثره فأُقعد.

وقال لآخر: «كل بيمينك» فقال: لا أستطيع. فقال له: «لا استطعت» فلم يرفعها بعدُ إلى فيه.

وقال لعتيبة بن أبى لهب: «اللهم سَلِّط عليه كلبا من كلابك» فأكله الأسد بعد أن حرسه أهله وصانوه.

ودعا على النفر الذين وضعوا السَّلَى عليه. وهو ساجد وسماهم واحدا واحدا. قال ابن مسعود: فلم ينج منهم واحد. لقد رأيتهم قتلى يوم بدر.

وكان الحكم بن العاص يَخْتَلج بوجهه فى مجلس رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «كذلك فكن» فابُتلى بهذه العلّة إلى أن مات.

قال المؤلف: هذه الآية نظيرة ما فى الإنجيل من دعاء المسيح على شجرة تين فيبست [١].

ودعا عليه السلام على مُحلّم بن جَثّامة. فهلك. فلفظته الأرض. فواروه. فلفظته أيضا دفعات. فجعلوه بين رضمتين ـ وهما جانبا الوادى ـ ثم رضموه بالحجارة.

وجحد رجل بيع فرس ـ وهى التى شهد بها خزيمة ـ فقال: اللهم إن كان كاذبا؛ فلا تبارك له فيها. فأصبحت من ليلتها على ثلاث قوائم.

ومن معجزاته ﷺ انقلاب الأعيان له:

روى الفِرَبْرى عن البخارى بإسناده عن أنس بن مالك: أن أهل المدينة فزعوا مرة، فركب رسول الله ﷺ فرسا لأبى طلحة كان بها قطاف فكان بطيئا. فلما رجع عليه السلام. قال: «إنا وجدناه لَبَحرا» فكان بعدُ لا يُجارى.

وخَفَق فرسا لُجعَيل الأشجعى بمخفقة كانت فى يده وبارك عليها. فلم يملك رأسها إلا نشاطا، وباع من باطنها باثنى عشر ألفا.

وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة. فردَّ هِمْلاجا لا يُساير.

وكانت شعرات من شعره ﷺ فى قلنسوة خالد بن الوليد؛ فلم يشهد بها قتالا إلا رُزق النصر.

وفى الصحيح عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها: أنها أخرجت جبّة طيالسة وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يُستشفى بها.

وكانت قصعته عليه السلام عند بعض العلماء. وكان يجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون ببركتها.

وأخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته. فصاح

---

(١) متى ٢١ .

على حنظلة بن حذيم وبارك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه وبالشاة قد ورم ضرعها فيضعه على موضع كف رسول الله ﷺ فيذهب الورم ويجد الشفاء. ونضح وجه زينب بنت أم سلمة بماء، فما يعرف كان فى وجه امرأة من الجمال ما فى وجهها. ومسح على رأس صبى به عاهة؛ فبرأ واستوى شعره. وفعل ذلك بجماعة من المجانين والمرضي؛ فشفوا وصحوا.

قال المؤلف: وعند هذه الآية؛ صح قول إشعياء النبى حيث يقول متنبئا على محمد رسول الله ﷺ: «روح الرب عليّ لأنه من أجل هذا مسحنى وأرسلني؛ لأنذر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية، وأبشّر بالسنة المقبولة» (١) فقد أنذر العُميان وأطلق الأسارى من أيدى ملوك. مثل كسرى وغيره، وكانت العرب فى إسارهم يؤدون لهم الإتاوة والخراج. وبشر بالسَّنَة المقبولة [سنة ظهوره] ﷺ وأطلق المجانين من أيدى الشياطين.

وأتاه رجل به أُدْرَة فأمره عليه السلام أن ينضحها بماء من عين كان رسول الله ﷺ يمجّ فيها. فذهب الرجل وفعل ذلك فشفى من أدرته.

قال المؤلف عفا الله عنه: هذا أعجب من قول اليَسَع لنعمان الأبرص(٢): اذهب إلى عين كذا وانغمس فيها سبع مرات؛ فبرئ، والطف من قول موسى لأخته مريم (٣) وقد تبرصت: أُخرجى عن عسكرنا وابعدى عنه سبعة أيام. حتى عوفيت، وأعظم من آية الإنجيل التى حكوها فى صاحبة النزيف (٤) وعن طاوس قال: لم يُؤت النبى ﷺ بأحد به جنون فصكّ فى صدره إلا ذهب الجنون عنه.

قال المؤلف: هذا ألطف مما فعل المسيح إذ ما خرج (٥) الجنى من الصبى الذى كلمه أبوه فيه، حتى صرع الصبى ولبطه وكاد أن يموت. وهذا طاوس يخبر أنه

---

(١) إشعياء ٦١ : ١ ـ ٢ .

(٢) الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني.

(٣) الأصحاح الثانى عشر من سفر العدد.

(٤) «وإذا امرأة نازفة دم» [متى ٩ : ٢٠ +] .

(٥) فى الأصحاح التاسع من مرقس فى هذه المعجزة: «كل شيء مستطاع للمؤمن» ـ «فصار كميت حتى قال كثيرون: إنه مات؛ فامسكه يسوع بيده، وأقامه فقام» .

ومن معجزاته ﷺ بركة يده فى إمرارها على ضروع الشياه الحوائل فتدر ألبانها:

كفعله فى شاة أم معبد، وشاة معاوية بن ثور، وشاة أنس، وغنم حليمة مرضعته. وشارفها، وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم يَنْزُ عليها فحل، وشاة المقداد.

وكل ذلك مستفيض عند أهل العلم والحديث.

ومن معجزاته تحويل الماء لبناً.

وهو أعجب من تحويل الماء خمرا وزيتا كما حكى أهل الكتاب (١). عن كتابى الإنجيل وسفر الملوك.

قال حماد بن سلمة: زَوّد رسول الله ﷺ أصحابه من ماء، بعد أن أوكاه ودعا فيه. فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فَحَلُّوه فوجدوه لبناً طيباً وفى فمه زبدة.

وهذا أنزل من تحويل الماء دما، كما فعل موسى بمصر (٢).

ومسح عليه السلام بيده المباركة رأس عمير بن سعد وبارك، فعاش ثمانين سنة لم يشب رأسه. كل ذلك ببركة يد رسول الله ﷺ.

وفعل ذلك بغير واحد من المسلمين. منهم السائب بن يزيد ومدلوك. ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره؛ فكان يوجد له طيب يغلب طيب نسائه.

وجرح عائذ بن عمرو يوم حنين. فسلَت الدم عن وجهه، ودعا له. فكانت له غرة كغرة الفرس ببركة يد نبى الله ﷺ.

ومسح على رأس قيس بن زيد الجُذامى ودعا له؛ فعاش مائة سنة ورأسه أبيض. وموضع كف النبى ﷺ وما مرت عليه يد رسول الله ﷺ أسود غربيب، فكان يُدعى الأغرّ.

وكذلك فعل بعمرو بن ثعلبة الجهني. ومسح على وجه رجل من المسلمين فكان لا يزال على وجهه نور. وكان لوجه قتادة بن مُلحان بريق حتى كان ينظر فى وجهه كما ينظر فى المرآة لأنه ﷺ مسح بيده على وجهه. ووضع يده عليه السلام

---

(١) يوحنا ٢ والملوك الثانى ٤ .

(٢) تحويل الماء إلى دم مذكور فى الأصحاح السابع من سفر الخروج.

على حنظلة بن حذيم وبارك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه وبالشاة قد ورم ضرعها فيضعه على موضع كف رسول الله ﷺ فيذهب الورم ويجد الشفاء. ونضح وجه زينب بنت أم سلمة بماء، فما يعرف كان فى وجه امرأة من الجمال ما فى وجهها. ومسح على رأس صبى به عاهة؛ فبرأ واستوى شعره. وفعل ذلك بجماعة من المجانين والمرضي؛ فشفوا وصحوا.

قال المؤلف: وعند هذه الآية؛ صح قول إشعياء النبى حيث يقول متنبئا على محمد رسول الله ﷺ: «روح الرب عليّ لأنه من أجل هذا مسحنى وأرسلني؛ لأنذر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية، وأبشّر بالسنة المقبولة» [1] فقد أنذر العُميان وأطلق الأسارى من أيدى ملوك. مثل كسرى وغيره، وكانت العرب فى إسارهم يؤدون لهم الإتاوة والخراج. وبشر بالسَّنَة المقبولة {سنة ظهوره} ﷺ وأطلق المجانين من أيدى الشياطين.

وأتاه رجل به أُدْرَة فأمره عليه السلام أن ينضحها بماء من عين كان رسول الله ﷺ يمجّ فيها. فذهب الرجل وفعل ذلك فشفى من أدرته.

قال المؤلف عفا الله عنه: هذا أعجب من قول اليَسَع لنعمان الأبرص[2]: اذهب إلى عين كذا وانغمس فيها سبع مرات؛ فبرئ، والطف من قول موسى لأخته مريم [3] وقد تبرصت: أُخرجى عن عسكرنا وابعدى عنه سبعة أيام. حتى عوفيت، وأعظم من آية الإنجيل التى حكوها فى صاحبة النزيف [4] وعن طاوس قال: لم يُؤت النبى ﷺ بأحد به جنون فصكّ فى صدره إلا ذهب الجنون عنه.

قال المؤلف: هذا ألطف مما فعل المسيح إذ ما خرج [5] الجنى من الصبى الذى كلمه أبوه فيه، حتى صرع الصبى ولبطه وكاد أن يموت. وهذا طاوس يخبر أنه

---

(١) إشعياء ٦١ : ١ ـ ٢ .

(٢) الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني.

(٣) الأصحاح الثانى عشر من سفر العدد.

(٤) «وإذا امرأة نازفة دم» {متى ٩ : ٢٠ + } .

(٥) فى الأصحاح التاسع من مرقس فى هذه المعجزة: «كل شيء مستطاع للمؤمن» ـ «فصار كميت حتى قال كثيرون: إنه مات؛ فأمسكه يسوع بيده، وأقامه فقام» .

بمجرد مسّ رسول الله ﷺ صدر المجنون يذهب جنونه.

وأخذ عليه السلام قبضة من تراب يوم حنين، ورمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا يمسحون التراب عن أعينهم.

وشكا إليه أبو هريرة النسيان وقلة الحفظ؛ فأمره ببسط ثوبه والنبى يحدِّث فلماحدثه؛ ضَم الثوب إلى صدره. قال أبو هريرة: فما نسيت شيئا سمعته بعد.

وكان جرير بن عبد الله لا يثبتُ على الخيل فضرب رسول الله ﷺ فى صدره ودعا له؛ فكان أثبت العرب وأفرسهم.

ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان دميمًا ودعا له؛ فَفَرع الرجال تمامًا وطُولا.

ومن آياته عليه السلام اطلاعه على الغيوب وإعلام الله له بما يكون قبل كونه:

قال العلماء والأئمة: وهذه المعجزة من جملة معجزاته معلومة لنا على القطع، واصلة إلينا بتواتر النقل؛ لكثرة رواتها، واتفاق معانيها.

قال حذيفة: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًافما ترك شيئًا يكون إلى أن تقوم الساعة إلا حدثنابه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وقد علم أصحابى هؤلاء: أنه ليكون منى الشيء؛ فأعرفه. فأذكره كما يذكر الرجل وجهًا إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.

ثم قال حذيفة: ما أدرى أَنسيَ أصحابى أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته.

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذَكَّرنا منه علمًا.

وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به رسول الله ﷺ أصحابه من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة؛ لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستُغزى، وتفتح

خيبر على يد علي في غد يومه، وأخبرهم بما يفتح على يد أمته من الدنيا وما يؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر. وأنه ستكون لهم أنماط. ويغدو أحدهم في حلّة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة، وأنهم سيمشون المطيطاء. وتخدمهم بنات فارس والروم ويقاتلهم الترك والخزر والروم. وأخبرهم بذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده. وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده. وأخبرهم أن الروم ذوات قرون إلى آخر الدهر. وأخبرهم بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس. وقبض العلم وظهور الفتن والهرج. وقال: **«إنه زُويت له الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أمتي ما زوى له منها»**.

فلهذا امتدت مملكة أمته صلوات الله عليه وسلامه من المشارق إلى المغارب. كما ترى حتى بلغت من أقصى الهند إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه[1].

وقال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله. وهم كذلك. فقيل: يا رسول الله وأين هم يومئذ؟ قال: ببيت المقدس». وأخبر عليه السلام بملك بني أمية واتخاذهم مال الله دُولا. وأخبر بخروج بني العباس بالرايات السود. وملكهم أضعاف ما ملكوا. وأخبر عليه السلام بخروج «المهدي»[2] وأخبر بما ينال أهل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين - وأخبر بقتل عليٍّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه - وأن أشقى الناس الذي يخضب لحيته الكريمة من رأسه.

وقال عليه السلام: «يُقتل عثمان. وهو يقرأ بالمصحف»، وأن الله سيُلبسه قميصًا، وأن المنافقين يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقال عليه السلام: «إن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا» وأخبر عليه السلام بقتال الزبير لعليّ. وأخبر: أن عمارًا تقتله الفئة الباغية. وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس».

(١) في نظر المؤلف.

(٢) احاديث خروج المهدى ثابتة بروايات الآحاد. انظر كتابنا أزمنة الأمم - مكتبة الإيمان بالمنصورة.

وقال فى قزمان وقد أبلى مع المسلمين: «إنه لمن أهل النار» فقتل نفسه.

وقال عليه السلام لجماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة: «آخركم موتًا فى النار» فكان بعضهم يسأل بعضًا، فكان سمرة آخرهم موتًا هرم. فاصطلى بالنار فاحترق فيها.

وقال فى حنظلة الغَسيل: «سلوا زوجته فإنى رأيت الملائكة تغسله». فأخبرتهم أنه خرج للحرب جُنُبًا أعجله الحال عن الغسل. قال أبو سعيد: وجدنا رأسه يقطر ماء. وقال عليه السلام: «الخلافة فى قريش» فها هى لم تتعدّاهم. وقال: «يكون فى ثقيف كذاب ومبير»، فكانا وهما الحجاج والمختار. وقال: «إن فاطمة أول أهل بيته لحوقًا به» فكانت وأنذر عليه السلام بالردّة.

وقال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا» فكانت كذلك بولاية الحسن رضوان الله عليه.

وأخبر بشأن أُويس القرنى ووصفه بحليته وأن له والدة وأنه كان به برص فدعا الله فشفاه إلا موضع الدرهم، وأن عليًا وعمر سيلقيانه. فكان كل ذلك - صلوات الله على سيدنا محمد وآله.

وأخبر عليه السلام أنه سيكون بعده ثلاثون دجالاً فيهم أربع نسوة وآخرهم الدجال الكذاب. وكلهم يكذب على الله وعلى رسوله.

وقال عليه السلام: «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم» الحديث. فكان الأمر كذلك وقال: «لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه».

وأخبر عليه السلام بظهور القدرية والرافضة والخوارج. ووصفهم بصفاته والمُخْدَج الذى فيهم وأن سيماهم التَّحليق.

وأخبر عليه السلام بأن رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان، وأن الأَمَةَ تلد ربّتها، وأن قريشًا والأحزاب لا يغزونه أبدا. وهو الذى يغزوهم. وأخبر عليه السلام بأن أُمّته يغزون فى البحر كالملوك على الأسرة.

وأخبر فقال: «لو أن الدين والعلم عند الثريا؛ لناله رجل من فارس» فكان جميع ما قاله وأخبر به عليه ﷺ. وهاجت ريح فى غزاته. فقال عليه السلام:

«هاجت لموت منافق» فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك. وقال لجلسائه: «ضرس أحدكم فى النار أعظم من أحد» قال أبو هريرة: فذهب القوم وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدًا يوم اليمامة.

وأخبر عليه السلام بالذى غَلّ خرزا من المغنم، فَوُجدت فى رحله. وبالذى غَلّ الشملة. وأخبر بناقته وحيث هى باقية حين ضلت، وكيف تعلقت بشجرة بوادى كذا؛ فوُجدت على النعت الذى ذكر. وأخبر بكتاب حاطب إلى أهل مكة، وبالمال الذى تركه العباس عند أم الفضل. فكان ذلك سبب إسلامه. وأخبر عليه السلام بأنه سيقتل أُبَى بن خلف فقتله. وقال فى عتبة بن أبى لهب: «إنه سيأكله الأسد» فأكله بعد أن حُرِس. وأخبر عن مصارع أهل بدر قبل كونها، فكان جميع ذلك. وقال : إن «الحسن» يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وأخبر عليه السلام بقتل أهل مُؤتة يوم قتلوا. وبينه وبينهم أكثر من شهر. وأخبر بموت النجاشى ومات وهو بأرض الحبشة وبينهما ما قد عُلم. وأخبر فيروزَ بقتل كسرى يوم قُتل، فأسلم فيروزُ ومن معه. وأخبر أبا ذر بتطريده، ورآه فى المسجد نائمًا وحده. فقال: كيف بك يا أبا ذر إذا أُخرجت منه؟ قال: أسكن المسجد الحرام. قال: فإذا أُخرجت منه ـ الحديث بطوله ـ فجرى ذلك كله. وأخبر بعيشه وحده، وبموته وحده. فمات بالربّذة وحده. وقصته مشهورة.

وأخبر عليه السلام بأن أسرع أزواجه لحوقًا به؛ أطولهن يدا. فكانت «زينب» لطول يدها بالصدقة. وأخبر بقتل الحسن ـ رضوان الله عليه ـ بالطَّف، وأخرج بيده تربة وقال: «فى هذه مضجعه». وقال لزيد بن صوحان: «يسبقه عضو منه إلى الجنة» فقطعت يده فى الجهاد.

وقال فى الذين معه على الجبل: «اثبت حراء. فإنما عليك نبى وصدّيق. وشهيد» فقتل عمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير. وطُعن سعد.

وقال لسراقة : «كيف بك إذا أُلبست سوارى كسرى؟» فلما أُتى عمر بهما ألبسهما إياه. وقال: الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

وقال عليه السلام لعمر فى سهيل بن عمرو حين قال له ما قال: «عسى أن

يقوم مقامًا يسرك يا عمر» فقام بمكة حين بلغه وفاة رسول الله ﷺ وخطب خطبة يثبت فيها بصائرهم على الإسلام. وكذلك فعل بالشام أيضًا.

وقال لخالد بن الوليد حين وجهه لأُكيدر: «إنك ستجده يصيد البقر» فكان الأمر كذلك.

إلى ما أخبر به - عليه السلام - جلساءه من أسرارهم وبواطنهم، ونبه عليه السلام من أسرار المنافقين وكفرهم وإلحادهم، حتى صار أحدهم يقول: لأصحابه: اسكت. فوالله لو لم يكن عنده من يُخبر؛ لأخبرته حجارة البطحاء.

وأعلم رسول الله ﷺ أصحابه بصفة السِّحر الذى سحره لبيد بن الأعصم. وحيث جعله. فَوُجد على تيك الصفة، وفى ذلك المكان. وأعلم قريشًا: أن الأرضَة قد أكلت صحيفتهم التى كتبوها على بنى هاشم خلا قوله: باسمك اللهم. ووصف عليه السلام لقريش «بيت المقدس» حين كَذَّبوه فى خبر الإسراء. وأعلمهم بشأن العِير الواصلة؛ فلم يخرم من ذلك حرف.

إلى ما أخبر به عليه السلام من الحوادث التى ستكون. ولمَّا تجيء بعد. كقوله: «عُمران بيت المقدس؛ خراب يثرب. وخراب يثرب؛ خروج الملحمة. وخروج الملحمة؛ فتح القسطنطينية».

وهذا نوع من معجزاته لا يكاد يحصر لكثرته واتساعه.

ومن آياته عليه السلام عصمته من أعدائه على كثرتهم:

قال الله له: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيات.

قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُحرس حتى نزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج عليه السلام رأسه من القبة. فقال: أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمنى ربى عز وجل.

وكان عليه السلام إذ نزل منزلا؛ اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه

أعرابى وهو غورث بن الحارث. فاخترط سيفه وقال: من يمنعك مني؟فقال: «الله» فأرعدت يده وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دمه. والحديث فى الصحيح. فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وجرى ذلك له مرات، منها يوم بدر. وقد انفرد عن أصحابه. ومنها فى غزوة غطفان مع رجل يقال له دعثور بن الحارث. وأنه أسلم. فلما رجع إلى قومه الذين أغووه بذلك قالوا له: أين ما كنت تعدنا؟وكان أبسلهم وأشجعهم قال: إنى نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع فى صدري. فوقعت لظهرى وسقط السيف من يدي؛ فعرفت أنه مَلَك فأسلمتُ. وكانت حمالة الحطب تضع العضاة - وهى جمر - على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يطؤها كثيبا أهْيل.

وقد ذكر ابن إسحق: أن حمالة الحطب حين بلغها قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وذمَّها الله مع زوجها أتت رسول الله ﷺ وهو جالس ومعه أبو بكر وفى يدها فهر من حجارة. فلما وقفت عليهما؛ لم تر سوى أبى بكر. وأخذ الله ببصرها عن نبيه؛ فلم تره. فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟فقد بلغنى أنه هجاني. والله لو وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْر فاه [(١)].

وقال الحكم بن أبى العاص: تواعدنا على النبى ﷺ حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا ما ظننا أنه بقى بتهامة أحد، فوقعنا مغشيا علينا. فما أفقنا حتى قَضَى صلاته، وانصرف إلى أهله. ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه.

---

(١) من الأقوال فى ﴿تبت يدا أبى لهب﴾: أن اللهب هو النار. وفى اللغة العربية: يقال: أبو الشر. للعاكف عليه. لا أن الشر يلد، أو يُولد. ويقال: أبو الخير. لجلاب الخير للناس. وللمستحق للجنة. فى مقابل أبو اللهب للمستحق للنار كأنه يقول: تعس وخاب من يستحق النار، لأنه اسم رجل بعينه هو «أبو لهب» ولما فرغ من الرجال، شرع فى الكلام على النساء المساعدين لأزواجهم فى فعل الشر. فقال: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اى التى تتبع عورات الناس وتنقل عنهم كلاما لتوقعهم فى الفتن والاختلاف. شُبهت بحاطب يحتطب فى الليل؛ لا يميز بين عود من خروع ولا عود من آس. وربما وهو يحتطب تلدغه أفعى فى جنح الظلام. وغرضها من التتبع مساعدة رجلها فى الشر والجزاء: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ على طريق المشاكلة. فإنه لما شبهها بالمحتطب، ومن لوازم عمله حبل يربط به حطبه؛ جعل لها جزاء على سبيل الكناية هو أن الحبل الكريه المؤلم يطوق عنقها بدل قلائد الجوهر الغالية الثمن والحسنة المنظر. ويجمع ذلك كله: أن الأشرار من الرجال والنساء فى نار جهنم. والمراد بهم ههنا اليهود.

وعن عمر قال: تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة؛ لقتل رسول الله ﷺ فجئنا منزله فسمعناه يقرأ: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ فضرب أبو جهم على عضدي. وقال: انج. وفررنا هاربين.

ولما اجتمعت قريش على قتل نبى الله وبَيَّتوه؛ خرج عليهم رسول الله ﷺ فقام على رءوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم. فذّر التراب على رءوسهم وذهب. فجعل الرجل يتناول من على رأسه ترابا، وذهبوا خائبين. ومن هذا القبيل كفاية الله له فى الغار بما هيأ الله له من الآيات، من نسج العنكبوت على باب الغار. حتى قال أمية بن خلف حين قالوا: ندخل الغار: إن على الغار من نسج العنكبوت ما أرى: أنه قبل أن يولد محمد. ووقفت حمامتان على فم الغار. فقالت قريش: لوكان فيه أحد، لما كان هناك الحمام.

وقصته مع سراقة؛ مشهورة. وذلك أن قريشا جعلت فى رسول الله الجعائل. فركب سراقة بن مالك واتّبعه حتى إذا قرب منهما دعا عليه رسول الله ﷺ فساخت قوائم فرسه فى أرض صلبة ومحجر صَلْد؛ فخر عنها واستقسم بأزلامه. فخرج له ما يكره، ثم اتبعهما ثانية حتى إذا دنا منهما وسمع قراءة، رسول الله ﷺ ورسول الله لا يلتفت. قال أبو بكر: أُتينا يا رسول الله. فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فساخت قوائم فرسه ثانية إلى ركابها. فَخَرّ عنها، وزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان. فناداهم بالأمان. فكتب له النبى ﷺ كتاب أمان كتبه أبو بكر، وقيل كتبه ابن فهيرة، وأمره النبى ﷺ أن لا يدع الطلب يلحق بهم. فانصرف سراقة يقول للناس: كفيتم ما ههنا. ووقع فى نفسه ظهور النبى ﷺ.

ورآهم آخر من الرعاة فخرج ينشدُ، يُعلم قريشا، فلما ورد مكة ضرب الله على قلبه فأنسى ما قَدِم له، حتى رجع إلى موضعه.

قال ابن إسحق: وجاءه أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه، فلزقتْ بيده ويبست يداه إلى حدّ عنقه. فرجع القهقرى وسأله. فدعا له حتى انطلقت يداه. وكان حَلِف لقريش لئن رآه ليدمغنّه. فسألوه عن

شأنه فذكر أنه عَرض له دونه فَحْل ما رأى مثله؛ هَمَّ به أن يأكله. فقال عليه السلام: «ذلك جبريل لو دنا منى لأخذه».

وذكر السمرقندي: أن رجلا من بنى المغيرة أتى النبى ﷺ ليقتله؛ فطمس الله على بصره فلم يره، وكان يسمع قراءته ولا يهتدى إليه؛ فرجع إلى أصحابه؛ فلم يرهم حتى نادوه.

وعن أبى هريرة قال: إن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمداً ليؤذينه، فلما صلّى النبى أعلموه. فأقبل فلما قرب منه ولّى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه. فسُئل عن ذلك. فقال: لما دنوتُ منه أشرفتُ على خندق مملوء ناراً كدت أهوى فيه، وأبصرتُ هولا عظيما وخفق أجنحةٍ قد ملأت الأرض [(١)] . فقال عليه

(١) نشيد موسى عليه السلام:

تمهيد:

مهدت التوراة لنص النشيد بما نصه:

«وقال الرب لموسي: هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت. ادع يشوع، وقفا فى خيمة الاجتماع؛ لكى أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى الخيمة وتراءى الرب فى الخيمة فى عمود سحاب، ووقف عمود السحاب على بابَ الخيمة. وقال الرب لموسي: ها أنت ترقد مع آبائك؛ فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين فى الأرض، التى هو داخل إليها، فى ما بينهم، ويتركنى وينكث عهدي. الذى قطعته معه. فيشتعل غضبى عليه فى ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهى عنه. فيكون مأكلا، وتصيبه شرور كثيرة، وشدائد. حتى يقول فى ذلك اليوم؛ أما لأن إلهى ليس فى وسطي، أصابتنى هذه الشرور، وأنا أحجب وجهى فى ذلك اليوم، لأجل جميع الشر الذى عمله. إذ التفت إلى آلهة أخرى. فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلّم بنى إسرائيل إياه. ضعه فى أفواههم؛ لكى يكون لى هذا النشيد، شاهدا على بنى إسرائيل. لأنى أدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم. الفائضة لبنا وعسلا. فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى. ويعبدونها، ويزدرون بي، وينكثون عهدي. فمتى أصابته شرور كثيرة، وشدائد؛ يجاوب هذا النشيد أمامه، شاهدا. لأنه لا يُنسى من أفواه نسله. إنى عرفت فكره الذى يفكّر به اليوم، قبل أن أدخله إلى الأرض. كما أقسمتُ.

فكتب موسى هذا النشيد، فى ذلك اليوم، وعلّم بنى إسرائيل إياه» [تث ٣١: ٤ ـ ٢٢].

نص نشيد موسي:

«انصتى أيتها السموات؛ فأتكلمَ، ولتسمعَ الأرضُ أقوال فمي. يهطلُ كالمطر تعليمي، ويقطرُ كالندى كلامي. كالطل على الكلأ، وكالوابل على العُشب. إنى باسم الرب أنادي: أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبُله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صدِّيق وعادل هو.

أفسد له الذين ليسوا أولادَه. عَيْبُهم. جيل أعوج ملتو. ألربَّ تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عَمِلك وأنشاك؟ أذكر أيام القِدم، وتأملوا سنى دورٍ فدور. اسأل أباك؛ فيُخبرك=

. . . .

=وشيوخك؛ فيقولوا لك. حين قسّم العليّ الأمم. حين فرّق بني آدم؛ نَصَب تخوما لشعوب حسب عدد بني إسرائيل. إنّ قسْم الرب؛ هو شعبه. يعقوبُ حبل نَصيبه. وجده في أرض قَفْر، وفي خلاء مستوحش خَرِب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يُحرك النَّسر عُشه، وعلى فراخه يرفُ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملُها على مناكبه؛ هكذا الرب وحده؛ اقتاده، وليس معه إله أجنبي. أركبه على مرتفعات الأرض؛ فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلا من حجر، وزيتا من صوّان الصخر، وزبْدة بقر، ولبن غنم، مع شحْم خراف، وكباشٍ. أولاد باشان. وتُيوسٍ مع دَسَم لُب الحنطة. ودمُ العنب، شربتَه خمراً.

فَسَمَن يَشُورون ورفَس. سَمِنْتَ وغلظت، واكتسيت شحما. فرفض الإله الذى عمله، وغبى عن صخرة خلاصه. أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان. ليست الله. لآلهة لم يعرفوها. أحداث قد جاءت من قريب، لم يرهبها آباؤكم. الصخرُ الذى ولدك؛ تركته. ونسيت الله الذى أبدأك.

فرأى الربُّ. ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجبُ وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم؟إنهم جيل متقلّب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرهم بما ليس شَعْبا. بأمة غبية؛ أُغيظهم.

إنه قد اشتعلت نار بغضبي، فتتّقد إلى الهاوية السفلى. وتأكلُ الأرض وغلّتها، وتُحرق أُسس الجبال. اجمعُ عليهم شرورا. وأُنفذ سهامى فيهم. إذ هم خاوون من جوع، ومنهوكون من حُمَّي، وداء سامّ. أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حُمَةِ زواحف الأرض.

من خارجٍ؛ السيفُ يُثكل، ومن داخل الخدور؛ الرَّعبةُ. الفتى مع الفتاة، والرضيع مع الأشيب. قلتُ: أُبددهم إلى الزوايا، وأبطّل من الناس ذكرَهم. لو لم أخف من إغاظة العدو، من أن يُنكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعتْ وليس الرب فعل كل هذه. إنهم أُمَّة عديمةُ الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه، وتأملوا آخرتهم. كيف يطردُ واحد ألفا، ويهزم اثنان ربوة؟لولا أن صخرهم باعهم، والربُّ سلّمهم. لأنه ليس كصخرنا صخرهُم، ولو كان أعداؤنا القضاةَ. لأنّ من جفنة سدوم جفنتهم، ومن كُروم عَمُورة.

عِنَبهم عنبُ سَمّ، ولهم عناقيد مرارة. خمرهُم حُمَةَ الثعابين، وسَمُّ الأصلال القاتلُ.

أليس ذلك مكنوزا عندي، مختوما عليه فى خزائني؟لي النقمةُ والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم[1]. إن يوم هلاكهم قريب، والمهيآت لهم مُسرعة؛ لأن الرب يَدينُ شعبه، وعلى عبيده يُشفق. حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجوزاً ولا مُطلَقا. يقول: أين آلهتُهم. الصخرةُ التى التجأوا إليها التى كانت تأكلُ شحم ذبائحهم، وتشرب خمر سكائبهم. لتقمْ، وتساعدكمْ، وتكن عليكم حماية.

انظروا الآن. أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أُميت وأحيي. سَحَقتُ وإنى أَشْفِي، وليس من يدى مخلِّص. إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول: حى أنا إلى الأبد إذا سننتُ سيفى البارق، وأمسكت بالقضاء يدي؛ أردُّ نقمة على أضدادي، وأجازى مبغضيّ. أُسكر سهامى بدمٍ، ويأكلُ سيفى لحماً بدم القتلى والسبايا، ومن رءوس قواد العدو.

تهللوا أيها الأممُ. شعبهُ؛ لأنه ينتقم بدم عبيده، ويردُّ نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه. عن شعبه=

---

(١) هذا دليل على يوم القيامة / انظر كتاب حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب ـ تأليف / أحمد حجازى السقا ـ نشر الكليات الأزهرية بمصر

. . . .

=[تث ٣٢: ١ ـ ٤٣].

هذا هو نشيد موسى عليه السلام. وهو نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسي، فى آخر أيام بركة إسحق عليه السلام. وقد طبّق بولُس هذه النبوءة على عيسى عليه السلام فى رسالته إلى أهل روما. فقال: «تهللوا أيها الأمم، مع شعبه» [رو ١٥: ١٠].

واعلم:

١ ـ أن نبوءة نشيد موسى تدل على أن الملائكة النورانيين الذين هم فى السماء سينصرون محمداً ﷺ وأصحابه فى المعارك الحربية.

٢ـ وأن التوراة والإنجيل قد صرحا بأن أصحاب محمد ﷺ ملائكة مجازا. لا حقيقة. على حد قوله تعالى: ﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ وقد نزلت الملائكة النورانيون على النبى وأصحابه فى غزوة بدر الكبرى، ليعلم اليهود أنه هو النبى المكتوب عندهم فيؤمنوا به، ولكن الرواة قد قالوا: إن معركة بدر قد كانت بين النبى وبين كفار قريش؛ ليفوتوا على العالم الغرض من نزول الملائكة يوم بدر. وهم محجوجون بقوله: ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ اى ليأخذ المسلمون من بعد النصر جزءا من أملاك اليهود. وقد بينا ذلك فى كتابنا الموسوم بالبداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل.

وأما أن أصحاب النبى يلقبون بالملائكة مجازا. ففى نبوءة موسى عليه السلام: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣: ٢ ـ ٣] فإن التوراة اليونانية تترجم: «وأتى مع عشرة آلاف قديس» وتترجم القديس بالملك. أى أتى مع جماعات من الملائكة. وفى إنجيل متى يقول المسيح عيسى عليه السلام عن محمد وأصحابه: «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب. . . إلخ» [متى ٢٥: ٣١ +].

والنص اليونانى لنبوءة نشيد موسى يختلف عن النص العبرانى فى آخرها. وقد استشهد بها بولس بالنص اليونانى فى رسالته إلى أهل روما. فقال: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» [رو ١٥: ١٠] وأخذ نبوءات التوراة التى هى عن محمد ﷺ ووضعها على عيسى عليه السلام فى رسالته إلى العبرانيين فقال: «لأنه لمن من الملائكة قال قط: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك» وأيضا: «وأنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا» وأيضا: متى أدخل البكر إلى العالم يقول: «ولتسجد له كل ملائكة الله» وعن الملائكة يقول: «الصانع ملائكته رياحا وخدامه لهيب نار» وأما عن الابن: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» و«أنت يارب فى البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى» ثم لمن من الملائكة قال قط: «اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك»؟ أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص»؟

[عب ١].

السلام: «تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا».

وعن شيبة بن عثمان الحجبى قال: لما كان يوم حُنين وكان حمزة قد قَتَل أبى وعمي. قلت: اليوم أُدرك ثأرى من محمد. فلما اختلط الناس أتيتُه من خلفه ورفعت سيفى لأصبه عليه. فلما دنوت منه ارتفع لى شُواظ من نار أسرع من البرق فوليتُ هاربا، وأحسّ بى النبى ﷺ فدعانى فوضع يده على صدرى وهو أبغض الخلق إليّ. فما رفعها إلاوهو أحبّ الخلق إليّ. وقال لي: «أُدن فقاتل» فتقدمت أمامه أضرب بسيفى وأقيه بنفسي. ولو لقيت تلك الساعة أبى لأوقعت به دونه.

وعن فُضالة بن عمير قال: أردتُ قتل النبى ﷺ عام الفتح. وهو يطوف بالبيت. فلما دنوت قال: «أفضالة»؟ قلت: نعم. قال: «ما كنتَ تحدث به نفسك»؟ قلت: لا شيء. فضحك واستغفر لى ووضع يده على صدري؛ فسكن

=لاحظ: ١ ـ تهللوا أيها الأمم مع شعبه ٢ ـ ولتسجد له كل ملائكة الله. فإنهما من نبوءة واحدة هى نبوءة نشيد موسى بحسب النص اليوناني. ولاحظ: أنه أخذ عدة نبوءات ووضعها تحت بعضها. وطبقها على المسيح.

ومؤلف تخجيل الإنجيل طبق بعضهن على محمد ﷺ فى ثنايا الكتاب. ومؤلف التخجيل هذا؛ لم يفطن إلى نصرة الله لمحمد وأصحابه بالملائكة الحقيقيين، وهو يتكلم فى نشيد موسي، ولم يفطن إلى فعل بولس فى رسالته إلى أهل روما فى بدء الرسالة إلى العبرانيين. وقد بينا كل ذلك فى كتابنا اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة.

تطابق نبوءة نشيد موسى مع القرآن الكريم:

١ ـ اليهود نقضوا عهد الله «وينكث عهدى الذى قطعته معه» ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾.

٢ ـ عبد اليهودُ الأصنامَ «ويفجر وراء آلهة الأجنبيين» وفى القرآن أنهم عبدوا صنم البعل فى أيام إلياس عليه السلام.

٣ ـ «هكذا الرب وحده اقتاده، وليس معه إله أجنبي... الخ» وفى القرآن: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾... إلخ.

٤ ـ «هم اغارونى بما ليس إلها. اغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم» متطابق مع سورة الجمعة.

٥ ـ «أنا أنا هو وليس إله معي» متطابق مع ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

٦ ـ «ولتسجد له كل ملائكة الله» فى النص اليوناني. وهو محذوف من العبرى والسامرى معناه أن الملائكة تخضع له لنصرته. وهذا مذكور فى سورة آل عمران والأنفال.

قلبي. فوالله ما رفع يده حتى ما خلق الله من شيء أحبّ إليّ منه ﷺ.

ووفد عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على رسول الله ﷺ وكان عامر قال لأربد: أنا أشغل عنك وجه محمد بالحديث؛ فاضربه أنت. فلما خرجا من عنده ولم يصنع شيئا. قال: أين ما عزمت عليه؟قال: والله ما هممتُ به إلا وجدتك بينى وبينه. أفأضربك بالسيف؟

ومن عصمة الله له: أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به قريشا ووصفوه لهم وأخبروهم بسطوته بهم، وحَضُّوهم على قتله. فحماه الله وعصمه من كل سوء حتى بلغ فيه كرامته.

قال المؤلف: وقد رُوى عن أفاضل الصحابة: أنهم سمعوا ليلة ولادة رسول الله ﷺ يهوديا ينادى صاحبه على أطم من آطام المدينة: يا فلان إنه قد طلع فى هذه الليلة نجم أحمد. وذلك مواطيء لقول المجوس الذى حكاه النصارى فى إنجيلهم عند مولد المسيح.

وأنَّى لهم بتحقيق تلك الحكاية عن المجوس إلا بالطريق التى ثبتت به أخبارنا؟ فإن قدحوا فى صحة أخبارنا لم يسلموا من مثل ذلك فيما صاروا إليه. وقد حكى النصارى: أن أم المسيح حين خافت عليه هِيرودُس هربَتْ به إلى مصر وهو طفل [1] . فأما رسول الله فعصمه الله من كيد أعدائه. وهو بين أظهرهم، وقد جهدوا جهدهم.

فلم نحتج إلى ما نقله المخالفون.

ومن معجزاته عليه السلام إمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له:

قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال عز من قائل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ الآيتين وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ وقد رأى الجن جماعة من أصحاب نبينا عليه السلام. وكذلك شاهدوا جبريل وهو يسأل رسول

---

(١) متى ٢ واعلم: أن لوقا روى أن المسيح إلى سن الثالثة عشرة كان فى هيكل سليمان يتعلم العلم. فلماذا قالوا بذهابه إلى مصر وهو صغير؟راجع كتابنا اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة.

الله ﷺ عن الإسلام والإيمان، ورأى جبريل عليه السلام ابن عباس وأسامة وغيرهما. وأبصر سعد جبريل وميكائيل عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض. وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ. ورأى ابن مسعود الجن مع رسول الله ﷺ. ولما قتل مُصعب بن عمير أخذ راية المسلمين مَلَك على صورته. فكان النبى عليه السلام يقول له: «تقدم يا مصعب». فقال: لست بمصعب. فعرف أنه مَلَك.

قال المصنف: إن طعن فى هذه الشهادات المتضافرة يهودى أو نصراني؛ وَرَد عليهم فيما حكوه عن بطرس [1] وابنى زيدى من أنهم رأوا الملائكة بالجبل وقد جاءت للمسيح. وكذلك ما رواه اليهود من مجيء الملائكة لإبراهيم ولوط وموسي [2].

وكل سؤال انعكس على السائل؛ سقط جوابه عن المسئول.

وقد أَرَى النبيُّ ﷺ جبريلَ لحمزة فى الكعبة. فخر حمزةُ مغشيا عليه.

وحكى جماعة من العلماء: أن عمر بن الخطاب. قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل شيخ فى يده عصا. فسلّم على النبى ﷺ فردّ عليه النبي. وقال: «نغمة الجن فمن أنت»؟ قال: أنا هامة بن الهيثم بن لاقش بن إبليس. فذكر أنه لقى نوحا ومن بعده.

فى حديث طويل وأقرأه عليه السلام سورا من القرآن.

وقد حكى الواقدي: أن خالدا قتل العُزَّى عندما هدم بيتها.

ومن دلائل نبوته ما نطقت به قدماء الشعراء الموحدين من التنويه بشأنه ﷺ:

مثل تُبّع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤى وسفيان بن مجاشع وقسّ بن ساعدة وما ذكره سيف بن ذى يزن الملك، وما عرف به زيد بن عمر وبن نفيل، وورقة بن نوفل، وعثكلان الحميرى وشامول صاحب تُبّع.

وما حكاه علماء اليهود وأسلم لَمَّا حقق أمره. مثل عبد الله بن سلام وابنى سعية وابن يامين ومخيريق وكعب الأحبار. من أحبار اليهود وعلمائهم. وكذلك ما

(١) يشير إلى التجلى على جبل طابور وظهور موسى وإيلياء معه فى متى ١٧ .

(٢) تكوين ١٨ وغيره .

حكاه أحبار النصارى ومتدينوهم مثل بحيرا الراهب ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود، والنجاشي ملك الحبشة، وسلمان، وأساقفة نجران ممن آمن وحقق وأسلم وصدق.

ومن دلائل نبوته عليه السلام ما نطقت به الكهان:

مثل: شافع بن كليب، وشقّ وسطيح وسواد بن قارب الدوسي، وخنافر. وأفعى نجران وجِذْل الكندي، وابن خَلَصة الدوسى وسعدى بنت كريز، وفاطمة ابنة النعمان.

إلى ما سمع من الأصنام ونطقت به هواتف الجان، ووجد مكتوبا على الحجارة المدفونة بالقلم الأول. إلى ما ظهر عند مولده من الآيات؛ مما حكته أمه والنسوة الثقات. من كونه حال بروزه كان رافعا بصره إلى السماء وأنها رأت نورا خارجا معه، ورأين النجوم وقد تدلّت من الأفق، والنور قد أضاء حتى ملأ الأرض. إلى ما جرى عند ولادته من ارتجاج أبواب كسرى وسقوط شرفاته، وغيض ماء بحيرة طبرية، وخمود نار فارس. وكان لها ألف عام لم تخمد. وحراسة السماء بالشهب، وقطع رُصُد الشياطين. وكونه عليه السلام لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر؛ لأنه نور كله، وكان الذباب لا يسقط على جسده وثيابه.

وأعلم أصحابه بموته ودنو أجله، وأخبرهم أن قبره بالمدينة يكون. فى بيت سكنه. ونداء الملائكة عند غسله: «ألا تنزعوا قميص نبى الله ﷺ».

●●●

كرامات الأولياء

ومن دلائل نبوته ﷺ على يد أصحابه وأمته من الكرامات والآيات البينات: وذلك زيادة في تخصيصه وآياته وصدقه وزُلفته عند الله تعالى. وهذه الدلالة متسعة جدا؛ فلنقتصر منها على لمعة يسيرة تحصلُ الغرض. ففى صدور الكرامات والآيات على يد الأتباع؛ برهان ظاهر على صدق المتبوع.

قالت عائشة: لما حضر أبا بكر الوفاة قال: يا بنية إن أحب الناس إليّ بعدى أنت. وإن أعزّ الناس عليّ فقره بعدى أنت. وإنى كنت نحلتُك جداد عشرين وسقا من مالي؛ فوددت والله أنك حُزتيه، وإنما هم أخواك وأختاك. قالت: هذان أخواي. فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة. فقد أُلقى فى روعى أنها جارية. فولدت أم كلثوم.

وروى عن عمر أنه نادي: يا سارية الجبل. يقول ذلك لبعض أمراء المسلمين حين أحاط به العدو، وبينهما أكثر من شهر، فأسمع الله ساريةَ صوتَه؛ فكانت سبب سلامة المسلمين. وهذه كرامة لا توازيها كرامة.

وروى سيف بن عمر الأسدي: أن عمر اعترض الذين سيَّرهم إلى الغزاة. فرأى فيهم فتية فكرههم وتفرَّس فيهم الشر، وتعجب الناس من كراهيته فيهم، ولم يرد أن يشهر أمرهم للناس، فكان فيهم من غزا عثمان وقتله وقتل على بن أبى طالب وأثاروا الفتن على الناس بعدُ.

وروى أن عليا ـ رضوان الله عليه ـ قدم عليه قوم من الخوارج. من أهل «البصرة» فيهم رجل يُقال له: الجعد بن بَعْجَة. فقال له: اتق الله يا عليّ فإنك ميت. فقال على ـ رضوان الله عليه ـ: بل مقتول. ضربةٌ على هذا تخضب هذه ـ يعنى لحيته من رأسه ـ عهد معهود وقضاء مقضى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾.

ولما حضر الناس لبيعة عليّ جاءه عبد الرحمن بن مُلجَم المُرَادِى فردّه مرتين أو ثلاثا. ثم أتاه، فقال: ما يحبس أشقاها ليخضبن هذه من هذه ثم تمثل:

أشدُد حَيازيمك للموت فإن الموت لاقيكَ
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

ودعا عبد الله بن جحش قبل يوم أحد بيوم فقال: اللهم إنّا لاقوا عدونا غدا، وإني أقسم عليك يارب أن يقتلوني ويبقروا بطني ويجدعوني. فإذا قلتَ لي: لم فُعِل بك هذا؟ فأقول: اللهم فيك. فلما التقوا؛ فعلوا به ذلك. فمر عليه الذي سمعه بالأمس يدعو بذلك. فقال: اللهم أما هذا فقد استُجيب له، وأنا أرجو أن يُعطى ما سأله في الآخرة.

وذكر سيف بن عمر: أنه لما كانت وقعة البحرين. والمسلمون أميرهم العلاء بن الحضرمي. فلما كانوا بالدهناء حيث لا ماء. أراد الله أن يُريهم آية عظيمة. فلما نزل الناس؛ نَفَرت ركابهم في جوف الليل. فلم يبق معهم منها بعير ولا زاد ولا مزاد. وذلك حين نزل الناس وقبل أن يَحُطُّوا. فهجم عليهم من الغمّ ما لم يهجم على أمّة حتى أفضى بعضهم إلى بعض فنادى منادى العلاء: أن اجتمعوا. فاجتمعوا إليه. فقال: ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقالوا: كيف لا نكون كذلك ونحن إن بلغنا غدا لم تَحْم شمسه حتى نصير حديثا. فقال: لا تراعوا. ألستم مسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى. قال: فأبشروا. فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم.

فلما طلع الفجر صلَّى بنا، ومنا المتيمم ومنا من بات على طهوره لعدم الماء. فلما قضى صلاته جثا على ركبتيه وجثا الناس؛ فنصب في الدعاء ونصبوا معه. فلمع لهم سَرَاب مع طلوع الشمس. فالتفت إلى الصفّ، وقال: أريد من ينظر ما هذا؟ فرجع فقال: سراب. فأقبل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر فكذلك ثم لمع آخر فقال: العلاء: ماء. فقام وقام الناس فنزلوا على ماء كثير فشربوا واغتسلوا. فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَد من كل وجه؛ فأناخت إليهم وعليها أزوادهم. فقام كل رجل منهم إلى ظهره فأخذه. فما فقدوا سِلْكا فأرووها وشربوا العَلّ بعد النَّهَل. ثم تروحوا.

قال: وفيهم أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ فعمد إلى إداوة فملأها ثم تركها على الماء. فلما أبعدوا قال أبو هريرة لرفيقه: ارجع بي إلى الماء. فرجع فإذا الإداوة مملوءة والأرض بلاقع. فحقق وحققوا أنها آية من الله عز وجل.

ولما انتهى العلاء إلى البحر وجد العدو قد تحرَّز من المسلمين فى الجانب الآخر. فجمع المسلمين وخطبهم فقال: إن الله له الحمد. قد أراكم من آياته فى البر ماء تعتبرون به فى البحر. فانهضوا إلى عدوكم، واستعرضوا البحر إليهم. فإن الله قد جمعهم لكم بدارين. فقالوا: نفعل والله ولا نهاب بعد الدهناء أحدا. فارتحلوا بأجمعهم حتى جاءوا ساحل البحر. فدعا ودعوا: «يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حليم، يا أحد يا صمد، يا حيّ يا محيى الموتى، يا حى يا قيوم، لا إلَه إلا أنت يا ربنا» فأجازوا البحر بإذن الله يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء، يغمر أخفاف الإبل. وإن ما بين الساحل و «دارين» مسيرة يوم وليلة لسفن البحر فى بعض الأحوال، فالتقوا بعدوهم. فما تركوا منهم مُخبرا، وسبوا الذراري، واستاقوا الأموال. فبلغ سهم نَفْل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين. فلما فرغوا من عدوهم؛ رجعوا عَوْدهم على بدئهم حتى عبروا أيضا. فقال عفيف بن المنذر شاعرهم:

ألم تر أن الله ذلّل بَحرَه ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دَعَوْنا الذى شقّ البحار فجاءنا ... بأعجب من فَلْق البحار الأوائل

ولما اتصل الخبر بأبى بكر رضى الله عنه قال: إن هذا من عظيم الآيات، اللهم اخلف محمدا فينا.

ومن كرامات هذه الأمة كلام العَجْماء:

روى سيف بن عمر: أن سعدا والمسلمين بالقادسية وهم فى الغزاة قرموا إلى اللحم. فأرسلوا مَن يطلب لهم شيئا من الغنم والبقر؛ فتحصّن أصحابها، وأحرزوا ماشيتهم. فرأى عاصم بن عمرو رجلا على أجمة. فسأله أن يدلّه على البقر والغنم. فحلف له وقال: لا أعلم. وإذا هو راعى تلك الأجمة. فصاح منها ثور: كذب والله ها نحن أولاء. فدخل فاستاق الثيران؛ فأتى بها العسكر، فقسمها عاصم على المسلمين فأخصبوا. وبلغ ذلك الحجّاج بن يوسف أيامه؛ فأنكره. فحضر إليه جماعة ممن سمعوا الثور يقول ذلك؛ فشهدوا به عنده.

ومن كراماتهم المشهورة: أن أُسيد بن حُضير وعباد بن بشر كانا عند نبى الله

ﷺ فى ليلة ظلماء حندس يتحدثان حتى إذا خرجا من عنده أضاءت لهما عصا أحدهما؛ فمشيا فى ضوئها. فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه؛ فمشى فى ضوئها.

انفرد بإخراجه البخاري.

ومن ذلك: أن أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ خرجت من مكة مهاجرة إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة. وهى ماشية ليس معها زاد. وهى صائمة فى يوم شديد الحر. فأصابها عطش شديد. فبينا هى بالروحاء أو قريبا منها إذا بحفيف شيء فوق رأسها. قالت: فرفعتُ رأسى فإذا أنا بدلو من السماء مدلّى برشاء أبيض. قالت: فدنا منى حتى إذا كان حيث أستمكنُ منه؛ تناولتهُ فشربت منه حتى رويت. قالت: فلقد كنت بعد ذلك أطوف فى الشمس فى اليوم الشديد الحر كى أعطش. فما عطشتُ بعدها.

ومن ذلك أيضا: أن البراء بن مالك لقى جيشا من المشركين. وقد استعلى المشركون على المسلمين. فقالوا له: يا براء إن رسول الله قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك. فأقسم على ربك. فقال أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. فمنُحوا أكتافهم. ثم التقوا أيضا على قنطرة السوس وقاتلوا فى المسلمين. فقالوا له: أقسم يا براء على ربك. فقال: أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. فمنحوا أكتافهم.

وفى رواية: أنه لما كان يوم تستر انكشف المسلمون. فقال البراء: أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبيك. فمنحوا أكتافهم؛ فاستشهد.

ومن ذلك أيضا: أن الملائكة كانت تُسلّم على عمران بن الحصين وتصافحه. فلما اكتوى انقطعتْ عنه. فلما كان قبيل موته، عاودتهُ فسلّمت عليه ـ رضى الله عنه.

ومن ذلك: قال بعضهم. غزونا مع العلاء بن الحضرمى «دارين» فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن. نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده. فقام فصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ

منه ونشرب فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا. فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء؛ فتوضأنا منه وتزودنا.

قال الراوي: فملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استُجيب له أو لا؟ فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي: نسيتُ إداوتي. فجئتُ إلى ذلك المكان فإذا به كأنه لم يصبه ماء قط، وأخذت إداوتي. ثم سرنا حتى أتينا «دارين» والبحر بيننا وبين العدو. فقال: «يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم؛ إنّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك. اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا».

وتَقحّمَ البحر؛ فخُضنا ما يبلغ لبودنا. فخرجنا إليهم. فلما رجعنا مرض بفؤاده؛ فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه. فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير. فقال بعضنا لبعض: فلو رجعنا فاستخرجناه ثم غسلناه. فرجعنا فطلبناه فلم نجده. فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا علي يا حكيم؛ أخفِ عليهم موتي، ولا تطلع على عورتي أحداً. فرجعنا وتركناه.

ودخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة؛ فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها؛ حتى وصلت إلى صماخه، فأسهرت ليله، ونغصت عيش نهاره. فشكا ذلك إلى بعض أصحاب الحسن. فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوةُ العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة. قال: وما هي رحمك الله؟ قال: «يا علي يا عظيم يا حليم يا حكيم». فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكّت الحائط وبرأ.

قال المؤلف: هكذا رأيتها في عدّة مصنفات وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقصان. فالرأي أن يدعو الإنسان بهذه الرواية مرة، وبالرواية الأخرى مرة أخرى؛ ليأتي على كل ما ورد منها.

وقال ثابت البناني: شكا قيِّمُ أنس بن مالك إلى أنس عطش أرضه. فصلى أنس ودعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه، وملأت صهريجه؛ فأرسلَ غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه؟ فنظر فإذا هي لم تعدُ أرضه.

وقالت مولاة أبي أمامة الباهلي: كان أبو أمامة يحب الصدقة، ويجمع لها

الدنانير والدراهم والفلوس وما يُؤكل. حتى البَصَلة ونحوها. فلا يقف سائل إلا أعطاه ما تهيأ له. قالت: فأصبحنا يوما وليس معنا ولا عندنا شيء من الطعام وليس فى البيت سوى ثلاثة دنانير. فوقف به سائل فأعطاه دينارا. ثم آخر فأعطاه دينارا. ثم وقف ثالث فأعطاه الثالث. قالت: فغضبتُ. فاستلقى على فراشه وأغلقتُ عليه الباب حتى أذّن المؤذن بالظهر فجئتهُ فأيقظتهُ فراح إلى مسجده صائما. فرققتُ عليه فاستقرضتُ ما هيّأت له به عشاء وسراجا، ووضعت المائدة ودنوتُ من فراشه لأمهد له. فوجدت تحته ثلاثمائة دينار. فقلت فى نفسي: ما صنع الذى صنع إلا ثقة بذلك. فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار؛ فتركتها على حالها حتى انصرف عن المسجد بعد العشاء. فلما دخل البيت ورأى ما هيأتُ له؛ حمد الله وتبسم فى وجهى وجلس وتعشّي. فلما فرغ قلتُ: يغفر الله لك جئتَ بما جئتَ به ثم تركته بمضيعة. قال: وما ذاك؟ قلت: ما جئتَ به من هذه الدنانير. ورفعتُ الفراش عنها. ففزع حين رآها وقال: ويحك ما هذا؟ قلت: لاأعلم إلا أنى وجدتها ههنا على ما ترى. قالت: فكثر فزعه.

وقال ميمون بن مهران: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف. فلما وضع ليصلّى عليه. جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه. فالتمس فلم يُوجد. فلما سُوِّى عليه، سمعنا صوتا ولا نرى شخصا يقول: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.

ولما أتى العطاء إلى زينب زوجة رسول الله ﷺ من عمر ـ رضوان الله عليه ـ وقسمته فى وجوه البِرّ رفعت يديها إلى السماء. وقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا. فماتت قبل أن يدركها.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: أسلمت أم شريك غُزيَّة بنت جابر ابن حكيم الدوسية، وجعلت تدخل على أهل مكة فتدعو النساء إلى الإسلام سِراً. تُرغبهن فيه، فلما ظهر أمرها لأهل مكة قالوا: نبعثك إلى قومك. قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى شيء. ثم تركونى ثلاثا لا يطعموننى ولا يسقونني. وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقونى فى الشمس واستظلوا هم وحبسوا

عنى الطعام والشراب. فبينما هم كذلك وأنا فى الشمس إذا بشيء بارد على صدرى فإذا هو دلو من ماء. فشربتُ منه قليلا، ثم نزع منى فرفع. ثم عاد فتناولتهُ فشربت منه ثم رُفع مراراً ثم نزل لى فشربت حتى رويت ثم صببتُ سائره على جسدى وثيابي. فلما استيقظوا وجدوا أثر الماء على ثيابى ووجدوا هيئتى حسنة. فقالوا: حَلَلْتِ سقاءنا فشربتِ منه. قالت: لا والله ولكنه كان من الأمور كيت وكيت. فقالوا: لئن كنتِ صادقة. لدينُك خير من ديننا. فلما نظروا إلى أسقيتهم؛ وجدُوها كما تركوها؛ فأسلموا. ثم جاءت هى فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ بغير مهر؛ فقبلها ودخل بها.

وكانت حفصة ابنة سيرين تُسرج المصباح وتقوم إلى مصلاَّها، فربما طُفِيء المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح.

قال المؤلف: ووقفتُ على كرامة غريبة لسلف هذه الأمة: وهى ما رواه سيف ابن عمر فى الفتوح قال: حاصر المسلمون بهرسير من أرض العراق. فلما اشتد عليهم الحصار، وأبطأ على المسلمين الفتح؛ أشرف عليهم رسول من الحصن. فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا من «دجلة» إلى الجبل، ولكم ما يليكم من دجلة إلى الجبل؟أما شبعتم، لا أشبع الله بطونكم؟ افبدر الناس أبو مفزِّر الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله بشيء لا يدرى ولا نحن ما هو. فأجابه بالفارسية وهو لا يعرف من الفارسية شيئا ولا نحن.

فرجع الرسول إلى الملك بما سمع من أبى مفزر ورأيناهم يقطعون إلى المدائن هاربين. فقلنا له: يا أبا مفزر ما قلت له؟ قال: لا والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما هو إلا أن عَلَيَّ سكينة، وأنا أرجو أن أكون قد أُنطقت بالذى هو خير. وأتى الناس يسألونه عن ذلك حتى جاءه سعد. فقال: يا أبا مفزِّر ما قلت للرسول فوالله إنهم لَهُرّاب؟ ثم نادى سعد فى الناس ثم نَهَدَ بهم فوجد القوم قد هربوا وتركوا المدينة، ووجدوا منهم قوما خارج المدينة فأسروهم، وسألهم المسلمون: لأى شيء هربوا وتركوا المدينة؟ فقالوا: بعث الملكُ إليكم يعرض عليكم الصلحَ فأجاب متكلمكم: إنه لا صلح بيننا أبدا حتى نأكل عَسَل «إفريدين» بأُترج «كوثي» فقال

الملك: لا طاقة لأحد بهؤلاء. وأسرع فى الجلاء والهرب.

وقال مالك بن دينار رضى اللـه عنه: لما وُلِّى عمر بن عبد العـزيز ـ رحمه الله ـ قال رعاة الشاء فى رءوس الجبال: مَن هذا الخليفة الصالح [1] الذى قد قام على الناس

(١) يقول كثيرون من المسلمين: إن دعوة موسى عليـه السلام كانت خاصة ببنى إسرائيل من دون الناس، ولم تكن عالمية لجـميع الأمم إلى زمان محمد ﷺ. والقرآن لا يشـهد بصحة هذا القول. وإنما يشـهد بعالمية دعوة موسى إلى حـين نسخها بالقرآن الكـريم. وبيان ذلك: أن الأمم فى زمان موسى كانـوا عباد أصنام، وكـانوا على شرائع قـد وضعـوها لأنفسـهم لم يأذن بهـا الله فمن يهـديهم إلى الله؟ هل يرسل إليـهم ملائكة؟ هل يرسل لكل مدينة رسولا من أهلها، ويوحى إلى كـل رسول بشريعة؟ إن الذى حدث فى زمان موسى: هو أنه اختار بنى إسرائيل من الأمم، واختار موسى من بنى إسرائيل وأوحى إليه بالتوراة، شريعة واحدة لجـميع الأمم، يُبلِّغهـا إليهم بنو إسـرائيل فى زمان موسى ومن بعـده. إلى أن يتم الدين ويكمل بمحمد ﷺ. يدل على ذلك من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ـ ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وآل إبراهيم مُصطـفى منهم آل عمران إلى أن يأتى دور بنى إسـماعيـل فى الدعوة وهذا الاختيـار، وهذا التفضيل، وهذا الاصطفاء من أجل ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وقد فتح بنو إسرائيل بلاد الأمم وملكوها ونشروا فيها التوراة. فـفى القرآن: أنهم فتحوا الأرض المقدسة، وأن يونس أُرسل إلى أهل نينوي، وأن مـوسى طلب من المصـريين أن يؤمنوا بالله، وأن سليمـان نشر الإسـلام فى اليمن على شريعـة التوراة. وظل بنو إسرائيل يقاتلون فى سبـيل الله إلى زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ ق .م ومن هذا الزمان تخلَّوا عن دعوة الأمم، وقصروا التوراة عليهم، واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم. فلما ظهر مـحمد ﷺ، ودعا بنو إسمـاعيل الأمم بالقرآن. أصبح المختـارون والمفضلون والمصطفون هم بنى إسمـاعيل. بدل بنى إسرائيل الذين كانوا فى البـدء أئمة. ويوجد فرق بين «كـان» و«أصبح» فكان تدل على زمن أمة قد انقضى، وأصبح تدل على زمن أمة قائمة بالفعـل. وهما أمّتان وشَعبان وشريعتان. أولى الأمتين قد خلت. أى كـان لها زمن. والآخرة قائمـة فى زمانها الذى يعلم الله بداءه ويعلم نهـايته. ويقول الله عن أمة بنى إسرائيل: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ ويقول عن أمة بنى إسماعيل: ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

لاحظ: قوله: ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وفى الإنجيل عن اختيـار الله لبنى إسرائيل فى السابق: «لأن الذين سبق فعرفـهم سبق فعينهم... والذين سـبق فعـينهم؛ فهـؤلاء دعاهم أيضـا. والذين دعـاهم فهـؤلاء بررهم. والذين بررهم فهـؤلاء مجـدهم أيضا. فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا فمن علينا؟... من سيشتكى على مختارى الله؟» [رو٨: ١٩ ـ]. ثم بين أن الاختـيار قد نزع من بـنى إسرائيل إلى الأمم فى شخص المسـيح عيسـى عليه السلام. بحـجة هي: أنه النبى الأمى الآتى على مثـال موسى [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] وإذا صح وثبت أنه هو محـمد رسول الله يثبت أن الاختيار قد نزع من بنى إسرائيل إلى أ ـ بنى إسماعيل ب ـ والأمم فى شخص محمد ﷺ بحجة هي: أنه هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى.

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ عـمن يتكـلم بلفظ ﴿ كُنتُمْ ﴾؟ هل يتكلم عن أمـة اليهود؟ هل يتكلـم عن أمة بنى إسماعيل؟ لابد من تعيين واحدة من هاتين الأمتين، يشهد القرآن بقوله ﴿ كُنتُمْ ﴾ على أمة قد كانت قائمة=

. . . .

=بالأمر بالمعروف وبالنهى عن المنكر على شريعة. ويدل لفظ ﴿أُمَّةٍ﴾ في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ على أنها أمة بنى إسرائيل لقوله عنها: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد أثبت الله مقارنة بين طائفتين من الأمة التى قد خلت. فى الكف عن الدعوة وفى القيام بها. فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ووصف قيامها بالأوصاف التى كانت فى الطائفة التى كفت عن الدعوة. فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وقال: إن الأمة القائمة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ من أهل الكتاب. ومدحها وأثنى عليها. وهذا يدل على أن أهل الكتاب أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ولا يُعرف المعروف والمنكر إلا من آيات التوراة. فيكون أمرهم ونهيهم بها. دليلا على أنها كانت لجميع الأمم. فلماذا يُقال بالخصوص فى شريعة موسى؟ وفي القرآن: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ اى مطالبا. وعلل فعلهم هذا بالأمم بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ فهل قولهم هذا الذى يدل على تعديهم على الأمم هم على حق فيه؟ هل يرضى الله بظلم الأمم؟ هل سمح لبنى إسرائيل بأكل أموال الناس بالباطل؟ حاشا وكلا. ولذلك أعلن للعالم بأنهم كاذبون فى قولهم هذا بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه كذب؛ لأنه ما اختارهم لحمل رسالته لظلم الأمم بل لهداية الأمم. فقد قال الله لإبراهيم: «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي» [تك ٢٢ :١٨] ومباركة الأمم به؛ لاتكون بظلم ابنائه لهم، بل برحمة أبنائه بهم.

واضطرب مفسرو القرآن فى معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ولم يضبطوا المعنى. مع علمهم بأن ﴿كُنتُمْ﴾ تدل على زمان قد تم وانقضى. وأمة محمد ﷺ ما تم زمانها، وما انقضت أيامها. ففى تفسير ابن جرير الطبري: «اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة خاصة، من أصحاب رسول الله ﷺ وقال آخرون: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أخرجوا للناس فى زمانكم. وقال بعضهم: عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس. وكان الحسن يقول: نحن آخرها وأكرمها على الله».

ثم قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ٣١٠ هـ.

«فإن سأل سائل فقال: وكيف قيل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ وقد زعمتَ أن تأويل الآية: أن هذه الأمة خير الأمم التى مضت. وإنما يقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لقوم كانوا خيارا؛ فتغيروا عما كانوا عليه؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه، وإنما معناه: أنتم خير أمة. كما قيل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ وقد قال فى موضع آخر: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ فإدخال كان فى مثل هذا، وإسقاطها بمعنى واحد؛ لأن الكلام معروف معناه.

ولو قال أيضا فى ذلك قائل: ﴿كُنتُمْ﴾ بمعنى التمام؛ كان تأويله: خلقتم خير أمة. أو وجدتم خير أمة؛ كان معنى صحيحا. وقد زعم بعض أهل العربية: أن معنى ذلك: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عند الله فى اللوح المحفوظ ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أهل طريقة» ا. هـ.

النقد:

١ ـ إنه لحظ معنى كان التى تدل على زمان قد تم وانقضى. فقسم المسلمين فى عهد محمد ﷺ إلى قسمين أ ـ مهاجرين ب ـ وانصار وجعل ﴿كُنتُمْ﴾ للمهاجرين. ويلزم على هذا الرأي. أن معنى الآية =

قال: فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والسباع عن شائنا.

قال مالك بن أنس ـ الإمام ـ رضي الله عنه: كان يونس بن يوسف من العبّاد ومن خيار الناس. فذهب يوما إلى المسجد؛ فلقيته امرأة فى طريقه فوقع فى

=يكون قد تم فى بدء نزول القرآن. ولا ينسحب معناها إلى يوم القيامة. وهذا هو الرأى الأول. ومعنى الرأى الثانى هو نفسه معنى الرأى الأول: لأن إخراجهم فى زمان النبوة. هو نفسه تقسيمهم إلى مهاجرين وأنصار. ومعنى الرأى الثالث هو معنى الرأيين السابقين؛ لأن قوله عنهم كانوا خير أمة. يدل على زمن النبوة. وقال ابن جرير: إن معنى ﴿كنتم خير أمة﴾ هو نفس معنى ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض﴾ يريد أن يقول: إن ﴿كنتم﴾ معناها ﴿أنتم﴾ أى لا تدل على الماضي. فلننظر فى ما قبل الآية وما بعدها وأيضا فى كلمة ﴿واذكروا﴾ وإن قبل الآية هو فى اليهود المشبهين بالدواب التى لا تعقل. وما بعدها هو فيهم. والذكرى تدل على زمان قد تم وانقضى. فإن الذى يتذكر الآن شيئا. يكون على علم به فى زمان قد تم وانقضى. أى أنهم كانوا قلة ضعفاء فى زمن وهم الآن كثرة أقوياء؛ فليذكروا الماضى ليشكروا الله. وينسحب هذا الذى قلناه على ﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ فإن أهل مدين كانوا قليلين فى زمن، وكثيرين فى زمن شعيب عليه السلام. وفى النص ﴿كنتم قليلا﴾ وأما قوله إنه يصح أن تكون كان تامة. فإنه مردود بقوله ﴿أخرجت﴾ الذى يدل على الماضى كدلالة كنتم. وقوله إن الخيرية فى اللوح المحفوظ؛ أرك من أن يتكلم فيه. وقوله خير أهل طريقة؛ لغو لا طائل من ورائه؛ لأن الإشكال ليس فى الطريقة، وإنما فى ﴿كنتم﴾ الدالة على الماضي.

والمعنى الصحيح:

يأمر الله أمة محمد ﷺ بالتقوى وعدم التفرقة. ثم نقول لهم: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ بشريعة القرآن. وإن فعلتم ذلك تكونون خير أمة أخرجت للناس. واعلموا يا أمة محمد: أن بنى إسرائيل من قبلكم كانوا خير أمة، حينما كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بشريعة التوراة. ثم خاطب بني إسرائيل عن طريق القرآن فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ثم خاطب الله العالم بقوله: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾ أى من الخير لهم أن يدخلوا مع بنى إسماعيل والأمم فى شريعة القرآن. فإنهم إن دخلوا يكونون مع بني إسماعيل ومن دخل فى دينهم من الأمم مشتركين في أنهم جميعا ﴿خير أمة﴾ عوضا عمن كانوا ﴿خير أمة﴾ ثم قال عن طائفة منهم: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ وصف هذه الأمة ١ـ بأنها قائمة. أى ما تزال على قيد الحياة. والموجود الآن من أهل الكتاب أـ اليهود ب ـ والمسيحيون ج ـ والصابئون أتباع نبى الله يحيى عليه السلام. أما اليهود والمسيحيون فإن الله قد وصفهم بالشرك. فلم يبق من الثلاثة إلا الصابئون ٢ ـ يتلون آيات الله. أى يقرأون التوراة ويدرسونها ٣ ـ وهم يسجدون. أى متواضعون وخاشعون لله ٤ ـ ويؤمنون بالله ٥ ـ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على شريعة موسى ٦ ـ ويسارعون فى الخيرات.

ووصف هذه الأمة هو نفسه الذى جاء فى قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ .

نفسه منها فقال: اللهم إنك جعلت بصرى لى نعمة. وقد خشيتُ أن يكون عليّ نقمة؛ فاقبضه إليك. قال: فعمى. وكان ابن أخ له يقوده إلى المسجد. فإذا استقبل الجدار؛ اشتغل الصبى يلعب مع الصبيان. فإن نابته نائبة حَصَبَ الصبي؛ فأقبل إليه. فبينا هو ذات يوم ضحوة فى المسجد؛ إذ أحس فى بطنه بشيء؛ فحصبَ الصبي؛ فشُغل الصبى مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه. فقال: اللهم كنتَ جعلتَ لى بصرى نعمة، فخشيتُ أن يكون عليّ نقمة فسألتُكَ فقبضته إليك، وقد خشيت الآن الفضيحةَ؛ فاردد عليّ بصري. فانصرف إلى منزله بصيرا بغير قائد. قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته بصيرا صحيحا.

وحج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة. فلما قدم المدينة بعث إلى جعفر بن محمد وقال: أحضروه إليّ مُتعبا، قتلنى الله إن لم أقتله.

فتغافل عنه الربيع؛ لينساه. ثم أعاد للربيع. وقال: ابعث من يأتى به. قتلنى الله إن لم أقتله. فلما كان فى الثالثة أحضره الربيع.

وقال: أبا عبد الله. اذكر الله. فإنه قد أرسل إليك للتى لا شوى لها. فقال جعفر رضوان الله عليه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ثم أعلم المنصور بحضوره. فلما دخل قال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يُؤَدُّون إليك زكاة أموالهم، وتُلحد فى سلطانى وتبغيه الغوائل. قتلنى الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أُعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر. وأنت من ذلك السِّنخ. فقال له المنصور: إليّ. أنت عندى يا أبا عبد الله البريء الساحة، والسليم الناحية، القليل الغائلة. جزاك الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم دعا بالغالية والطيب؛ فغلَّفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة، ثم قال: فى حفظ الله وكلأته. ثم قال: يا ربيع الحق أبا عبد الله بجائزته وكسوته. سِرْ أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه.

قال الربيع: فلحقته بذلك. فقلت له: إنى قد رأيت من هذا الرجل فى أمرك مالم تره، ورأيتُ بعد ذلك ما قد رأيتَ فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت

عليه؟قال: قلت: «اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لا يُرام، واغفر لى بقدرتك عليّ؛ فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر، وأجلّ ممن أخاف وأحذر. اللهم بك أدفع فى نحره، وأستعيذُ بك من شره».

مسألة:

إن قال بعض النصارى: إنه لا نبى بعد المسيح.

أكذبه: ما فى كتاب فراكسيس ـ وهو رسائل الحواريين ـ إذ قال فى الفصل الحادى عشر منه: «إنه قدم فى تيك الأيام أنبياء من بيت المقدس. فقام أحدهم يسمى أغابوس. فتنبأ لهم وقال: إنه سيكون فى هذه البلاد قحط شديد»[1] .

وقال أيضا فى هذا الفصل: «إنه كان فى بيعة أنطاكية أنبياء منهم بَرْنابا وشِمعون ولُوقُش ومانايِن وشاوُل. فهؤلاء الخمسة بأنطاكية»[2] .

وقال أيضا فى الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب: إنه كان لفيلبّس المبشّر أربع بنات متنبئات»[3] .

وقال لوقا فى كتاب فراكسيس أيضا: «إن النفر المتوجهين إلى أنطاكية كان نزولهم على بيت عنيا لأنهم كانوا أنبياء».

قال مؤلفه: من زعم أنه لا نبى بعد المسيح؛ فهو جاهل بدين النصارى إذ لا خلاف عندهم: أن فُولُس صاحب الأربع عشرة رسالة؛ هو رسول جاء بعد رفع المسيح. وقد حكى فى رسالته: أنه أدرك من أصحاب المسيح شِمعون الصَّفا ويعقوب. فقد بطل قول من قال: إنه لانبى بعد المسيح.

فإن قيل: فقد حَذَّرَنا المسيح ـ عليه السلام ـ فى الإنجيل من الأنبياء الكذبة الذين يلبسون لباس الحملان، وهم فى الباطن بصور الذئاب الضارية. ثم وصفهم فقال: «من ثمارهم تعرفونهم».

قلنا: هذا تصريح من المسيح عليه السلام بمجيء النبى الصادق. إذ خصّ

(١) لفظ الأنبياء يطلق عندهم مجازا على العلماء. والنص فى الأصحاح الحادى عشر من سفر الأعمال.

(٢) أعمال ١٣ .

(٣) أعمال ٢١ .

التحذير بالكذبة. ولولا ذلك لم يقل: «ومن قِبَل ثمارهم تعرفونهم» ولقال: لا نبي بعدي، ولم يحوجهم إلى الاستدلال بثمارهم على كذبهم. كلا. ولكنه صريح بمجيء النبي الصادق. ونصّ عليه في غير موضع من إنجيله - كما تقدم - ثم الكاذب من لم يقم على نبوته برهان. وقد جاء نبينا محمد رسول الله ﷺ بآيات ظاهرة، ودلالات متضافرة. كانشقاق القمر، وتسليم الحَجَر، واستجابة الشجر. وإبراء الأبرص والأجذم والمجنون والآدر، ونطق الذراع وخسف الأرض بعدوه عند الإتباع. وتفجير الماء، ونطق العجماء. والإخبار عن الغيوب، والنصر في مواطن الحروب. والكتاب العزيز الذى أخرس الشقاشق، وفضح المنافق. وعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، وأناط الفصحاء والحكماء حبالهم بحبله.

قال المسيح عليه السلام: «ومن قِبَل ثمارهم؛ تعرفونهم» (١) وقد علم الموافق والمفارق: أن محمدا ﷺ لم تثمر شجرة دعوته عبادة غير الله؛ فلم يشرك مع الله سواه، ولا جعل له نداً من خلْقه، ولا ادّعى له ولدا ، ولا قال اعبدوا إلّهين اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا عَبَدَ رجلا ولا عِجلا ولا كوكبا ولاوثنا، بل أمر بعبادة الله. إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، والإخلاص له وتنزيهه عن النقائص والآفات، والحلول فى المحدثات، والتدنس بالزوجات. ولم يجعل الله ولداً ولا والداً، بل خلع الأنداد، ونبذ الأضداد. وأمر بطاعة الله، ونهى عن معصيته، وزهّد فى الدنيا، ورغب فى الأخرى. وجاء بكتاب من عند الله يشتمل على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر وبر الوالدين وصلة الرحم وحفظ الجار وفرض الصدقات. والأمر بالصيام والصلاة والحثّ على محاسن الأخلاق ومكارم العادات. ثم كسر الأصنام، وعطل الأوثان، وأخمد النيران ، وأعلن بالأذان. فأما هو فى نفسه ﷺ فأربى على سائر الأمم فى العبادة، وتقدم إخوانه من المرسلين فى الإرشاد والإفادة.

---

(١) «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقى فى النار. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم» [متى ٧: ١٥ - ٢٠].

فهذه ثمار محمد ﷺ التى صارت أعلقُ به من الغرام ببنى عذرة، والإقدام بابن أبى صفرة.

وقد بين يوحنا الإنجيلي: أن التحذير إنما كان من الدّجال. فقال فى رسالته الثانية: «إنه قد خرج فى العالم ضُلاَّل كثيرون لا يعترفون بالمسيح الجسداني، فمن كان من هؤلاء؛ فهو الضال المضلّ، فأما المقيم على تعليم السيد المسيح؛ فالأب يكون معه»(١) والتعليم الذى أمر به المسيح: هو توحيد البارى وتنزيهه.

وقوله: «أنا نبى الله ورسوله وعبده، لا أعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلني»(٢) كما تقدم. فهذا تعليم المسيح الذى دعا إليه وعلّمه، فمن أقام عليه فهو مؤمن بالمسيح، ومن راغمه فهو الضال المضل. كما أخبر المسيح عليه السلام.

قال المؤلف عفا الله عنه: واعلم: أنه لو جاز أن يُتمسك بنهى عيسى فى الإنجيل عن الأنبياء الكذبة فى رد محمد ﷺ لجاز أن يتمسك بنهى موسى فى التوراة عن الأنبياء الكذبة فى رد عيسى(٣). فقد قال الله فى السفر الخامس من التوراة بعد ذكر النبى الصادق: «فأما الذى يقول مالم آمره به أو يدعو باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك قتلا. فإنما يريد أن يضلكم عن الطريق» ثم قال: «إن أُشكل عليكم معرفة مالم أقله مما قلته: فانظروا. فإنى لا أُتم قول الكاذب ولا أُكمل فعله؛ لأنه قال مالم أقله. وإن ما تقوّله كذب وجُرأة وصفاقة وجه؛ فلا تخافوه ولا تفزعوا منه».

ولَمَّا لم يقدح ذلك فى حق عيسى؛ لم يقدح مثله من الإنجيل فى حق محمد ﷺ.

فإن قيل: فمن هم الكذبة الذين ذكروا فى توراة موسى وإنجيل عيسى؟

---

(١) رسالة يوحنا الرسول الثانية.

(٢) يوحنا ٦: ٣٨.

(٣) كلام المؤلف ههنا يدل على أنه ينقل عن غيره وهو غير فاهم لمعنى ما ينقله. وذلك لأنه قال إن قول موسى: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من إخوتك مثلى له تسمعون... الخ» يدل على محمد ﷺ وكرر ذلك فى القسم الأول من هذا الباب. وهو ههنا يطبق نفس النبوة على عيسى عليه السلام فآخر الباب متناقض مع أوله. والنص بتمامه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو الذى أشار الله إليه فى القرآن بقوله: ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [تث ١٨ ويوحنا ١] .

قلنا: لا يلزمنا بيانهم، ولكنا نتبرع بذلك ونقول: قد نجمَ كذّابون، ونَبَغ متمحلون. وقد أخبر بمجيئهم بطرس صاحب المسيح فقال: «اعلموا: أنه ما جاءت قط نبوة من مشيئة البشر، بل من روح القدس سيق بها قوم عند الله مُطهّرون، وقد كان أيضا في الشّعْب أنبياء كذبة. كما أنه يكون أيضا فيكم معلمون كذبة. أولئك الذين يدخلون إلى فرقة الهلكة، ويفتتنُ بنجاستهم قوم كثير، ويفترون على صحة الحق. أولئك الذين دينونتهم لا تبطل وهلكتهم لا تنعس »(١).

فأخبر بطرس بأنه قد كان كذا ويكون في شَعْب بني إسرائيل من يفترى على الله الكذب.

قلت: وقد جرى مثل ذلك من أراذل العرب وأدعياء النبوة الكاذبة جماعة. كالأسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة، وطليحة وسجاح في آخرين. فحام على أكثرهم حَمام الحمام، وصُرعوا بسيوف أهل الإسلام. وأحق الله الحق وأبطل الباطل، وحَلّى نبيه حلية الرسالة وعطّل العاطل.

فإن قيل: قال المسيح في الإنجيل: «إنه سيقوم مسحاءكذاب وأنبياء كذبة ويأتون بآيات وعلامات؛ فيضلوا الناس إن قدروا على ذلك» وحتى يتم ما قاله دانيال عليه السلام في نبوته (٢) .

قلنا: أما المتنبئون فقد ذكرنا مجيئهم، وكيف أكذبهم الله وأبادهم. وأما المسيح(٣) الكذّاب فهو الدجال الكذاب الضال المضلّ الذى حذرته الأنبياء قومهم. وقال فيه نبينا محمد ﷺ: «إنه جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، أشبه الناس بعبد العُزّى بن قطن. بين عينيه« ك ف ر» يقرأه كل مؤمن ومؤمنة. كاتب وغير كاتب تتقدمه سوء مجاعة».

فقال أعرابي: بأبى أنت يا رسول الله بلغنى أن الدجال الكذاب يجيء إثر جوع ومعه جبال من الثّريد، أترى لى ـ صلى الله عليك ـ أن أتبطن من ثريده،

(١) بطرس الثانية ١:٢١ + .

(٢) متى ٢٤:٢٤ و ١٥ .

(٣) المسيح لم يقل سيقوم مسيح كذاب واحد بل قال «سيقوم مسحاء كذبة» بصيغة الجمع. ثم أعطى علامات للصادق.

حتى إذا تضلّعتُ آمنت بالله وكفرت بالدجال؟فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إذا يكفيك الله بما يكفى به المؤمنين».

واعلم: أن قصة الدجال مشهورة عند سائر الأمم [١] ،ولم يبعث نبى بعد نوح عليه السلام إلا وقد حذره قومَه. وقصة صاف بن صيّاد صحيحة عند أهل الحديث. ونحن نؤثر الاختصار.

وقد شهد يوحنا الإنجيلي: بأن المسيح الكذّاب الآن؛ موجود فى الدنيا غير أنه لم يظهر بعد. فقال فى الفصل الرابع من رسالته الأولى: «إن المسيح الكذاب الذى سمعتم به، سيأتي، وإنه الآن فى العالم» [٢] .

وذلك مصدق لما ذكره محمد رسول الله ﷺ فى شأن ابن صياد اليهودي.

وقد أطنب فُولُس فى ذكره فى الرسالة التاسعة، وحذّر إخوانه من فِتَنِه فقال: «يا إخوتى أطلبُ إليكم ألا تعجلوا ولا تشدهوا من كلمة ولا من روح ولا من رسالة تأتيكم؛ فإنه لعلّ إنسانا يُطغيكم بنحو من الأنحاء، وليس يكون ذلك حتى يأتى العتوّ أولا، ويظهر إنسان الخطيئة ابن البوار الصداد اللداد، ويستكبر على كلٍ. حتى يجلس فى هيكل الله ويخبر عن نفسه، وإنما هو الأثيم الذى يأتى فى آياته بالقُوى والآيات والعجائب الكاذبة ومكائد الشيطان، وجسده يبيده سيدنا يسوع المسيح بروح فِيه» [٣].

وقد شهد يوحنا الإنجيلى فى رسالته الأولى: أن الدجاجلة من بنى إسرائيل لا من غيرهم. فقال: «إن هذه الساعة هى آخر الزمان. وقد سمعتم أنه يجيء المسيح الكذاب، والآن قد كان مسيحون كذابون كثيرون. ومِنّا خرجوا» [٤] .

فأخبر: أن الدجاجلة الكذابين من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل وقد قال رسول الله ﷺ : «إن بين يدى الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم

(١) ليس من نصوص على الشهرة راجع كتاب أزمنة الأمم - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) يوحنا الأولى ٤ :٣وغرض محرفى الإنجيل غير غرض مؤلف الكتاب.

(٣) تسالونيكى الثانية الأصحاح الثاني.

(٤) يوحنا الأولى ٢ :١٨ .

أنه رسول الله» وفي رواية: «فيهم أربع نسوة».

فإن قيل: كيف يجوز إجراء الخوارق على يدي أرباب المخارق؟ قلنا: قال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني: «أما على يد مُدَّعي النبوة؛ فلا وأما على يد مدعي الربوبية؛ فنعم. إذ الأول يؤدي إلى إفحام الرسل، والتباس دليل التصديق على المكلفين، بخلاف ذلك في مدعي الربوبية؛ فإن سمات الحَدث عليه ظاهرة». والذي ارتضاه الأئمة: أن الله يفعل ما يريد، ويضلّ من يشاء من العبيد. غير أن الكاذب؛ يُنتج الله له ما يناقضه، أو يخلق العلم الضروري بالمكلّفين بكذبه».

والذي يدل على جريان الخارق، على يد المارق؛ نصُّ التوراة والإنجيل والقرآن والسنة ـ كما تقدم.

والله أعلم وأحكم.

نجز الكتاب الملقب بتخجيل من حرف التوراة والإنجيل. ولله الحمد.

رحم الله من قرأه، ودعا لمؤلفه بالرحمة والرضوان، وكاتبه، وجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه،

وأتباعه، وذرياته، والتابعين، وتابعي التابعين. إلى يوم الدين.

●●●

فهرس الكتاب

مقدمة ٣
مؤلف الكتاب ٣
مقدمة المصنف ١٧
الباب الأول ٢٧
في كون المسيح عبداً من عبيد الله بقوله وفتواه ٢٧
نبوءة العبد المسالم في سفر إشعياء ٢٧
الأدلة على عبودية المسيح لله من الأناجيل ٢٧
الدليل الأول ٢٧
الدليل الثاني ٣٠
الدليل الثالث ٣٠
الدليل الرابع ٣٦
الدليل الخامس ٣٨
الدليل السادس ٣٩
الدليل السابع ٤١
الدليل الثامن ٤٢
الدليل التاسع ٤٢
الدليل العاشر ٤٣
الدليل الحادي عشر ٤٤
الدليل الثاني عشر ٤٥
الدليل الثالث عشر ٤٧

الدليل الرابع عشر ٤٨
الدليل الخامس عشر ٥٠
الدليل السادس عشر ٥١
الدليل السابع عشر ٥٢
الدليل الثامن عشر ٥٣
الدليل التاسع عشر ٥٤
الدليل العشرون ٥٦
الباب الثاني ٥٧
في إثبات نبوته وتحقيق رسالته ٥٧
قول اليهود في معجزات المسيح ٥٧
الأدلة من الإنجيل على أن المسيح رسول الله ٥٨
الكلام في أن المسيح كلمة الله ٥٨
الرد على الناسوت واللاهوت ٦٢
معنى سجود الأبرص للمسيح ٦٣
معجزة اليسع عليه السلام مع نعمان الآرامي ٦٧
عدم علم المسيح بالغيب ٦٨
الأصغر في ملكوت الله ٧٠
التجديف على الروح القدس ٧٢
معجزة يونس عليه السلام ٧٣
معجزة المائدة السماوية للمسيح ٧٥
دعوة المسيح إلى الزهد ٧٦
المسيح يقول: «لا صالح إلا الله وحده» ٧٧
نبوءة بيت الله للصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ٧٨

دعاء المسيح على أورشليم بالخراب ٨٠
تبشير المسيح بالسُّنَّة المقبولة ٨١
قول اليهود عن المسيح: «قد قام فينا نبي عظيم» ٨٣
جهود بولُس في تحريف النصرانية ٨٤
اختيار المسيح لسبعين رسولاً ٨٦
مذاهب النصارى في التثليث ٨٧
معنى قول الناس عن المسيح: إنه هو النبي حقًا ٨٩
عدم شفاعة المسيح لليهود ٩٠
اشتمال الجنة والنار على الأكل والشرب والنكاح ٩٢
مثل العذارى العشر في الإنجيل ٩٧
مائدة من السماء من خمسة أرغفة وحوتين ٩٨
معجزة المسيح في تحويل الماء إلى خمر ١٠٠
النبوة في النساء ١٠١
اعتراف المرأة السامرية بنبوة المسيح ١٠٢
اعتراف المسيح بأنه رسول الله ١٠٤
شريعة الختان في التوراة والإنجيل ١٠٦
معنى «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» ١٠٨
معجزة إحياء لعازر من الأموات ١٠٩
الباب الثالث ١١٣
في تأويل ظواهر الإنجيل ١١٣
الابن والأب ١١٣
استشهاد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية ١٣٢
كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح لله ١٣٥

الباب الرابع ١٤١
في التعريف بمواضع التحريف في الأناجيل ١٤١
فساد المنقول عن يوحنا ١٥٤
فساد المنقول عن فولس ١٥٧
الباب الخامس ١٧٣
في أن المسيح عليه السلام وإن قصِد وطلِب؛ فما قتل وما صُلِب ١٧٣
سبب قول النصارى بقتل المسيح ١٧٤
المسائل العشر المفحمات للنصارى ١٩٠
الباب السادس ٢١٣
في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملاحدة ٢١٣
الرد على قولهم بالتواتر في صلب المسيح ٢١٣
الرد على قولهم بأن إلقاء الشبه ضلال ٢١٥
هل الإنسان مسير أم مخير؟ ٢١٦
الجزء الثاني ٢٥٣
زيادات في موضوع إلقاء شبه المسيح على غيره ٢٥٥
مشابهة معجزات المسيح لغيره من الأنبياء ٢٥٩
الباب السابع ٢٧٣
في إفساد دعوى الاتحاد ٢٧٣
أصول أقانيم النصارى ٢٧٣
القول في إبطال التثليث ٢٨٤
الباب الثامن ٢٨٧
في الإبانة عن تناقض الأمانة ٢٨٧
نص الأمانة (وهو قانون الإيمان) ٢٨٧

الباب التاسع ٣٠٥

في إثبات الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٣٠٥

أولاً : فضائح اليهود ٣٠٥

تحريف عزرا للتوراة عمدًا ٣٠٦

اليهود عبدوا الأصنام ٣٠٦

العرب لم يعبدوا الأصنام ٣٠٦

دليل من التوراة على نسخها ٣١٢

قصة العبد المؤبد ٣١٣

المسيح لم ينسخ حرمة يوم السبت ٣١٤

ثانيًا : فضائح النصارى ٣٣٤

يد الله تخرج من الكنيسة ٣٣٩

تعليق الصليب بحجر المغناطيس ٣٣٩

الثريا المعلقة ٣٤٠

نزول مريم من السماء ٣٤٠

عيد النور في بيت المقدس ٣٤٠

قبلة اليهود والنصارى ٣٤١

عدم نجاسة البول والغائط ٣٤٢

الاعتراف للكاهن ٣٤٢

صيام هرقل ٣٤٣

عيد ميكائيل ٣٤٤

معنى ﴿الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر﴾ ٣٤٤

الكذب في التوراة ٣٥٨

الصلاة لمريم ٣٦٧

الباب العاشر ٣٧٥

في البشائر الإلهية بالعزة المحمدية ٣٧٥

البشرى لهاجر رضي الله عنها ٣٧٦

نبوءة المزمور ٤٥ .... ٣٨٠

نبوءة المزمور ٤٨ .... ٣٨١

نبوءة الإكليل المحمود ٣٨١

نبوءة إشعياء ٤٢ .... ٣٨٢

نبوءة ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ ٣٨٢

نبوءة المزمور ١٢٠ .... ٣٨٣

نبوءة المزمور ١٤٤ .... ٣٨٤

نبوءة إشعياء ٢١ .... ٣٨٤

نبوءة إشعياء ٦٠ .... ٣٨٥

نبوءة إشعياء ٥٤ .... ٣٨٥

نبوءة إشعياء ٤٩ .... ٣٨٦

نبوءة العبد المسالم في إشعياء ٤٢ .... ٣٨٨

نبوءة إشعياء ٣٥ .... ٣٨٨

نبوءة إشعياء ٤٠ .... ٣٨٨

نبوءة إشعياء ٤١ .... ٣٨٩

نبوءة إشعياء ٥٧ .... ٣٨٩

نبوءة إشعياء ٥ .... ٣٩٠

نبوءة إشعياء ٤٩ .... ٣٩٠

نبوءة يوئيل عن استفتاح اليهود على الذين كفروا ٣٩٩

نبوءة ميخا ٤٠١

نبوءة حبقوق ٤٠١
نبوءة صفنيا ٤٠٢
نبوءة زكريا ٤٠٢
نبوءة إرمياء ٤٠٣
نبوءة حزقيال ٤٠٥
نبوءة دانيال ٤٠٦
(إلى أمة معدودة) ٤٠٦
نبوءة دانيال عن نهاية بني إسرائيل على يد المسلمين ٤٠٩
القسم الثاني من هذا الباب في آيات رسول الله ﷺ ٤٢٧
واثبات معجزاته الباهرة للعقول، الخارقة للعادة ٤٢٧
معجزة القرآن ٤٢٩
المعجزات الحسية ٤٣١
معجزة انشقاق القمر ٤٣١
معجزة حبس الشمس لرسول الله ﷺ ٤٣٣
معجزة نبع الماء العذب من بين أصابعه ٤٣٤
معجزة تكثير الطعام ببركته ٤٣٨
حنين الجذع ٤٤٣
تسبيح الطعام ٤٤٤
سجود الأشياء له ٤٤٥
إظلاله بالغمام ٤٤٥
كلام العجماء ٤٤٥
كلام الذئب ٤٤٦
تسخير السباع لغلمانه ٤٤٧

كرامات الأولياء ٤٧٥
مسألة ٤٨٦
الخصوص والعموم في دعوة موسى عليه السلام ٤٨٩
الفهرس ٤٩٣